

مقامات

أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى

شرحها وحققها

محمد محى الدين عبد الحميد

تقــديم

شــريف سيد عفــت



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقامات

أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

مقامات
أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى
شرحها وحققها: محمد محى الدين عبدالحميد
تقديم: شريف عفت

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصدراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية، وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى، وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص. ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى **«مكتبة الأسرة»** .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ **سوزان مبارك**..

د. سمير سرحان



مقدمة

الكتاب الذى بين يديك هو جهد طيب مثمر فى شرح مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى (٣٥٨-٣٩٨هـ/٩٦٩ - ١٠٠٨م) قطب أقطاب المقامات فى تاريخ الأدب العربى .

وقد قام بهذا الجهد الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد نجل صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتى وزارة الأوقاف العمومية وقام بالنشر فى عشرينيات القرن الماضى الأستاذ محمد سعيد الرافعى الكتبى صاحب المكتبة الازهرية .

والمقامة فى اللغة،هى المجلس يجتمع فيه الناس ، تلقى فيها الخطب والعظات وتطورت إلى سرد القصص عن ألسنة قوم يسمونهم "رواة" سواء كانوا حقيقة أو من نسج الخيال، وعلى

ألسنتهم يروون ما يشاؤون. صاحبنا "بديع الزمان" اتخذ "عيسى بن هشام" راويا له ومن فنون المقامة أن تكون النوادر التى يلقونها عن رجل آخر، هو "ابو الفتح الاسكندرى" فى مقامات بديع الزمان. أما الحريرى* فقد اتخذ "الحرث بن همام" راويا له و "أبو زيد السروجى" بطلا لمقاماته .

---

* هو أبو محمد القاسم الحريرى البصرى (٤٤٦-٥١٦ هـ) صاحب المقامات وأحد أئمة عصره ورُزق الحُظوة التامة فى إبداع المقامات التى اشتملت على الكثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها ورموز وأسرار كلامها .

ويحكى ولده عن سبب جنوح ابيه إلى عالم المقامات فيقول :

"كان أبى جالسا فى مسجده ببنى حرام فدخل شيخ ذو طمْريْن رث الثياب فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة "من أين الشيخ" فقال من سروج فسألوه عن كنيته فقال "ابو زيد" فعمل ابى المقامة المعروفة بالحرامية وعزاها إلى ابى زيد المذكور فاشتهرت وبلغ خبرها الوزير شرف الدين (وزير الامام المسترشد بالله) فأعجبته واشار على والدى ان يضم إليها غيرها فأتمها خمسين .

وقد حاول كثير من الاجانب ترجمة المقامات إلى لغاتهم فلم يفلحوا، وللحريرى بجانب المقامات كتب عديدة منها "درة الغواص" وملحة الاعراب فى النحو وديوان شعر ورسائل .

من هـو ؟

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الحافظ، المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة والذى على منواله نسج الحريرى مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره واعترف فى خطبته بفضله وأنه الذى أرشده إلى سلوك ذلك النهج .

مولده فى همذان (٣٥٨ هـ) وسكن هراة من بلاد خُراسان (٣٨٠هـ) وزار نيسابور (٣٨٢هـ) ولم يكن له نصيب من شهرة بعد حتى التقى بأبى بكر الخوارزمى، وشجر بينهما ما دعاهما للمساجلة، فذاع صيته وعلا ... وبوفاة الخوارزمى انطلق صاحبنا ودخل كل بلاد خُراسان وسجستان وغزنة وحظى بمجالسة الملوك والأمراء وحصد جوائزهم وكان يتميز بذاكرة حافظة وكانت أكثر مقاماته ارتجالا، وله ديوان شعر وأكثر من ٢٣٠ رسالة وكما أجاد النثر كانت له جولات فى الشعر، وكما يقول الشارح أنه كان شاعراً ناثراً وهو فى كليهما قد ضرب

بسهم بعيد المرمى واغترف من بحر عميق الغور الا انه البحر العذب الفرات ومقاماته من النثر البارع وهو فى شعره بارع متين فى المبنى والمعنى .

كانت وفاته عام ٣٩٨هـ بمدينة هراة وقيل مات مسموما وقيل من السكتة وقيل بأنه عُجل دفنه فأفاق فى قبره وسُمع صوته بالليل ولما نُبش عنه وجدوه وقد قبض على لحيته وعلى وجهه آثار ما رآه من هول ووحشة القبر - أعاذنا الله من مثل هذا الهول .

وقد قيل أنه سُئل : ما أحسن السجع؟

فقال : ما خف على السمع ..

قيل : مثل ماذا ؟

قال : مثلُ هذا ..

مهندس

شريف سيد عفت



ترجمة أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى

من هـو ؟

الكاتب المترسل، والشاعر المجيد، قدوة الحريرى، وقريع الخوارزمى ووارث مكانته، معجزة همذان، ونادرة الفلك، وفريد دهره رواية وحفظا، وغرة عصره بديهة وذكاء، أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذانى .

نشأته ، ونباهة شأنه ، ووفاته :

نشأ بهمذان إحدى مدن فارس الشمالية ودرس العربية والأدب وبرع فيهما ثم غادرها سنة ثمانين وثلاثمائة وهو فتى السن غض الشباب وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنزف علمه واستنفد بحره وورد حضرة الصاحب أبى القاسم فتزود من أدبه الجم وحسن آثاره ثم قدم

جرجان وأقام بها مدة على مداخلة جماعة الاسماعيلية والتعيش فى أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختصه أبو سعد محمد بن منصور بمزيد الفضل وإسداء المعروف ثم اعتزم نيسابور وشد إليها رحله فأعانه أبو سعد وأحسن امداده فوافاها سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة ونشر فيها بزه وأظهر طرزه وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الكدية ونحوها بلفظ رشيق . وسجع رقيق. نسج الحريرى على منوالها، وهيهات أن يدرك الظالع شأو الظليع، ثم شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمى ما كان سببا لهبوب ريح الهمذانى، وعلو أمره، وقرب نجحه، وبعد صيته إذ لم يكن فى الحسبان أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبرى لمباراة الخوارزمى، أو يجترىء على مجاراته، فلما تصدى البديع لمساجلته، وجرت بينهما مكاتبات، ومباهات، ومناظرات، ومناضلات، وأفضى السنان إلى الفنان، وقرع النبع بالنبع، وجرى من الترجيح بينهما ما يجرى بين الخصمين المتحاكمين، والقرنين المتصاولين : - طار ذكر الهمذانى وارتفع عند الملوك والرؤساء، ثم مات الخوارزمى فخلا له الجو، وحسنت حاله، ونعم باله، ورفه عيشه ولم يبق من بلاد

خراسان وسجستان بلدة إلا دخلها، واستفاد خيرها، ثم استوطن هراة وخار له الله فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد أحد أعيانها العلماء فانتظمت أحواله، وقرت عينه وقوي ساعده، ولكن المنية عاجلته وهو فى سن الأربعين سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

شيء من أخلاقه وصفاته :

لئن كان شعره ينم عن بديهة حاضرة، وذكاء واسع، فانه يدل أيضاً على خلق فاضل ونفس عالية. قال عنه صاحب اليتيمة : وكان مقبول الصورة، خفيف الروح، حسن العشرة، ناصع الطرف، عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد خالص الود، حلو الصداقة، مر العداوة . وتلك خلال لم يذكرها أبو منصور جزافا ولكنه عرفها عنه . وهذا شعره - والشعر حديث النفس ووحى الضمير - ناطق بذلك .

مختارات من كلامه :

البديع شاعر ناثر وهو فى كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى، واغترف من بحر عميق الغور الا انه البحر العذب

الفرات وأن مقاماته التى بين أيدينا والتى عنينا بالتعليق عليها لخير مثال من النثر البارع، وله سواها رسائل ربما أمكنتنا الظروف من نشرها ولكنا نورد منها قطعة تنبئ عن اقتداره وتفوقه .

كتب إلى الامير أبى نصر الميكالى يقول :

كتابى، أطال الله بقاء الامير، وبودى أن أكونه – فأسعد به دونه ولكن الحريص محروم، لو بلغ الرزق فاه. لولاه قفاه. وبعد فان لى فى مفاتحته ثقة تعدو يدا ترتعد، ولم ذاك، والبحر وان لم أره؟ فقد سمعت خبره، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره، وإذ لم ألقه، فلم أجهل إلا خلقه، وما وراء ذلك من تالد أصل ونسب، وطارف فضل وأدب، فمعلوم تشهد به الدفاتر، والخبر المتواتر وتنطق به الأشعار، كما تخلف عليه الآثار، والعين أقل الحواس إدراكا، والأذن أكثرها استمساكا .

وهو فى شعره لم يقصر عن نثره وربما كان شعره أمتن لفظا، وأروع معنى فمنه من قصيدة مدح بها الامير أبا على :

أبى المقـام بدار الذل بى كـرم ... وهمـة تصل التـوحيـد والخبـبا

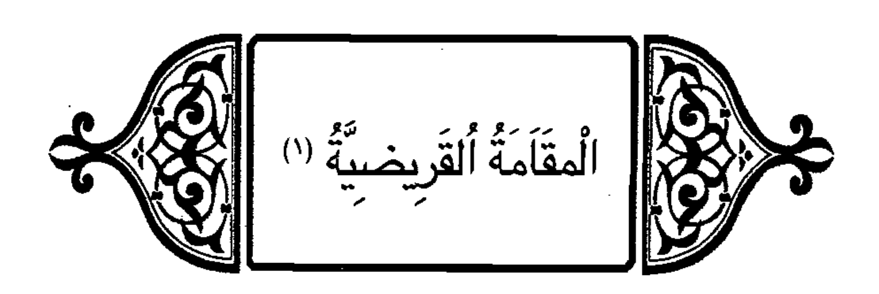
وعـزمـة لا تزال الدهر ضــاربة ... دون الامير وفوق المشـترى طنبا

يا سـيد الأمـراء افخـر فلا ملك ... الا تمناك مـولى واشـتـهـاك أبا

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كـان طلق المحـيا يمطر الذهبـا

والدهر لو لم يخن والشـمس لو نطقت ... والليث لو لم يصـد والبحر لو عذبا

وكم وددت لو اسـتـقصـيت عنه كثيرا ولكنى أرجىء ذلك إلى مرة أخرى .



الْمقَامَةُ الْقَرِيضِيَّةُ [1]

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ[2] قَالَ : طَرَحَتْنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا[3] حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ الأَقْصَى. فَاسْتَظْهَرْتُ عَلَى الأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ[4]؛ وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى التِّجَارَةِ[5]، وَحَانُوتٍ

(١) المقامة فى أصل اللغة المجلس يجتمع فيه الناس ثم استعملها الأدباء فى الخطبة أو العظة وكأنهم أرادوا أن الشأن فى هذين إلقاؤهم فى الأندية والمحافل ثم خصوها بالقصص التى يتحدثون بها عن ألسنة قوم يسمونهم رواة - إن حقيقة أو خيالا - ويجيئون فيها بالأغراض المختلفة. (٢) اعتاد أصحاب المقامات أن يتخذوا لهم راويا يتحدثون باسمه - كما ذكرنا - وقد جعل البديع راويه عيسى بن هشام كما اتخذ الحريرى الحرث بن همام واصطلحوا على أن تكون ملحهم ونوادرهم عن رجل آخر وهو هنا أبو الفتح الاسكندرى وفى المقامات الحريرية ابو زيد السروجى. (٣) طرحه وطرح به : رماه وأبعده، والنوى : الغربة. (٤) جرجان : مدينة كانت قديما عاصمة بلاد خوارزم وتعتبر الآن من بلاد التتار، استظهر عليه : استعان، الضياع : جمع ضيعة وهى العقار والأرض المغلة، أجال : حرك . (٥) حبس أمواله وقفها أى جعلها خاصة به .

جَعَلْتَهُ مَثَابَةً[١]، وَرُفْقَةٍ أَتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً[٢]. وَجَعَلْتُ للدَّارِ حَاشِيَتَي

النَّهَارِ[٣]. وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْماً نَتَذَاكَرُ الْقَرِيضَ

وَأَهْلَهُ وَتِلْقَانَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ.

وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ[٤] حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ وَجَرَّ الْجِدَالُ

فِينَا ذَيْلَهُ. قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ. وَوَافَيْتُمْ جُذَيْلَهُ وَلَوْ شِئْتُ

لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ . وَلَوْقُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي

مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ. وَيُنْزِلُ الْعُصْمَ. فَقُلْتُ : يَافَاضِلُ أُدْنُ

(١) الحانوت : دكان الخمار، ومثابة فلان : مكان إقامته ومرجعه. (٢) صحابه بفتح أوله وكسره: خلطاء . (٣) حاشيتا النهار : أوله وآخره . (٤) يقول : أنه مازال رهين أسفار وأليف حل وترحال تقعده النوى وتقيمه حتى إذا أناخ ركبه بجرجان وألقى فيها عصاه استعان على الدهر باصلاح ضياع جعلها موردا وبالإتجار فى أموال تخذها رفدا ومعينا .

وأنه لم ينس نفسه من لذة الرفاق والندمان فجعل إقامته فى حانوت يختلف اليه بين طرفى النهار. وأنهم ليتذاكرون الشعر يوما (وقد جلس أمامهم فتى علم من أساريره أنه يفهم لما يقولون لانه يصغى اصغاء الذى يعلم ولكنه كان صامتا حتى ليتوهمه الناظر جاهلا لا يستطيع الإبانة) إذ تشعبت أمامهم طرق المذاكرة واستفاض الحديث وكثرت فنون القول .

فَـقَـدْ مَنَّيْتَ. وَهَاتِ فَـقَـدْ أَثْنَيتَ. فَـدَنَاَ وَقَـالَ: سَلُونِـي أُجِـبْكُمْ. وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ[1] .

فَقُلْنَا : مَا تَقُولُ فِي امْرِىءِ الْقَيس؟[2] قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ

---

(١) العـذق - بفتح أوله - : النخلة بما عليـها والعـذيق : مـصـغـره والمقـصـد التعظيم، والجذل : بالفتح والكسر - عود ينصب للجربى لتحتك به، وهو يشير إلى قـول الحـباب بن المنذر : (أنا عـذيقـهـا المرجب ، وجـذيلهـا المحكك) يـريد أنه الذى يرجع إليـه ويعـتـمـد عليه، وأفـاض فى الحـديث : اندفع ، وتكلم فـأفـاض : أفصح وأبان والورود : الاشراف على الماء وإتيانه، والصدور : الرجوع عنه يريد أنه سـيحـدثهم حديثا مـختلفا وسيجعل كلامه ذا فنون وأساليب متفاوته، يسمع الصم مثله قول المتنبى .

أنا الذى نظر الاعمى إلى أدبى   وأسمعت كلماتى من به صمم

يقول : أنه حـينمـا كـثـر بيننا الجـدل وتعـددت أمـامنا السـبل واخـتلفت مـوارد الاحـاديث وتعـددت أطراف القول قال لنا ذلك الفتى : لقد وجـدتم صـاحب الامر فى البـيـان وأنى لو شـئـت أن أتكلم لما تركت شـاردة ولا واردة ولجـئـتكم بالذى يأخذكم العجب منه .

(٢) هو نو القـروح الملك الضليل أبو الحـرث حندج بن حـجـر الكندى شـاعـر اليمـانية ورأس شـعـراء الجـاهلية وقـائدهـم إلى التفنن فـى أبواب الشـعـر وضـروبه والمقدم فى الطبقة الاولى منهم .

بِالدِّيَارِ وَعَرَصَانِهَا[١]. وَأُغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهاَ[٢] . وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا. وَلَمْ يَقُلِ اُلّشعَرَ كَاسِباً[٣] .

وَلَمْ يُجِدِ اَلْقَوْلَ رَاغِباً[٤]. فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ. وَاُنْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ[٥]، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ؟[٦]، قَالَ :

---

(١) من ذلك قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ... وربع عفت آياته منذ أزمان

وقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) الوكنات : أعشاش الطير، ومن ذلك قوله وفيها يصف الخيل .

وقد اغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

(٣) يريد أنه لم يقصد بشعره المال ولم يقله رغبة فى الدنيا وحبا فى الجمع كعادة الشعراء . (٤) يعنى انه كانت تواتيه الالفاظ وتجيئه عفوا فلم يكن يتعمد الاجادة ولكنه أجاد عن غير قصد واستوى على عرش البيان دون مجهود وانما الطبيعة والسليقة كانتا سبب نبوغه وتفوقه . (٥) فضل : زاد رفعة وقدرا، يعنى أنه سما على هؤلاء الذين لم تحرك ألسنتهم غير الرغبة فى المال ولم ينطقهم بالشعر الا انتجاع الكرماء والذهاب إلى المياسير وأناف على غواربهم فكان أبعدهم شأوا وأفضلهم مقولا وأجودهم شعرا .

(٦) هو النابغة الذبيانى أبو أمامة زياد بن معاوية أحد فحول الشعراء فى الجاهلية وزعيمهم بعكاظ أحسنهم ديباجة وجلاء معنى ولطف اعتذار وانما لقب بالنابغة لتفوقه فى الشعر فجاءة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير .

يَثْلبُ إذَا حَنِقَ،[١] وَيمْـدَحُ إذَا رَغِبَ[٢]، وَيَعْـتَـذِرُ إذَا رَهِبَ[٣]، فَـلاَ يَرْمِي إلاَّ صائباً، قُلْنَا : فَماَ تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟[٤] قَالَ : يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشعْرُ يُذِيبُهُ . وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يجُيبُهُ[٥]، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَـةَ؟ قَـالَ : هُوَ مـاَءُ الاشْـعَـارِ وَطِينَتُـهَـا . وَكَنْزُ الْقَـوَافِي وَمَـدِينَتُـهَـا . مَـاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أسْـرَارُ دَفَـائِنـهِ. وَلَمْ تفْـتَحْ أغْـلاَقُ

---

(١) أى أنه يسب ويشتم ويقذع فى الهجاء إذا اشتد به الغضب وثارت فى نفسه الحدة .

(٢) يعنى انه اذا أراد مدح المديح الذى يخرس الالسنة ويعجز الفصحاء.

(٣) النابغة أكثر الشعراء تفننا فى الاعتذار وأبرعهم سبكا و أرقهم عذرة وألطفهم تدخلا إلى القلب ومن بديع اعتذاراته قوله :

أتـانى أبيت اللعن انك لمتنـى ... وتلك التى أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشن لى ... هراسا به يعلى فراش ويقشب

(٤) هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح المزنى ثالث فحول الطبقة الاولى من الجاهلية وأعفهم قولا، وأوجزهم لفظا .

(٥) يريد انه اساس القياد للشعر وانه ملك زمامه فإذا قال سحر القلوب واستهوى الافئدة واسترعى الاسماع .

خَزَائنه(١)، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ(٢)؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقْ؟ فَقَالَ : جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْراً. وَأَغْزَرُ غَزْراً(٣).

وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْراً. وأَكْثَرُ فَخْراً(٤)، وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْواً.

---

(١) طرفة بن العبد هو عمرو بن العبد البكرى أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة وأوصفهم للناقة. (٢) جرير هو : أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى التميمى اليربوعى أحد فحول الشعراء الاسلاميين وبلغاء المداحين الهجائين وانسب ثلاثتهم (هو والفرزدق والاخطل) المفلقين ولد باليمامة سنة ٤٢هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه. والفرزدق: هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمى الدارمى أفخر ثلاثة الشعراء الامويين وأجزل المقدمين فى الفخر والمدح والهجاء ولد سنة ١٩هـ و نشأ بالبصرة بين فصحاء آبائه وقومه منذ أول تمصيرها وهى يومئذ حاضرة العرب فلم تختلط لهجته بعجمة ولا لحن فأراده أبوه على رواية الشعر ونظمه فرواه و نظمه وبرع فيه، والمفاضلة بينهما كالمفاضلة بين كل شاعرين عسرة لا يتهجم عليها ولا تجوز لناقد ونعنى المفاضلة بحيث يقال : ان فلانا اشعر من فلان على الاطلاق وعندى ان الذى ذكره البديع من الاذعان لاحدهما بنوع وللآخر بفن خير ما يذكره حكم منصف .

(٣) أغزر : أكثر والمعنى : أن جريراً يفوق صاحبه كثرة فى معانيه .

(٤) أى انه متمكن من القول قادر على صقله وتصريفه وهو فخور بنسبه صلف بمجده.

وَأشْرَفُ يَوْماً[1]، وَالْفَرَزْدَقُ كْثَرُ رَوْماً. وَأكْرَمُ قَوْماً. وَجَرِيرُ إذَا نَسَبَ أشْجَى. وَإذَا ثَلَبَ أرْدَى. وَإذَا مَدَحَ أسْنَى. وَالْفَرَزْدَقُ إذَا افْتَخَرَ اجْزَى. وَإذَا احْتَقَرَ أزْرَى. وَإذَا وَصَفَ أوْفَى. قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ. قَالَ: الْمُتَقَدِّمُونَ أشْرَفُ لَفْظاً. وَأكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا. وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعاً. وَأَرَقُّ نَسْجاً[2]، قُلْنَا : فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ اشْعَارِكَ. وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أخْبَارِكَ. قَالَ: خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ :

أمَا تَرَوْنِي أتَغَشَّى طِمْرَا ... مُمْتَطِياً فِي الضُّرِّ أمراً مُرًّا[3]

---

(١) يريد أنه أكرم من صاحبه حاضرا أى أنه أفضل فى نفسه من صاحبه وقد فسره الاستاذ الامام بمعنى انه أشرف ذكرا لايام قومه .

(٢) شجر بين الادباء وصيارف الكلام خلاف أى الفريقين خير منزلة فى الادب وأحسن مقاما فيه؟ القدماء وهم شعراء دولة بنى أمية وما قبلها أو المتأخرون وهم شعراء الدولة العباسية ومواليها، وتعصب جماعة لهؤلاء ورأى قوم الفضل لأولئك غير أن القول الفصل هو الذى ذكره ابو العباس فى الكامل حيث يقول : وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ذى حق حقه وذلك رأى البديع فى حكمه .

(٣) أتغشى طمرا : اجعل غشائى ثوبا خلقا، وممتطيا أمرا مرا : راكبا العسرة والشدة ملاقيا منهما مثل ما يلقاه راكب الصعبة من الآلام .

مُضْطَبِناً عَلَى اللَّيَالِي غِمْراً   مُلاَقِيـاً مِنْهَا صُـرُوفاً حُمْراَ[1]

أقْصَى أمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرى فَقَـدْ عُنِينـاَ بِالْأمَانِـى دَهْـراَ[2]

وَكَانَ هذاَ الُحْرُّ أعْلى قَـدْرا وَمـاَءُ هذاَ الْوَجْـهِ أعْلَى سِعْرا

ضَرَبْتُ لِلسَّرَّا قِباباً خُضْرا   فـِي دَارِ دَارَا وإوَانَ كِسْـرى[3]

فاَنْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْراَ   وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِى نُكْراَ[4]

لَمْ يَبْقَ مِنْ وَفْرِىَ إِلَّا ذِكْرَا   ثُـمَّ إلـَى الْيَـوْمِ هَلُمِّ جَـرَّا[5]

لَوْلاَ عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ راَ   وَأفْـرُخٌ دُونَ جبـاَلِ بُصْرَى

(١) مضطبنا : حاملا، غمرا : غلا، والصروف الحمر : أشد الكوارث وأصعبها والمعنى انه يحمل الموجدة على الليالى لطول مارمته بالبلايا وشدة ما يجد من كروبها .

(٢) أبعد ما أتمناه أن يظهر ذلك النجم المسمى بالشعرى لانه انما يظهر حين يشتد الحر وتلك أمنية العارى الذى لايجد ثوبا يقيه زمهرير البرد .

(٣) أى كنت مثريا ذا بسطة من المال وكانت النعمة ظاهرة على والوفر تشهد دلائله وتحتج لى علاماته .

(٤) ثم تحول الدهر عنى وأصبح طيب العيش ولا صلة له بى وما أمت الا للفاقة والعوز اللذين كنت أنكرهما .

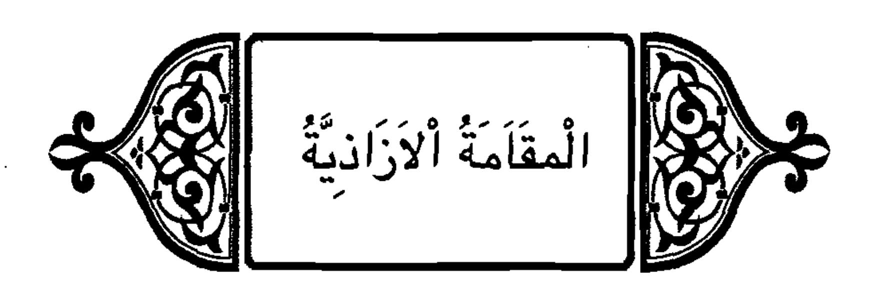
(٥) ولم تبق لى من ثروتى وجاهى غير الذكريات المؤلمة .

قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرًّا قَتَلْتُ يَاسَادَةُ نَفْسِي صَبْراً[1]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ . وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ. وَأَنْكِرُهُ وَكَأَنِّى أَعْرِفُهُ. ثُمّ دَلَّتْنِى عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ. فَقُلْتُ الْإِسْكَنْدَرِى وَاللهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفاً . وَوَافَانَا جِلْفاً . وَنَهَضْتُ عَلَى أَثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ. وَقُلْتُ : أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ؟ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ؟ فَأَىُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَاَ؟ فَضَحِكَ إِلَىَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هذَا الزَّمَانُ زُورُ فَلاَ يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورُ
لاَتَلْتَزِمْ حَالَةً ولكِنْ دُرْ بِاللَّيَالِى كَمَا تَدُورُ

(١) ولولا زوجى العجوز التى تقيم بسر من را وأبنائى الذين يقطنون قريبا من جبال بصرى ولولا كراهيتى أن يموت هؤلاء بموتى وألا يجدوا عائلا بعدى لما وسعنى المقام فى هذه الحياة الفانية مع هذا البؤس الاليم والضنك الملازم .



الْمقَامَةُ الْازَاذيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِبَغْدَاذَ[1] . وَقْتَ الْازَاذِ[2]. فَخَرَجْتُ أعْتَامُ[3] مِنْ أنْوَاعِه. لأبْتِيَاعِه. فَسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أخَذَ أصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا[4]. وَجَمَعَ

(١) بغداد مدينة السلام التى اختط فيها ابو جعفر المنصور قاعدة المملكة العباسية سنة ١٤٥هـ وكانت قبل ذلك من بناء الفرس ولم يتخذوها حاضرة وتسمى : مدينة المنصور والزوراء وبغداد بدالين مهملتين أوذالين معجمتين أو بمعجمة فمهملة أو عكسه وبغدان وبغدام بالمعجمة أو المهملة فيهما وبغدين ومغدان، بها محلات كثيرة وكانت مشهورة بالحمامات والبساتين وقد أقيم فيها نيف وثلاثون مدرسة استقت الامة فيها اذ ذاك عذب العلم وكوثره الصافي وماءه النمير، وهواؤها عليل وريحها رخاء وجوها معنبر الارجاء.

(٢) الازاذ نوع من التمر . (٣) اعتام : اقصد أو انتقى . (٤) صنف الفاكهة. جعل كل نوع منها على حدة. يقول انه خرج إلى سوق بغداد ينتقى نوعا من التمر ليشريه فلما كان هناك ألفى رجلا ميز انواع الفاكهة واجتمعت عنده صنوف الرطب فأخذ أطايب ما عنده وابتاع أجاوده فلما جمع أمره وتهيأ ليحمل وقره وهم بأن يرجع بصر برجل انتحى ناحية واجتهد فى اخفاء نفسه واظهار مسغبته وبؤسه .

أنْوَاعَ الرُّطَبِ وَصَفَّفَهاَ. فَقَبَضْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أحْسَنَهُ. وَقَرَضْتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أجْوَدَهُ. فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِيَ ٱلإزَارِ. عَلَى تِلْكَ ٱلأوْزارِ. أخَذَتْ عَيْنَاىَ رَجُلاً قَدْ لَفَّ رأْسَهُ بِبُرْقُعٍ حَيَاءً. وَنَصَبَ جَسَدَهُ. وَبَسَطَ يَدَهُ. وَٱحْتَضَنَ عِيَالَهُ. وَتَأبَّطَ أطْفَالَهُ. وَهُوَ يَقُولُ بِصَوتٍ يَدْفَعُ الضُّعْفَ فِي صَدْرِهِ. وَالَحْرَضَ فِي ظَهْرِهِ :

وَيْلِى عَلَى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيقِ ... أَوْ شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بالدَّقِيقِ[1]

أَوْ قَصْعَةٍ تُمَلأُ مِنْ خِرْدِيقِ ... يَفْثَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ[2]

يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ ... يَارَازِقَ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيقِ[3]

سَهِّلْ عَلَى كَفِّ فَتًى لَبِيقِ ... ذِى نَسَبٍ فِي مَجْدِهِ عَرِيقِ

(١) السويق : جريش الشعير أو القمح يقليان قليا خفيفا، تضرب : تخلط واذا خلط الشحم بالدقيق كان عصيدة. يتلهف على ملء كفيه من السويق أو قليل من العصيدة .

(٢) الخرديق : المرق، يفثأ : يسكن، الريق : اللعاب وهو ماء الفم، يقول : أنى أتمنى قصعة تملأ من المرق ويغمر فيها العيش حتى يكون ثريدا ليسكن صولة الريق وعادة الجوعان أن يجرى لعابه إذا اشتم رائحة القدور أو تذكر أنواع المآكل .

(٣) يقول : أنه لو حصل على مشتهاه لكان فى ذلك إقالة له من عثرته وانتشالا له من وهدة انطراحه على الطريق .

يَهْدِى إلينْاَ قَدَمَ التَّوْفيقِ   يُنْقِذُ عَيْشىِ مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ[(١)]

قَاَلَ عيِسَى بْنُ هِشَاَمٍ : فَاَخَذْتُ مِنَ الْكِيس أَخْذَةً وَنُلْتُهُ إيَاهاَ فَقَاَلَ:

يَامَنْ عَنَانىِ بِجَمِيلِ بِرِّهِ   أَفْض إلى اللهِ بِحُسْنِ سرِّهِ

وَاسْتَحْفِظِ اللهَ جَمِيلَ سِتْرِهِ   إنْ كاَنَ لاَ طاقَةَ لىِ بِشُكْرِهِ

فَاللهُ رَبِّى مِنْ وَرَاءِ أجْرِهِ

قَاَلَ عيِسَى بْنُ هِشَاَمٍ : فَقُلْتُ لَهُ : إنَّ فِى الْكِيس فَضْلاً[(٢)] فَأُبْرُزْ لِى عَنْ بَاطِنِكَ أَخْرِجْ إلَيْكَ عَنْ آخِرِه[(٣)]، فَأَمَاطَ لِثَامَهُ[(٤)] فَإذَا وَاللهِ شَيْخُنَاَ أَبُوا الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِىُ. فَقُلْتُ : وَيْحَكَ أى دَاهِيَةٍ أنْتَ؟ فَقَالَ :

---

(١) اللبيق : الحاذق، الترنيق : التكدير، يدعو الله لنفسه أن يدل عليه فتى حاذقا رحيم القلب ليعطف على حاله ويشفق به فيسد خلته ويذهب عوزه ويهبه رشفة من الراحة لتصفو حاله ويعذب مورده .

(٢) أى أننى لم أعطك كل مامعى وان فى كيسى لبقية .

(٣) فلا تدم على استتارك واخفاء نفسك بل أظهر لى حقيقتك لاعطيك ما أبقيته.

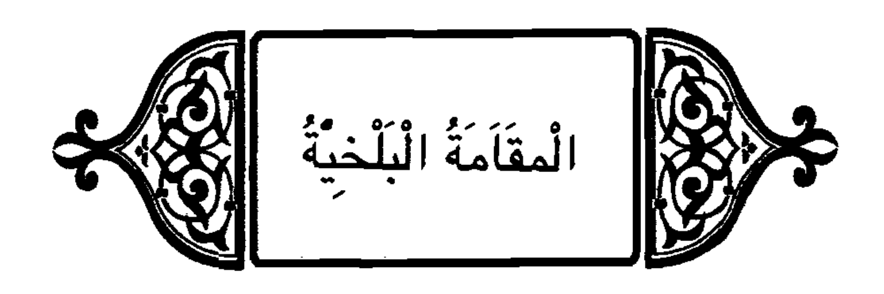
(٤) الاماطة : الازالة وأماط لثامه. كشف عن وجهه بازالة الحجاب .

فَقَضِّ الْعُمْـرَ تَشْـبِيِهاَ عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهَا

أرَى ٱلأيـامَ لاَ تَبْـقَـى عَلَى حَـالٍ فَأَحْكِيهـاَ

فَيَـوْمـاً شَـرُّهاَ فِـيَّ وَيَوْماً شِرَّتِى فيِهَا[1]

(١) تشبيها . تلبيسا، تمويها. إخفاء ، وأصله ان يطلى النحاس بالفضة أو الذهب فلا يبين أمره ولا تظهر حقيقته واستعير لكل شيء يبدو فى غير منظره، والشرة، النشاط والقوة يقول. افن عمرك فى التلبيس على الناس ولا تبد أمامهم بمظهرك وحاول أن تخدعهم بلبوس غير لبوسك وتغرهم بتمويهك وخلابتك فإن الايام سريعة التقلب وشيكة التغير لا تدوم على صفة ولا تنهج خطة واحدة حتى تتشبه بها فى ثباتك لانها تناوئنى حينا فتقهرنى وتارة أناوئها فاقهرها .



الْمقَامَةُ الْبَلْخِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : نَهَضَتْ بِي إلىَ بَلْخَ تجارَةُ الْبَزِّ فَوَرَدْتُهاَ وَأناَ بِعُذْرَةِ الشبَّاَبِ وَباَلِ الْفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ لاَيُهِمنُّي إلاَّ مُهْرَةُ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهاَ أوْ شَرُودُ منَ الْكَلِمِ أصِيدُهَا . فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي أفْصَحُ منْ كَلاَمِي. وَلَمَّا حَنى الْفِرَاقُ بِنَاقَوْسَهُ أوْ كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ في زِيٍّ مِلْءِ الْعَيْنِ. وَلِحيَةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ. وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ ماءَ الرَّافِدَيْنِ. وَلَقِيَنِي منَ الْبِرِّ فِي السّنِاَءِ. بِماَ زِدتُهُ فِي الثَّنَاءِ. ثُمَّ قَالَ : أظَعْناً تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: أي وَاللهِ فَقَالَ : أخْصَبَ رائِدُك. وَلاَضَلَّ قَائِدُكَ . فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ. فَقَالَ :

صَبَاحُ اللهِ لاَ صُبْحُ انْطِلاَقٍ   وَطَيْرُ الْوَصْلِ لاَ طَيْرُ الفِرَاقِ[1]

---

(١) بلخ مدينة واقعة في شمال جبال هندكوش غربي بدخشان جنوب نهر جيحوني، ونهض بي ومثله أنهضني : أقامني، والبز: الثياب أو ما نسج من القطن خاصة، بال الفراغ أبانه، واستقيدها اطلب انقيادها، وحنى. عطف، =

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ الْوَطَنَ. فَقَالَ : بُلِّغْتَ الْوَطَنِ . وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ. فَمَتَى الْعَوْدُ؟ قُلْتُ : الْقَابِلَ . فَقَالَ : طَوَيْتَ الرَّيْطَ . وَثَنَيْتَ الْخَيْطَ[1]. فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ الْكَرمِ؟ فَقُلْتُ : بِحَيْثُ أَرَدْتَ. فَقَالَ : إِذاَ أَرْجَعَكَ اللهُ سَالِمًا مِنْ هَذاَ الطَّرِيقِ. فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ. مِنْ نِجاَرِ الصُّفْرِ. يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ وَيَرْقُصُ عَلَى

= والاخدعان عرقان فى صفحة العنق، والسناء - بكسر أوله - المقابلة والمداناة، أخصب رائدك : أى لقيت خصبا ونزلت مربعا معشبا، والبيت معناه. الدعاء بالبركة واليمن والمعنى، بعثتنى التجارة إلى بلخ فجئتها وانا فتى القوة موفور النعمة ناعم البال لا أبحث إلا عن الشوارد من الكلم والجوامح من الافكار لعلى اكتسب من سفرى ما انا كلف به شديد الحرص عليه ولم ازل بعيد الاجابة نائى الطلبة إلى ان اوشكت العودة واذا شاب دخل على حسن البزة جميل الطلعة صافى العين كانها ماء دجلة والفرات طويل اللحية فلقينى لقاء محفوفا بالكرامة، محاطا بالتجلة، مما جعلنى أزيده تزكية ومديحا ومازال يسألنى عن سفرى وأجيبه فيدعو لى بالرغد بأسلوب بديع وعبارات جزلة .

(١) الريط، الملاءة، والخيط معروف : والمقصود بالجملتين الدعاء له بالعودة إلى بلخ فى قابل، أى طويت أيام البعد وثنيت خيطها ليكون طرفها الاخير مكان طرفها الاول .

الظُّفْرِ[١]. كَدَارَةِ الْعَيْنِ. يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ. وَيُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ[٢]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَاراً. فَقُلْتُ : لَكَ ذَلِكَ نَقْداً. وَمِثْلُهُ وَعْداً. فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رَأْيُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى	لاَ زِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلاَ
صَلُبْتَ عُوداً وَدُمْتَ جُوداً	وَفُقْتَ فَرْعاً وَطِبْتَ أَصْلاَ
لاَ أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلاً	وَلاَ أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلاَ[٣]
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا	وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلاَ
يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي	لاَ لَقِيَ الدَّهْرِ مِنْكَ ثُكْلاَ[٤]

(١) البردة : الثوب والنجار : الاصل، ومعنى كونه عدوا فى ثياب صديق ان ظاهره يخدع ويأخذ بالالباب فاذا اغتر به المرء قلب له ظهر المجن، ويدعو الى الكفر . لان من تعامل بالدينار فى غير وجوه الحل ربما انحدر الى الكفر، ويرقص على الظفر، لان عادة النقاد من الصيارفة أن يجعلوا الدينار فوق أظفر أبهامهم ويضربوه بثان لينكشف لهم حاله وارجع لغة فى رجع رديئه والفصيح رجعه . (٢) كدارة العين . مستدير مثلها وينافق بوجين لان على كل من وجهيه نقوشا ليست على الوجه الآخر فهو يشبه المنافق الذى يلقاك بوجه ويلقى عدوك بوجه . (٣) يثنى عليه ويتمدحه بأنه أجابه إلى أكثر من طلبته وأدى اليه ما لم يكلفه به . (٤) الرجمة كغرفة : السناد، وأصله ان يبنى للنخلة عند جذعها شئ لترتكز عليه .

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنُلْتُهُ الدِّينَارَ وَقُلْتُ أَيْنَ مَنْبِتُ هذاَ الْفَضْلِ فَقَالَ نَمَتْنِي قُرَيْشٌ وَمُهِّدَلِي الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الْاِسْكَنْدَرِيِّ. أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ. تَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ. مُكَدِّياً بِالْأَوْرَاقِ (١). فَأَنْشَأَ يَقُولُ .

إِنَّ لِلَّهِ عَبِيداً ... أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطَا

فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْرَا ... باً وَيُضْحُونَ نَبِيطاَ (٢)

---

(١) مكديا. سائلا ومعنى تكديته بالأوراق أنه كان يكتب للناس بحاجته ويسألهم إجابته إلى ملتمسه .

(٢) النبيط . جماعة من العجم يقطنون بين العراقين ومنه قول ابى العلاء

اين امرؤ القيس والعذارى ... اذ مال من تحته الغبيط

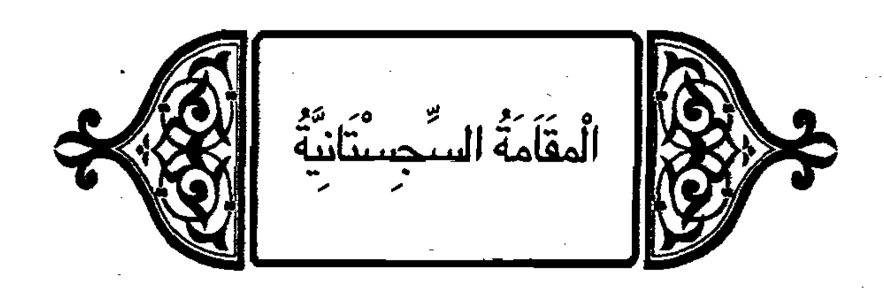
استعجم العرب فى الموامى ... بعدك واستعرب النبيط

يشير الى قول امرىء القيس .

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات انك مرجلى

تقول وقد مال الغبيط بنا معا ... عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

والمعنى ان بعض الناس لا يثبتون على حال ولا يستقرون فى زى واحد فبينا تراهم اعرابا اذ تجدهم اعجاما والمراد مطلق التقلب فى مطلق الازمان .



حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. قَالَ : حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ فَاقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ[1] وَامْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ. وَاسْتَخَرْتُ اللهَ فِي الْعَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي. وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي. حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا فَوَافَيْتُ دُرُوبَهَا[2]. وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ غُرُوبَهَا. وَاتَّفَقَ الْمَبِيتُ حَيْثُ انْتَهَيْتُ فَلَمَّا انْتَضَى نَصْلُ الصَّبَاحِ. وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ. مَضَيْتُ إِلَى السُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلاً فَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةِ الْبَلَدِ إِلَى

---

(١) أصل الحداء (بضم اوله وكسره) يكون فى الابل يتبع بعضها بعضاً والمراد هنا : ساقنى ويقال. حداه وحدى به، وسجستان إقليم بفارس الشرقية والارب. الحاجة الشديدة واقتعدت. ركبت، وطية الشئ نيته. والمعنى مجازى .

(٢) الدروب، جمع درب وهو أول طريق وكل مدخل إلى الروم فهو درب ومنه قول امرئ القيس :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه — وأيقن انا لاحقان بقيصرا

نُقْطَتِهاَ. وَمِنْ قِلاَدَةِ السُّوقِ إلى وَاسِطَتِهَا[1]. خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرقٍ مَعْنَى فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ[2]. حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ. فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ. قَدْ وَلأَنِي قَذَالَهُ[3]. وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي أَنَا

---

(١) وافى المريض اجله. اى مات، ووافت الشمس الغروب ، غربت والبلد والبلدة كل قطعة من الارض مستحيزة عامرة ومنه قول النابغة الذبيانى .

ها ان ذى عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه فى البلد

وقول بعضهم : وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس

ودائرة البلد. مساحتها المحيطة ونقطة الدائرة مركزها الذى تدور حوله فهو وسطها والقلادة: العقد أو كل ما يحيط بالعنق مما انتظم من فرائد الدرر والواسطة فيها افضل درة جمعتها القلادة والعادة ان تجعلها الغوانى فى المنتصف حيث تتوسط اخواتها وتتدلى على الصدر .

(٢) خرق سمعي. وصل اليه، عرق كل شيء. اصله ، انتحيت . قصدت وليست مثلها فى قول امرئ القيس .

فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

وفده. اى الوصول اليه أو الجماعة المهطعين اليه المتسارعين فى بلوغه والوفود عليه. (٣) النفس بالتحريك واحد الانفاس ومعنى كونه مختنقا بنفسه انه ردد انفاسه كثيرا فتدافعت الى حلقه وانه حبسها حتى كأنه لا يطيق الحديث ولا يستطيع الإبانة ، والقذال جماع مؤخر الرأس ومعقد العذار من الفرس خلف الناصية والمعنى أنه جاءه من خلفه .

بَاكُورَةُ الْيَمَنِ[1] . وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ[2] أنَاَ أُدْعِيَّةُ الرِّجَالِ. وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ[3] سَلُوا عَنِّي الْبِلاَدَ وَحُصُونَهَا. وَالْجِبَالَ وَحُزُونَها. وَالأَوْدِيَةَ وَبُطونَهاَ وَالْبِحارَ وَعُيُونَهاَ. وَالْخَيلَ وَمُتُونَهاَ. مَنِ الَّذِى مَلَكَ أَسْوارَهَا. وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا. وَنَهَجَ سَمْتَهاَ. وَوَلَجَ حَرَّتَهاَ[4]. سَلُوا الْمُلُوكَ وَخَزائِنَهاَ. وَالأَغْلاَقَ وَمَعَادِنَهاَ. وَالأُمُورَ وَبَوَاطِنَهاَ

(١) كل من بادر الى شئ فقد أبكر إليه فى أى وقت كان والباكورة أول الفاكهة أو هو عام فى كل شئ .... وكان اسم الرجل (أبا الفتح) والفتح ابتداء فكأنه يعنى اسمه ألغازاً وتعمية .

(٢) الأحدوثة - بضم أوله - ما يتحدث به كثيراً لغرابته وابتداعه أى انه نسيج وحده براعة وشجاعة حتى لقد جعله الناس حديثهم فى سمرهم ولهجت بذكره ألسنتهم .

(٣) الأحجية والأحجوة. الكلمة يراد بها غير ظاهر مدلول الفاظها والادعية مثلها، والمعنى انه يستتر تحت مناظر عدة ويخفى حقيقة نفسه عن ناظريه وكأنه يدعوهم إلى إعمال الفكرة والتروى فى إظهار مكنونه .

(٤) الاسوار. جمع سور وهو . ما أحاط بالمدينة من حائط أو نحوه، والسمت الطريق والحرة. القطعة المستديرة وأراد به بطون الاودية لان الجبال تحوطها وتستدير عليها والضمير فى أسوارها للبلاد وفى أسرارها للحصون وفى سمعها للجبل وفى حرتها للودپان يريد أنه خبير بخبيئات الامور عالم بما خفى منها شديد على اقتحام الكربات نزال بمواطن الخوف والذعر .

وَالْعُلُومَ وَمَوَاطِنَهاَ وَالُخطُوبَ وَمَغالِقَها. وَالْحُرُوبَ وَمَضايِقَهَا. مَنِ الَّذِى أَخَذَ مُخْتَزَنَهاَ. وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا. وَمِنَ الَّذِى مَلَكَ مَفاَتِحَهاَ. وَعَرَفَ مَصالِحَهاَ[١].

أناَ والله فَعَلْتُ ذلكَ وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلوكِ الصِّيدِ وَ كَشَفْتُ أَسْتاَرَ الْخُطُوبِ السُّودِ. أناَ وَالله شَهِدْتُ حَتَّى مَصارِعَ الْعُشاَّقِ. وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الأَحْداَقِ. وَهَصَرْتُ الغُصونَ النَّاعِماَتِ وَأَجْتَنَيْتُ وَرْدَ الْخُدُودِ الْمُوَرَّدَاتِ[٢]. وَنَفَرْتُ مَعَ ذلِكَ عَنِ الدُّنْياَ.

(١) الاغلاق جمع غلق وهو ما توصد به الأبواب ومثله المغالق جمع مغلقة كمكنسة وربما كانت الاعلاق بالعين مهملة جمع علق وهو النفيس من كل شئ ومعادنها مواطنها التى تكون فيها، والمختزن بزنة اسم المفعول المودع فى الخزائن لوقت الحاجة والضمير يعود على الملوك وخزائنها والاغلاق ومعادنها وأراد بأنه لم يؤد ثمنها انه غلب أهلها عليها فتملكها قهراً. المفاتح. جمع مفتاح والقياس مفاتيح غير أن الياء قد تحذف تخفيفا كما فى قوله تعالى. (عنده مفاتح الغيب) أو هى جمع مفتح على أصله والضمير فيه عائد على الامور وبواطنها والعلوم ومواطنها والخطوب ومغالقها كما انه فى مصالحها عائد على الحروب ومضائقها. (٢) السفارة بين الملوك السعاية فى الصلح لهم وانما يكون ذلك للقدير العارف بعلل القلوب وأدوائها، وهصر الغصن أماله وأخذه إلى نفسه، عنى بما ذكر أن له فى كل شيء يداً وأنه لا يفوته أمر حتى يأخذ بحظه منه وانه اقتطف من كل شجرة ثمرة واغترف من كل نهر دلوا وشرب من كل كأس جرعة فلم يترك من شؤون الحياة شأنا إلا عرفه، ولم يبق من لذاتها وشهواتها شيء لم ينل منه بغيته.

نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ[١]. وَنَبَوْتُ عَنِ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ[٢]. وَالْآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ وَعَلَتْنِي أُبَّهَةُ الْكِبَرِ عَمَدْتُ لِإِصْلَاحِ أَمْرِ الْمَعَادِ بِاعْدَادِ الزَّادِ[٣]. فَلَمْ أَرَ طَرِيقاً أَهْدَى إِلَى الرَّشَادِ. مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ[٤]. يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ. نَاثِرَ هَوَسٍ[٥]. يَقُولُ هذاَ أَبُو الْعَجَبِ.

---

(١) نفر كنصر وضرب نفوراً ونفاراً وهو نافر ونفور. تباعد، واللئام جميع لئيم وهو . من خبث طبعه وسفل أصله . (٢) نبا بصره عن الشيء نبوا ونبيا ونبوة : ابتعد، والمخزيات. الاعمال التى يخجل منها المرء ويندى لها وجهه، وأراد انه لم تخدعه الدنيا بزخرفها ولم تغره بزينتها وان مظاهرها التى نال منها بسبب وأخذ بطرف لم تكن لتجعلها محلا لاكباره أو موطنا لاجلاله وإعظامه لانه اشرب نفسه الصدف عنها والميل الى ما يكسب جميل الاحدوثة وطيب الثناء وانه لم يقترف اثما ولم يكتسب حوبا بل صحب يسره زهادة وشجاعته خشية .

(٣) أسفر الصبح : ظهر واضافته للمشيب من قبيل.

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

والابهة الجلال والوقار، والمعاد يوم القيامة . (٤) أبو الفتح كان يدعو إلى الله ويبذل النصح للناس ويرشدهم وذلك أفضل الطرق وأعدلها وأقربها هداية ورشداً. (٥) نثر النظم حل عقده وجعله بددا ورماه متفرقا والهوس خفة العقل لدرجة تقرب من الجنون ومعنى أنه ناثر هوس، انه يقول كلاماً غير صحيح ولا مقبول لما يداخله من جنة ويعتريه من خبال .

لاَ وَلَكِنِّى أبُو الْعَجائِبِ[1]. عَايَنْتُهاَ وَعانَيْتُهاَ. وَأُمُّ الْكَبائِرِ قايَسْتَها وَقاسَيْتُهاَ[2] وَأَخُو الأَغْلاقِ صَعْباً وَجَدْتُها وَهَوناً أَضَعْتُهاَ. وَغالياً اشْتَرَيْتهاَ. وَرَخِيصاً ابْتَعْتُهاَ[3]. فَقَدْ وَاللهِ صَحِبْتُ لَهاَ الْمَوَاكِبَ. وَزَاحَمْتُ الْمَناَكِبَ. وَرَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ. وَأَنْضَيْتُ الْمراَكِبَ دُفِعْتُ إلىِ مَكارِهَ نَذَرْتُ مَعَهاَ أَلاَّ أَدَّخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَناَفِعَهاَ. وَلاَبُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هذهِ الأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِى إلىَ أَعْناَقِكُمْ[4]. وَأَعْرِضَ دَوَائِي هذاَ فى أَسْوَاقِكُمْ. فَلْيَشْتَرِ مِنِّى لاَ من يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ[5].

---

(١) يقول: انه ليس عجيبا فى شأن واحد بل هو عجيب فى الشؤون كلها فلا يجوز أن يسمى أبا عجب وانما الذى يوافق حاله ان يكنى أبا العجائب .

(٢) الافعال المذكورة كلها مصدرها المفاعلة التى تستدعى تدافعا من الجانبين غالبا غير ان المقاساة كالمعاناة مع زيادة الشدة والمعاناة اظهر فى باب التفاعل منها وعاين مصدره المعاينة وهى المشاهدة وقايس مصدره المقايسة وهى رد الاشياء الى أشباهها ومصدر عانى المعاناة وقاسى المقاساة . (٣) يريد بصعوبة وحداتها وغلاء شرائها ما بذله في سبيل الحصول عليها من نصب البدن وتحميل نفسه المشقة كما يريد بهون اضاعتها ورخص بيعها تساهله فى تركها وقد بين ذلك فيما بعده .

(٤) الربق حبل فيه عدة عرى يشد به البهم وكل عروة ربقة بالكسر والفتح .

(٥) تقززت نفسه امتنعت من الشئ وأبت أن تفعله .

وَلاَ يأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ[1]. وَلْيَصُنْهُ مَنْ أنْجَبَتْ جُدُودُهْ. وَسُقِيَ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ[2] . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. فَدُرْتُ إلى وَجْهِهِ. لأعْلَمَ عِلْمَهُ[3]. فَإِذاَ هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَأنْتَظَرْتُ اجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ[4]. ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ : كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هذاَ؟ فَقَالَ : يُحِلُّ الْكِيسُ مَاشِئتَ. فَتَرَكْتُهُ وَأنْصَرَفْتُ[5] .

(١) أى لا يرى فى نفسه غضاضة من إفراد الله بالوحدانية والخضوع له.

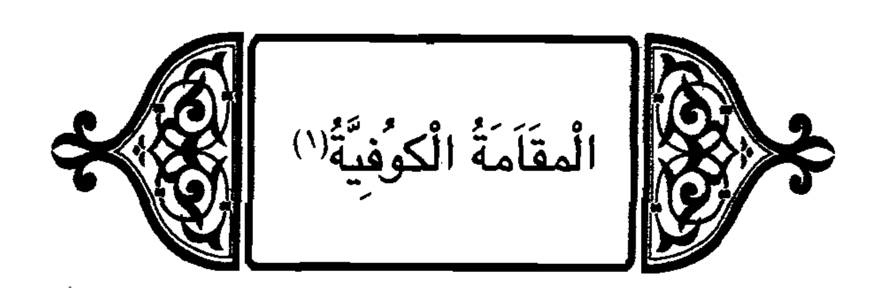
(٢) يعنى انه لا يحرص على هذا الموقف غير كريم الاصل شريف النجار حسن المنبت.

(٣) العرب يجعلون المصادر مفاعيل أحيانا ويريدون أصحابها وربما جعلوها فاعلا كما فى جد جده، واعلم علمه المراد به : لأعلمه أى انسان هو .

(٤) أجفل الظليم أسرع وذهب فى الارض وأراد بالنعامة العامة التى اجتمعت عليه على التشبيه .

(٥) أحل كذا : جعله حلالا والمعنى أى مقدار إذا أخذته حل لى الانتفاع بدوائك الذى ذكرته فقال ان المال يجعل كل شىء حلالا فاذا اقرضت الثمن حل لك المبيع، ولا نرى عبارة السؤال فى شىء من البلاغة .





الْمقَامَةُ الْكوفِيَّةُ[١]

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ وَأنَا فَتِيُّ السِّنِّ أشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمايَةٍ. وَأرْكضُ طرْفِى إلىَ كُلِّ غَوَابَةٍ[٢]. حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سائِغَهُ. وَلَبِستُ مِنَ الدَّهْرِ سابِغَهُ[٣]. فَلَمَّا انْصَاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِي. وَجَمَعْتُ لِلْمَعَادِ ذَيْلِي. وَطِئتُ ظَهْرَ الْمَرُوضة.

(١) الكوفية نسبة إلى الكوفة وهى بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون فرسخا وهى مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق، يذكرون انه على مسافة فرسخ منها من الجهة الغربية يقع المشهد الأكبر حيث بركت ناقة على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وهو محمول عليها بعد قتله وأن قبره فيه، ونحن لانكاد نعتقد ذلك لأن المؤرخين لم يجزموا بمكان قبر على من الارض حتى يقال انه بالكوفة، وعند الله علم ذلك كله .

(٢) الفتاء : طراءة السن وحداثته، والعماية احتجاب القلب عن ادراك صالحه وأراد به لازمه وهو الملاذ المردية والشهوات المهلكة وشد الرحل اليها كناية عن اقترافها والخوض فى مضمارها ومثل هذا فى الفقرة بعدها .

(٣) يقال : ثوب سابغ إذا كان يشمل البدن جميعه، وعنى بالجملتين انه تمتع من عمره بما اشتهى ونال من دهره ما أراد .

لأداءِ الْمَفْرُوضَةِ[1]. وَصَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنْكِرْهُ مِن سُوءٍ. فَلَمَّا تَجالَيْنَا. وَخَبَّرْنَا بِحَالَيْنَا. سَفَرَتِ الْقِصَّةُ عَنْ أصْلٍ كُوفِيٍّ. وَمَذْهَبٍ صُوفِيٍّ[2]. وَسِرْنَا فَلَمَّا أحَلَّتْنا الْكُوفَةُ مِلْنَا إلَى دَارِهِ وَدَخَلْنَاهَا وَقَدْ بَقَلَ وَجْهُ النَّهارِ وَاخْضَرَّ جانِبُهُ[3]. وَلَمَّا اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ شارِبُهُ. قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ. فَقُلْنَا : مَنِ الْقَارِعُ الْمُنْتَابُ؟ فقَالَ وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ . وَفَلُّ الْجُوعِ وَطَرِيدُهُ[4]

---

(١) انصاح النهار والفجر والبرق . ظهر وأراد بالنهار الشيب وبالليل الشعر الاسود ومثله قول الفرزدق .

والشيب ينهض فى الشباب كانه   ليل يصيح بجانبيه نهار

والمروضة الدابة. أو هى الارض لانها مذللة معبدة للانسان والمفروضة الحج .

(٢) تجالى (بالجيم التحتية) . تكاشف ومنه قوله تعالى (والنهار إذا جلاها) أى كشفها والمعنى حين كشف كل واحد منا لاخيه عن حاله وأخبره بأمره، وسفرت. وضحت وظهرت ، والصوفية. جماعة رغبوا عن الدنيا وزهدوا فى متاعها ولبسهم الغالب الصوف واليه ينسبون وقد قال بعضهم :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه   ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

(٣) هم دخلوا عند الغروب وحينئذ تكون الشمس موشكة أن تزول ويكون الظلام أخذا فى الظهور من الجانب الثانى ويكون اللون الغالب على الافق من جهته الاخضرار واذ كان ابقال وجه الغلام ظهور الشعر فيه وبدؤه يكون اخضرارا عبر عنه بذلك تشبيها بهذه الهيئة . (٤) قوم فل : منهزمون ورجل فل كذلك والطريد المطرود والمعنى : لا يزال الجوع ينشب فيه أظافيره ولا تزال المسغبة تلحف عليه وتعمل فيه حتى فر يطلب منها مهربا ولكنه لا يجد الطريق اليه .

وَحُرٌّ قَادَهُ الضُّرُّ. وَالزَّمَنُ الْمُرُّ[1] وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ. وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ[2] وَجَارٌ يَسْتَعْدِى عَلَى الْجُوعِ. وَالْجَيْبِ الْمَرْقُوعِ[3]. وَغَرِيبٌ أُوقِدَتِ النَّارُ عَلَى سَفَرِهِ. وَنَبَحَ الْعَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ[4]. وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الْحُصَيَّاتُ. وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ الْعَرَصَاتُ[5]. فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ. وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[6]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ :

(١) أى انه لولا سوء الحال وما أجده من آلام الأعواز ما سألتكم شيئا .

(٢) يريد انه لا يجشمهم عظيما ولا يطلب منهم جسيما ولا يثقل كواهلهم بل انما يود أن يشبع بطنه فحسب .

(٣) يستعدى : يستنصر أى يطلب من ينصره، والجيب : أراد به الثوب، والمعنى انه جمع إلى الجوع العرى واصطلح عليه الامران ولزمه ألم ظاهر الجسم وألم الامعاء .

(٤) معنى الجملتين انه لا أمل له فى العودة إلى وطنه والأولى مأخوذة من قولهم للمسافر أبعد الله داره وأوقد الناس ناره .

(٥) من عادتهم انه اذا نزل بهم من لا يحبون يرمون الحصى خلفه متى ارتحل وكأنهم يعنون عدم عودته والاستخفاف به كما لا تعود الحصاة ولا يعبأ لها، وكذلك اذا مات الميت كنسوا بعده فناء الدار اياسا من رجعته وتنظيفا للدار من بعده وكنى بهما عن انه لا يؤدب .

(٦) النضو بكسر أوله وجمعه الانضاء. البعير المهزول، والطليح التعب الذى لا يقوى على السير، والتبريح الشدة، والمهامه جمع مهمه وهو الصحراء، وفيح. أى متسعة وأراد أن يصف شدة البعد عن بنيه . يصف ما ناله من وقيعة الدهر به ويشكو ما يلاقيه من مضض وأعياء .

فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِى قَبْضَةَ اللَّيْثِ. وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ : زِدْنَا سؤَالاً. نَزِدكَ نَوَالاً[١]. فَقَالَ: مَا عُرِضَ عَرْفُ الْعُودِ. عَلَى أَحَرَّ مِنْ نَارِ الْجُودِ. وَلا لُقِىَ وَفْدُ الْبِرِّ. بِأَحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ. وَمَنْ مَلَكَ الْفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ. فَلَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[٢]، وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللهُ آمَالَكَ. وَجَعَلَ الْيَدَ الْعلْيَا لَكَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَفَتَحْنَا لَهُ الْبَابَ وَقُلْنَا : ادْخُلْ. فَإِذاَ هُوَ واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْاسْكَنْدَرِىُّ فَقُلْتُ يَا أَبَا الْفَتْحِ شَدَّمَا بَلَغَتْ مِنْكَ الْخَصَاصَةُ[٣].

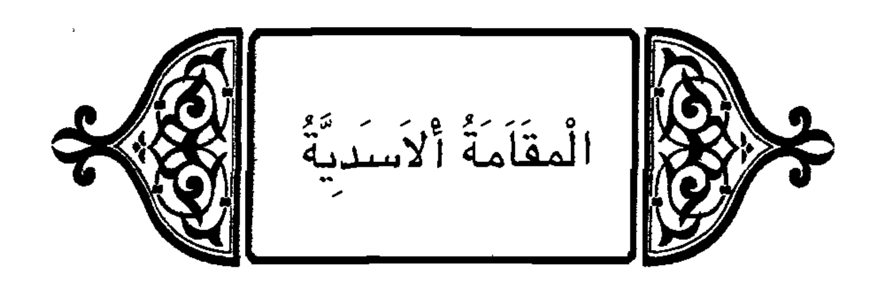
وَهذاَ الزِّىُّ خَاصَّةً. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لاَ يَغُـرَّنَّـكَ الَّـذِى ... أَنَـا فِيـهِ مِـنَ الطَّلَـبْ

أَنَا فِى ثَرْوَةٍ تُشَـقُّ ... لَهَـاَ بُـرْدَةُ الطَّـرَبْ

أَناَ لَوْ شِئْتُ لاَتَّخَذْ ... تُ سُقُوفاً مِنَ الذَّهَبْ[٤]

(١) انما يقبض الليث على معظم أجزاء فريسته فذلك كناية عن الكثرة، والنوال العطاء . (٢) العرف بالفتح الرائحة الزكية والعود طيب معروف، والمعنى المقصود هنا ان المزيد من شكرانه لهم وثنائه عليهم واجب يؤديه اذا زادوه احسانا وكرما وأراد بالعود نفسه، ويؤاسى من المؤاساة وهى المساعدة وبذل المعونة، والعرف بالضم المعروف . (٣) شد من صيغ التعجب أصلها ما أشد حذف حرف التعجب لكثرة استعمال الكلمة والخصاصة الفقر والحاجة الشديدة الماسة . (٤) أى : ان حقيقته غير ظاهره الذى يرونه وانه اذا ابدى متربة أو كشف لهم عن عوز فذلك اتشاح بما ليس من لبوسه وارتداء بغير برده .



الْمقَامَةُ ألاَسَدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ ألإسكَنْدَرِي وَمَقَالاَتِهِ مَايَصْغي إِلَيْهِ النَّفُورُ وَيَنْتَفِضُ لَهُ ألْعُصْفُورُ(١) وَيُرْوَى لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ أُلنَّفْسِ رِقَّةً. وَيَغْمُضُ عَنْ أوْهَامِ أُلْكَهَنَةِ دِقَّةً.(٢) وَأَنَا أسْأَلُ أُللّهَ بَقاءَه حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ. وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ. مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ وَقَدْ ضَرَبَ

---

(١) صغى كرضى. مال، والنفور، الذى يبالغ في النفرة والابتعاد ولن يميل مثل هذا الى شئ حتى يأتسره ويملك عليه قلبه فهو نعت لكلام الاسكندرى بالبلاغة الفائقة والفصاحة الرائعة، وانتفاض العصفور اهتزازه ولعمرك اذا كان الحيوان الذى لا يدرك أسرار المقال يهتز اهتزاز الطروب فكيف أنت بالانسان وهو من أعطاه الله المدركة ووهبه التمييز بين غث الأساليب وثمينه .

(٢) التكهن . ادعاء علم الغيب ومعرفة المستقبل من غير قاعدة ومنه أخذ اسم الكاهن لما كان يدعيه من نحو ذلك، والمراد ان شعر أبى الفتح كان جليل القدر دقيق الصنعة لا عن إلغاز أو تعمية ولا من تعقيد أو تنافر فلم يكن يدركه غير أرباب الصياغة من نقدة الكلام.

اُلدَّهْرَ شُـؤُونَهُ. بِاَسْـدَادٍ دُونَهُ وَهَلُمَّ جَـرًّا[١]. إلىَ انِ اُتَّفَـقَتْ لِىَ حاَجَةٍ بِحِمْصَ. فَشَحَذْتُ إِلَيْهاَ الحِرْصَ. فِى صُحْبَةِ اَفْرَادٍ كَنُجُومِ اُلَّلِيلِ. اَحْلاَسٍ لِظُهُورِ اُلْخَيْلِ[٢]. وَاَخَذْناَ اُلطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسافَتَهُ. وَنَسْتَـأْصِلُ شَأُفَتَهُ وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِى أَسْنِمَةَ اُلنِّجادِ بِتِلْكَ الجِيَادِ. حَتَّى صِرْنَ كَاَلْعِصِيِّ . وَرَجَعْنَ كَاُلْقِسِيِّ[٣]. وَتَاحَ لَناَ وَادٍ فِى سَفْحِ جَبَلٍ ذِى اَلاَءٍ وَأَثْلٍ. كَاُلْعَذَارى يُسَرِّحْنَ الضَفَّائِرَ وَيَنْشُرْنَ الْغدائِرَ[٤] وَماَلَتِ الْهاَجِرَةُ بِناَ إِلَيْها وَنَزَلْنَا

(١) ضرب الدهر. أحدث، والشؤون المحن والصروف والنوائب، والاسداد : جمع سد و هو ما يجعل بين الشيئين ليحول دون اختلاط أحدهما بالآخر، والمعنى : ان الزمن عاكسه فلم يمكنه من ادراك الرفه والسعادة . (٢) الاحلاس جمع حلس بكسر أوله وهم الذين يلازمون الشئ لا ينفكون عنه يريد انهم فرسان لا يغادرون متون الخيل ولا يفترون عن ركوبها . (٣) نفرى . نقطع، اسنمة. جمع سنام وأصله المرتفع من ظهر البعير ثم استعير للنجد وهو هنا ما أشرف من الارض أى ارتفع والمعنى انهم طفقوا يسيرون سيرا حثيثا بحيث فتتوا أعالى الجبال بحوافر خيلهم حتى لقد ضمرت الخيل وهزلت وتعطفت ولانت فصارت كالعصى (جمع عصا) هزالا ونحافة والقسى لينا وانثناء . (٤) تاح يتيح ويتوح. تهيأ، وسفح الجبل عرضه وأصله وأسفله والألاء بوزن سماء شجر مر لكنه بهيج المنظر ، والأثل شجر عظيم لا يثمر وقد شبه الألاء والاثل (استقامته وتدلى أغصانه) بالكواعب وهن الجاريات الحسان حين تكون ضفائر شعرهن متدلية .

نُغَوِّرُ وَنَغُورُ[1] وربطْنَا ألافْرَاسَ بألامْراسِ[2]. وَملْناَ مَعَ النُّعَاسِ. فمَا رَاعنَا إلاَّ صَهِيلُ الخَيْلِ. ونَظَرْتُ إلى فَرَسِي وقَدْ أرْهَفَ أُذُنَيه . وَطَمَحَ بِينَيْهِ. يَجُذُّ قُوَى الحَبْلِ بِمَشافِره. وَيَخُدُّ خَدَّ الأرْضِ بِحَوافِرِه[3] ثُمَّ اضطرَبَتِ الخَيْلُ فَأرْسَلَتِ الأبْوالَ : وَقَطَّعت الحِبَالَ. وأخَذَتْ نَحْوَ الجِبَالِ[4]. وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ منَّا إلى سِلاَحِه فَإذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ الْمَوتِ. قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِه. مُنْتَفخاً فِي إهَابِه. كَاشِراً عَنْ أنْيَابِه. بِطَرْفٍ قَدْ مُلِئَ صلَفاً وَأنْفٍ قَدْ حُشِيَ أنَفاً. وَصَدْرٍ لاَ يَبْرَحُهُ الْقَلْبُ. وَلاَ يَسْكُنُهُ الرُّعْبُ[5]. وَقُلْنَا خَطْبٌ مُلِمٌ . وَحَادِثٌ مُهِمٌّ . وَتَبَادَرَ إليْهِ مِنْ سُرْعَانِ الرُّفْقَةِ فَتًى .

(١) مالت بنا. جعلتنا نميل من اسناد المسبب إلى السبب فيه والهاجرة : شدة الحر، وغار الرجل. نام ، وغور بالتضعيف جاء الغور وهو المستوى من الارض .

(٢) الامراس الحبال ومنه قول امرئ القيس .

كأن الثريا علقت فى مصامها … بأمراس كتان الى صم جندل

(٣) أرهف أذنيه أى حددهم من قولهم : سيف رهيف الحد ومرهف، يجذ بجيم تحتيه فذال معجمة. يقطع، ويخد، بخاء فوقيه فمهملة يشق ، وخد الارض وجهها وظاهرها . (٤) إذا اشتد الخوف تفككت مفاصل الجسم وتراخت أعصابه فلم يكن فى المقدور حبس الاطراف فقد يبول المرء وهو المميز العاقل فكيف بالاعجم من الحيوان . (٥) انما يلبس فروة الموت نفس الموت فكأنه شبه الاسد بالموت فى قهر النفوس واغتيالها وهو عكس تشبيه أبى ذؤيب فى قوله .

وإذا المنية أنشبت أظفارها … ألفيت كل تميمة لا تنفع =

اخْضرُ الْجِلْدةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبْ   يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الْكَرَبْ[1]

بِقَلْبٍ ساقَهُ قَدَرٌ. وَسَيْفٍ كُلُّهُ أثْرٌ[2] . وَمَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الأسدِ فَخَانَتْهُ ارضُ قدمِهِ. حتَّى سقطَ ليدِهِ وفمِهِ[3]. وتجاوزَ الأسدُ

= والغاب. الشجر الملتف الكثير وعادته أن يكون مأوى للوحوش والاهاب الجلد (ومنتفخا فى اهابه) كناية عن الكبرياء والصلف .. ومن عادة الذى نزل به الخوف ان يضطرب قلبه فيشتد خفقانه حتى ليخيل انه انتقل من وعائه وهو فى الصدر خلف جهاز التنفس فاذا قيل ان قلب فلان لا ينتقل من صدره فمعناه انه لايدخل الخوف الى قلبه وهى كناية بديعة .

(١) سرعان : جمع سريع. أى انهم جميعا تسارعوا الى قتال الاسد لمكانتهم فى الشجاعة والاقدام ولكن واحدا منهم تبادر فوصل إليه قبلهم والبيت مأخوذ من قول الفضل :

وأنا الأخضر من يعرفنى   أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلنى يساجل ماجدا   يملأ الدلو الى عقد الكرب

(٢) أثر السيف (بفتح أوله أو كسره، وسكون الثانى فيهما) فرنده وجمعه أنور ومعناه : أن السيف لصقلته وصفاء جوهره كأنه كله جوهر . (٣) السورة الحدة ومثلها السوار (كغراب) والمعنى أن رعبه من الاسد وهيبته له تملكا عليه قلبه فتراخت مفاصله واضطربت أعضاؤه حتى أنه ليخيل للرائى أن الارض لم تثبت به. ومثل هذا فى التعبير قولهم عند اشتداد الخوف : ساخت الارض تحت قدميه. وقوله : سقط ليده وفمه كناية عن انكبابه على وجهه وهو مأخوذ من قول قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله :

وأشعثت قوام بآيات ربه   قليل الاذى - فيما ترى العين - مسلم
ضممت اليه بالسنان قميصه   فخر صريعا لليدين وللفم

أو هو مأخوذ من قولهم : سقط فى يدى فلان اذا أسف واشتد حزنه . ولكنه بعيد .

مـصـرعـهُ. إلى منْ كانَ مـعـهُ. ودعـاَ الحـينُ اخـاهُ. بمثلِ مـادعـاهُ[1].
فـصـارَ اليـهِ. وعـقلَ الرُّعبُ يديهِ . فـاخـذَ ارضـهُ. وافـتـرشَ اللَّيثُ
صـدرهُ. ولكنىِّ رميتـهُ بعمامتىِ. وشـغلتُ فـمـهُ. حـتَّى حقنتُ دمـهُ.
وقامَ الفتَى فـوجـأَ بطنهُ . حـتَّى هلك الفتَى منْ خـوفـهِ . والأسـدُ
للوجاةِ فِى جوفهِ[2]. ونهضـنـاَ فِى أثرِ الخيلِ فتـألفناَ منهاِ ماَ ثبتَ.
وتركناَ ماَ أفلتَ. وعدناَ إلى الرَّفيقِ لنُجَهِّزَهُ فلمَّا حثوناَ التربَ فوقَ
رفيقناَ* جزعناَ ولكنْ أىُّ ساعـةِ مجزعٍ وعدناَ إلى الفلاةِ. وهـبطناَ
أرضـهـاَ[3] وسـرناَ حـتَّى إذاَ ضـمـرتِ المزادُ. ونفـدَ الزادُ أو كـادَ
يدركـهُ النفـادُ[4]. ولمْ نملكِ الذهابَ ولا الرجـوعَ. وخـفـنـاَ القـاتلينِ

(١) الحين : الهلاك والموت والمعنى أن الاسد حينما قتل الاول تجاوز مكانه ويمم نحو باقى رفاقه فتقدم اليه أحدهم فلم يلبث ان حل به مثل ما حل بمن تقدمه .

(٢) المعنى ان ذلك الرفيق نزل به الخوف وأخذ منه الجزع فسقط كما سقط الذى قبله وهم الاسد ليقضى عليه فتداركته بمشاغلة الاسد حتى استطاع الفتى أن يقوم فبقر بطن السبع ولكنه أشرف على الهلاك من الرعب .

(٣) الفلاة الصحراء ، وهبطنا : نزلنا . (٤) الضمر والضمور . أصله الهزال، والمزاد جمع مزادة. وهى قربة الماء ومعنى ضمورها لصوق الجلد ببعضه كما يكون فى هزال الحيوان لعدم وجود ما يباعد بينه فهو كناية عن فقدان الماء ونفد. فنى .. والمراد انهم صاروا فى حالة شديدة.

الظمـأَ والجـوعَ. عنَّ لناَ فـارسٌ فـصـمـدناَ صـمـدهُ[١]. وقـصـدناَ قـصـدهُ. ولَمَّا بلـغناَ نزلَ عنْ حـرٍّ فرسـهِ. ينقشُ الأرضَ بشـفـتيـهِ. ويلقىَ التـرابَ بيـديهِ. وعـمدنـيِ منْ بينِ الجـمـاعـةِ. فقـبلَ ركـابيِ. وتحـرمَ بجنـابيِ[٢] ونظـرتُ فـإذَا هـوَ وجـهُ يبـرقُ برق العـارضِ المتـهللِ. وقوامُ متـىَ ماترقَ العينُ فيـهِ تسـهلْ وعارضٌ قدِ اخضـرَّ. وشـاربُ قدْ طرَّ. وسـاعـدُ مـلآنُ. وقضـيـبُ ريانُ. ونـــجـارُ تركـيٌّ. وزىٌّ ملكـيٌّ[٣] فـقلنَا: مـالكَ لا أبا لكَ[٤]؟ فـقـالَ : أنَا عـبـدُ بـعضِ

(١) عن . ظهر، صمدنا قصدنا، ويقال صمد فلان صمد كذا أى اتجه اليه واعتمده والمعنى اننا حين خشينا على أنفسنا الهلاك فى هذه الصحراء المجدبة حيث لا نبات ولا ماء ظهر لنا رجل يركب فرسه فاتجهنا اليه، والمرء فى مثل هذه الحال يتلمس من يكشف كربته ويخفف عناءه ولا أقل من أن يدلهم على مورد الماء . (٢) عمدنى وعمد إلى. قصدنى واتجه نحوى والمراد من تقبيل الركاب والتحرم بالجناب . الاحترام والتأدب فيه والاجلال مع اظهار الخشوع .
(٣) العارض : أصله السحاب المعترض فى الافق ومن عباراتهم تشبيه الوجه بالماء فى صفائه وقد يضيفونه إليه تارة فيقولون ماء الوجه ومنه .

ألا بقية ماء وجه صنته ... عن أن يباع وقد أبحتك فاشتر

ومن هذا القبيل تسميتهم صفحتى الخد أى جانبيه بالعارضين وهو المراد هنا واخضراره ظهور الشعر فيه ، ويقال طر الشارب طرا وطرورا إذا طلع جديدا .
(٤) كان بعض شيوخنا يعتقد أن هذه الكلمة لا تقال إلا عند الذم وناقشته فى =

الملوكِ همَّ منْ قتلـي بهمٍ[١]. فـهمت علىَ وجـهـيِ إلىَ حيثُ ترانـيِ. وشـهـدتْ شـواهدُ حـالهِ. علىَ صـدقِ مـقـالـه. ثمَّ قـالَ : أنَا اليـومَ عبدك. ومـاليِ مـالكَ . فقلتُ : بشـرىَ لكَ وبكَ[٢] أدركَ سـيركَ إلى فناءٍ رحبٍ. وعيشٍ رطبٍ[٣] وهنأتنيِ الجماعةُ وجعلَ ينظرُ فتقتلنَا الحـاظهُ. وينطقُ فـتـفـتننَا الفـاظهُ. فـقـالَ : ياسـادةُ إنَّ فى سـفحِ الجبلِ عيناً وقدْ ركبتُمْ فلاةً عوراءَ فخذُوا منْ هنالكَ الماءَ[٤]. فلوينَا الأعنةَ إلى حيثُ أشار. وبلغناهُ وقد صـهرتِ الهاجرةُ الابدانَ. وركبَ

= ذلك كثيرا مستشهدا بكثير من أشعار العرب فيتأولها بالذم أو بوقوعها حشوا ونحن نعتقد مجيئها للمعنيين وأصدق شاهد من النثر قول سحيلة الراعية لعامر بن ظرب العدواني وكان سيدها : مالك - لا أبالك - ما عراك فى ليلتك هذه ثم قولها له : سبحان الله! لا أبالك أنبع القضاء المبال الخ، فى قصة رواها ابن هشام فى سيرته (جزء أول صفحة ١١٦ طبع مصر) .

(١) أى أنه عزم على قتلى .

(٢) أى أنك ستأنس بى كما انني سأرتاح إليك .

(٣) الفناء ككساء: ما اتسع امام الدار وجمعه افنيه كأكسيه وفنى (بضم فكسر فياء مشددة) والرحب : المتسع وعيش رطب : ناعم رغيد والمعنى : انه بوصوله اليه قد وصل إلى النعمة الموفورة والعيشة الراضيه الهنيئة .

(٤) سفح الجبل : أصله أو أسفله وأراد بالعين الماء وفلاة عوراء لا تجدون فيها عينا ومعنى ركوبها السير فيها .

الجنَادِبُ العيدَانَ[1]. فقالَ : ألا تقيلُونَ فى هذا الظِّلِّ الرَّحبِ. على هذا الماءِ العذبِ. فقلنَا : أنتَ وذاكَ[2] فنزلَ عنْ فرسه وحلَّ منطقتهُ. ونحىَّ قرطقتهُ[3] فمَا استترعنًا إلا بغلالةٍ تنمُّ على بدنه[4]. فمَا شككنَا أنهُ خاصمَ الولدانَ. ففارقَ الجِنَانَ. وهربَ منْ رضوانٍ[5]. وعمدَ إلى السروجِ فحطهَا وإلى الأفراسِ

(١) الاعنة جمع عنان بكسر أوله وهو سير اللجام وصهرت أحرقت والهاجرة حر الظهيرة والجنادب الجراد وركوبه العيدان عند شدة الحر .

(٢) قال يقيل من باب (با ع يبيع) قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل : نام فى نصف النهار؛ الرحب : الواسع ، أنت وذاك : كلمة يقولونها عند الموافقة على ما يعرضه المقترح وكان المعنى : أنت مطا ع ولك ذاك :

(٣) المنطقه بوازن مكنسه حزام يشد به الوسط والفعل منه انتطق . أى لبسه .، ونحى : أبعد ، والقرطق بوزان جندب . نوع من اللباس وفعله . قوطق كدحرج .

(٤) استتر : اختفى واحتجب ، والغلالة (بكسر أوله) شعار يلبس تحت الثوب ومثلها الغلة : تنم: تكشف عنه وتدل عليه ، والمعنى أنه ماكان يخفى عليهم شئ من بدنه لان الغلالة شفافة لا تحجب منه شيئا .

(٥) أى أنا حينما تأملنا بديع تركيبه ونظرنا محاسنه لم نظن ألا أنه أحد الولدان الذين يكونون فى الجنة فارقها هاربا من رضوانه خازنها والموكل بحراستها لأنه ممن لاتقع عليهم العين فى هذه الحياة الدنيا ومن أبدع ماقيل فى وصف الغلمان قول سبط بن التعويذى فى غليمان الامام الناصر لدين الله :

فحشهَا[١]. وإلى الأمكنةِ فرشهَا . وقدْ حارتِ البصائرِ فيهِ ووقفتِ الأبصارُ عليهِ. فقلتُ: يَا فتَى مَا ألطفكَ فى الخدمةِ. وأحسنكَ فى الجملةِ[٢]. فالويلُ لمنْ فارقتهُ. وطوبَى لمنْ رافقتهُ[٣]. فكيفَ شكرُ اللهِ علىَ النعمةِ بكَ. فقالَ: ما سترونهُ منِّى أكثرُ أتعجبكمْ خفتيِ فى الخدمةِ. وحسنيِ فى الجملةِ. فكيفَ لوْ رأيتمونِى فى الرفقةِ[٤] أريكمْ منْ حذقِى طرفاً[٥]. لتزدادُوا بِى شغفاً؟ فقلنَا : هاتِ. فعمدَ إلى قوسِ أحدنَا فأوترهُ[٦] وفوقَ سهماً فرماهُ فِى السماءِ[٧]. وأتبعَهُ بآخر فشقَّهُ فِى الهواءِ. وقالَ سأريكمْ نوعاً آخر ثمَّ عمدَ

غر إذا صين الجمال ببرقع	ستروا جمال وجوههم بمغافر
من كل خواض الغمار ملجج	مرن على سفك الدماء مغامر
أصمى الكماة بمقصد من كفه	ورمى القلوب من اللحاظ بعاثر
أيماض منصله وضوء جبينه	برقان فى ليل العجاج الثائر

(١) أى وضع لها الحشيش . (٢) أى أن جملة أحوالك ومجموع صفاتك جميل مستحسن . (٣) أى أن هذه الخلال مما يأنس بها من يرافقك ويأسف عليها من تفارقه . (٤) يروى بدل الرفقة : الوقعة وهى تقرب تفسير الرفقة بالبأس والشده والمدافعة وذلك أن الصداقة هى المؤاساة فى شدائد الامور وعظيم الوقائع .

(٥) الحذق المهارة . (٦) أوتر القوس : جعل لها وترا وهو بفتح أوله وثانيه : شرعة القوس ومعلقها . (٧) فوق السهم (بالتضعيف) : سدده .

إلى كنانتِي فاخذهاَ وإلى فرسِي فعلاهُ ورمى أحدنَا بسهمٍ أثبتهُ فِي صدرهِ. وآخرَ طيرهُ منْ ظهره[1]. فقلتُ : ويحكَ ما تصنعُ[2]. قالَ: اسكتْ يالكعُ[3]. واللهِ ليشدنَّ كلٌّ منكمْ يدَ رفيقهِ. أو لأغصنهُ بريقهٍ[4]. فلمْ ندرِ ما نصنعُ وأفراسُنا مربوطةٌ. وسروجُنَا محطوطةٌ. وأسلحتنَا بعيدةٌ وهوَ راكبٌ ونحنُ رجالةٌ والقوسُ في يده يرشقُ بهَا الظُهورَ. ويمشُق بهَا البطُونَ والصدُورَ[5]. وحينَ رأينَا الجدَّ . أخذْنَا القدَّ[6]. فشدَّ بعضنَا بعضاً وبقيتُ وحدِي. لا

(١) الكنانة : جعبة تجعل فيها السهام : والمعنى أنه امطى فرسه بعد أن أخذ كنانته ليتمكن من النجاة إذا أعوزته الحال واضطر إليها وكان منه أى رمى واحداً منهم بسهم بقي مرشوقا في صدره ورمى ثانيا بسهم نفذ من ظهره ليريهم قدرته على الرماية . (٢) ويح وويب وويل كلمات تقال فى الدعاء بالثبور والهلاك . (٣) اللكع (بوزن صرد) : الئيم والاحمق ، وقد شاع هذا الوزن فى سب المذكر كغدر وفسق كما شاع وزن فعال في سب المؤنث ومنه قول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوى   إلى بيت قعيدته لكاع

(٤) أى أما أن يربط كل واحد يدى رفيقه ليتعذر عليه الدفاع عن نفسه فيما أفعل بعد أو لأجعلنه يغص بريقه وهى كناية عن ازهاق نفسه . (٥) أى اننا تحيرنا فى أمرنا معه فلم ندر ماذا نصنع وليس فينا من هو متجهز مثله اذ أننا مترجلون وهو راكب وبيده القوس يقتل من قدم عليه أو هرب منه .

(٦) القد سير من الجلد تربط به الاسارى .

أجدُ منْ يشدُّ يدِى. فقالَ: اخرجْ بإهابكَ[1]. عنْ ثيابكَ. فخرجتُ ثمَّ نزلَ عنْ فرسِهِ. وجعلَ يصفعُ الواحدَ منَّا بعدَ الآخرِ. وينزعُ ثيابهُ وصارَ إلىَّ وعلىَّ خفانِ جديدانِ. فقالَ : اخلعهمَا لا أمَّ لكَ. فقلتُ: هذا خفٌّ لبستُهُ رطباً فليسَ يمكنني نزعهُ. فقالَ: علىَّ خلعهُ. ثمَّ دنَا إلىَّ لينزعَ الخفَّ ومددتُ يدى إلى سكينٍ كان معِى فى الخفِّ وهوَ فى شغلهِ فأثبتُّهُ فى بطنهِ. وأبنتهُ منْ متنه[2]. فمَا زادَ على فم فغرهُ[3]. وألقمهَ حجرهُ[4]. وقمتُ إلى أصحابىِ فحللتُ أيديهمْ وتوزعنا سلبَ القتيلينِ[5] وأدركنَا الرفيقَ وقدْ جادَ بنفسه[6]. وصارَ لرمسِهِ. وصرنَا إلى الطريقِ ووردنَا حمصَ بعدَ ليالٍ خمسٍ. فلمَّا انهينْا إلى فرضة منْ سوقهَا[7] رأينْا رجلاً قدْ

---

(١) الإهاب : الجلد والمعنى أنهم فعلوا ما أمرهم به وشد كل واحد رفيقه فبقى عيسى وحده فأراد منه الفتى أن يتجرد عن ثيابه ليأخذها بلا عناء .

(٢) المتن : الظهر . (٣) فغر فاه : فتحه .

(٤) كناية عن السكوت التام .

(٥) توزعنا : اقتسمنا والسلب : ثياب القتيل ومتاعه .

(٦) جاد بنفسه : مات.

(٧) الفرضة كالفرجة وزنا ومعنى .

قامَ على رأسِ ابنٍ وبنيةٍ. بجرابٍ وعصيةٍ[1] وهوَ يقولُ:

رحمَ اللهُ منْ حشا   في جرابي مكارمهْ

رحمَ اللهُ منْ رنَا   لسعيدٍ وفاطمةْ

إنهُ خادمٌ لكمْ   وهي لا شكَّ خادمةْ

قالَ عيسى بْنُ هِشامٍ : فَقُلْتُ إن هذا الرجلِ هوَ الإسكندري الذي سمعتُ بِهِ، وسألتُ عنهُ. فاذَا هوَ هوَ فدلفتُ إليهِ[2] . وقلتُ: احتكمْ حكمكَ[3] فقالَ: درهمٌ فقلتُ:

لكَ درهمٌ في مثلهِ   مادامَ يسعدني النفسْ[4]

---

(١) عصية : تصغير عصا وفي امثالهم تلك العصا من العصية والمعنى انهم بعد أن انتهوا من ذلك الفتى سلكوا الطريق إلى حمص فوردوها بعد سفر خمس ليال وبيناهم يسيرون إذ وجدوا رجلا قد انتحى ناحية واتخذ له مكانا فرجة من السوق ووقف وأمامه فتاة وفتى ومعه جراب ليضع فيه مايحصله وعصا يتوكأ عليها كعدة السابلة والمتسولين .

(٢) دلفت اليه : سرت نحوه .

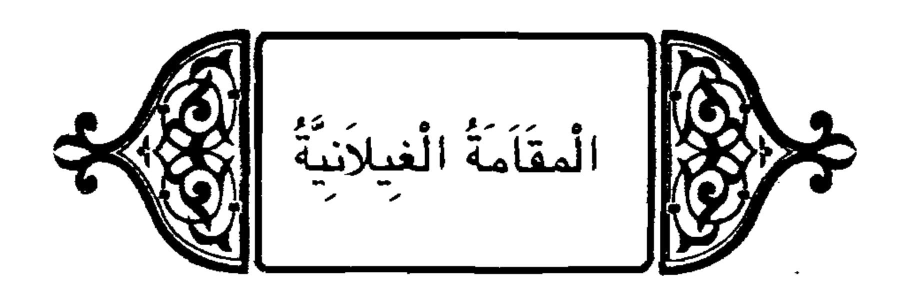
(٣) أى انني جعلت مالى تحت حكمك فاحكم بما شئت فأنى أعطيكه .

(٤) قال الامام أن معنى مادام يسعدني النفس : مدة دوامى حيا أو أنى اكرر لك ذلك كل عام وما أشبه هذا ونحن نقول : لعله أراد لك درهم مضروبا فى مثله مضروبا فى العدد التالى له ثم الذى بعده وهكذا مادام نفسى متسعا للتعداد بدليل انه سأله بعد ذلك بقوله : درهم فى اثنين فى ثلاثه وهكذا وقوله حتي انتهيت إلى العشرين أى انه لم يساعده نفسه الواحد إلى عد ما فوق العشرين ولسنا نشك فى أن هذا هو المعقول وسبحان ملهم الصواب.

فاحسبْ حسابكَ والتمسْ كيمَا أنيلَ الملتمسْ

وقلتُ لهُ: درهمٌ فِي اثنينِ فِي ثلاثةٍ فى أربعةٍ فى خمسةٍ حتى انتهيتُ إلى العشرينَ. ثمَّ قلتُ: كمْ معكَ؟ قالَ : عشرونَ رغيفاً . فـأمـرتُ لهُ بهَـا . وقلتُ : لا نصـرَ معً الخـذْلانِ. ولا حـيلةَ مع الحرمانِ[1].

(١) أى انه حينما عرض عليه هذه العطية وسأله حسبتها لم يساعده الحظ إلا بذكر العشرين رغيفا ، وذلك نكد الطالع .



الْمقَامَةُ الْغيلاَنِيَّةُ

حَدَّثَنَي عيِسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بينَا نحنُ بجُرْجانَ. فِى مجتمعٍ لنَا نتحدثُ ومعنَا يومئذٍ رجلُ العربِ حفظاً وروايةً وهوَ عصمةُ ابنُ بدرٍ الفزارىُّ فافضى[1]. بنَا الكلامُ إلى ذكرِ منْ اعرضَ عنْ خصمهِ حلماً ومنْ أعرضِ عنْ خصمهِ احتقاراً حتَّى ذكرنَا الصلتانَ العبدىَّ والبعيثَ[2] ومَا كانَ منَ احتقارِ جريرٍ والفرزدقِ

---

(١) أفضى بنا الكلام : اتسع حتى ذكرنا كيت وكيت من قولهم: فضا المكان وأفضى إذا اتسع.

(٢) الصلتان على وزان خفقان والبعيث بوزان كريم شاعران من شعراء الدولة الاموية كانا يهجوان جريرا والفرزدق وقد ورد في شعر الفرزدق وجرير هجاء لهما فلعل معنى أنهما تركاهما أنهما لم ينازلاهما منازلة القرناء ولم يشغلا بمهاجاتهما ومناقضاتهما كما اشتغل كل من جرير والفرزدق بأخيه . والصلتان العبدى هو قثم بن حبيه بن عبد القيس وهو القائل :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى =

لهمَا. فقالَ عِصمةُ : ساحدثكمْ بمَا شاهدتهُ عيني ولا أحدِّثكمُ عنْ غيرىِ بينما أنَا أسيرُ فى بلادِ تميمٍ مرتحلاً نجيبةً. وقائداً جنيبةً. عنْ لى راكبٌ علىَ أورقَ جعدِ اللغامِ فحاذانىِ حتَّى إذَا صكَّ الشيحُ بالشيحِ[1] رفعَ صوتهُ بالسلامُ عليكَ. فقلتُ : وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ، من الراكبُ الجهيرُ الكلامِ[2] المحيِّ بتحيةً الإسلامِ؟ فقالَ : أنَا غيلانُ بنُ عقبةَ[3]. فقلتُ : مرحباً بالكريم

= تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجه ما بقى

وفيه يقول جرير حينما قضى بينه وبين الفرزدق قضاء لم يرق عنده :

أقول ولم أملك سوابق عبرة متى كان حكم الله فى كرب النخل

(١) النجيبة : الناقة الكريمة، والجنيبة : الناقة تأخذها جانب ناقتك التى تركبها لتستريح إليها إذا تعبت الاولى. والاورق : الجمل فيه سواد وبياض وجعد اللغام: كثير الزبد .

(٢) الجهير الكلام : المرتفع الصوت به.

(٣) غيلان هو ذو الرمة وكنيته أبو الحارث ينتهى نسبه لنزار والرمة بالضم قطعة من حبل (وتكسر) ولقب بذلك لقوله فى الوتد: (أشمث باقى رمة التقليد) . قال له الفرزدق حينما سأله مالى لا أذكر مع فحول الشعراء : قصر بك عن غايتهم بكاؤك فى الدمن ووصفك الابعار والعطن .

حسبهُ. الشهيرِ نسبهُ . السائرِ منطقهُ . فقالَ: رحبَ واديكَ. وعزَّ ناديكَ. فمنْ أنتَ . قلتُ : عصمةُ بنُ بدرْ الفزاريُّ. قالَ : حياكَ اللهُ نعمَ الصديقُ. والصاحبُ والرفيقُ. وسرنا فلمَّا هجرنَا قالَ: ألاُ نغوِّر يَا عصمةُ فقدْ صهرَتنَا الشمسُ[1] فقلتُ أنتَ وذاكَ فملنْا الىَ شجراتِ الاءِ كأنهنَّ عذارَى متبرجاتٌ قدْ نشرنَ غدائرهنَّ. لآثلاتٍ تناوحهنَّ[2] فحططنَا رحالنَا. ونلنَا منَ الطعامِ وكانَ ذوُ الرمةِ زهيدَ الأكلِ وصليناَ بعدُ وآلَ كلُّ واحدٍ منَّا الىَ ظلِّ أثلةٍ يريدُ القائلةَ واصطجعَ ذوُ الرمَّةِ وأردتُ أنْ أصنَعَ مثلَ صنيعهِ فوليتُ ظهرِى الأرضَ . وعيناىَ لا يملكهمَا غمضٌ. فنظرتُ غيرَ بعيدٍ إلى ناقةٍ كوماءَ قدْ ضحيتْ وغبيطهَا ملقًى[3] وإذا رجلٌ قائمٌ

(١) هجرنا بالتضعيف : دخلنا فى وقت الهاجرة وهو أشد الاوقات حرا، ونغور: أى نقيل مأخوذ من الغور وهو المكان المنخفض وأكثر ما يكون أن تلفيه ظليلا .

(٢) الالاء : شجر وريف الظل بهى المنظر، والعذارى النساء الابكار. والغدائر جمع غديرة وهى الخصلة من الشعر ، والاثل شجر ضخم مرتفع كثير الظل وتناوجهن أى تقع فى مقابلتهن والضمير الظاهر للالاء .

(٣) ناقة كوماء : أى مرتفعة عالية السنام، وضحت أى أصابتها الشمس وانما يظهر ذلك إذا غربت والغبيط: هو الرحل الذى يوضع عليه الهودج قال امرؤ القيس .

تقول وقد مال الغبيط بنا معا … عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

يكلأها كأنهُ عسيفٌ أو أسيفٌ[1] فلهيتُ عنهمُا ومَا أنَا والسُّؤالَ عمًّا لا يعنينِي ونامِ ذو الرمَّةِ غراراً[2] ثمَّ انتبهَ وكانَ ذلكَ فى أيامِ مهاجاتهِ لذلك المرئِّ فرفعَ عقيرتهُ وأنشدَ يقولُ:

أمنْ ميةَ الطللُ الدارسُ	ألظ بهِ العاصفُ الرامسُ[3]
فلمْ يبقَ إلا شجيجُ القزالِ	ومستوقدٌ ما لهُ قابسُ[4]
وحوضٌ تثلمَ منْ جانبيه	ومحتفلٌ دارسٌ طامسُ[5]
وعهدِي بهِ وبهِ سكنُهُ	وميةُ والإنسُ والآنسُ[6]
كأنِّي بميَّةَ مستنفرٌ	غزالاً تراءَى لهُ عاطسُ[7]
إذَا جئتهُاَ ردَّنِي عابسٌ	رقيبٌ عليهَا لهَا حارسُ

(١) يكلأها : يرعاها ويحفظها، والعسيف : الاجير، والاسيف العبد .

(٢) غرارا : قليلا . (٣) الدارس : الذى فنيت آثاره، ألظ به: أى لازمه ولم يفارقه، العاصف : الريح الشديدة ، والرامس : الذى يجلب عليه التراب ليخفيه .

(٤) شجيج القذال : مكسور الرأس وأراد الوتد، المستوقد مكان إشعال النار وليس له قابس أى من يلتمس منه النار لعدم وجودها .

(٥) تثلم : تهدم والمحتفل مكان الاجتماع .

(٦) السكن الساكن أى أنه يعرفه آهلا بالسكان .

(٧) العاطس الصبح يقول أن حاله مع مية فى عدم وصوله إليها كحال من يستنفر غزالا وقد لاح له الصبح فهو لا يستطيع إمساكه .

ستأتيِ امرأ القيْسِ مأثورَةٌ   يغنِّى بهَا العابرَ الجالِسُ[1]

ألمْ ترَ أنَّ امرأ القيْسِ قدْ   ألظَّ بهِ داؤُهُ الناجِسُ[2]

همُ القومُ لا يألمونَ الهجاءَ   وهلْ يألمُ الحجرُ اليابسُ

فمَا لهمُ فى العلاَ راكبُ   ولا لهمُ فىِ الوغىَ فارسُ[3]

ممرْطلةٌ فيِ حياضِ الملامِ   كما دَعسَ الأدمَ الداعِسُ[4]

إذَا طمحَ الناسُ للمكرماتِ   فطرفهمُ المطرقُ الناعِسُ

---

(١) امرؤ القيس مهجوه وهو من بنى مرة بن حجر، مأثورة : أى قصيدة ترويها الناس حتى يعظم خطرها عليه ويتغنى بها الجالس للعابر والمراد أنها تسير وتذيع حتى تحط من قدر امرئ القيس .

(٢) الداء الناجس الذى لا يفتأ ملازما صاحبه ولا ينجح فيه الطب .

(٣) أى أن هذا المهجو وقبيلته لا يتألمون من الهجاء ولا يتوجعون له كما لا يتألم الحجر ولا يتوجع الصخر وأنهم لم يمتوا الى الفضائل بنسب ولم تكن لهم فى الوقائع والحروب يد لعدم وجود الاكفاء الصناديد منهم .

(٤) ممرطلة : ملطخة. ودعس : وطئ برجله، والادم : الجلد والمعنى أن هذه القبيلة ملطخة باللوم كتلطيخ الجلد الذى يراد دباغه لانهم تجافوا عن المحمدة .

تعافُ الاكارمُ اصهــارهمْ فكلُّ اياماهــمُ عـانسُ[١]

فلمَّا بلغَ هذا البيتَ تنبهَ ذلكَ النائمُ وجعلَ يمسحُ عينيهِ ويقولُ: أذُو الرميمةِ يمنعنِي النومَ بشعرٍ غيرِ مثقفٍ ولا سائرٍ؟ فقلتُ: ياغيلانُ منْ هذا ؟ فقالَ : الفرزدقُ، وحمىَ ذُو الرمَّةِ . فقالَ :

وأمَّـــا مجــاشـــع الأرذلـونَ فلمَ يسقِ منبتهمْ راجسُ[٢]

سيعقلهُمْ عنْ مساعى الكرامِ عقالٌ ويحبسـهُمْ حابسُ[٣]

فقلتُ : الآنَ يشرقُ فيثورُ[٤] ويعمُّ هذا وقبيلتَهُ بالهجاءِ فوَاللهِ مازادَ الفرزدقُ علىَ أنْ قالَ: قبحاً لكَ ياذَا الرميمةِ أتعرضُ لمثلِي

(١) تعـاف : تكره باشـمـئـزاز ، وأصـهـارهم : تزويجـهم والايامى : النسـاء والعانس: التى كبرت دون زواج والمعنى ان كرام الناس ينفرون من مصاهرتهم ولذلك تجد بناتهم قد كبرن بدون أن يتقدم لخطبتهن أحد .

(٢) مجاشع: قبيلة الفرزدق . والراجس : السحاب الذى يصحبه رعد شديد والمعنى الدعاء على هذه القبيلة بعدم السقيا وبكثرة الامحال .

(٣) يعقل : يمنع ، وعقال وحارس : من آباء الفرزدق ، أى أن هؤلاء الناس لن يتقدموا فى المكرمات وشريف الخصال لان خستهم تمنعهم من ذلك ولؤم طباعهم يحبسهم عنه .

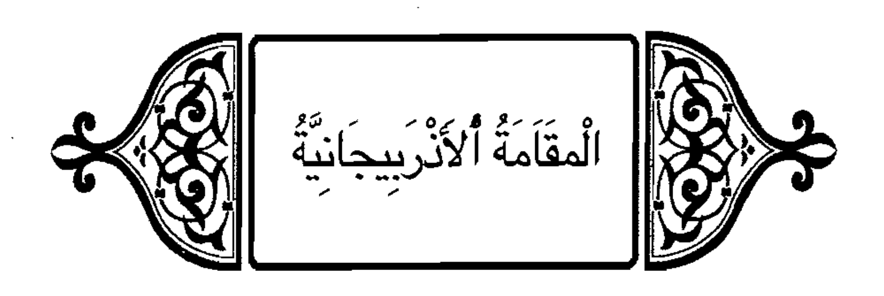
(٤) يشرق : يغص، ويثور : يهيج، والمعنى أنه سيجد هذا الكلام كالشجا فى حلقه فيهتاجه ذلك الى هجاء غيلان وقومه .

بمقالٍ منتحلٍ[١]؟ ثمَّ عادَ فِي نومهِ كأنْ لمْ يسمعْ شيئاً وسارُ ذو الرمَّةِ وسرتُ معهُ وإنِّى لأرَى فيهِ انكساراً حتَّى افترقْنَا[٢] .

(١) الرميمة : تصغير الرمة لقب غيلان، تعرض تتعرض والمقال المنتحل المسروق وقد يكون تعرض من التعريض الذى هو عدم التصريح وموضعه فى قوله: يعلقهم عقال ويحبسهم حابس .

(٢) أى أن غيلان ابتأس كثيرا حين لم يعبأ به الفرزدق ولم يقم له وزنا .. وهذا مثال لمن أعرض عن خصمه احتقارا لشأنه واستخفافا .





قالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ: لَمَّا نطقنِي الغنىَ بفَاضلِ ذيله[1] اتهمتُ بمالٍ سلبتهُ أو كنزٍ أصبتُهُ[2] . فحفزنِي الليلُ[3]. وسرتْ بيَ الخيلُ وسلكتُ فى هربيِ مسالكَ لمْ يرضهْا السيرُ[4]. ولا أهتدتْ إليهْا الطيرُ. حتى طويتُ أرضَ الرُّعبِ وتجاوزتُ حدهُ. وصرتُ إلىِ حمَى الأمنْ ووجدتُ بردهُ. وبلغتُ أذربيجانَ وقدْ حفيتِ الرواحلُ[5]. وأكلتهْا المراحلُ. ولمَّا بلغتُها .

نزلنْا علىَ أنَّ المقامَ ثلاثةٌ فطابتْ لنَا حتَّى أقمنْا بها شهراً

(١) أى البسنى الزائد من ثوبه وجعله لى كالمنطقة . (٢) المعنى أن الناس كانوا فى تأويل ثرائى على قسمين قوم يقولون أنه استلب هذه الاموال وجماعة تقول بل عثر على كنز أى مال مخبوء . (٣) حفزنى : دفعنى بشدة وحثنى طلبا للهرب. (٤) لم يرضها السير : لم يذللها أى أن الناس لم تكن تطرق هذه السبل وهى كناية عن وعورة المسلك وخطورته .

(٥) حفيت أصابها الحفا وهو رقة القدم من كثرة السير والرواحل الركائب .

فبينا أنا يوماً في بعضِ أسواقها إذ طلعَ رجلٌ بركوةٍ قدِ اعتضدَها[1] وعصاً قدْ اعتمدَها[2]. ودنيةٍ قدْ تقلسهَا[3] . وفوطةٍ قدْ تطلسهَا[4] فرفعَ عقيرتَهُ قالَ : اللهُمَّ يا مبدئَ الأشْياءِ ومعيدَها. ومحيَ العظامِ ومبيدَها. وخالقَ المصباحِ ومديرَهُ[5]. وفالقَ الإصباحِ ومنيرَهُ وموصلَ الآلاءِ سابغةً إلينْا[6]. وممسكَ السماءِ أن تقعَ علينْا. وبارئَ النسَمِ أزواجاً. وجاعلَ الشمسِ سراجاً والسماءِ سقفاً والارضِ فراشاً. وجاعلَ الليلِ سكناً والنهارِ معاشاً . ومنشئَ السحابِ ثقالاً. ومرسلَ الصواعقِ. نكالاً وعالمِ مافوقَ النجومِ. ومَا تحتَ التخومِ[7]. أسألكَ الصلاةَ على سيدِ المرسلينَ. محمدٍ وآلهِ الطاهرينَ. وانْ تعينني على

---

(١) الركوة وعاء يجمع فيه ما يحصله ، واعتضدها أي جعلها في عضده .

(٢) توكأ عليها .

(٣) الدنية القلنسوة وتقلسها لبسها .

(٤) الفوطة : ثوب سندى، وتطلسها اتخذها طيلسانا .

(٥) المصباح الشمس ومديره محركه .

(٦) الآلاء العطايا والنعم وسابغة شاملة .

(٧) التخوم في الأصل الحدود والمراد العالم بما تحت الارض السفلى أي بما استتر عنا .

الغربةِ اثنى حبلهَا[1]. وعلى العسرةِ أعدُو ظلهًّا[2]. وأنْ تسهِّلَ لِى على يدىْ منْ فطرتْه الفطرَةُ. وأطلعتْهُ الطهرةُ. وسعدَ بالدِّينِ المتينِ[3]. ولمْ يعمَ عنِ الحقِّ المبينِ. راحلةً تطوِى هذا الَّطريقَ وزاداً يسعُنِى والرفيِقَ. قالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ: فناجيتُ نفسِى بأنَّ هذا الرجلَ أفصحُ منْ إسكندريِّنَا أبِى الفتحِ. والتفتُّ لفتةً فاذَا هوَ واللهِ أبو الفتْحِ فقلتُ: يَا أبَا الفتحِ بلغَ هذهِ الأرضَ كيدُكَ وانتهى إلى هذا الشعبِ صيدُكَ[4]؟ فأنشأَ يقولُ:

أنا جوالةُ البلاَ ... دِ وجوابةُ الأفقْ

أنا خذروفةُ الزما ... نِ وعمَّارةُ الطُّرُقْ

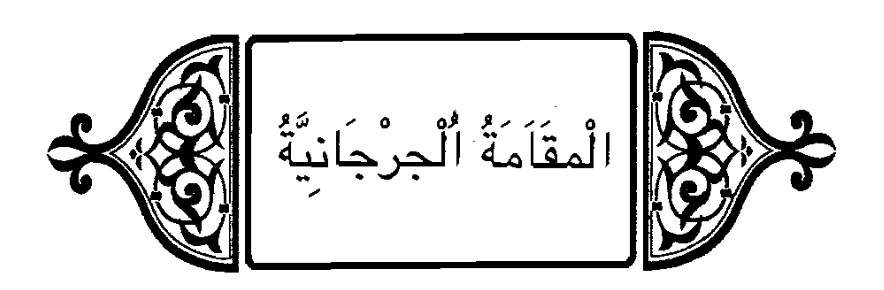
لا تلمْنى لكَ الرَّشا ... دُ على كديتِى وذُقْ[5]

(١) أى تقدرنى على الغربة فاكبح جماحها كأنه جعلها دابة حرونا .

(٢) أعدو : أفارق . (٣) فطرته أنشأته والفطرة الدين أى تجعل تسهيل أمرى على يدى رجل شب على الدين الذى يأمر بالخير وإسداء الجميل .

(٤) أى أنك أنجدت فى البلاد وأتهمت فلم تبق بلدة لم تحط بها رحلك ولم تنصب فيها شباكك . (٥) الجوالة الكثير الطواف والجوابة الذى يقطع فى سيره كثيرا والخذروفة لعبة تتخذها الصبيان تشبه بها الخيل عند شدة عدوها وسرعة جريانها والعمارة الذى يعمر الطرقات فلا تراها تخلو منه والكدية سؤال الناس واستدرار أكفهم يقول له اننى كثير الجولان فلا تعتب على .





الْمقَامَةُ الْجرْجَانِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : بينا نحنُ بجرجانَ. في مجمعٍ لنَا نتحدَّثُ ومافينا إلا منَّا[1]. إذ وقفَ علينْا رجلٌ ليسَ بالطويلِ المتمددِ ولا القصيرِ المتردِّدِ.[2] كثُّ العثنونِ[3] يتلوهُ صغارٌ فِي أطمارٍ[4] فافتتحَ الكلامَ بالسلامِ. وتحيةِ الإسلامِ فوَّلانا جميلاً. واوليناهُ جزيلاً [5]. فقالَ : ياقومُ إنِّى امرؤٌ منْ أهلِ الإسكندريَّةِ منَ الثغورِ الامويَّةِ[6] تمتنْى سليمٌ ورحبتْ بِى عبْسٌ[7]. جبتُ

(١) أى ليس بيننا من ننكره .

(٢) المتردد البالغ نهاية القصر.

(٣) أى كثير شعر اللحية .

(٤) جمع طمر وهو الثوب البالى .

(٥) أى أنه جاملنا بالتحية فأجبناه بأحسن منها.

(٦) الاموية المنسوبة إلى بنى أمية أى أنه يعنى اسكندرية الاندلس لا اسكندرية مصر .

(٧) سليم وعبس قبيلتان من قبائل العرب ابنتا عم ونمته رفعته ومجدته أى أنه ينتسب اليها .

الآفاق. وتقصيْتُ العراقَ[١]. وجلتُ البدوَ والحضرَ وداري ربيعةَ ومضَرَ ما هنتُ . حيثُ كنتُ[٢]. فلا يزرينَّ بِي عندكُمْ ما ترونَهُ منْ سملَى وأطماري[٣] فلقَدْ كنَّا واللهِ منْ أهلِ ثمٍ ورمٍ[٤] نرغى لدىَ الصباحِ ونُثْغى عندَ الرَّواحِ[٥] .

وفينا مقاماتٌ حسانٌ وجوهُهُم　　وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفعْلُ[٦]

علىَ مكثريهمِ رزقُ من يعتريهمُ　　وعنْدَ المقلينَ السماحَةُ والبذْلُ

ثمَّ إنَّ الدهرَ ياقومُ قلبَ لِي منْ بينهمْ ظهرَ المجَنِّ[٧]. فاعتضتُ

(١) أي بلغت أقصاه وأبعد مسافة فيه . (٢) أي انني لم أخلع ثوب العز ولم يكتنفني الذل ولا الهوان في أي مكان نزلت به . (٣) يزرين أي يحطن من قدري والسمل والاطمار الثياب البالية . (٤) ثم ورم معناهما الاصلاح أي أننا كنا جماعة نصلح شؤون غيرنا ونداوي علاتهم ونجبر كسرهم . (٥) أرغى : أعطى الراغبة وهي الابل، وأثغى : أعطى الثاغية وهي الغنم والمراد أنهم كانوا يجودون في جميع أوقاتهم بمختلف أنواع المال . (٦) البيتان لزهير بن أبي سلمى ومعناهما أن لنا أمكنة يطرقها العافون فنمنحهم ونجتمع فيها لتدبير شؤوننا وأن حقا على كل فرد منا أن يجود فأما المياسير فلكل شارد ووارد وأما المحاويج فلم يقصر بهم الكرم طبعا وأول القصيدة .

صحا القلب عن سلمى وقد كان لايسلو　　وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(٧) أي أن الدهر أنكرني وعاداني ولم يترك لي سبدا ولا لبدا فأما قومي فهم بحيث وصفت لم ينزل بهم مثل ما نزل بي ولم يدهمهم الذي دهمني .

بالنومِ السهرَ. وبالإقامةِ السَّفرَ . تترامى بِى المرامى. وتتهادَى بِى الموامى[١]. وقلعتْني حوادثُ الزمَنِ قلْعَ الصمغَةِ[٢]. فاصبحُ وأمْسِي أنقَى منَ الراحةِ وأعرىَ منْ صفحةِ الوليدِ[٣]. وأصبحتُ فارغَ الفناءِ . صفرَ الإناءِ. مالي إلاَّ كآبَةُ الأسفارِ. ومعاقرَةُ السفارِ[٤]. أُعانِي الفقرَ. واماني القفرَ. فراشي المدرُ[٥]. ووسادِى الحجَرُ .

بآمدَ مرَّةً وبرأسِ عينٍ	وأحياناً بميًّا فارقينَا
ليلةً بالشامِ ثمتَ بالأهوازِ	رحلِي وليْلَةً بالعراقِ[٦]

(١) الموامى جمع موماة وهى الصحراء والمعنى أن كل صحراء تسلمنى الى أختها فكانها تهديها بى .

(٢) إذا اقتلعت الصمغة من شجرتها لم يبق لها أثر وهو يريد أنه لم يبق عليه من بهجة الثراء وروائه مسحة .

(٣) أى فقيرا جدا ليس عندى من المال الا مثل ما فى وجه الوليد أو باطن الكف من الشعر وهو ليس بموجود .

(٤) السفار : جلدة توضع عند انف البعير ليقاد منه أى أنه مصاحب لها دائما فهى كناية عن استمرار أسفاره .(٥) المدر صغار الحصى .

(٦) مثل هذين البيتين فى المعنى قول الشاعر :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبا	لعذيب يوما ويوما بالخليصاء

وكل هذه أسماء مواضع بعينها .

فـمَـا زالتِ النوَى تطرحُ بِى كلَّ مطرحٍ . حـتَّـى وطئت بلادَ الحـجـرِ وأحلتنى بلدَ همـذانَ. فـقـبلنـى أحـيـاؤُهَا . وأشـرأبَّ الىَ أحباؤُهَا[١]. ولكنى ملتُ لإعظمهِمْ جفنةً. وأزهدهِمْ جفوةً[٢] .

لهُ نارُ تشبُّ علىَ يفاعٍ إذَا النيرَانُ ألبستِ القناعَا

فوَّطَا لى مضجعاً. ومهدَ لِى مهجعاً[٣]. فإنْ ونىَ لىَ ونيةً هبَّ لىَ ابنُ كأنَّهُ سيفُ يمانٍ[٤]. أو هلالٌ بدا فِى غيرِ قتمانٍ . وأولانىِ نعمًا ضاقَ عنهَا قدرِى. واتسعَ بهَا صدرِى . أوَّلُهَا فرشُ الدَّارِ. وآخـرُهَا ألفُ دينارٍ. فـمَـا طيـرتنـىِ إلا النعمُ . حـيثُ توالتْ[٥]. والدِّيمُ لَّمَا أنثالتْ. فطلعتُ منْ همذانَ طلوعَ الشاردِ. ونفرتُ نفارَ

---

(١) أحياؤها أهلوها وأشرأب تطلع وأحباء جمع حبيب .

(٢) أى أكثرهم قرى للضيفان وأبعدهم من الغلظة والجفاء .

(٣) أعد لى محـلا أنام فيـه، واليفـاع : مـا ارتفع من الارض، وتشب : توقـد، والمعنى اذا بخل الناس جميعا فانه لا يبخل لان ناره موقدة دائما ولو خفيت نيرانهم .

(٤) أى إذا فترت همته لحظة أسرع ابن يشبه السيف فى مضائه وسرعة نفاذه.

(٥) أى مـا جعلنـى أتـرك ذلك النعيـم إلا الحيـاء من تتابع الكرامة وترادف النعمة .

الآبدِ . أفرِى المسالكَ. وأقتفرُ المهالِكَ. وأعانِى الممالكَ[1]. علىَ أنىِ خلفتُ أمَّ مثواىَ وزغلولاً لِى[2] .

كأنَّهُ دملجٌ منْ فضةٍ نبهٌ   فى ملعبٍ منْ عذارى الحىِّ مفصُومُ[3]

وقدْ هبَّتْ بِى إليكُمْ ريح الاحتياجِ. ونسيمُ الإلفاَجِ[4]. فانظُرُوا رحمكُمُ اللهُ لنقضٍ منَ الأنقاضِ مهزولٍ[5]. هدتهُ الحاجةُ وكدَّتهُ الفاقَةُ :

---

(١) الشارد : النافر وأفرى : أقطع والمسالك الطرق واقتفر : افتفى اى اتبعها كانها دليلى ومعاناة الممالك استصعاب ما يجده من الشقة فى التجوال بها .

(٢) المثوى : الاقامة وكنى بام مثواه عن زوجه لانها هى التى من شأنها ان تحمل الرجل على البقاء بداره واراد بزغلوله ولده .

(٣) الدملج : حلية تلبسها المرأة فى معصمها، والنبه: النفيس، ومفصوم : مكسور من غير انفصال والمعنى أن هذا الطفل الذى تركته يشبه فى جماله وحسنه الدملج النفيس المتخذ من الفضة ولكنه لتغيبى عنه وعدم قيامى عليه منصدع القلب مكسور الفؤاد .

(٤) الألفاج : الاحتياج إلى غير الاهل .

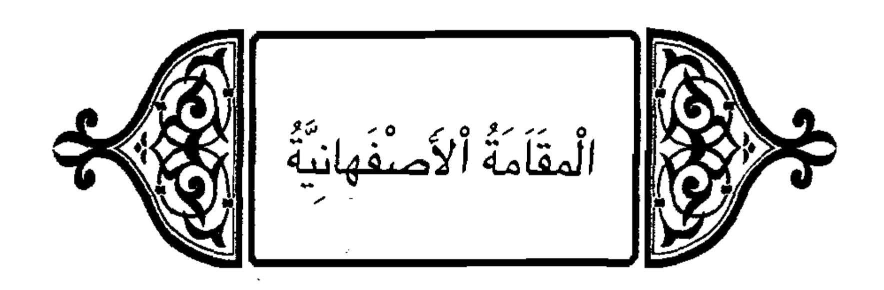
(٥) أى انهكه التعب وهذه الجولان ومعنى هدته الحاجه دلته على الذين يدفعون عنه شرتها وكيدها وأراد بقوله كدته الفاقة ان الفقر أتعبه والإملاق أنصب بدنه ويروى : هدته (بالتضعيف) : أى أضعفته .

أخاسفَرٍ جوابَ أرضٍ تقاذفتْ   بِهِ فلواتٌ فهوَ أشعثُ أغبَرُ

جعلَ اللهُ للخيرِ عليكُمْ دليلاً. ولا جعلَ للشرِ إليكُمْ سبيلاً. قالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ: فرقَّتْ واللهِ لهُ القلوبُ. واغرورقَتْ للطفِ كلامِهِ العيُونُ[1]. ونلناهُ ما تاحَ فِي ذلكَ الوقتِ[2]. وأعرضَ عنَّا حامداً لنَا . فتبعتُهُ فإِذَا هوَ واللهِ شيخُنا أبُو الفتْح الإِسكندرِيُّ .

(١) أى أن القلوب عطفت عليه والعيون بكت حزنا له .

(٢) أعطيناه ماتهيأ لنا حين كان .



حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كنتُ باصفَهانَ[1] أعتزمُ المَسيرَ إلىَ الريِّ[2]. فحللتهُا حلولَ الفيِّ[3]. أتوقعُ القافلةَ كلَّ لمحةٍ. وأترقبُ الراحلَةَ كلَّ صبحةٍ[4]. فلمَّا حمَّ مَا توقعتُهُ. نودِيَ للصلاَةِ نداءُ سمعتُهُ[5]. وتعينَ فرضُ الإجابةِ. فانسللتُ منْ بينِ الصحابةِ.

---

(١) اصفهان إحدى مدن ايران العظيمة ظلت قاعدة ملكها قبل طهران أمداً طويلا ويقال فيها اصبهان أيضاً .

(٢) اعتزم: أنوى، والرى مدينة من مدن ايران أيضاً .

(٣) الفى : هو الفيء، وهو الظل ، ولما كان سريع التنقل لا يثبت متى تحولت الشمس شبه نفسه به .

(٤) القافلة : الجماعة تتآلف فى السفر وتتعاون على شفته بالصحبة، والراحلة بهذا المعنى عينه، واللمحة: اللحظة، والصبحة وقت الصبح، وأراد عموم الاوقات.

(٥) حم (بالبناء للمجهول): قضى، والمعنى أننى لم أزل أنتظر جماعة الظاعنين لأسير معهم حتى اذا تهيألى السفر سمعت النداء للصلاة .

اغتنمُ الجماعةَ أُدركها وأخشَى فوتَ القافلةِ أتركُهَا لكنِّى استعنتُ ببركاتِ الصلاةِ. على وعثاءِ الفلاةِ[١]. فصرتُ إلى أولِ الصفُوفِ. ومثلتُ للوقُوفِ. وتقدَّمَ الإمامُ إلى المحرابِ. فقرأ فاتحةَ الكتابِ . بقراءَةِ حمزةَ. مدةً وهمزةً[٢]. وبى الغمُّ المقيمُ المقعدُ فى فوتِ القافلةِ والبعدِ عنِ الراحلةِ واتبعَ الفاتحةَ الواقعةَ وانَا أتصلَّى نارَ الصبرِ وأتصلَّبُ[٣]. وأتقلَّى على جمرِ الغيظِ وأتقلَّبُ[٤]. وليسَ إلا السُّكوتُ والصبرُ. أو الكلامُ والقبرُ لما عرفتُ منْ خشونةِ القومِ فِى ذلكَ المقامِ. أن لو قطعَتِ الصلاةُ دونَ السلامِ. فوقفتُ بقدمِ الضرورةِ ، على تلكَ الصُّورةَ. إلى إنتهاءِ السُّورةِ[٥]. وقد قنطتُ منَ القافلةِ وأيستُ منْ الرَّحلِ والراحلةِ .

---

(١) وعثاء : مشقة، والفلاة : الصحراء . (٢) حمزة : أحد القراء وأراد أنه كاد يطيل فى القراءة ويمد بها صوته فيأخذ وقتا طويلا . (٣) صلى اللحم يصليه صليا وأصلاه وصلاه (بالتضعيف) : شواه، وتصلب : تقوى وتشدد.

(٤) قلى اللحم : أنضجه فى المقلى . والمعنى كان شديد التأذى من تطويل الامام الذى يفوت عليه مصاحبة القافلة . (٥) أى أننى علمت أنه ليس لى الا أحد الخلتين فإما أن أصبر فتفوتنى الرفقة وأما أن أتعجل بالخروج من الصلاة لدركهم فينقض القوم على متحرجين خروجي فالتزمت السكوت على مضض .

ثم حنىَ قـوسـهُ للركـوع. بنوعٍ منَ الخـشـوعِ. وضـربٍ منَ الخضوعِ. لمْ أعهدهُ منْ قبلُ[1]. ثم رفعَ رأسهُ ويدهُ. وقالَ : سمعَ اللهُ لمنْ حمدهُ. وقام حتَّى ماشككتُ أنَّه قدْ نامَ[2]. ثمَّ ضربَ بيمينِهِ. وأكبَّ لجبينِهِ. ثُمَّ انكبَّ لوجهِهِ[3] ورفعتُ رأسي أنتهزُ فرصةً فلَم أر بينَ الصفوفِ فرجةً[4]. فعدتُ إلى السُّجودِ. حتى كبَّر للقعودِ وقامَ إلى الركعةٍ الثانيةِ. فقرأَ الفاتحةَ والقارعةَ. قراءَةً استوفَى بهِا عمرَ الساعةِ. واستنزفَ أرواحَ الجماعةِ[5]. فلمَا فرغَ منْ ركعتيهِ وأقبلَ على التشهدِ بلحييْهِ. ومالَ إلى التحيَّةِ بأخدعيه. وقلتُ: قدْ سهلَ اللهُ المخرجَ . وقربَ الفرجَ. قامَ رجلُ وقالَ : منْ

(١) حنى : عطف وثنى ، وأراد بالقوس ظهره .

(٢) أى أنه أطال فى قيامه حتى اعتقدت أن النوم قد اخذه .

(٣) ضرب بيمينه : أهوى بها إلى الارض ليعتمد عليها فى سجوده، وأكب لجبينه : سقط فى السجود مائلا الى أحد شقيه وقوله : انكب لوجهه معناه اعتدل فى سجوده ووجه نحو الارض وجهه لان الجملة الاولى تعطى أنه كان منحرفا . (٤) أى أنه لما ضاق صدره وعيت به الحيلة أراد أن ينتهز فرصة سجود القوم ليهرب فنظر حواليه وخلفه فلم يجد طريقا للخلاص .

(٥) يريد أن إطالة الامام فى صلاته جاوزت الحد وبلغت أقصى درجاتها حتى أنه لتعتبر مسافة صلاته بالامد الذى بيننا وبين قيام الساعة .

كانَ منكمْ يحبُّ الصحابةَ والجماعةَ . فليُعرنى سمعهُ ساعةً. قَالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ : فلزمتُ أرضِي . صيانةً لعرضِي[1]. فقالَ حقيقٌ علىَّ أنْ لا أقولَ غيرَ الحقِّ ولا أشهَدَ إلاَّ بالصِّدقِ. قدْ جئتكُمْ ببشارةٍ منْ نبيِكُمْ لكنِّي لا أوديِّهَا حتَّى يطَهِّرَ اللهُ هذا المسجدَ منْ كلِّ ندلٍ يجحدُ نبُوعَتهُ[2]. قَالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ: فربطنَى بالقيُودِ. وشدَّنِي بالحبالِ السُّودِ[3]. ثمَّ قالَ: رأيتهُ ﷺ فى المنامِ. كالشمسِ تحتَ الغُمامِ. والبدرِ ليلَ التَّمامِ[4]. يسيرُ والنُّجُومُ تتبعهُ[5]. ويسحبُ الذيلَ والملائكةُ ترفعهُ. ثُمَّ علمنىِ دعاءً أوصانىِ أنْ أعلمَ ذلكَ أمَّتهُ. فكتبتُهُ علىَ هذهِ الأوراقِ بخلوقٍ

(١) ولو أنه خرج بعد تلك المقالة لمزقوا عرضه وانتهكوا ستره .

(٢) حقيق على كخليق بى معناهما حتم على وواجب ألا يكون كذا مثلا .

(٣) الحبال السود : السلاسل المتخذة من الحديد وأى امرئ يستطيع أن يغادر مكانه فى مثل هذا الظرف فيسجل على نفسه النذلة ولؤم الطبع وخسة النفس ويرضى بنكران النبوةِ وحجد الرسالة .

(٤) اذا كانت الشمس محتجبة بالغمام كان نورها ساطعا ولم يفرق البصر فلعل هذا وجه التقييد فى تشبيه النبى عليه السلام بها .

(٥) لعله أراد بالنجوم جماعة أصحابه ﷺ .

ومسكٍ. وزعفرنٍ وسكٍ[1]. فمن استوهبهُ منِّي وهبتهُ[2]. ومنْ ردَّ عليَّ ثمنَ القرطاسِ أخذتُهُ. قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ : فلقَدِ انثالتْ عليهِ الدراهمُ حتَّى حيرتهُ[3] وخرجَ فتبعتهُ متعجباً منْ حذقهِ بزرقهِ وتمحُّلِ رزقهِ. وهممتُ بمسألتهِ عنْ حالهِ فأمسكتُ. وبمُكالمتهِ فسكتُّ[4]. وتأملتُ فصاحتهُ في وقاحتهِ[5] وملاحتهُ في استماحتهِ[6]. وربطهُ الناسَ بحيلتهِ[7]. وأخذهُ المالَ بوسيلتهِ.

---

(١) الخلوق والخلاق بوزنى صبور وكتاب نوع من الطيب صناعى والسك بالضم ضرب من الطيب كذلك . (٢) أى من طلب منى أن أهبه له فعلت .

(٣) أى أن الناس طفقوا يلقون إليه بها من كل جهة حتي احتار فى أمره ولم يدر أين يتجه ليأخذها . (٤) أى أنه أراد أن يسأله عن أمره ويطلب منه كشف القناع عن حقيقة حاله ولكنه رأى خيرا به ألا يفعل .

(٥) الوقاحة : سوء الأدب وقلة الحياء وأراد أنه خرج كثيرا عن حدود الآداب فى كلامه ولم يراع الحياء فى مقاله فلرب معذور كعيسى ألزمه ترك شؤونه ورب عجلان مثله قيده عن السعى إلى صالحه .

(٦) استماح: طلب العطاء وأصله مأخوذ من ماح يميح إذا ملأ دلوه من البئر قال الراجز

أيها المائح دلوى دونكا ... أنى رأيت الناس يحمدونكا

(٧) لم نجد أغرب من حيلة أبى الفتح هذه وكيف لا وهى التى فوتت علي عيسى طلبته وأخرته عن قضاء لبانته؟

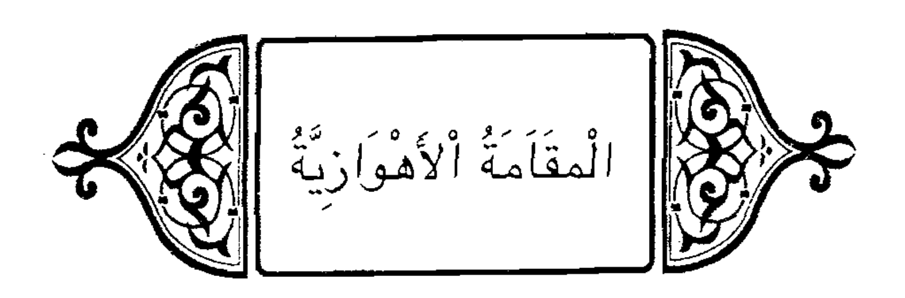
ونظرتُ فإِذَا هوَ أبُو الفتحِ الإسكندرىُّ. فقلتُ: كيفَ اهتديتَ إلى هذهِ الحيلةِ؟ فتبسَّمَ وأنشأَ يقولَ :

الناسُ حمرٌ فجوِّزْ ... وابرُزْ عليهمْ وبرِّزْ[1]

حتَّى إذَا نلتَ منهُمْ ... مَا تشتهيهِ ففروِزْ[2]

(١) حمر جمع حمار وهو معروف وجوز معناه قد، وبرز فلان فلانا (مضعفا) تفوق عليه، وبرز بالتخفيف : ظهر والمعنى أن هؤلاء الذين تراهم يشبهون الحمر فى الجهالة والحمق فقدهم حيث تشاء وسر بهم أنى أردت واظهر عليهم وانبه بينهم .

(٢) فروز معنا: مات أى لا تقصر فى رفعة شأنك وظهورك على الناس حتى تنال أمانيك وتبلغ آمالك فإذا انتهت أغراضك ففارقهم ولو بالموت .



الْمَقَامَةُ الْأَهْوَازِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : كنتُ بالأهوازِ(١) في رفقَةٍ متَى ما ترقَّ العينُ فيهِمْ تسهَّلِ(٢). ليسَ فينا إلاَّ أمردُ بكرُ الآمالِ. أو مختطٌّ حسنُ الإقبالِ. مرجُوُّ الأيامِ واللَّيالِ(٣). فأفضنْا في العشرةِ كيفَ نضع قواعدَها. والأُخوَّةِ كيفَ نُحكِم معاقدَهَا. والسُّرورِ فِي أيِّ وقتٍ نتقاضَاهُ. والشُّربِ فِي أيِ وقتٍ نتعاطاهُ.

---

(١) الأهواز بلد بين البصرة وفارس تشمل تسع كور لكل كورة منها اسم يخصها وهى تجمعهن وهن : رامهرمز، وعسكر مكرم، وتستر، وجند يسابور، وسوس، وسرق، ونهر تيرى . وأيذج، ومناذر

(٢) تقدم شرح هذه الفقرة وهى شطر بيت لامرئ القيس أوله:

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه   متى ما ترق العين فيه تسهل

ويروى بدل: تسهل، تسفل وهذه الرواية تساعدنا على المعنى الذى أردناه هناك

(٣) يريد أن أفراد هذه الجماعة كلهم كانوا من الأحداث صغار السن فأما أمرد لم ينبت عذاره وأما فتى خط شاربه ولكنه لا يزال غضا فتى القوة مفتول الساعد، نافعا فى الكروب، مأمولا عند الشدائد .

والأُنْسِ كيفَ نتهاداهُ. وفائتِ الحظِّ كيفَ نتلافاهُ. والشَّرابِ منْ أينَ نحصِّلُهُ. والمجلسِ كيفَ نزيِّنهُ[١] .

فقالَ أحدُنا : عليَّ البيتُ والنزْلُ[٢]. وقالَ آخرُ : عليَّ الشَّرابُ والنقلُ[٣]. ولمَّا أجمعنْا علىَ المسيرِ استقبْلَنَا رجُلٌ فيِ طمرَينِ فيِ يمناهُ عكازةٌ . وعلىَ كتفهِ جنازةٌ[٤]. فتطَيَّرْنا لمَّا رأيْنا الجنازةَ وأعرضْنا عنْها صفحاً. وطوينْا دُونهَا كشحْاً[٥]. فصاحَ بِنا صيحَةً كادتْ لهَا الأرضُ تنفَطِرُ. والنُّجومُ تنكدِرُ[٦]. وقالَ : لترُنَّها

(١) أي أنهم أرادوا أن ينظموا أوقات سمرهم ويعينوا ساعات لخموهم ويضعوا نموذج الصداقة والمؤاخاة بحيث تكون أعمالهم جارية على مقتضاه

(٢) النزال بوزن قفل وبضمتين: المنزل أو المكان المتهيئ للضيافة .

(٣) النقل بفتح أوله وقد يضم وقيل الضم فيه خطأ: ما يتخذه جماعة الشاربين لينتقلوا من الشراب إليه وبالعكس .

(٤) طمرين: ثوبين خلقين، والعكازة: العصا الغليظة يكون فى آخرها زج، والجنازة - بكسر أوله - النعش والميت معا، وبالفتح : السرير وبهما الميت وحده، والنعش: الخشبة ولا يقال له سرير حتى يكون فيه الميت .

(٥) تطيرنا: تشاءمنا، وطوينا دونها كشحا: أى انحرفنا عنه، ولم تمل نفوسنا إليه، ونفرنا منه .

(٦) فطره يفطره ويفطره من باب ضرب ونصر شقه، وانفطر: انشق وانكدرت النجوم : تناثرت، والمراد شدة الصيحة وقوة فعلها فيهم .

صغراً ولتركبُنَّها كرهاً وقسراً[1]. مالكَمْ تطَيَّرونَ منْ مطيَّةٍ ركِبَهَا أسلافُكُمْ وسَيَرْكبُها أخلافُكُمْ[2]. وتتقذَّرونَ سريراً وطئهُ آباؤُكُمْ وسيطؤُهُ أبناؤُكمْ. أمَا واللهِ لتحملُنَّ علىَ هذهِ العيدانِ. إلى تلكُمُ الديدان ولتنقلن بهذه الجياد إلى تلكُمُ الوهاد[3]. ويحكمْ تطَيَّرونَ كأنَّكُمْ مخيَّرونَ. وتتكرَّهونَ. كأنَّكُمْ مُنزَّهونَ هلْ تنفعُ هذهِ الطِّيرةُ. يا فجرَةُ. قَالَ عيسَى بْنُ هشَامٍ : فلقدْ نقَضَ ما كُنَّا عقدْناهُ. وأبطَلَ ما كُنَّا أردْناهُ[4]. فملْنا إليْهِ وقُلْنا لهُ: ما أحوَجنَا إلى وعظِكَ. وأعشَقَنا للفظِكَ. ولوْشئتَ لزدْتَ. قالَ إنَّ وراءَكُم مواردَ أنتُم واردُوهَا وقدْ سرتُمْ إليهْا عشرينَ حجَّةً :

---

(١) الصغر بضم أوله مصدر صغر ككرم ومثله الصغر كعنب والصغار والصغارة بفتحتهما والصغران بالضم والمعنى: الذلة والهوان، والقهر والقسر بمعنى . (٢) تطيرون أى تتشاءمون والأسلاف الآباء ومن فى حكمهم والأخلاف الأبناء ومن شابههم . (٣) تتقذرون: تجدونه قذرا وتشمئزون منه، وطئه ركبه وجلس عليه، والعيدان والأعواد: النعش. قال بعض الشعراء :

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

والوهاد جمع وهدة وهى ما اطمأن من الأرض وانخفض وأراد بها المقابر لانخفاضها عادة .

(٤) أى أنه حل بعظته وزجره الذى كنا اتفقنا عليه من حضور مجالس اللهو.

وإنْ امرأً قدْ سارَ عشرينَ حجَّةً إلى منهلٍ منْ وردِهِ لقريبُ[1]

ومن فـوقِكُمْ منْ يعلمُ أسـرارَكُمْ. ولوْ شـاءَ لهتكَ أسْـتـارَكُمْ. يعـاملُكُمْ فِى الدُّنيـا بحلمٍ. ويقـضِى عليْكُمْ فىِ الآخـرةِ بعلْمٍ[2]. فليكنِ الموْتُ منكُمْ علىَ ذِكْـرٍ. لئَـلاَّ تـأْتُوا بنُكرٍ. فـإنَّكُمْ إذَا استشعرْتُمُوهُ لمْ تجمحُوا. ومَتى ذكرْتموهُ لمْ تمرَحُوا[3]. وإنْ نسيتموهُ. فهوَ ذَاكرُكُمْ وإنْ نمتُمْ عنهُ فهوَ ثائرُكُمْ. وإنْ كرهتُمُوهُ فهُوَ زائرُكُمْ. قُلنَا : فمَا حاجتُكُ قالَ : أطوَلُ منْ أنْ تحدَّ وأكثرُ

---

(١) موارد جمع مورد وهو مكان الورود وأراد بها الموت وما يتبعه، وأنكم سائرون فى طريقكم إليها لأن الدنيا مجاز الآخرة وقطعتم فى سيركم عشرين سنة هى مقدار أعماركم .

(٢) أى أن الله لا يخفى عليه شىء مما تكتمونه الناس وهو لو شاء لفضح امركم وأفشى سركم وأذاع حديثكم فعرفه الصادر والوارد ولكنه يحلم عليكم فى الدنيا مع علمه بما تفعلون وسيحاسبكم فى الآخرة بمقتضى هذا العلم .

(٣) جمح : نفر ، ومرح : اشتد فرحه ، والمعنى أنكم إذا جعلتم الموت نصب أعينكم ولم تغفلوا عنه لم تنفروا من الطاعة ولم تفرحوا بلذة عاجلة تتبعها عقوبة باقية دائمة لأن من يتذكر الموت لا ينسى ما بعده من أهوال القيامة وشدائدها .

مِنْ أنْ تعدَّ . قُلنَا : فسانِحُ الوقْتِ[1] قالَ : ردُّ فائتِ العمرِ. ودفعُ نازلِ الامْرِ[2] قلنَا. ليسَ ذلكَ إلينَا ولكنْ مَاشئْتَ منْ متاعِ الدُّنيَا وزخرُفِهَا[3]. قالَ : لا حاجةَ لِي وإنما حاجتِي بعدَ هذا أنْ تخدُوا أكثرَ منْ أنْ تعُوا[4] .

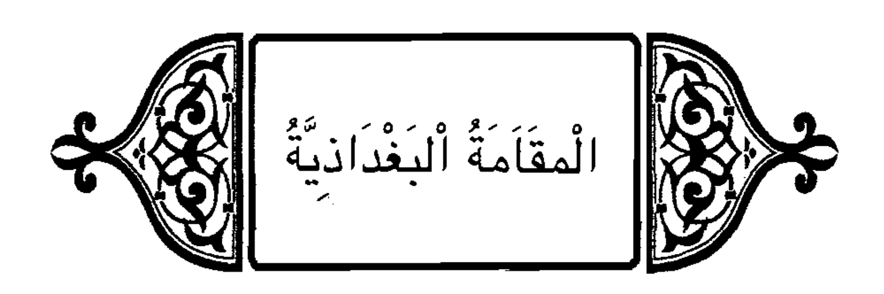
---

(١) أى اذكر لنا ما يسمح لك به الوقت ولا تحرمنا لذة الانصات لك .

(٢) يتمنى عليهم أن يعيدوا اليه مافات من عمره وأن يدفعوا عنه الامر الذى ينزل به .

(٣) أجابوه بأنه ليس فى استطاعتهم أن ينيلوه رغبته أو يحققوا له أمنيته ولكنهم على أهبة أن يعطوه من المادة ما شاء .

(٤) وخد يخد وخدا : أسرع فى مشيه، ووعى يعى : فطن وحفظ والمراد انه يطلب منهم أن يجدوا السير فى العمل لانه خير لهم من حفظ ما يقوله .



الْمقَامَةُ الْبَغْدَاذيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : اشتهيتُ الأَزاذَ[١] . وأنا ببغداذَ وليسَ معِي عقد على نقدٍ[٢]. فخرجتُ أنتهزُ محالهُ حتَّى أحلّنى الكرخُ[٣]. فإذَا أنا بسوادِىٍّ يسوقُ بالجهدِ حمارهُ[٤]. ويطرِّفُ بالعقدِ إزارَهُ. فقلتُ : ظفرنْا وَاللهِ بصيدٍ. وحيَّاكَ اللهُ أبا زيدٍ منْ أينَ أقبلتَ؟ وأينَ نزلتَ؟ ومتَى وافيتَ؟ وهلُمَّ إلى البيتِ[٥]. فقالَ

(١) تقدم فى المقامة الازاذيه أن الازاذ نوع من التمر الجيد .

(٢) أى الحال أنى معدم لامال عندى .

(٣) المحال : جمع محله والمراد بها الأماكن التى يوجد بها الازاذ وأنتهز المراد منه أتلمس وأقصد ولكنه جعلها كالغنيمة التى يسارع لانتهازها اللبق والكرخ محل ببغداد والضمير فى أحلنى راجع إلى الازاذ من اسناد الفعل للسبب .

(٤) السواد ريف العراق وقراه والنسبة اليه سوادى والمراد رجل من أهله .

(٥) أراد بالصيد ذلك الرجل ثم أقبل عليه يحادثه ويكالمه ويتدخل معه لينال منه ما أراد .

السَّـوادىُ : لستُ بأَبى زيدٍ. ولكنِّى أبُو عبيدٍ. فقلتُ: نعمْ لعنَ اللهُ الشيطانَ. وأبعدَ النسيانَ. أنسانيكَ طولُ العهدِ. واتِّصالُ البُعدِ[1]. فكيفَ حالُ أبيكَ أشابٌّ كعهدِى. أمْ شابَ بعدِى؟ فقالَ : قدْ نبتَ الرَّبيعُ على دمنتِهِ[2]. وأرجُو أنْ يُصيِّرَهُ اللهُ إلى جنتِهِ. فقلْتُ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُونَ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العلْىِّ العظيمِ. ومددتُ يدَ البدارِ. إلى الصِّدارِ. أُريدُ تمزيقهُ[3]. فقبضَ السَّوادِىُ علىَ خصرِى بجمعِهِ[4]. وقالَ: نشدتكَ اللهَ لا مزقتهُ. فقلتُ : هلُمَّ إلى البيتِ نُصِبْ غداءً. أوْ إلىَ السُّوقِ نشترِ شواءً. والسُّوقُ أقربُ. وطعامُهُ أطيَبُ. فاستفزَّتهُ حمةُ القرَمِ. وعطفتهُ

---

(١) أخذ يدخل بحيلته فى روع السوادى أنه أليف قديم وصاحب من عهد بعيد فلما أخطأ تكنيته وخشى ألا تجوز حيلته عمد الى انتحال المعاذير بطول أمد الفراق وبعد عهد التلاق .

(٢) المراد بالدمنة القبر وكنى بذلك عن موته .

(٣) البدار المبادرة والمسارعة، والصدار ثوب يلبس مما يلى الجسد والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر الى ثوبه ليمزقه اظهارا للجزع وتأكيدا للحيلة بأنه صديق أبيه .

(٤) جمع اليد بالضم قبضتها والمعنى أنه قبض بكل يده عليه ليمنعه من تمزيق صداره .

عاطفةُ اللَّقَمِ[1]. وطمعَ. ولمْ يعلمْ أنَّهُ وقعً . ثُمَّ أتينا شوَّاءً يتقاطرُ شِواؤُهُ عرقاً. وتتسايل جُوذَاباتُهُ مرقاً[2]. فقلتُ: افرزْ لأبى زيدٍ منْ هذا الشِّواءِ. ثُمَّ زنْ لهُ منْ تلكَ الحلواءِ. واختر لَهُ منْ تلكَ الأطباقِ. وانضدْ عليَهْا أورَاقَ الرُّقاقِ. ورُشَّ عليهِ شيئاً منْ ماءِ السُّمَّاقِ[3]. ليأَكُلهُ أَبُوزيدٍ هنيًّا. فانحَىَ الشَّوَّاءُ بساطُورهِ[4]. علىَ زُبدةِ تنورهِ . فجعَلَهَا كالكحلِ سحقا. وكالطِّحنِ دقًّا. ثُمَّ جلسَ وَجَلَسْتُ. ولاَ يئسَ ولا يئسْتُ. حتَّى استْوفينْا وقلْتُ لصاحبِ الحلوَى زن لابِى زيدٍ منَ اللُّوزينج رطلينِ فهوَ أجرَى فىِ الحُلُوقِ. وأمضىِ فِى العُرُوقِ. وليكُنْ ليلىَّ العُمرِ. يومِىَّ النَّشْرِ[5]. رقيقَ

(١) استفزته : اسهتوته وحركته بشدة، والحمة فى الأصل ابرة العقرب التى تلسع بها ثم حملت على الشدة مطلقا، والقرم : الشهوة البالغة لاكل اللحم واللقم السرعة فى الاكل والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه اليه أسرعا به الى موافقتى . (٢) الجوذابة رغيف يخبز وفوقه طائر أو قطعة لحم .

(٣) السماق حب صغير أحمر حامض .

(٤) الساطور سكين عظيمه وبهذا الاسم تعرف عند العامة من أهل مصر .

(٥) اللوزينج نوع من الحلوى يتخذ من الخبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالنقل وكونه ليلى العمر أى مما صنع ليلا نهارى النشر أى وظهر نهارا ليكون قد شرب دهنه وعسله .

القشْرِ. كثيفِ الحشْو لُؤْلؤِىَّ الدُّهنِ. كوكَبىَّ اللَّونِ. يذُوبُ كالصمَّغِ. قبلَ المضغِ. ليأكُلَهُ أبُو زيدٍ هنيًّا. قالَ : فوزنَهُ ثُمَّ قعدَ وقعدتُ. وجرَّد وجرَّدتُ[1]. حتَّى استوفيناهُ. ثُمَّ قلتُ : يا أبا زيدٍ ما أحوجنَا إلىِ ماءٍ يُشعشعُ بالثَّلجِ ليقمَعَ هذهِ الصَّارَّةَ ويفثأَ هذهِ اللُّقمَ الحارَّةَ[2]. إجلِسْ يَا أبا زيدٍ حتَّى نأُتيَكَ بسقَّاءٍ. يأتيكَ بشربةِ ماءٍ. ثُمَّ خرجتُ وجلستُ بحيثُ أَراهُ ولا يرانىِ أنظرُ ما يصنَعُ . فلَمَّا أبطأْتُ عليهِ قامَ السَّوادىُّ إلىِ حمارهِ فاعتلقَ الشَّوَّاءُ بإزارِهِ[3]. وقالَ: أينَ ثمنُ ما أكلتَ؟ فقالَ أبُو زيدٍ : أكلتُهُ

---

(١) أى شمر عن ساعده ليسرع فى الاكل .

(٢) يشعشع : يخلط ومن ثم قيل للخمر : مشعشعة لانها تشرب مخلوطة بالماء كثيرا قال .

مشعشة كأن الحص فيها   اذا ما الماء خالطها سخينا

ويقمع : يقهر ، والصارة : شدة الحر ، ويفثأ : يكسر ويخفف . والمعنى أننا فى حاجة إلى الماء المخلوط بالثلج ليرد عنا سطوات الحر ويخفف من حدة هذا الاكل فى أجوافنا .

(٣) اعتلق تعلق ومسك أى أن الشواء لم يتركه يخرج بل أمسك به ليستوفى حقه منه .

ضيفا. فلكمَهُ لكمةً. وثنَّى عليهِ بلطمةٍ[1]. ثُمَّ قالَ الشوَّاءُ : هاكَ . ومتَى دعوناكَ[2] زنْ يا أخا القحةِ عشرينَ[3]. فجعلَ السوَّادِيُّ يبكِي ويحلُّ عقدَهُ بأسنانِهِ ويقولُ : كمْ قلتُ لذاكَ القريدِ . أنا أبُو عبيدٍ . وهوَ يقولُ : أنتَ أبُو زيدٍ . فأَنشدتُ :

أعملْ لرزقكَ كُلّ آلهْ ... لا تقعُدنَّ بكُلِّ حالةْ[4]

وانهَضْ بكلِّ عظيمةٍ ... فالمرءُ يعجزُ لا محالهْ[5]

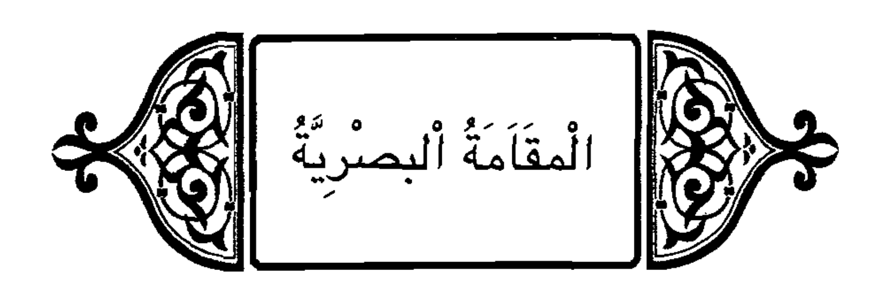
(١) أكلته ضيفا أى كنت مدعوا لتناول هذا الطعام فلا يحل لك أن تطالبنى بثمنه لان الضيف لا يدفع ثمن ما يأكل .

(٢) هاك : اسم فعل بمعنى خذ والمعنى . تناول من الضرب واللكم ما أنت به خليق . (٣) القحة : الوقاحة وسوء الادب ومعنى زن عشرين : أعط وزن عشرين درهما .

(٤) المعنى : لا تكن خائر القوى فتقعد عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك حتى تعمل له ولا يقبل عليك حتى تسير إليه بل أجهد نفسك، وادأب فى السعى إليه، ولا تدخروا سعا فى تحصيله .

(٥) أى أنه لابد أن يأتى على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته فانتهز فرصة شبابك وقوتك، واغتنم من فتوتك وحداثة سنك ما يساعدك على القيام بعظائم الامور، وجلائلها .





الْمقَامَةُ الْبصْرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : دخلتُ البصرةَ وأنا منْ سنىٍّ فى فتاءٍ. ومنَ الزِّىِّ فِى حبَرٍ ووشاءٍ. ومنَ الغنى فىِ بقرٍ وَشاءٍ[1]. فأَتيتُ المربدَ فِى رُفقةٍ تأْخُذُهُمُ العُيُونُ ومشينا غيرَ بعيدٍ إلى بعضِ تلكَ المُنتَزَهاتِ فى تلكَ المتَوَجِّهَاتِ[2]. وملكتنا أرضٌ فحللناها[3] وعمدنا لقداحِ اللَّهوِ فأجلناها[4] مُطَّرِحينَ للحشمةِ إذ لَمْ يكُنْ فينا إلاَّ منَّا[5]. فما كانَ بأسرعَ منِ ارتدادِ الطَّرفِ حتَّى

---

(١) فتاء السن . شبابه قال الشاعر :

اذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

والوشاء بوزان كساء : نوع من اللباس مطرز والمراد أن عليه ثياب أهل النعمة ومنظرهم والشاء : الشياه ، والغنم والبقر هما مال العرب فمن أخذ بنصيب منهما كان موسرا غنيا . (٢) المربد بوزن منبر : موضع بالبصرة، والمتنزه : الحديقة والروضة يختلف الناس إليها ترويحا للنفس وإنعاش للروح وتجديدا للمسرة وهى خطأ فى المقامة . (٣) ملكتنا : أخذ حسنها بألبابنا وأسر رونقها قلوبنا . (٤) عمدنا . قصدنا ، قداح. جمع: قدح وأصلها قداح الميسر، أجلناها حركناها وأدرناها بيننا . (٥) متى كانت الرفقة ليس فيها أجنبى لم يكن للحشمة موضع لان شدة الألفة تسقط الكلفة.

عنَّ لنا سوادٌ تخفضُهُ وهادٌ. وترفعُهُ نجادٌ[1]. وعلمنا أنَّهُ يهُمُّ بِنا فـأتلعنا لَهُ[2] . حَتىَّ أدَّاهُ إلَيْنَا سَيْرُهُ ولقينَا بتَحيَّةِ الإسَلامِ. ورَدَدْنَا عليْهِ مُقْتَضَى السُلامِ . ثُمَّ أجَالَ فينَا طرْفَهُ وقَالَ : يَاقَوْمُ مَا مِنْكُمُ إلاَ منْ يلْحَظُنِي شَزْرًا . ويُوسِعُنِي حزراً . ومَا يُنْبِئُكُمْ عَنِّي . أصدقُ مِنِّي . أنَا رَجُلٌ منْ أَهْلِ الإسكْنْدرَية. من الثُّغُورِ الأمويَّةِ. قد وطأ لي الفضْلُ كَنَفَهُ ورحَّبَ بي عَيْشٌ ونَمانِي بيت . ثُمَّ جَعْجَعَ بِيَ الدَّهْرُ عَنْ ثَمِّهِ ورَمِّهِ. وأتْلانِي زَغَاليلَ حُمْرَ الحوَاصِلِ :

كأَنَّهُمْ حيَّاتُ أَرْضٍ مَحْلَةٍ فَلَوْ يَعَضُّونَ لَذَكَّى سمُّهُمْ

إذَا نَزَلْنَا أَرسَلُونِي كاسِبًا وإنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كُلُّهُمْ

وَنَشَزَتْ عَلَيْنَا البِيضُ وشَمَسَتْ منَّا الصُّفْر. وأكَلَتْنَا السُّودُ وحَطَّمَتْنَا الْحُمْرُ. وأنْتَابنَا أبُو مَالكٍ. فَمَا يَلقَانَا أبُو جَابِرٍ إلاَّ عَنْ عُقْرٍ. وهذِهِ البَصْرَةُ ماؤُهَا هَضُومٌ وفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ. والمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِي شُغُلٍ. وَمنْ نَفْسِهِ فِي كَلّ. فكَيْفَ بِمَنْ .

يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إلىَ زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ العُيُونِ

(١) الوهاد. المطمئن من الارض والنجاد المرتفع منها .

(٢) أتلعنا . مددنا أعناقنا ننظر اليه .

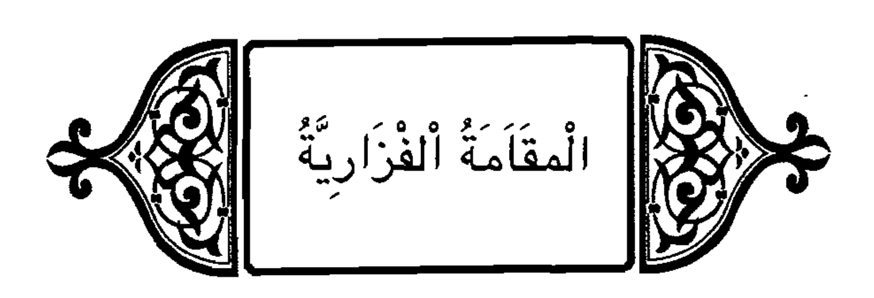
كَساهُنَّ الْبِلى شُعْثًا فَتُمْسِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرةَ الْبطُونِ

ولقَدْ أصْبَحْنَ اليَومَ وَسَرَّحْنَ الطَّرْفَ فِي حَيٍ كَمَيْتٍ. وبيْتٍ كَلا بَيْتٍ. وَقَلَّبْنَ الأَكُفَّ عَلَى ليْتَ. فَفضَضْنَ عُقَدَ الضُّلُوعِ. وأفَضْنَ مَاءَ الدُّمُوعِ وتَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الجُوعِ :

والفَقْرُ فِي زَمَنِ اللّئَا مِ لِكُلّ ذِي كَرمٍ عَلامَهْ

رَغِبَ الكِرَامُ إلىَ اللّئَا مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ القِيَامَهْ

ولقَدْ اخْتَرْتُمْ ياسَادَةٍ. ودَلَتْنِي عَلَيكُمُ السَّعَادَةُ. وَقُلْتُ قَسَمًا. إنَّ فِيهِمْ لدَسَمًا. فَهَلْ منْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ. أو يُغَشّيهِنَّ. وَهَلْ منْ حُرّ يُغَدّيهِنَّ أوْ يُرَدِيهِنَّ. قَالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ : فَوَاللّه مَا اسْتَأذَنَ عَلَىَ حِجَابِ سَمْعِي كَلامٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ وأرْفَعُ وأبْدَعُ. مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ. لاجَرَمَ إنَّا اسْتَمَحْنَا الأوْسَاطَ. ونَفَضْنَا الأَكْمَامَ وَنَحَّيْنَا الجُيُوبَ. وَنُلْتُهُ أنَا مُطْرَفِي. وأخَذَتِ الْجَمَاعَةُ إخْذِي. وَقُلْنَا لهُ : الْحَقْ بِأَطْفَالِكَ. فَأعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شكْرٍ وَفَّاهُ. ونَشْرٍ مَلأ بِهِ فَاهُ.



الْمقَامَةُ الْفزَارِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِى بَعْضِ بِلادِ فَزَارَةَ مُرْتَحِلاً نَجِيبَةً. وَقَائِدًا جَنِيبَةً. يَسْبَحَانِ بِى سَبْحًا. وأَنَا أَهِمُّ بِالوَطَنِ فَلا اللَيْلُ يَثْنِينِي بِوَعِيدِه. ولا البُعْدُ يَلْوِينِي بِبِيدِهِ. فَظَلَلْتُ أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهَارِ بِعَصَا التَّسْيَارِ. وأَخُوضُ بَطْنَ اللَّيلِ بحوافرِ الخيلِ. فبينا أنا فى ليلةٍ يضلُّ فيها الغطاطُ[1]. ولا يبُصرُ فيها الوطواطُ[2]. أسيحُ سيحاً ولا سانحِ إلا السبُعُ. ولا بارَحِ إلا الضُّبعُ[3]. إذ عنَّ لي راكبٌ تامُّ الآلاتِ يومُّ الأثلاتِ. يطوى إلىَّ منشورَ الفلواتِ. فأخذَنِي منهُ ما يأُخذُ الأعزلَ منْ شاكىِ السلاحِ

(١) الغطاط على وزان سحاب القطا وهو يضرب به المثل فى الهداية فإذا كان يضل فلاشك أنه لاينجو من الضلالة أحد قال :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٢) الوطواط : الخفاش طائر معروف يبصر ليلا ولا يرى نهارا . (٣) السائح الذى يمر عن يمينك والبارح الذى يمر عن شمالك والمعنى أنه لم يكن يقع نظره إلا على الوحوش من سبع وضبع مرة عن يمينه ومرة عن يساره .

لكنِّي تجلدتُ فقلتُ : أرضكَ لا أمَّ لكَ فدونَكَ شرطُ الحدادِ. وخرطُ القتادِ. وخصمٌ ضخمٌ. وحميَّةٌ أزديَّةٌ. وأنَا سلِم إنْ شئتَ . وحربٌ إن أردتَ . فقُل لي منْ أنت[1]؟ فقالَ : سلماً أصبتَ . فقلتُ : خيراً أجبتَ فمنْ أنتَ؟ قالَ: نصيحٌ إنْ شاورتَ . فصيحٌ إنْ حاورتَ. ودونَ اسمي لثامٌ. لا تميطُهُ الأعلامُ[2]. قلتُ : فمَا الطُّعمةُ. قالَ : أجوبُ جُيوبَ البلادِ. حتَّى أقعَ علىَ جفنةِ جوادٍ. ولي فؤادٌ يخدمُهُ لسانٌ. وبيانٌ يرقمهُ بنانٌ[3]. وقصارايَ كريمٌ يخفضُ لي جنيبتهُ. وينفضُ إليَّ حقيبتُه[4]. كابنِ حُرةٍ طلعَ عليَّ

(١) المراد به واجهه بكل ماذكر لئلا يظن به الضعف فيحمل عليه ثم تدخل معه في الحديث ليعرف من هو .

(٢) نصيح إن شاورت . أي لايخدعك ولا يغشك بل ينصحك ويفيدك وفصيح إن حاورت . أي : إذا كلمته لم تجد إلا خلابة وذرابة وقوة عارضة، وهذه أوصافي ونعوتي ولكن لا سبيل إلى اسمي ولا طريق لعرفانه لانني لم أتخذ علما أجعله شعاري .

(٣) الطعمة أي المكسب والحرفة التي تطعم منها وأراد بما ذكره أن حرفته التجوال والطواف لعله يجد كريما يدعوه الى جفنته .

(٤) قصاراى . أي أنه منتهى أملي، جنيبته. أحد شقي حمله أو الدابة التي تسير جنب دابته والحقيبة وعاء اللباس ونحوه .

بالأمسِ. طُلوعَ الشمسِ. وغربَ عنِّى بغروُبهِا لكنهُ غابَ ولمْ يغبِ تذكارُهُ. وودَّعَ وشيعتْنىِ آثارُهُ . ولا ينبئُكَ عنهْا[1]. أقربُ منهْا. وأومأَ إلى ما كانَ لبسهُ. فقلتُ : شحَّاذٌ وربِّ الكعبةِ أخاذٌ . لهُ فىِ الصنعَةِ نفاذٌ. بلْ هوَ فيها أستاذٌ[2]. ولابدَّ منْ أنْ ترشحَ لهُ وتسحِّ عليهِ[3]. فقلتُ : يافتىَ قدْ جليتَ عبارَتكَ فأينَ شعرُكَ منْ كلامكَ . فقالَ : وأينَ كلامىِ منْ شعرِى . ثُمَّ استمدَّ غريزتهُ[4]. ورفعَ عقيرَتَهُ[5]. بصوتٍ ملأَ الوادِى وأنشأَ يقولُ :

وأروعَ أهداهُ لىِ اللَّيلَ والفلاَ وخمسٌ تمسُّ الأرضَ لكنْ كلا ولاَ[6]

---

(١) أى لا يخبرك بما أسداه إلى مخبر صادق كنفس الذى نالنى منه وأومأ : أشار . (٢) له فى الصنعة نفاذ : أى أنه قدير ماهر وهو فيها استاذ أى معلم تؤخذ عنه أساليبها وفنونها . (٣) الرشح : خروج الماء نقطة نقطة كالعرق والسح تدفقه من أعلى والمراد لا مناص لك من إعطائه .

(٤) الغريزة : السجية واستمدها طلب منها المعونة لتظهر كفاءته ويتضح مقداره. (٥) صاح . (٦) أروع : شهم، أهداه لى الليل : دلنى عليه السرى، والفلا : الصحراء وخمس تمس الارض : المراد بها الارجل لان أصابعها خمسة ولانها تلامس الأرض ويروى حمش بالحاء المهملة المضمومة والشين جمع احمش : أى سريع والمراد بها قوائم الفرس وقوله كلا ولا كناية عن سرعة السير وتقارب ملامستها الأرض.

عرضتُ على نارِ المكارِمِ عودهُ   فكانَ معمًّا فيِ السِّيادة مخوَلا[1]
وخادعتُهُ عنْ مالهِ فخدعتُهُ   وساهلتُهُ منْ برهِ فتسهَّلاَ[2]
ولَّما تجالينَا واحمدَ منطِقِى   بلانيِ منْ نظمِ القريضِ بما بلاَ[3]
فمَا هزَّ إلا صارِ ما حينَ هزَّنى   ولمْ يلقنِى إلاَّ إلى السبقِ أولاَ[4]
ولمْ أرهُ إلا أغرَّ محجَّلاً   ومَا تحتهُ إلاَّ أغرَّ محجلاَ[5]

فقلتُ لهُ : على رسلكَ يافتَى[6]. ولكَ فيمَا يصحبُنِى حكُمكَ فقالَ : الحقيبةُ بما فيهَا. فقلتُ : إنَّ وحاملتَهَا[7]. ثُمَّ قبضتُ

---

(١) العود أصله عام فى كل ما يصيبه الاحراق ثم اختص بنوع معروف ، ومعنى معما مخولا أى له عم وخال : أنه عريق فى السيادة قد نالها عن آبائه .

(٢) خدعه أى خالسه فانخدع أى جازت عليه الحيلة والاصل ان الكريم يستهين بماله ويحتقره فلا يعرف أساليب جمعه والتحفظ به .

(٣) تجالينا : أى أوضح كل منا نفسه للآخر ، أحمد : رضى وأثنى عليه وبلانى: اختبرنى .

(٤) الصارم : السيف المسلول القاطع أى أنه حين اختبرنى وجدنى كالسيف مضاء وسرعة وألفانى سباقا .

(٥) الاغر الذى فى جبهته بياض، والمحجل الذى فى قوائمه ذلك وينعت بهما الفاضل النابه وفى الحديث (أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة) .

(٦) أى انتظر وتأن . (٧) إن : حرف يراد بها الجواب بمعنى نعم أى لك الحقيبة والناقة التى تحملها .

بجمْعى عليهِ وقلتُ : لا والذى الهمَها لمساً. وشقهَّا منْ واحدَةٍ خمساً[1] لا تزايلنى أو أعلمَ علمكَ[2]. فحدَرَ لثامهُ عنْ وجهه[3]. فإذَا هوَ واللهِ شيخُنا أبُو الفتحِ الاسكندرىُّ . فمَا لبثتُ أنْ قلتُ :

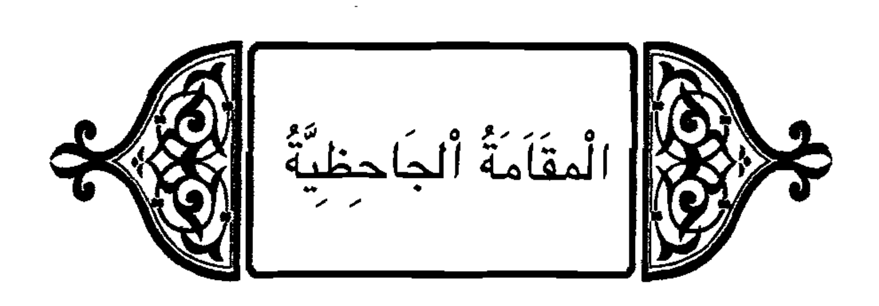
توشَّحتَ أبَا الفتحِ بهذا السَّيفِ مختالا[4]
فمَا تصنعُ بالسيفِ إذَا لمْ تكُ قتَّالا[5]
فصُغْ مَا أنتَ حليتَ بهِ سيفكَ خلخَالا[6]

(١) ألهمها لمسا : جعل فيها القدرة على الإدراك بوجه اللمس، وشقها من واحده خمسا : أى جعلها فروعا خمسة لأصل واحد والضمير للأصابع واكتفى بما سيذكر من نعوتها وأوصافها عن تقدمها لأنها تتعين بذلك أو يقال أن تقدمها فى ضمن الجمع المذكور أنه قبض به عليه مسوغ للاضمار .

(٢) زايله : برح مكانه وعلم علمه : عرفه والمعنى لاتبرح مكانك ولا تفارقنى حتى تعرفنى بنفسك . (٣) حدر لثامه عن وجهه : أى أزاله وكشف عن نفسه ليتضح لى شخصه ويظهر خفيه . (٤) توشحت : أى اتخذته وشاحا أو تقلدته ، واختال: أى زهى وأعجب بنفسه والمعنى : انك تقلدت هذا السيف فأعجبت وتكبرت .

(٥) المعنى : ما يفيدك لبس السيف وما يغنيك تقلده وهو لا يتخذ إلا لقتال به والدفاع عن النفس ولست من هذا فى العير ولا فى النفير .

(٦) الخلخال : نوع من الحلى تلبسه المرأة فى ساقها والمراد السخرية منه والاستهزاء به أى أنه خير لك أن تجعل هذه الحلية خلخالا يفيدك ويغنيك من أن تجعلها لسيف لا تستعمله ولا أنت له أهل .



الْمَقَامَةُ الْجَاحِظِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أثارَتنِي ورفقةً وليمةٌ(١) فأجبتُ إليهَا للحديثِ المَأثُور عنْ رسولِ الله ﷺ : لوْ دعيتُ إلى كُراعٍ لأجبتُ. ولوْ أُهدِيَ إلىَّ ذراعٌ لقبلتُ. فأفضَى بنا السيرُ إلى دارٍ(٢).

تُركتْ والحسنَ تأخُذُهُ ... تنتقى منهُ وتنتخِبُ

فَانتقتْ منْهُ طرائفهُ ... واستزادتْ بعضَ ماتَهَبُ(٣)

قدْ فرشَ بساطهَا. وبسطَتْ أنماطها. ومدَّ سماطُهَا(٤). وقوم

(١) أثارتنى : حركتنى من أثارت الريح الغبار هيجته والوليمة الدعوى للطعام .

(٢) أفضى بنا السير: انتهى .

(٣) اى ان هذه الدار جامعة لأنواع المحاسن فكأنها خليت بالحسن وعرض عليها أن تنتقى منه خياره وتنتخب أطايبه فأخذت طريفه اى حديثه وطلبت المزيد على ذلك لتهبه غيرها .

(٤) الانماط : جمع مفرده نمط وهو غطاء الفرش وظهارته والسماط من الطعام ما يمد عليه وجمعه سمط بضمتين .

قدْ أخذُوا الوقتَ بينَ آسٍ مخضُودٍ. وورد منضودٍ. ودنٍ مفصودٍ ونأيٍ وعُودٍ[1] فصِرنَا إليهِمْ وصارُوا إليناَ[2]. ثُمَّ عكفنَا علَى خوانٍ قد مُلئتْ حيَاضهُ ونوَّرَتْ رياضهُ. واصطفَّتْ جفانُهُ. واختلفَتْ ألوَانُهُ[3]. فمِنْ حالكٍ بإزائهِ ناصِعٌ[4]. ومنْ قانٍ تلقاءَهُ فاقعٌ. ومعنَا علَى الطَّعَامِ رجُلٌ تسافرُ يدهُ علَى الخوانِ. وتسفِرُ بينَ الألوانِ[5]. وتأخُذُ وجوُهَ الرُّغفانِ. وتفقأُ عيُونَ الجفانِ[6]. وترعَى أرضَ

---

(١) الآس ما تسميه العامة : الريحان، ومخضود : أى اتخذت منه أشكال للزينة فتجمع وتثنى من غير كسر، وورد منضود : أى بعضه فوق بعض، والدن : وعاء الخمر، والناى والعود نوعان من آلات اللهو والطرب .

(٢) اى استقبلونا وكل منا سار نحو رفيقه . (٣) الخوان المائدة قبل ان يكون عليها طعام والجفان جمع جفنة وهى القصعة الكبيرة . (٤) حالك : اى اسود شديد السواد وناصع ابيض شديد البياض والقانى الاحمر والفاقع : الاصفر والمراد بيان اختلاف الالوان . (٥) أى أن هذا الرجل كان فى سرعة أكله وامتداد يده الى البعيد عنه من أصناف الطعام يشبه المسافر، وسفر بين القوم فهو سفيرهم أى مشى فى الصلح بينهم يشبه توفيقه بين المطاعم ومزجه بعضها ببعض بمن يكون حاله ذلك .

(٦) الرغفان : جمع رغيف وهو ذو طاقين أحدهما يكون رقيقا سريع التناول وهو الذى كان ذلك الرجل يبادر اليه والمراد أنه كان يسارع إلى أطايب المأكولات حتى انه ليأخذ من الجفنة أحسنها وأفضلها .

الجيـرَانِ[١]. وتجُـولُ فى القـصـعَـةِ. كـالرُّخِ فى الرقـعَـةِ[٢]. يزحَمُ بِاللُّقمَـةِ اللُّقمَـةَ. ويهزِمُ بالمضـغَـةِ المضـغـةَ. وهُوَ مَعَ ذلكَ سـاكِتٍ لا ينبِسُ بحـرفٍ. ونحنُ فى الحديثِ نجرِى معهُ حتَّى وقَفَ بِنا علىَ ذكرِ الجاحظِ وخطابتِـهِ[٣]. ووصـفِ ابنِ المقـفَّعِ وذرَابتِـهِ[٤]. ووافقَ أوَّلُ الحديثِ آخرَ الخـوانِ. وزلنا عنْ ذلكَ المكانِ[٥]. فقـالَ الرَّجُلُ : أينَ أنتُم منَ الحديثِ الذِى كُنتمْ فيهِ؟ فـأخذْنا فى وصفِ الجـاحظِ

---

(١) أى انه لم يكن يتـأدب ويراعـى حـقـوق الذين مـعـه بل كـان يعدو على الذى أمـامـهم . (٢) الرخ : قطعة فى الشطرنج تسـميـها العامـة (الطابيه) وهـى تذهب وتجئ فى نواح أربع لايفضلها الا (الفرز) . (٣) الجاحظ : هو أمـام أهل الادب أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى صاحب التصانيف المتعة والرسائل المبدعة المولود بالبصرة حوالى سنة ١٦٠، تربى حتى أصبح إماما فى كل فن فهو راوية، فيلسـوف ، متكلم كاتب، مترسـل، مؤرخ، شـاعر، مصنف، عالم بالحيوان والنبات والجماد، له من أمـهات كتب هذا الفن كتاب الحيوان وكتاب النبات وله غيرهمـا تآليفات كثيرة فى الأدب منها البيان والتبيين وكتاب البخلاء وكـان سـمـحـا جوادا كـثير المواسـاة لاخوانه . (٤) هو أبو مـحـمد عبد الله بن داذويه المقـفع: أحد فـحول البلاغة وأسـاطينها وثانى اثنـين مـهدا للناس طريق الترسل ورفعا لهم معالم صناعة الانشاء أولهما : عبد الحميد بن يحيى .

(٥) أى أنه اتفق ان أول حديثنا عند انتهاء الأكل فتركنا مكاننا ونحن لم نتغلغل فى البحث والكلام .

ولسنِهِ. وحسنِ سننهِ فى الفصاحَةِ وسننِهِ. فيما عرفناهُ[1]. فقالَ: ياقومِ لِكُلِّ عملٍ رجالٌ. ولكُلِ مقامٍ مقالٌ. ولكُلِّ دارٍ سكاّنٌ[2]. ولكُلِّ زمانٍ جاحظٌ. ولوِ انتقدتمْ. لبطَلَ ما أعتقدتُمْ . فكلهُ كشَرَ لهُ عنْ نابِ الإِنكارِ[3]. وأشَمَّ بانفِ الإِكبارِ. وضحكتُ لهُ لأجلُبَ ما عندهُ[4] وقلتُ: أفدِنا. وزدْنا. فقالَ: إنَّ الجاحظَ فى أحَدِ شقَّى البلاَغَةِ يقطفُ. وَفى الآخَرِ يقفُ[5]. والبليغُ منْ لمْ يقصِّرْ نظمُهُ عنْ نثرِهِ. ولمْ يزرِ كلامهُ بشعرِهِ[6]. فهَلْ تروُونَ للجاحظِ شعراً

(١) اللسن ذلاقة اللسان وشدة انطلاقه فى الحجة والحديث وسنن فلان بفتح أوله طريقته، وبتثليثه منهجه وسبيله .

(٢) أى أنه ليس من شأنكم أن تغامروا بأنفسكم فى هذا الميدان لانكم لستم من أبطاله . (٣) كشر له عن نابه أى أظهره وأبانه ويكون ذلك غالبا عند الضحك.

(٤) أى أننى لم انكر عليه كلامه كمن كان معى بل أظهرت له السرور لمقاله لأعلم ما عنده . (٥) يقطف : يسير مسرعا والمعنى انه لم يؤت البلاغة كلها لانه إذا نثر أتى بالعجب العجاب وإذا شعر قصر دون الغاية .

(٦) أى وليس هذا من نعت البلغاء لان البليغ من برز فى النوعين ولم يعجز عن أحدهما .

رائعـاً؟ قلنْا : لا[١]. قـالَ : فـهلُمُّـوا إلىَ كـلامــهِ فـهـوَ بـعـيـدُ الإِشـارات[٢]. قليلُ الاسـتـعـارات[٣]. قـريبُ الـعـبـارات[٤]. منقـادٌ لعُريانِ الكلاَمِ يستعملُهُ . نفُورٌ منْ معتاصِهِ يهملُهُ[٥]. فهَلْ سمعتُمْ لهُ لفظَةً مصنُوعَةً. أو كلمةً غيرَ مسمُوعةٍ؟ فقلنْا : لا [٦]. قالَ : فهَلْ تُحبُّ أنْ تسمعَ منَ الكلامِ ما يخفِّفُ عنْ منكبيكَ . وينِمُّ على ما في يديكَ؟ فقلتُ: أي واللهِ. قالَ: فاطلِقْ لي عنْ خنصرِكَ. بمِا

---

(١) أي هل تحفظون من كلام الجاحظ شعراً يروعكم سماعه أي يملك عليكم قلوبكم . (٢) هلم : اسم فعل معناه تعال يستعمل هكذا للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى : تعالوا ننظر في كلامه والمراد النثر لانهم انتهوا من الحكم على شعره وكونه بعيد الاشارة مما يقدح في فصاحته .

(٣) قليل الاستعارات : أي ليس انغلاقه وعسر فهمه مبنيا على استعمال الاستعارة التي تحتاج لدقة فهم وإعمال فكر لانه يسلك الى الحقيقة دائما ولا يجري للاستعارة الا نادراً .

(٤) قريب العبارات : أي متقاربها وذلك يدل على نضوب معينه .

(٥) يقال : فلان يكسو الفاظه بالبلاغة اذا كان يأتي بها رائعة خلابة : وهو يقول: ان الجاحظ يجيء بالكلام عريان أي لا مسحة عليه من حسن السبك والفصاحة . (٦) يسألهم عن كلام الجاحظ هل فيه كلمة لم ينقلها عن سواه ليستدل بذلك على ما يقول .

يعينُ علىَ شكركَ. فنلتهُ ردَائى. فقالَ:

لعمرُ الذِى ألقَــى علىَّ ثيـابَـهُ   لقدْ حشيَتْ تلكَ الثيـابُ بهِ مجداَ

فتًــى قمــرتهُ المكرُمــاتُ رداءَهُ   ومَاضربَتْ قدْحاولاَ نصــبتْ نرداَ[1]

اعدْ نظراً يا مَنْ حبانِى ثيابهُ   ولا تــدعِ الأيَّــامَ تهدمُنى هدًّا

وقلْ للاولَى إنْ أسفرُوا أسفرُوا ضحًى

وإنْ طلعُوا فى غمَّةٍ طلعُوا سعداَ[2]

صلُو ارحمِ العَليا وبلُّوا لهاتهَا   فخيرُ النَّدَى ماسَحَّ وابلُهُ نقداَ[3]

قَالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ : فارتاحَتِ الجماعَةُ إليهِ . وانثالتِ

---

(١) قامرته فقمرته أى غالبته فغلبته والمعنى ان المكارم غالبت هذا الرجل فغلبته فهو يصفه بالخضوع لسلطان الفضائل والانقياد لصولتها والسير تحت لوائها .

(٢) اسفروا كشفوا عن وجوههم والمراد ظهروا. والغمة الكربة والظلمة والمعنى أيهذا الذى منحنى ثوبه جدد النظر فى حاجتى فلعله يظهر لك اننى أستحق عطية أخرى وهبة ثانية وقل لأصحابك الذين من صفتهم إنهم إذا ظهروا ظهورا ظهور الضحى وإن طلعوا فى كربة وظلمة طلعوا طلوع الكوكب السعدى .

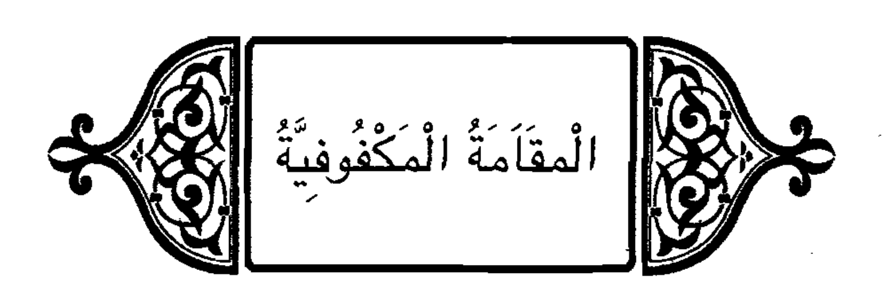
(٣) البيت كله مقول القول فى سابقه واللهاة الحلق وهو بفتح أوله ومثله اللها فاما بضم أوله فهو جمع معناه العطايا وفى المثل اللها تفتح اللها أى العطايا تطلق الالسنة بالمديح والمعنى امنحونى ما ترضى عنه العلياء ويتصل معها بنسب ويشفى برحاءها لانها عطشى مقطوعة القرابة فإذا فعلتم ذلك فقد تكفلتم لها بأقرباء يتصل نسبهم بنسبها ويعينونها فى شدتها .

الصِّــلاتُ عليــهِ[1]. وقلتُ لمَّا تآنسنْا: منْ أينَ مطلعُ هذا البــدرِ؟ فقالَ:

إسكندريَّةُ دارِى | لوْ قرَّ فيِها قرارِى
لكِنَّ ليلِى بنجــدٍ | وبالحجَازِ نهارِى[2]

(١) الصلاة بكسر أوله جمع صلة وهى المنحة والعطية وانثالت : انهالت وكثر رميها اليه .

(٢) المعنى أن شمس حياتى بزغت بالاسكندرية وأتمنى ألا أبرحها وألا يرمينى الدهر بما يزحزحنى عنها (ومعنى التمنى مأخوذ من لو) ولكن الدهر لا يجيبنى إلى طلبى ولا يساعدنى على رغبتى بل يقذف بى فى الحجاز طورا وفى نجد تارة أخرى .



الْمقَامَةُ الْمكْفُوفِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كنتُ أجتَازُ فى بعضِ بلادِ الأهوازِ. وقصارَاىَ لفظَةٌ شَرُودٌ أصيدُهَا. وكلمَةٌ بليغَةٌ أستزيدُهَا[١] فأَدَّانى السَّيرُ إلىِ رُقعةٍ فسِيحةٍ منَ البلدِ وإذَا هناك قومٌ مجتمعُونَ على رجُلٍ يستمعُونَ إليهِ وهوَ يخبطُ الأرضَ بعصاً علىَ إيقاعٍ لا يختَلفُ[٢] وعلمتُ أنَّ معَ الإيقاعِ لحناً[٣]. ولمْ أبعُدْ لأنالَ منَ السَّماعِ حظًّا . أو أسمعَ منَ الفصيحِ لفظًا[٤] فمازلتُ

(١) اجتاز . أسير وأمر، والأهواز : بلاد بين البصرة وفارس تقدم تفصيلها، شرود : جموح نافرة لا تسكن ، والمعنى أنه كان يمر ببلاد الاهواز وغايته التى يتمناها لفظة غريبة لم يسمع بها يستفيدها أو كلمة فصيحة يجعلها زيادة على ما عنده .

(٢) أى أنه يردد خبط العصا ترديدا متناسبا لا فرق بين أوله وثانية .

(٣) المعنى أننى ظننت أنه لابد أن يكون هذا الترديد مصحوبا بغناء وتلحين ناسب الملحن بينه وبينه .

(٤) أى أننى لم أذهب بعيدا لئلا يحرمنى البعد من إحدى الفائدتين بل اقتربت فان لم أستطع أن أعقل عنه التلحين لم يفتنى لفظه الفصيح .

بالنَّظَّارةِ أزحمُ هـذا وأدفعُ ذاكَ حـــتَّى وصلتُ إلى الرَّجُلِ[1] وسـرَّحتُ الطَّرفَ منهُ إلى حـزقَّةٍ كـالقـرنبىَ أعمَى مكفُـوفٍ. فى شملَةِ صُوفٍ. يدورُ كالخذروُفِ[2] مُتبرَنساً بأَطوَلَ منهُ مُعتمِداً علىَ عصاً فيهَا جلاجلُ يخبطُ الأرضَ بهِا علىَ إيقاعٍ غنِجٍ. بلحنٍ هزِجٍ. وصوتٍ شجٍ. من صدرٍ حرجٍ[3]. وهُوَ يقُولُ :

ياقومُ قدْ أثقلَ دينْى ظهْرى وطالبتنْى طلَّتى بالمهْـرِ[4]
أصبحتُ منْ بعدْ غنًى ووفرِ ساكِنَ قفرٍ وحليفَ فقرِ[5]

---

(١) النظارة : جمع ناظر وهم القوم المجتمعون عليه الناظرون اليه .

(٢) الحزقة القصير العظيم البطن والقرنبى احدى دواب الارض تشبه الخنفساء. والشملة بفتح أوله ومثله المشمل والمشملة بكسر أولهما. كساء دون القطيفة يديره الرجل على جسده والخذروف لعبة يجعل فيها الصبيان خيطا ويديرونها به تشبه ما يسمى الآن (النحلة، المتخذة من الطين) وهى معروفة فى بعض ريف مصر .

(٣) غنج : حسن، هزج: ذى ترنم ، شج : أى به آثار الحزن والاسى حرج : ضيق .

(٤) الطلة : الزوجة، وانما تطلب الزوجة مهرها اذا كان زوجها لم يؤده اليها أو طلقها وهى تطلب مؤجله ويدور بذهننا أن المعنى: أنها تطالبه بالطلاق لعسره وضيق يده من اطلاق المسبب على السبب .

(٥) القفر: الارض المجدبة .

يا قـومُ هـلْ بينكُـمُ مـنْ حُـرٍّ   يُعينُنـى علـىَ صُـرُوفِ الدَّهرِ

يا قومُ قدْ عيلَ لفقرِى صبرى   وانكشـفَتْ عنِّى ذُيُولُ السِّترِ[1]

وفضَّ ذَا الدَّهرُ بأيدى البتـرِ   مَـا كـانَ لىِ منْ فضـَّةٍ وتبْرِ[2]

آوِى إلـى بيـتٍ كقيـدِ شـبْرِ   خاملَ قـدرٍ وصـغيرَ قـدْرِ[3]

لوْ خـتمَ اللهُ بخـيـرٍ أمـرِى   أعقبَـنـىِ عنْ عسُـرٍ بيُسـرِ

هلْ منْ فتًى فيكمْ كريمِ النَّجـرِ   مُحتسبٍ فىَّ عظيمَ الأجرِ[4]

---

(١) عيل : فقد، والمعنى أن الفقر وسوء الحال أفقدا تصبرى وذهبا بتجلدى وكشفا أستارى .

(٢) البتر: القطع شبهه بإنسان له يد لكمال قدرته على التفريق وتمزيق الشمل ، والتبر : الذهب قبل سبكه والمعنى : أن الدهر فرق ما اجتمع لى من الذهب وصيرنى مسكينا بائسا .

(٣) قدر بفتح أوله. مكانة ، والقدر بالكسر آنية الطبخ والمعنى أننى أسكن دار صغيرة لا تكفى فى حال أنى غير مشهور ولا صيت لى وآنيتى التى أطبخ طعامى فيها صغيرة وكل هذا كنايات عن شدة الفقر واضمحلال حاله .

(٤) النجر والنجار. الاصل ومحتسب: صانع لوجه الله غير منتظر جزاء والمعنى. اننى أتمنى أن يكون من بينكم رجل طيب الخيم كريم الاصل يسدى الى معروفه، ويصنع بى خيرا راجيا بذلك وجه الله اذا كان لا يريد أن يفعل لأشكره وأثنى عليه .

إنْ لمْ يكُنْ مُغتَنماً للشُّكرِ؟

قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ : فرقَّ لهُ واللهِ قلبِي. واغرورَقتْ لهُ عيني. فنلتُهُ دِينَاراً كانَ مَعى. فما لَبِثَ أنْ قالَ :

ياحُسنهَا فاقعَةٌ صفراءُ ممشوُقةٌ منقُوشَةٌ قوراءُ(1)

يكادُ أنْ يقطرَ منهِا الماءُ قدْ أثمرَتهْا همَّةٌ علياءُ(2)

نفسُ فتًى يملكُهُ السَّخاءُ يصرِفُهُ فيهِ كَمَا يَشاءُ(3)

يا ذَا الذِّى يعنيهِ ذَا الثَّناءُ ما يتقصَّى قدرَكَ الإطراءُ(4)

إمضِ إلى اللهِ لكَ الجزاءُ(5)

---

(١) فاقعة : شديدة الصفرة، ممشوقة : خفيفة. قوراء : أراد مستديرة والضمير للدينار باعتباره قطعة من الذهب .

(٢) أى انها لحسنها وجمال رونقها وبهائها يكاد الماء يتقاطر منها وقد كانت من ثمرات رجل ذى همة عالية ومروءة عظيمة .

(٣) اى ان هذه الهمة هى نفس فتى من صفته ان الكرم يملك زمام اموره فيجعله يتصرف فيها كيفما شاء الكرم .

(٤) توجه بالخطاب الى الذى منحه القطعة فذكر له ان مقداره يعجز طوق المادحين ويبلد قرائحهم فلا يستطيعون الوفاء له بحق الثناء .

(٥) اضاف جزاءه الى الله لانه الذى لا يعجزه شئ فى الارض ولا فى السماء فهو وحده الذى يجزى هذا الممدوح بما يستحقه .

ورحِمَ اللهُ منْ شدَّها فى قرنٍ مثلِها. وآنسَها بأُختِها. فنالهُ النَّاسُ ما نالوهُ ثُمَّ فارقهُمْ وتبِعتُهُ وعلمْتُ أنَّهُ مُتَعامٍ لسُرعةِ ما عرَفَ الدِّينارَ[1]. فلمَّا نظمَتْنا خلوةٌ[2] مددتُ يُمناىَ إلى يُسرَى عضُدَيْهِ وقلتُ : واللهِ لتُرِينِّى سرَّكَ. أو لأكشفَنَّ سترَكَ . ففتَحَ عنْ توأمتىْ لوزٍ[3] وحدَرْتُ لثامَهُ عنْ وجهِهِ[4] فإذَا واللهِ شيخُنا أبُو الفتْحِ الإسكندرِىُّ. فقلْتُ : أنْتَ أبُو الفتْحِ ؟ فقالَ : لا

أنـــا أبُـــو قلمُـــونٍ فى كُلِّ لوْنٍ أكونُ[5]

---

(١) اى انه ظهر لى انه غير مكفوف حقيقة بل هو يتصنع ذلك بدليل سرعة معرفته للدينار ووصفه له على الفور الصفات التى لا تنطبق على سواه.

(٢) نظمتنا: جمعتنا، ومنه قيل للشعر : نظم، لانه يجمع الكلام المتناسب بعضه إلى بعض .

(٣) التوأم فى اصل الوضع : الذى جاء مع غيره فى الولادة، واللوز معروف ، والتوأم فيه . ان يجتمع فى الواحدة لبان وأراد بهما عينيه ، وكنى بذلك عن صحتهما وتناسبهما .

(٤) يقال : انحدر إذا نزل من أعلى إلى اسفل واريد هنا مطلق الانتقال من مكان الى آخر .

(٥) القلمون : ثوب يراعى عند نسجه أن يظهر فى عدة ألوان، والمعنى انه قلب لا يستقر على حال .

إخترْ منَ الكسبِ دوناً ... فإنَّ دهرَكَ دُونُ[1]

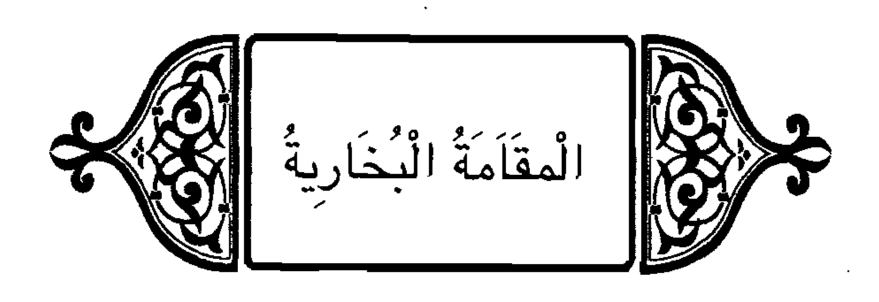
زجِّ الزَّمانَ بحُمْقٍ ... إنَّ الزَّمانَ زبونُ[2]

لا تُكذَبَنَّ بعقلٍ ... ما العقلُ إلاَّ الجنُونُ[3]

(١) يقول : إن هذا الزمن دنئ سافل يواتى الاخساء، ويقبل على السفلة، فاذا شئت ان تكون ذا وفر موسرا فاختر من الحرف ما كان دنيئا ليتناسب مع دهرك فيقبل عليك.

(٢) الزبون : الناقة التى تدفع حالبها برجليها، أو الحرب التى يدفع بعضها بعضا، والمعنى لا تطلبن من دهرك أن يسعفك بحاجتك فانه يدفع طالب الخير كالناقة التى تدفع حالبها بل دافعه بالحمق لتظهر عليه وتنال مأربك منه .

(٣) اى لا تصدق من يقول لك ان نوال اغراضك بالعقل فإنه ليس العقل الذى ينيلك إلا الجنون .



الْمقَامَةُ الْبُخَارِيةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : أحلَّنى جامعَ بُخارى يومٌ وقد انتظمتُ معَ رُفقةٍ فى سمطِ الثُّرَيَّا[1]. وحينَ احتفلَ الجامعُ بأهله طلعَ إلينا ذُو طمرينِ قدْ أرسل صواناً[2] . واستتْلى طفلاً عُرياناً[3] يضيقُ بالضُّرِّ وسعهُ . ويأخُذُهُ القُرُّ ويدعهُ[4] . لا يملكُ غيرَ القشرةِ بُردَةً. ولا يكتَقى لحمايَةِ رعدةٍ[5] . فوقفَ الرَّجُلُ

---

(١) السمط: السلك ما دام فيه اللؤلؤ، والثريا : نجوم سبعة مجتمعة لا تفترق والمراد انهم متآلفون متحابون لا يتصور فراقهم كما لا يتصور افتراق الثريا ويروى بدل سمط : سلك وهو ظاهر . (٢) ذو طمرين : اى رجل يلبس ثوبين قد أبلى الدهر جدتهما، والصوان وعاء الثوب وكنى بارساله عن عدم وجود شيء به

(٣) استتلى : جعله تابعا . (٤) القر : شدة البرد .

(٥) القشرة : المراد بها الجلد ، والبردة : الثياب، والمعنى انه لا يجد ما يقى به جسده ويدفع عنه لفح الحر وزمهرير البرد غير جلده، ولا يكتفى : أى لا يملك الكفاية التى تحميه من الرعدة وهى اصطكاك الاسنان وقشعريرة البدن من برد ونحوه .

وقالَ: لا ينظُرُ لهذا الطِّفلِ إلاَّ منِ اللهُ طفَّله، ولا يرقُّ لهذا الضُّرِّ إلاَ منْ لا يأمنْ مثلهُ[١]. يا أصحابَ الجدُودِ المفرُوزَة. والاردِيَة المطرُوزَةِ. والدُّورِ المنجَّدةِ. والقصُورِ المشيدَّةِ[٢]. إنَّكمْ لنْ تأمنُوا حادِثاً. ولنْ تعدَمُوا وارثاً. فبادرُوا الخيرَ ما أمكنَ. وأحسنُوا معَ الدَّهرِ ما أحسنَ فقدْ واللهِ طعمنَا السِّكباجَ. وركبنا الهملاجَ. ولبسنْا الدِّيباجَ وافترَشنا الحشَايَا، بالعشَايَا[٣]. فمَا راعنَا إلاَّ هبُوبُ الدَّهرِ بغدرِهِ. وانقلابُ المجَنِّ لِظهرِهِ[٤]. فعَادَ الهملاجُ قطُوفاً. وانقلَبَ الدِّيبَاجُ صُوفاً[٥]. وهلُمَّ جرًّا إلَى ما تشاهدُونَ منْ

---

(١) المعنى ان الشفقة على هذا الطفل العريان إنما تدخل قلب امرئ له أطفال قد أشرب الله قلبه حبهم ولا يرحمه إلا انسان يعلم ان الدهر لا يدوم .

(٢) الخزوز : الثياب تنسج من حرير او منه ومن الصوف . والاردية الاكسية، والمطروزة المعلمة، والمنجدة المزخرفة، والمشيدة اى المرفوعة .

(٣) السكباج: لحم يطبخ بالخل ويجعل معه مرق، والهملاج : الدابة السريعة فى سيرها، والديباج الحرير، والحشايا الوسادة المحشوة للجلوس عليها تشبه ما يسمى الآن (شلته) .

(٤) راعنا : افزعنا، والمعنى اننا كنا مترفين كما وصفت لكم فلم نشعر الا وقد حاربنا الدهر وأثار علينا غدره ورمانا بشره .

(٥) القطوف : الدابة البطيئة فى سيرها والمعنى ان كل شئ قد تبدل وحال عما كان عليه .

حالى وزِيِّى. فَهَا نحنُ نرتضِعُ منَ الدَّهرِ ثَدىَ عقيمٍ. ونركَبُ منَ الفقرِ ظهرِ بَهيمٍ[1]. فلا نرنُو إلا بعينِ اليتيمِ. ولا نمُدُّ إلا يدَ العديمِ[2] فهَلْ منْ كريمٍ يجلو غياهِبَ هذه البُؤُوسِ . ويفُلُّ شبَا هذهِ النُّحوسِ[3]. ثُمَّ قعَدَ مُرتفِقاً[4] وقالَ : للطِّفل: أنتَ وشأنُكَ. فقالَ : ما عَسى انْ أقولَ وهذا الكلامُ لو لَقَى الشَّعرَ لحلقَهُ. أو الصَّخرَ لفَلَقَهُ. وإنَّ قلباً لمْ يُنضِجهُ ما قُلتَ لنيءٌ وقدْ سمعتمْ ياقومِ. ما لمْ تسمعُوا قبلَ اليومِ. فليشغلْ كُلٌّ منكُمْ بالجودِ يدَهُ.

---

(١) العقيم المرأة التى لا يولد لها ومن كانت هذه حالها لا يدر ثديها فلا ينتفع بها رضيع فهو كناية عن ان الدهر لا يجود عليهم وانهم لا يحصلون من سعيهم على طائل منه، والبهيم الذى كل لونه اسود لا يشوبه بياض ومنه قولهم : ليل بهيم اذا اشتدت ظلمته والمراد ان الدهر ألزمهم حالة واحدة .

(٢) اليتيم الصغير بعد موت ابيه وعادته ان ينكسر قلبه ويحزن فؤاده فاذا نظر الى النعمة على غيره فبعين كسيرة . والعديم : المعدم الذى لا يجد شيئا فاذا هو مد يده فانما يمدها مستجدبا لا عاطيا ومستميحا لا مانحا .

(٣) يجلو : ينير، غياهب : ظلمات شبه الفقر والاملاق بليل اشتدت ظلمته استعارة مكنية واسند الظلمات للبؤوس تخييلا، ويفل : يكسر ، والشبا : جمع شباة وهى سن الرمح او هى حد كل شئ .

(٤) مرتفعا بعين مهملة اى فى مكان عال ويروى مرتفقا بمثناة فوقية ومعناه مستندا الى مرفقيه وقال للطفل تحدث أنت عن شأنك وصف لهم حالك .

وليـذكُـرْ غـدَهُ. واقـيـاً بِيَ ولدَهُ . واذكُـرونى أذكـركُمْ. وأَعطونى أشكُركُمْ. قَالَ عيـسَى بْنُ هِشَـامٍ : فَـمَـا آنسَنىِ فـى وحـدَتى إلا خـاتَمُ ختمتُ بِهِ خنصِرَهُ[1] فلَمَّـا تناولَهُ أنشَـأَ يصِفُ الخـاتَمَ علَى الإِصبَعِ وجعَلَ يقُولُ :

ومُمنطَـق منْ نفسِـهِ ... بقِـلادَةِ الجوزَاءِ حُسناً[2]

كمتُيَّـمٍ لقَـىِ الحْبيـ ... بَ فضَمَّهُ شَغَفاً وحُزناً[3]

مُتَأَلّفٍ منْ غيرِ أُسـ ... رَتِـهِ علَـىَ الأَيَّامِ خِـدناً

عِلـقٌ سَـنِيٌّ قدرُهُ ... لكنَّ منْ أَهداهُ أَسـنى[4]

---

(١) يقول انه لم يجد حينذاك الا خاتما جعله فى اصبعه الخنصر وقد جعل المال كالصديق الذى يؤنسك إذا نفردت ويسليك اذا شجيت ويروح عنك إذا تألمت .

(٢) المنطقة حزام يشد به الوسط فيدور حوله والفعل منه انتطق إذا لبسها، والقلادة نوع من الحلى تتخذ فى الصدور، والجوزاء : مجموع كواكب ولما كان الخاتم ليس له منطقة خارجة عن ذاته قال ان الدائرة التى اتخذها من نفسه .

(٣) المتيم : الذى شفه الغرام ونزل به الوجد والشغف: شدة الحب وهو الذى يحل بشغاف القلب والفعل منه شغف بوزن منع ومنه قوله تعالى : قد شغفها حبا واذا كان المحب حين يلقى حبيبه مسلما أو مودعا يضمه الى نفسه حتى ليخيل للناظر انهما واحد فقد شبه تضام الاصبع الى الخاتم بهذه الهيئة .

(٤) العلق : النفيس الغالى من كل شئ. سنى : اى رفيع عظيم . يقول ان هذا الخاتم جميل الرواء رفيع القدر نفيس غير ان ذلك الذى قدمه الى ارفع منه قدرا.

أقسمتُ لوْ كانَ الورى   فى المجدِ لفظاً كنتَ معنَى

قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ : فنلناهُ ما تاحَ لنا من الفورِ . فأعرَضَ عنَّا حامداً لنَا . فتبعتُهُ حتَّى سفرَتِ الخلوةُ عنْ وجهِهِ. فإذَا هُوَ واللهِ شيخُنَا أبُو الفتحِ الإسكندرِيُّ. وإذَا الطَّلاَ زغلولُهُ. فقلتُ[1]:

أبا الفتحِ شبتَ وشبَّ الغلامُ   فأينَ السَّلامُ وأينَ الكلامُ[2]

فقالَ :

غريباً إذَا جمعتَنْا الطَّريقُ   أليفاً إذَا نظمتنْا الخيامُ[3]

فعلِمتُ أنَّهُ يكرَهُ مخاطبَتِي فتركتُهُ وانصرَفتُ

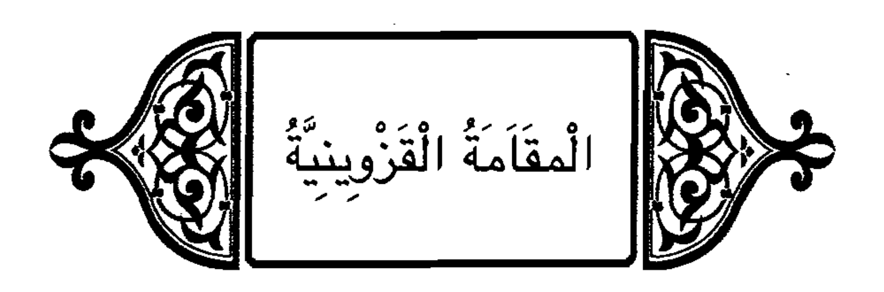
---

(١) الطلا . ولد الظبية ساعة يولد والصغير من كل شئ ومثله الطلو وجمعه اطلاء وطلاء وطلى وطليان كرغفان وغربان ، وزغلوله : ولده .

(٢) أى انك لم تفاتحنى الحديث ولم تقرئنى السلام ولم تسامرنى كعادتك مع أنك قد بلغت سنا لا يعذر فيه من نسى رفقته وأهمل واجب خلانه .

(٣) أراد الاعتذار له عن تركه سنة الصداقة وواجب الاخوة بأنه اعمد ذلك لئلا يفتضح حاله للناس فقال : نحن إنما نتعارف ونتذاكر حلو الاحاديث ولذيذ الاسمار حينما نكون بنجوة من الناس فى موطننا وخيامنا فأما هنا فى الطريق فلا سبيل لغير انكارك .





الْمقَامَةُ الْقَزْوِينِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : غزوتُ الثَّغرَ بقزوينَ[١] سنةَ خَمس وسبعينَ. فيمنْ غَزاهُ. فَما أجزْنا حزْناً. إلاَّ هبطْنا بطْناً[٢]. حَتَّى وقفَ المسيرُ بنا علىَ بعضِ قُراهَا . فمالتِ الهَاجرَةُ بِنا إلى ظلِّ أثلاتٍ[٣]. فى حُجرتِها عينُ كلسانِ الشَّمعةِ[٤]. أصفىَ منَ الدَّمعةِ. تسيحُ فى الرَّضرَاضِ. سيحَ النضناضِ[٥] فنلنْا منَ

(١) قزوين إحدى بلاد الديلم . (٢) أجزنا : قطعنا، والحزن ما ارتفع من الارض وغلظ، والبطن: المنخفض السهل والمعنى أننا كنا نعلو تارة ونسفل أخرى ونرتفع أحيانا وننخفض أخرى لان الطريق لم تكن واحدة بل كانت كثيرة المنخفضات والمرتفعات . (٣) الهاجرة : شدة الحر وقد هجر تهجيرا إذا سار فيها وأثلات جمع أثلة وهى شجرة عالية وريفة الظل . (٤) يقال : كذا فى حجرة كذا إذا كان قريبا منه والمعنى أن بجوار هذه الاشجار عينا ماؤها يشبه لسان الشمعة أى ضوءها فى الصفاء والبريق . (٥) الرضراض : الارض ذات الحجارة الصغيرة والحصا، والنضناض : الحية التى تتلوى دائما والمعنى أن هذه العين تسيل على الارض وتتلوى فوقها كما تتلوى تلك الحية .

الطَّعامِ ما نلنا. ثُمَّ ملنْا إلى الظِّلِّ فقلنْا[١]. فَما ملكنَا النَّومُ حَتَّى سمعِنا صوتاً أنكرَ منْ صوتِ حمارٍ. ورجعاً أضعَفَ منْ رجعِ الحوارِ[٢]. يشفعُهُما صوتُ طبلٍ كأنَّهُ خارُجِ منْ ماضغَى أسدٍ[٣]. فذادَ عنِ القومِ. رائِدَ النَّومِ[٤]. وفتحتُ التوأمتينِ إليهِ وقدْ حالتِ الأشجارُ دُونهُ[٥]. وأصغيتُ فإذَا هُوَ يقولُ : علىَ ايقاعِ الطُّبُولِ :

أَدعو إلَى اللهِ فهَلْ منْ مُجيبْ   إلَى ذَراً رحبٍ ومرعًى خصيبْ[٦]
وجنَّةٍ عاليةٍ مَا تَنِى   قُطوفُها دانيَةً مَا تغيبْ[٧]

(١) قال يقيل قيولة نام عند القائلة وهى وقت الظهيرة .
(٢) الحوار ولد الناقة ورجعه سيره والمراد أنه سمع صوتا شديدا وسيرا خفيفا .
(٣) يشفعهما : يجعلهما اثنين. وهما فى الحقيقة شيئان ولكنه فرضهما واحدا لصدورهما عن شخص واحد وقد شبه صوت الطبل فى جهارته وشدته بصوت الاسد . (٤) ذاد : منع، والرائد : الرجل يسبق القافلة ليختبر لها خصب الارض وصلاحها للسير وفى الحديث (والرائد لا يكذب أهله) وجرى مجرى المثل .
(٥) التوأمتين : العينين لانهما متشابهتان فكأنهما ولدا معا . (٦) الذرى : الناحية والجهة، والرحب : الواسع ، والخصيب . المرع كثير العشب والكلأ، والمعنى : أنا أدعو لدين الله وهو الناحية المتسعة والمربع الخصيب فهل يتبعنى أحد منكم . (٧) ونى، ينى : تأخر أو قصر أو ابتعد والقطوف : المراد بها الثمار والمعنى أن هذه الجنة التى أدعو إليها كثيرة الثمار مع قربها وعدم تخلفها عمن يكون فيها ممن يجيبون الدعوة إلى الله فى هذه الحياة .

يَـا قــوْمُ أنِّــى رجُــلُ تَائــِبُ   مـنْ بلدِ الكُفرِ وأمْرى عَجيبْ[١]

إنْ أكُ آمـــنتُ فَكَــم ليـلَــةٍ   جحَـدْتُ ربِّــى وأتيـتُ المُـريبْ[٢]

يـا رُبَّ خنزيــرٍ تمَشــشَّــتُهُ   ومُسـكرٍ أحرزتُ منهُ النَّصـيبْ[٣]

ثُـمَّ هــدَانــى اللهُ وانتـاشــنــىِ   منْ ذلَّةِ الْكُفرِ اجتهِادُ المُصيبْ[٤]

فظلتُ أخفِى الدِّينَ فى أسـرَتى   وأعبُــــدُ اللهَ بقــلـبٍ مُنيـــبْ[٥]

أسـجُدُ للـلاَّتِ حــذارَ العِــدَى   ولا أرَى الكعْبَةَ خـوف الرَّقيبْ[٦]

وأســــأَلُ اللهَ إذَا جنَّنــــــىِ   ليـلُ وأضنـانـىَ يـومُ عصـيـبْ[٧]

---

(١) تائب : راجع يؤيده روايتها فى بعض النسخ ثائب بالثاء المثلثة .

(٢) جــحــدت ربى: أنكرته ولم أومن به. والمريب الذى يتـسلط عليك بالشكوك والاوهام أو الذى تفعله وأنت ترتاب فيه .

(٣) تمششته : أكلت مشاشه والمشاش جمع مشاشة وهى العظمة اللينة .

(٤) انتاشه : أخرجه .

(٥) قلب منيب : معترف بربوبيته سليم .

(٦) اللات : اسم صنم، واراد من الكعبة جهة القبله أى أنه ما كان يتوجه اليها خشية الرقباء من قومه وعشيرته وجعلهم عدى لمعاداتهم له فى الدين .

(٧) جنه الليل : ستره وأخفاه عن العيون .

رَبِّ كمَا أنَّكَ أنقذتنَى فنَجِّنى إنِّىَ فيهِمْ غَرِيبْ[1]
ثُمَّ اتَّخذتُ اللَّيلَ لِى مرْكباً وماسِوَى العزمِ أَمامى جَنيبْ[2]
فَقَدكَ منْ سيرىَ فى ليلَةٍ يَكادُ رأسُ الطِّفْلِ فيهَا يَشيبْ[3]
حتَّى إذَا جُزت بلاَدَ العِدَى إلى حِمَى الدِّينِ نفَضْتُ الوَجيبْ[4]
فقُلتُ إذْ لاحَ شعَارُ الهُدَى نَصرٌ منَ اللهِ وفَتْحٌ قَرِيبْ

فلمَّا بلغَ هذا البيتَ قالَ : يا قومُ وطئتُ داركُمْ بعزمٍ لا العشْقُ شاقهُ[5] . ولا الفقرُ ساقهُ. وقدْ تركتُ وراءَ ظهرِى حدائِقَ وأعناباً. وكوَاعِبَ أترابا[6]. وخيلاً مُسومةً[7]. وقناطيرَ مُقنطرَةً. وعُدَّةً

---

(١) أى أنه كان يدعو الله أن ينجيه منهم ويتم نعمته عليه التى أولها إنقاذه من دينهم . (٢) ركب الليل : أى فيه والجنيب الناقة التى يأخذها المسافر جوار ناقته ليركبها إذا تعبت الاولى ، وقد استعارها لعزمه دلالة على أنه كان دائم العزيمة ثابتها . (٣) قدك أى : يكفيك . (٤) الوجيب : خفقان القلب واضطراب دقاته من خوف أو فزع أو نحوهما ، ونفضه: طرحه كانه شئ يلفظ ويرمى به وذلك تمثيل لشدته وهوله حتى أنه ليكاد يكون كذلك . (٥) شاقه : هيجه وأثاره، والمعنى : أننى لم أنزل بلادكم مشوقا بدواعى العشق ولا مسوقا بالرغبة فى الغنى .

(٦) الكواعب : الجوارى اللائى برز ثديهن، أترابا : متشابهات فى السن لدات .

(٧) مسومه : معلمه .

وعديداً. ومراكبَ وعبيداً. وخرجتُ خروجَ الحيَّةِ منْ جُحرهِ.
وبرزتُ بُرُوزَ الطَّائرِ منْ وكرهِ[1]. مُؤثراً دينى علىَ دُنيایَ[2].
جامعاً يمنایَ إلى يسرایَ[3]. واصلاً سيرِى يُسَرایَ[4]. فلوْ دفعتُمُ
النَّارَ بشَرارها. ورميْتُم الرُّومَ بحجارهَا. وأعنتُمونى علىَ
غزوِها[5] مُساعدَةً وإسعاداً. ومُرافَدةً وإرفاداً. ولا شطَطَ فكُلٌ
علىَ قدْرِ قُدرَتهِ. وحسَبِ ثَروَتهِ[6]. ولا أستَكثرُ البدرَةَ. وأقبَلُ
الذَّرَّةَ. ولا اردُّ التَّمْرَةَ[7]. ولكُلٍّ منِّى سهمانِ سَهْمُ أُذَلِّقُهُ للِّقاءِ.

(١) برزت : ظهرت، وكر الطائر : عشه .

(٢) مؤثرا : مفضلا . (٣) كناية عن عدم وجود شئ فيها يريد بذلك الدلالة على إطلاقه يديه علامة الفقر. (٤) السرى بالضم مقصورا : سير الليل أو أوله خاصة ، والسير عام. ولكنه أراد به خصوص السير بالنهار والمعنى جاعلا وقتى كله سيرا مبادرة إلى الهرب والنجاة منهم .

(٥) يطلب منهم أن يمكنوه من غزو بلاد الروم وهو رومى فكأنهم حين يساعدونه على ذلك قد دفعوا النار بشرارها وهى من جنس النار والفقرة الثانية من قولهم: ارم فلانا بحجره أى بضريبه وقريعه .

(٦) الشطط : مجاوزة الحد، والمعنى : أنه لا يريد منهم فوق الطاقة ولا ما لا يستطيعونه . (٧) البدرة الف درهم أو أكثر والذرة النملة الصغيرة أو الجزء من الهباء ويضرب بها المثل فى الحقارة والقلة .

وآخـرُ أُفـوِّقُـهُ بالدُّعـاءِ[1]. وأرشُقُ بِـهِ أبوَابَ السَّـمـاءِ. عنْ قـوسِ الظَّلماءِ. قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ : فـاسـتفـزَّنـى رائعُ ألفـاظِهِ[2]. وسرَوتُ جلبابَ النَّومِ[3]. وعدَوتُ إلى القومِ[4]. فإِذَا واللهِ شيخُنا أبُو الفتحِ الإسكندَرِيُّ بسيفٍ قدْ شـهرَهُ. وزىٍ قـدْ نكَّرهُ[5]. فلَمَّا رآنى غمزنى بعينِهِ[6] وقالَ: رحمَ اللهُ منْ أعاننَا بفاضلِ ذيلِهِ.

---

(١) يقال : ذاق السهم إذا حدده، وفوقه إذا أعده للرمى والمراد باللقاء غزو الروم والمعنى أن من أعاننى بما طلبت أكافئه بان أقوم له بالاستعداد لنصرته على عدوه فانفعه عاجلا وبأن أدعو له الله فانفعه آجلا .

(٢) استفزنى : استهوانى واستخفنى ، رائع : عجيب . بديع .

(٣) سروت : ألقيت . خلعت، والجلباب : ما يلبس فوق الثياب وأضافته الى النوم من اضافة المشبه به للمشبه كما فى قولهم : ذهب الاصيل ، ولجين الماء، والتماثل بينهما أن كل واحد منهما يعم البدن .

(٤) عدوت : أسرعت .

(٥) شهره : رفعه ، والزى : الهيئة وأراد بقوله : نكره أنه غيره وأخفى نفسه تحت زى لا يعرفه فيه أحد .

(٦) أى أشار إلى إشارة خفية لأتستر عليه ولا أظهر أمره .

وقَسَمَ لنَا منْ نيلِهِ. ثُمَّ أخذَ ما أخذَ وخلوتُ بهِ فقلتُ: أأنتَ منْ أولادِ النَّبيطِ؟ فقالَ:[1]

أنا حالِ منَ الزَّمانِ كحالِى معَ النَّسبْ[2]

نسبَى فى يدِ الزَّمانِ إذَا سامهُ انقلَبْ[3]

أنا أُمسَى منَ النَّبيطِ وَ أُضحىِ منَ العرَبْ[4]

---

(١) النبيط ككلمة العجم : يطلقها العرب على كل من ليس عربيا وعلى هذا قال أبو العلاء المعرى :

أين امرؤ القيس والعذارى اذ مال من تحته الغبيط

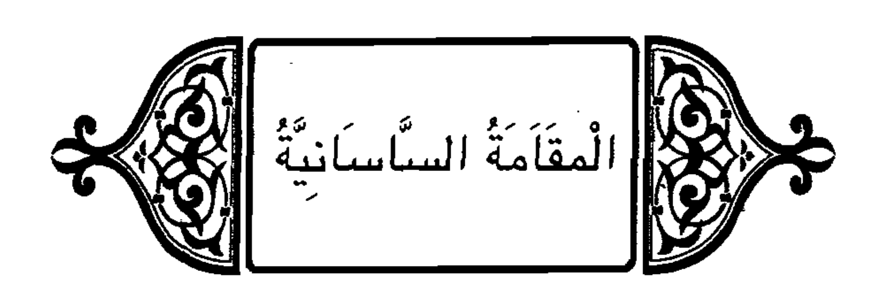
استعجم العرب فى الموامى بعدك واستعرب النبيط

والموامى جمع موماة وهى الصحراء . وقيل : هو خاص بالاطلاق على جيل كانوا ينزلون بالبطحاء بين العراقين .

(٢) تشبيه مقلوب يريد أن حاله فى انتسابه مثل حال الزمان فكما أن الدهر سريع التقلب لا يدوم على حال واحدة ولا يبقى فى زى واحد فكذلك هو .

(٣) أى أن الزمان قد امتلك زمام نسبه يصرفه كيف شاء فهو ينتسب طواعية للزمن وحسبما يريد وإضافة اليد للزمان تخييل لتشبيهه بالانسان المتصرف الكامل القدرة .

(٤) أراد أنه يتغير دائما فالاصباح والامساء ليس مرادا بهما معناهما الاصلى بل التحول فى مطلق زمان .



الْمقَامَةُ السَّاسَانِيَّةُ

حَـدَّثَنَا عِـيـسَى بْنُ هِشَـامٍ قَـالَ : أحلَّتنى دمـشقَ بعضُ أسفـارِى[١] فبينا أنَا يومـاً علىَ باب دَارِى. إذْ طلعَ علـىَّ منْ بَنى سَاسـانَ كتيبَةٌ قدْ لفُّوا رُؤُوسَهُمْ[٢]. وطلَوْا بالمغرةِ لبُوسَهُمْ[٣]. وتأَبَّطَ كل واحدٍ منهُمْ حجَراً يدُقُّ بِهِ صدرَهُ[٤]. وفيهِمْ زعيمٌ لهُمْ يقولُ وهُمْ يُراسلُونَهُ[٥]. ويَدعُو ويُجاوبُونَهُ . فلمَّا رآنى قالَ :

أُريدُ منكَ رغيفَا يعلُو خُواناً نظيفِا[٦]

---

(١) بعض فاعل أحل، وأسند الاحلال للسفر لانه السبب فيه والداعى اليه .

(٢) الكتيبة الجماعة من الجيش وأراد بها هنا مطلق الجماعة، وبنو ساسان المراد بهم الشحانون والمتسولون .

(٣) طلا الشيء بالشيء جعله له طلاء أى دهن ظاهره به والمغرة طين أحمر يجعل صبغا والمراد أنهم أشاروا بذلك الى مسكنتهم وسوء حالهم .

(٤) تأبط جعله تحت ابطه ليدق به صدره أى يضرب عليه به وهذه احدى عوائد المتسولين ليستنزلوا الرحمة من قلوب الناس عليهم وليكون أدعى الى الاشفاق بهم . (٥) زعيم القوم : رئيسهم ، ويراسلونه: يتابعونه .

(٦) الخوان المائدة قبل وضع الطعام عليها .

أُريدُ ملِحاً جَرِيشاً		أُريـدُ بقـلاً قطيفـاً[1]

أُريدُ لحماً غَرِيضاً		أُريـدُ خَـلاً ثَقِيفـاً[2]

أُريدُ جدياً رَضيِعاً		أُريدُ سَخْلاً خَـرُوفاً[3]

أُريـــدُ مـــاءً بِثَلْـجٍ		يَغشَى إنـاءً طَـرِيفاً

أُريـــدُ دَنَّ مُـدامٍ		أَقُــومُ عنـهُ نَزِيفـاً[4]

وَسـاقِياً مُستهَشًّـا		علىَ القُلُوبِ خَفيِفـاً[5]

أُريـدُ مِنكَ قَميِصاً		وَجُبَّـةً ونَصِــيفـاً[6]

أُريـدُ نعــلاً كَثِيفاً		بِهـا أَزُورُ الكَنِيفـاً[7]

---

(١) البقل : ما يأكله الناس أثناء طعامهم كالمقدونس مثلا، وقطيفا : أي ورقا بلا جذر ليكون أدعى إلى النظافة .

(٢) لحم غريض : طرى ، وخل ثقيف : شديد الحموضة .

(٣) السخل : ولد الضأن، وأبدل منه خروفا ليدل على أنه أراده ذكر لأن لحم الذكر من الضأن أطيب من لحم أنثاه .

(٤) نزيفا : سكران .

(٥) مستهشا : سريع الطرب ، خفيف الحركة ، كثير الدعابة .

(٦) القميص والجبة : معروفان ، والنصيف : العمامة .

(٧) نعلا كثيفا : ثخينا وبها يروى .

أُريدُ مشُطاً ومُوسَى　　أُريدُ سَطلاً وَلِيفاَ[1]

يَـا حَبَّذا أَنا ضَيَفاً　　لَكُمْ وأَنتَ مُضِيفاَ[2]

رَضِيتُ منكَ بِهذا　　ولَمْ أُرِد أنْ أَحيفاَ[3]

قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ : فنُلْتُهُ درهَما وقُلتُ لهُ : قَد آذنتُ بالدَّعوَةِ وسنُعدُّ ونستَعِدُّ[4]. ونجتَهِدُ ونجِدُّ. ولكَ علَيْنا الوعدُ منْ بعدُ[5] وهذا الدِّرهمُ تذكرَةٌ معكَ فخذِ المنقودَ. وانتظرِ الموعُودَ. فأَخَذَهُ وصارَ إلَى رجُلٍ آخرَ ظننتُ أنَّهُ يلقاهُ بمثلِ ما لقيَنى[6]. فقالَ:

---

(١) السطل : أناء يوضع الماء فيه معروف عند العامة والمراد أدوات النظافة .

(٢) المضيف : صاحب الدار الذى يكون عنده الضيف يقول : أذا قبلتنى عندك ضيفا فنعم الضيف أنا ونعم صاحب الدار أنت .

(٣) أحيف : أجور أو أشق عليك يعنى أننى أقتنع منك بهذا القدر من الكرامة وما أحب أن أثقل كاهلك بالمطالب .

(٤) آذنت بالدعوة : أعلمتك بها ورضيتك ضيفا وسنعد : بمعنى نهىء لك ما طلبت . ونستعد : نتهيأ لملاقاتك واستقبالك .

(٥) أى : لا يكن طمعك فى استدعائنا إياك اليوم فانتظره وخذ الآن هذا الدرهم لتتذكرنا به .

(٦) أى أننى توهمت أنه حفظ هذا الكلام فهو يقوله لكل من لقيه .

يَـا فاضِـلاً قـدْ تبَّدى كـأنَّـهُ الغُصـنُ قـدًّا[1]

قد اشتَهى اللَّحمَ ضِرسِي فَاجلِدهُ بِالخُـبزِ جلداً[2]

وَامنُـنْ علـىَّ بِـشَـىءٍ واجعَلهُ للوَقـتِ نقـداً[3]

أَطلِـقْ مـنَ اليَـدِ خصـراً وَاحلُلْ منَ الكيسِ عَقْـداً

واضمُـمْ يَـدَيـكَ لأجـلِى إلَـى جَنـاحِـكَ عَمْـداً

قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ : فلمَّا فتَقَ سَمعى منهُ هذا الكلامُ علمتِ أن وراءَهُ فضلاً[4] فتَبِعتُهُ حتَّى صارَ ألَى أُمِّ مثواهُ[5]. ووقَفتُ منهُ

(١) تبدى : ظهر . قدا : قامة وهذه اللفظة تمييز ومن عادتهم أن يشبهوا القامة بالغصن فى اعتداله قال الشاعر وفيه اللف والنشر .

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال قدا ولحظا وردفا

(٢) يقول : أن ضرسى قد أجرم جرما فظيعا باشتهائه اللحم وان لم يذق فأصبح يستحق العقوبة فأدها أنت بأن تجلده بالخبز، وقد أبدع جدا فى هذه الحيلة لطلب الخبز . (٣) نقدا : حالا والمعنى لا تؤخر منتك فخير البر عاجله .

(٤) فتق سمعى : خرقها كانما كانت رتقاء . وفضلا . بقية .. والمعنى أننى حينما سمعت كلامه ورأيته يذكر لكل واحد نوعا من فصيح القول وبارع الأسلوب أيقنت أن لهذا المقال بقية وأنه لم ينضب معينه ولم تنفد كلماته .

(٥) المثوى : الاقامة . وأم مثواه : كناية عن أمرأته لانها موجودة حيث يقيم أو لانها التى تحمله على الاقامة .

بحيثُ لا يرانى وأراهُ. وَأَماطَ السَّادَةُ لُثُمَهُم[1] فإذَا زعيمُهُم أبُو الفتحِ الإسكندَرِىُّ. فنظَرتُ إليهِ وقُلتُ: ما هذهِ الحيلةُ ويحكَ؟ فأَنشَأَ يقُولُ :

هذا الزَّمانُ مشُومُ ... كمَا تراهُ غَشُومُ[2]
الحمقُ فيه مليحُ ... والعقلُ عيبُ ولومُ[3]
والمالُ طيفُ ولكِنْ ... حولَ اللِّئامِ يحومُ[4]

---

(١) أماط : أزاح . لثمهم : جمع لثام وهو ما يغطى الوجه .

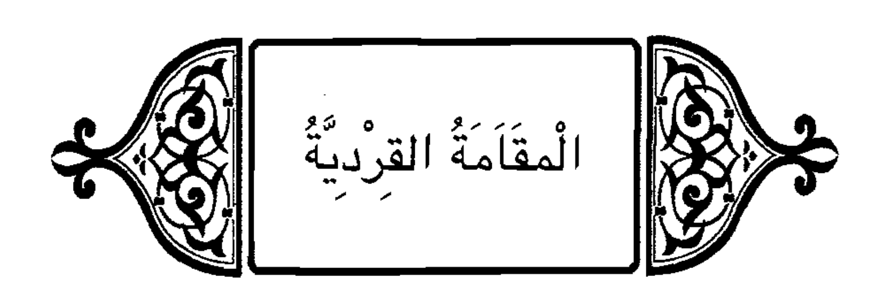
(٢) مشوم : أى جالب للشؤم آت بالنحس، وغشوم : قاس . ظالم . شديد عات .

(٣) الحمق : الغباوة وضعف العقل ، ولوم : مخفف لؤم مهموزا والمعنى أن الجهالة وضعف المدارك أمر مستحسن مقبول فى زمننا هذا والعقل منقصه ومذمة :

كم عالم عالم أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

(٤) الطيف : الخيال الذى يمر بك فى نومك . ويحوم : يدور والمعنى أن المال سريع فى انتقاله سرعة الطيف وشيك التحول كثير التردد ولكنه إنما يدور على اللئام ويقع لدى الخبيثين ، فمن شاء أن يثرى أو يكون ذا بسطة من المال فليس له إلا أن يتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم .





الْمَقَامَةُ القِرْدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بينْا أنا بمدينةِ السَّلامِ[١]. قافِلاً منَ البلدِ الحرامِ[٢]. أميسُ ميسَ الرِّجلَةِ[٣]. علَى شاطىءِ الدَّجلةِ[٤] أتامَّلُ تلكَ الَّطرائفَ. وأتقصَّى تلكَ الزَّخارِفَ[٥]. إذ انتهيتُ إلَى حلقَةِ رجالٍ مزدحمينَ يلوِي الطربُ أعناقَهُمْ ويشُقُّ الضَّحكُ أشداقَهُمْ[٦] . فساقنِي الحرصُ إلَى ما ساقَهم. حتَّى وقفتُ

(١) مدينة السلام هى بغداد .

(٢) قافلا راجعا وآيبا، والبيت الحرام المراد مكة .

(٣) أميس: أتبختر في مشيتى، والرجلة نوع من البقل تنبت فى مجرى السيل وتسارع فى الكبر فيأتيها الماء فيقتلعها وبها يضرب المثل فى الحمق وتسمى البقلة الحمقاء .

(٤) الدجلة نهر بغداد هو والفرات صنوان .

(٥) الطرائف:جمع طريفة وهي الأمر الجميل المستحدث ومثلها الطرفة بضم أوله واتقصى : أبالغ فى البحث كأنه من أقصى الشىء يعنى غايته ونهايته .

(٦) يعنى أنه ظهرت علائم الغرابة عليهم فى التواء أعناقهم وكثر ضحكهم .

بمسمعٍ صوت رجلٍ دُونَ مرأى وجهه لشدَّة الهجمةِ. وفرطِ الزَّحمةِ[١]. فإذا هُو قرَّادٌ يرقصُ قردَهُ. ويُضحكُ منْ عنده. فرقصتُ رقصَ المحرَّج[٢]. وسرتُ سيرَ الأعرجِ[٣] . فوقَ رقابِ النَّاسِ يلفظُني عاتقُ هذا لسرَّةِ ذاكَ حتَّى افترشتُ لحيةَ رجلَينِ . وقعدتُ بعدَ الأينِ[٤]. وقدْ أشرقنيِ الخلجَلُ بريقه[٥]. وأرهقني المكانُ بضيقه[٦]. فلمَّا فرغَ القرَّادُ منْ شغله . وانتفضَ المجلسُ عنْ أهلهِ قمتُ وقد كسانيِ الدَّهشُ حُلتَّهُ[٧] ووقفتُ لأرى صُورتهُ.

---

(١) يعنى أن زحام الواقفين وكثرتهم منعانى عن رؤيته وإن كنت بحيث أسمع صوته .

(٢) أراد أسرعت فى السير إليه لاكتشاف حاله كما يسرع الكلب الذى علمه صاحبه شدة العدو وسرعة القفز .

(٣) المراد أنه كان يتلوى فى سيره ذات اليمين وذات الشمال .

(٤) الأين: التعب والإعياء والكلال، وأراد أنه جلس فى شدة الزحمة فكانه جلس على وجوه الناس .

(٥) أشرقنى: أغصنى، والخجل: الحياء الشديد والمعنى أننى خجلت حتى سال ريقى لدرجة أنى غصصت به فإضافة الريق للخجل من إضافة الشىء إلى سببه.

(٦) كلفنى شدة وحملنى مشقة .

(٧) حلته : لباسه، وشبه الدهش بإنسان يكسوه بلبوسه وأضاف الحلة إليه تخييلا .

فـإذَا هُو واللهِ أبُو الفـتـحِ الإسكندرِىُّ. فـقلتُ : مَـا هذهِ الدَّناءَةُ ويحكَ[1]؟!. فأنشأَ يقُولُ :

الذَّنبُ للأَيـامِ لا لـىِ   فاعتَبْ علَى صرفِ اللَّيالى[2]

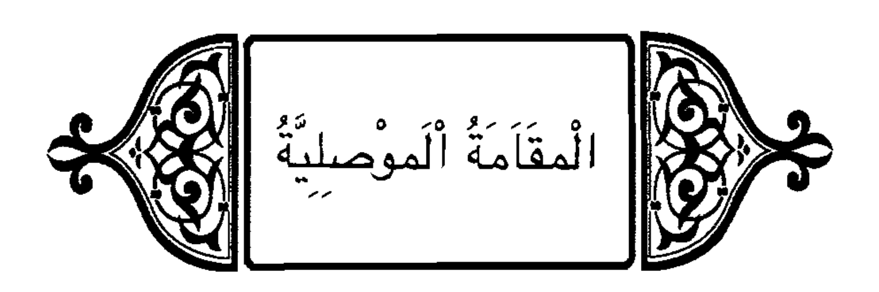
بالحمقِ أدركتُ المنىَ   ورفـلتُ فىِ حُلَلِ الجمـالِ[3]

(١) الدناءة الخسة والمعنى كيف تتعاطى هذه الحرفة الخسيسة التى لا يحترفها غير أدنياء النفوس .

(٢) صرف الليالى : محنها ومصائبها، والمعنى أنه لا ذنب لى فى انتهاج هذه الخطة لأن شدائد الدهر هى التى ساقتنى إليها فإن كنت عاتبا ولابد فاجعل عتابك موجها لها.

(٣) المعنى أننى نلت ما تمنيت وبلغت ما أملت بتجاهلى إذ أن الزمن لا يسعف إلا الجهلاء .





الْمقَامَةُ الْمَوْصِلِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : لَمَا قفلنْا منَ الموصلِ(١). وهممنْا بالمنزلِ(٢) . وملكتْ علينْا القافلةُ. وأخذَ منَّا الرَّحلُ والرَّاحلةُ جرتْ بِى الحشاشةُ إلىَ بعضِ قراها(٣). ومعىَ الإسكندرِىُّ أبُو الفتحِ فقلتُ أينَ نحنُ منَ الحيلة؟(٤) . فقالَ : يكفِي اللهُ(٥). ودفعنْا إلىَ

---

(١) الموصل بلدة بين العراق والجزيرة ويقال لها وللجزيرة: موصلان تغليبا.

(٢) هم بالشىء وتهممه طلبه والمعنى وطلبنا دارا نحلها وننزل فيها.

(٣) أى تاقت نفسى ورغبت فى الخروج إلى بعض القرى طلبا للرياضة وترويحا للنفس. والحشاشة ما تبقى من الحياة وكأن السفر اجهده وأنهك جسمه حتى عبر بذلك.

(٤) أى ما قيمة اتصالنا به وقدرتنا عليها وهل نحن بمقربة منها فنستطيع أن نجرى فيها شوطا ونبلغ بها مأربا .

(٥) أراد أن يكال الأمر له تعالى وأنه الذى يقدرهم على استعمال الحيلة وهى كلمة تقال فى العادة عند العزم على ارتكاب الأمر وفعله مثل : إن شاء الله.

دارٍ قدْ ماتَ صاحبهُا. وقامتْ نوادبُها. واحتفلتْ بقومٍ قدْ كوَى الجزعُ قلوبهُم[1]. وشقَّتِ الفجيعةُ جيوبهُمْ[2]. ونساءٍ قدْ نشرن شعورهُنَّ[3]. يضرِبنَ صدُورهُنَّ وجددنَ عُقودهُنَّ. يلطِمنَ خدودهُنَّ[4]. فقالَ الإسكندريُّ: لنَا في هذا السَّوادِ نخلهٌ. وفي هذا القطيعِ سخلةٌ[5]. ودخلَ الدَّار لينظُر إلىَ الميتِ وقدُ شدَّتْ عصابتُهُ ليُنقلَ. وسخِّنَ ماؤُهُ ليغسلَ. وهُيءَ تابوتُهُ ليحملَ.

---

(١) الجزع: الحزن وقد شبهه بالنار فى شدة تاثيره وقوة فعله فيهم وأسند الفعل وهو كوى إليه على سبيل الاستعارة التخييلية.

(٢) الجيوب جمع جيب وهى طوق القميص ونحوه من الثياب وفى الحديث. (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب).

(٣) نشرن شعروهن: أرسلنها وتركنها غير مجدولة.

(٤) شددن عقودهن: جمع عقد بفتح أوله أى ربطن على أعناقهن وبعض المواضع من جسمهن ليسنى لهن اللطم وفى بعض النسخ جددن بالجيم بدل شددن والمعنى قطعن عقودهن والمرد بالعقود على هذا القلائد.

(٥) المراد بالسواد: النخيل المتكاثف وعبر عنه بذلك لأن لون السواد هو الظاهر الغالب عليه ومنه قيل لريف العراق ورساتيقها سواد والقطيع جماعة الغنم والسخلة ولد الضأن ذكرا أو أنثى والمعنى أن لنا فى هذا المكان لمنفعة.

وخـيطَتْ أثوابُهُ ليكفَّنَ. وحـفـرَت حـفـرتُهُ ليـدفنَ[1]. فلمَّـا رآهُ الإسكندرىُّ اخـذَ حلقهُ. فجسَّ عـرقُه. فقالَ : ياقـومُ اتَّقوُا اللهَ لا تدفنوهُ فـهُـوَ حىٌّ وإنمَّا عـرتهُ بهـتَةٌ. وعلتـهُ سكتـةٌ[2]. وأنا أُسلمـهُ مفتُوحَ العينينِ[3]. بعدَ يومينِ. فقالُوا : منْ أينَ لكَ ذلك؟ فَقَالَ : إنَّ الرَّجلَ إذا مـاتَ بردَ استـهُ[4]. وهذا الرَّجلُ قـدْ لمستـهُ فـعلمتُ أنَّهُ حىٌّ فـجـعلوا أيديهُم فى اسـتـهِ. فـقـالوا : الأمـرُ علىَ مـا ذكـرَ. فـافـعلوا كمَا أمرَ[5]. وقـامَ الإسكندرىُّ إلىَ الميتِ . فنزعَ ثيـابه ثُمَّ

(١) المراد من كل هذا الدلالة على أن الجـمـيع قـد ايقنوا بموته وتأكـدوا من مفارقته الحياة فاشتغلوا بإعداد ما يلزم لمواراته التراب إكراما له لأن كرامة الميت فى سرعة دفنه .

(٢) عرته : نزلت به ودهته، وبهتـة: بغتة أى أمر منعه عن الحديث وشبـهه من أمارات الحياة، وسكتة نازلة بالمخ تعطل المرء عن أعمال الأحياء وقد لا يكون ميتا فيتوهم من يراه أنه مات .

(٣) أى حيا.

(٤) يروى: برد أبطه وهى أكثـر أدبا وتحشـمـا بل وأقرب إلى العـقل وذلك أن الأبط مكان كثير الدفء فى حال الحياة بما يكون من اجتماع العضد إليه .

(٥) أى أننا وجدنا الأمر كما قال فامتثلوا أمره واعملوا بإشارته .

شدَّ لهُ العمائِمَ(١). وعلَّقَ عليهِ تمائمَ(٢). وألعقَهُ الزَّيتَ(٣). وأخلَى لهُ البيتَ. وقالَ : دعوهُ. ولا تُروِّعوهُ(٤). وإنْ سمعتمْ لهُ أنيناً فلا تجيبُوهُ. وخرجَ منْ عندهِ وقدْ شاعَ الخبرُ وانتشرَ. بأنَّ الميتَ قدْ نُشِرَ. وأخذتنا المَبَارُّ. منْ كُلِّ دارٍ(٥). وانثالت علينا الهدايا منْ كُلِّ جارٍ(٦). حتَّى ورمَ كيسنُا فضَّةً وتبراً(٧). وامتلأَ رحلنُا أقطاً وتمراً(٨). وجهدنا أنْ ننتهزَ فرصةً(٩). في الهربِ فلمْ نجدها حتَّى

(١) العمائم جمع عمامة وهي علامة الأحياء فوق رءوسهم كالعصائب للأموات .

(٢) التمائم: جمع تميمة وهي ما يوضع على وجه الصبي والمسحور ونحوهما لتقيهما العين كالتعويذ قال بعض الشعراء .

بلاد بها حل الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

(٣) ألعقه وضع في فمه وإنما ألعقه الزيت ليلين منه ما يبس ويطري ماجف .

(٤) أي اتركوه ولا تزعجوه بأصواتكم . (٥) المبار جمع مبرة وهي العطية وكأن الميت كان عزيزا لدى الجميع من جيرته وعارفيه حتى لم تبق دار إلا وقد جاءتهما صلة منها . (٦) انثالت : انهالت وتتابعت . (٧) التبر الذهب قبل أن يسك نقودا، والمراد أنه وصل إليهما ما لم يطق كيسهما حمله حتى لقد ورم أي انتفخ . (٨) الرحل : الوعاء يوضع فيه متاع المسافرين كالعدل ونحوه، والاقط: اللبن يجعل فيه الملح ويجفف وربما سمي جبنا والتمر معروف والمراد أن العطايا لم تقتصر على النقود بل كان منها بعض المطاعم الجافة التي يستطيع المسافر حملها. (٩) جهدنا: أي بذلنا كل ما في وسعنا لنجد وقتا يشتغل عنا القوم فيه فنطلق لأنفسنا العنان طلبا للنجاة منهم وخوفا لما عساه أن يكون حينما تفتضح حيلتنا وتظهر خدعتنا .

حلَّ الأجلُ المضـروبُ واستنجزِ الوعدُ المكذُوبُ[1]. فقال الإسكندرىُ : هل سمعتمْ لهذا العليلِ ركزاً[2] . أو رأيتمْ منهُ رمزاً؟[3] . فقالُوا: لا. فقالَ: إنْ لمْ يكنْ صوتَ مذْ فارقتهُ. فلمْ يجيءْ بعدُ وقتهُ[4]. دعوهُ إلى غدٍ فإنَّكُمْ إذا سمعتُم صوتهُ. أمنتْم موتهُ. ثُمَّ عرِّفُونى لأحتالَ فى علاجهِ. وإصلاحِ ما فسدَ منْ مزاجهِ[5]. فقالوا : لا تُؤخِّرْ ذلكَ عنْ غدٍ. قالَ : لا فلمَّا ابتسمَ ثغرُ الصبحِ[6]. وانتشرَ جناحُ الضوءِ. فى أفُقِ الجوِّ. جاءَهُ الرِّجالُ أفواجاً[7]. والنِّساءُ أزواجاً. وقالوا : نحبُّ أنْ تشفىِ العليلَ . وتدعَ القالَ والقيلَ[8]. فقالَ الإسكندرِىُّ : قومُوا بِنا إليهِ ثُمَّ حدرَ

(١) أى طلبوا منا الوفاء بما وعدهم الاسكندرى . (٢) الركز الصوت الخفى وفى التنزيل (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) . (٣) رمزا: إشارة . والمراد هل ظهرت عليه أمارة الحياة؟ (٤) أى أن لهذه التمائم وقتا يظهر إذا ظهر صوته فما دام لم يفعل فإن الوقت لم يحن . (٥) أى اتركوه إلى غد ليصوت فتظهر فائدة هذه التمائم ومتى فعل ذلك لم تبق من خشية عليه ويريد بهذا تأجيل المواعيد لعله يتمكن من الهرب . (٦) أى حينما لاح النهار وظهرت تباشير الصباح والمراد أنهم سارعوا إليه بمجرد طلوع النور وانفلاق الظلام .

(٧) جماعات يتلو بعضهم بعضا . (٨) العليل : المريض لأنهم اعتقدوا ذلك والمعنى أنا لا نقبل منك التسويف والإمهال ولا نرضى إلا أن تشفيه كما زعمت .

التمائمَ عن يدهِ[1]. وحلَّ العمائمَ عنْ جسدهِ[2]. وقالَ : أنيمُوهُ علىَ وجههِ. فأُنيمَ. ثُمَّ قالَ : أقيموهُ علىَ رجليهِ. فأُقيمَ. ثُمَّ قالَ : خلُّوا عنْ يديهِ. فسقطَ رأسيًّا[3] وطنَّ الإسكندرىُّ بفيهِ[4] وقالَ : هوَ ميتٌ كيفَ أحييهِ؟. فأخذهُ الخفُ[5]. وملكتهُ الأكفُّ. وصارَ اذَا رفعتْ عنهُ. يدٌ وقعتْ عليهِ أُخرى. ثُمَّ تشاغلُوا بتجهيزِ الميتِ. فانسللنا هاربينَ حتَّى أتينا قريةً علىَ شفيرِ وادٍ[6] السَّيلُ يُطرِّفُها[7] . والماءُ يتحيفَّهُا[8] . وأهلهُا مغتمُّونَ لا يملكُهمْ غمُض

(١) حدر : أبعده ونحاها عن مكانها . (٢) كانت العمائم فوق رأسه فقط فعبر عنها بالجسد تعبيرا باسم الكل عن البعض . (٣) سقط رأسا: أى على رأسه علامة على أنه لم يتمالك نفسه ولم يستطع القيام وذلك دلالة الموت ويروى : راسيا أى ثابتا لا يتحرك . (٤) الطنين : صوت الذباب . ولما كان الخجل قد عقد لسانه وحبس صوته عبر به إذ هو أضعف الأصوات . (٥) الخف : الحذاء وأخذه أى أخذوه به وأراد ضربوه إهانة لقدره واستصغارا لشأنه ويروى الجف بالجيم وهو الكثير من الناس ومعنى ملكته الأكف أنها أحاطت به وتناولته من كل جهة حتى صار كعبد امتلكته فليس فى طوقه الفرار منها .

(٦) شفير الوادى : أعلا حرفه . (٧) يطرفها أى يجعل بعض أطرافها فى البعض الآخر لأنه إذا سال فى طرف انتقل سكانه إلى الطرف الثانى مأخوذ من قولهم طرف الخيل إذا رد بعضها على بعض .

(٨) يتحيفها : يجور عليها فينقص أطرافها .

اللَّيلِ[1]. منْ خشيةِ السَّيلِ. فقالَ الإسكندرىُّ : ياقومُ أنا أكفيُكمْ هذا الماءَ ومعرَّتهُ[2]. وأرُدُّ عنْ هذه القريةِ مضرَّتهُ . فأطيعونى. ولا تُبرمُوا أمراً دُونى[3]. قَالوا : وما أمرُكَ؟ فقالَ : اذبحُوا فى مجرى هذا الماءِ بقرةً صفراءَ . وأتُونِى بجاريةٍ عذراءَ[4]. وصلُّوا خلفى ركـــعـــتينِ يثنِ اللهُ عنكُمْ عنانَ هذا الماءِ. إلَى هذهِ الصَّحراءِ[5]. فإنْ لمْ ينثنِ فدمي عليكُمْ حلالٌ[6] . قالوا : نفعلُ ذلكَ فذبحُوا البقرةَ وزَوجُوهُ الجاريةَ وقامَ إلىَ الرَّكعتينِ يُصلِّيهمَا. وقالَ : يا قومُ احفظُوا أنفسكُمْ لا يقعْ منكُمْ فىِ القيامِ كبوٌ. أو

(١) الغمض : النوم وقد شبهه بإنسان له سطوة ونفوذ يمتلك بهما وأسند إليه الفعل تخييلا . (٢) معرته : أذاه. ولما كان فى هجوم السيل عليهم خروج لهم من ديارهم وظهور لحرائرهم عبر أذاه بالمعرة التى هى الفضيحة والعار .

(٣) أى لا تبتوا فى هذا الشأن برأى ما لم أشارككم فيه .

(٤) عذراء : بكر، وأراد بتخصيص البقرة بأن تكون صفراء أن يوهمهم أن لهذا اللون خاصة وأنهم متى فعلوا نجحوا فى أملهم ولم تخب ظنونهم وليوجه أفكارهم إلى قصة بنى إسرائيل والقتيل وأن الله اختار لهم هذا اللون فى بقرتهم حيث قال: (أنه يقول أنها بقرة صفراء) الآية .

(٥) يثنى يحول وكأنه فرض الماء دابة جموحا فأضاف إليه العنان وهو اللجام .

(٦) أىَ إذا لم يكن ما أردتم وهو تحويل الماء عنكم بعد هذا الذى أمرتكم به فقد أبحت لكم أن تقتلونى .

فِى الرُّكوعِ هفوٌ. أو فيِ السُّجودِ سهوٌ. أو فِى القُعودِ لغوٌ[1]. فمتَى سهونَا خرجَ أملنَا عاطلاً. وذهبَ عملُنا باطلاً[2]. واصبرُوا علىَ الرَّكعتينِ فمسافتُهمَا طويلةٌ وقامَ للرَّكعةِ الأُولىَ فانتصَبَ انتصابَ الجذعِ[3]. حتَّى شكوْا وجعَ الضِّلعِ[4]. وسجَدَ. حتَّى ظنوا انَّهُ قدْ هجدَ[5]. ولمْ يشجُعُوا لرفعِ الرُّؤُوسِ. حتَّى كبرَ للجلُوسِ ثُمَّ عادَ إلىَ السَّجدةِ الثَّانيةِ وأُومَأَ إلىَّ[6] فأَخذنَا الوادىَ

(١) كبو : أى لا تملوا الوقوف ولا تتعبوا منه فتكبوا أى تقعوا، هفو أى لا تسأموا طول الركوع فتسرعوا إلى القيام، من هفا يهفو إذا أسرع سهو: أى لا تستطيلوا السجود مهما بلغ فيسهو أحدكم فيرفع رأسه، لغو. أى لا تقرأوا غير الوارد فى السنة مهما امتد أجل القعود .

(٢) أى أن نجاح آمالنا موقوف على أداء الصلاة على وجهها الذى ذكرت لكم .

(٣) أى وقف معتدلا اعتدال جذع النخلة ثابتا ثباتها لا يتحرك ولا يميل .

(٤) إذا طال القيام بلا حركة ملت الأعضاء وتألمت الأضلاع وهو قد أطال عليهم حتى أحسوا بذلك .

(٥) هجد : نام، أى أنه أطال فى السجود حتي حسبوا أن النوم قد غلبه ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا رؤوسهم خوفا مما حذرهم منه وهو ضياع المقصود .

(٦) أومأ إلى : أشار لى إشارة خفية لأقوم معه .

وتركنَا القومَ ساجدينَ لا نعلمُ ما صنَعَ الدَّهرُ بهِمْ. فأنشأَ أبُو الفتحِ يقُولُ :

لا يُبعِدِ اللهُ مثلى   وأينَ مثلىَ أينَا؟

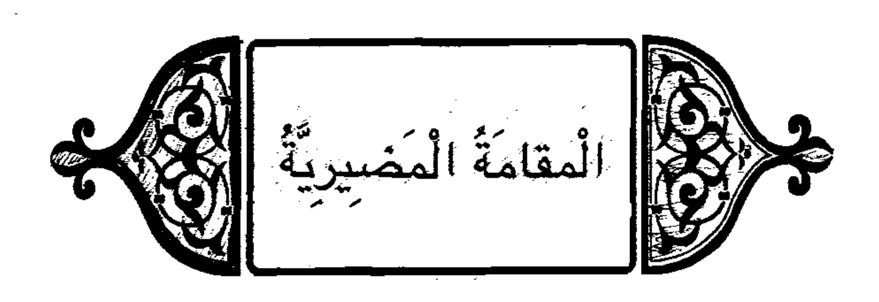
للهِ غفلةُ قومٍ   غنمتُهَا بالهُوَينا !

اكتلتُ خيراً عليهم   وكلتُ زُوراً وميناَ[1]

---

(١) يقول: أننى رجل داهية يندر وجود مثلى فى الدهاء والحيلة ولقد استطعت أن أصل إلى ما اغلق دون الناس جميعا بدون كد ولا اجهاد وأخذت منهم عظيما ومع ذلك لم أعطهم شيئا غير الكذب والخداع .





الْمقامَةُ الْمَضِيرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : كنتُ بالبصرةِ(١) ومعي أبُو الفتحِ الإسكندريُّ رجلُ الفصاحةِ يدعُوها فتجيبهُ. والبلاغةِ يأمُرُها فتطيعُهُ(٢). وحضرنا معهُ دعوةَ بعضِ التُّجَّارِ فقدِّمتْ إلينْا مضيرةٌ(٣) تُثْنِي علىَ الحضارةِ(٤). وتترجرجُ في الغضارةِ(٥).

---

(١) البصرة مدينة معروفة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة من الهجرة كانت مساحتها فى عهد خالد القسرى فرسخين فى مثلهما وبلغ عدد سكانها في عهد المنصور الخليفة العباسى مبلغا عظيما حتى لقد أرادوا أن يقسموا على من يستحق العطاء ألف ألف درهم فلم يأخذ كل واحد أكثر من درهمين . (٢) أى أنه الوحيد المالك لزمام البلاغة والمصرف لأعنتها والقدير على رياضتها وهى لا تعصى له أمرا ولا تخالف له رغبة ما شاء تشاء وما كره تكره. (٣) المضيرة نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن الحامض وربما أضيف إليه الحليب ثم يوضع على ذلك التوابل والأبزار . (٤) أى تدل على أن أهل الحضر أقدر في صنعها من البدو فتشهد لهم بطول البا ع .

(٥) تترجرج : تموج وتتحرك، والغضارة القصعة .

وتُؤذنُ بالسَّلامةِ[١]. وتشـهدُ لمعُاويةَ رحمـهُ اللّهُ بالإمـامـة[٢]. فى قصعَةٍ يزلُّ عنها الطَّرفُ . ويموجُ فيها الظَّرفُ[٣]. فلمَّا أخذتْ منَ الخـوانِ مكانهَـا[٤]. ومنَ القُلوبِ أوطانهَـا[٥]. قـامَ أبوُ الفـتحِ

---

(١) أى أن من يأكلها لا يتشكى ولا يتألم وذلك من أسباب الإقبال عليها ودواعى التسارع إليها .

(٢) كان جلساء معاوية رضى الله عنه يقولون : أن طعامه دسم. ولم يشايعه فى إمامته حال حياة على كرم الله وجهه غير من يريدون ذلك فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعى التفافهم حوله .

(٣) يزل : ينبو، ويبعد، ويزلق، والطرف : العين. ويروى يكل من الكلال وهو الإعياء والتعب وأصل الظرف : ذلاقة اللسان وحسن البيان وقوة العارضة فى الذى يأخذ القلب ويملك النفس، وأراد منه هنا مجرد الحسن والجمال من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب، والمعنى أن هذه القصعة كانت براقة كثيرة التألق شديدة اللمعان، بهجة الرواء حتى أن البصر لا يثبت عليها ولا يستطيع أدامة رؤيتها لأن أشد الأشياء تفريقا للعين أكثرها وميضا وبريقا وأنها وسيعة بعيدة الجوانب حتى أن الحسن والبهاء ليموجان فيها .

(٤) الخوان - كما سبق مرارا - ما يوضع عليه الطعام ومعنى أنها أخذت مكانها منه : أنها وضعت عليه .

(٥) الوطن هو المحل الذى يلازمه الإنسان فى أغلب حياته، وذلك كناية عن أن جمال المضيرة قد شغف قلوبهم وحل منها محل الحبيب من قلب المحب .

الإسكندَرىُّ يلعنهُا وصاحبهَا. ويمقُتهُا وآكلهَا. ويثلبُها وطابخها[١]. وظننَّاهُ يمزحُ فإذَا الأمرُ بالضِّدِّ. وإذَا المزاحُ عينُ الجدِ[٢]. وتنَحَّى عنِ الخوانِ[٣]. وتركَ مُساعدةَ الإخوانِ. ورفعناها فارتفعتْ معهَا القلوبُ وسافرَتْ خلفهَا العيونُ[٤] وتحلَّبَتْ لهَا الأفواهُ[٥]. وتلمَّظتْ لها الشِّفاهُ[٦]. واتَّقدتْ لهَا الأكبادُ ومضىَ فى إثرِها الفُؤَادُ[٧] . ولكنِا ساعدناهُ علىَ هجرِها وسألناهُ عنْ

---

(١) مقته يمقته مقتا ومقاتة: أبغضه وكرهه، ومثله مقته (بالتضعيف) فهو مقيت وممقوت، وثلبه يثلبه - من باب ضرب - لامه، وعابه وطرده وثلمه والاسم المثلبة (بفتح اللام وتضم) والمعنى أنه ما فتئ يسب ويشتم ويلوم ويلعن كل من كانت له يد فى تقديم هذه المضيرة .

(٢) المعنى: أننا ما كنا نتوهم أنه يكون جادا فى كلامه لما كانت عليه المضيرة من البهاء والرونق ولكنه كان حقيقة جادا . (٣) تنحى: ابتعد .

(٤) يعنى أننا كنا نتمنى لو دامت أمامنا فلما رفعناها كراهية منا توجهت إليها قلوبنا وانصرفت نحوها أعيننا . (٥) أى سال لعابها وجرى ريقها .

(٦) أصل التلمظ إخراج اللسان : ليأخذ ما على الشفتين من آثار الطعام وقد أسنده إلى الشفتين لأنه لابد من حركتهما حينذاك، وكأنهم تخيلوا أنهم طعموا منها فتلمظوا . (٧) اتقدت : احترقت، وإنما يحترق كبد المرء إذا فقد عزيزا عليه، وذلك كناية عن شدة تألمهم لتفويته عليهم لذة التمتع بأكلها، ومضى الفؤاد: أى أنه قد ذهل كل منا وأخذته الدهشة فكأنه قد ضاع صوابه وفقد رشده .

أمرِها[1]. فقالَ : قصتّى معهَا أطولُ منْ مُصيبةِ فيهِا. ولو حدَّثتكُمْ بهِا لم آمنِ المقتَ. وإضاعةَ الوقتِ[2]. قُلنا : هاتِ قالَ : دعانى بعضُ التُّجَّار إلىَ مضيرَةٍ وأنَا ببِغذاذَ ولزمنىِ ملازمةَ الغريمِ. والكلبِ لأصحابِ الرَّقيمِ[3]. إلى أنْ أجبتهُ إليها وقمنا فجعلَ طُولَ الطَّريقِ يثُنىِ علىَ زوجتهِ ويُفديِّهَا بمُهجتهِ. ويصفُ حذقها فى صنعتهِا. وتأنقها فى طبخهِا[4] . ويقولُ : يا مولاىَ لو رأيتهَا.

---

(١) المعنى أننا وافقناه على ما فعل وأظهرنا له الرضا عنه والقبول لتركها غير أننا سألناه عن الذى دعا إلى ذلك إذا لم يكن تركها مما يعد أمرا مرضيا فنسكت عنه . (٢) أى أن الحادثة يطول بى شرحها فلو أنى حدثتكم بها لخفت منكم كراهيتى ولم آمن أن يضيع فى سردها وقت نكون فى حاجة إليه .

(٣) أصحاب الرقيم هم أصحاب الكهف الذين جرى ذكرهم فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) . وكان لهم كلب لم يفارقهم. والغريم صاحب الدين وهو لا يفارق مدينه ولا يخفف عليه الطلب . (٤) يثنى على زوجته : يمدحها ويذكر محاسنها، يفديها بمهجته : يجعل نفسه فداء لها وذلك كناية عن عزتها عليه ومحبته لها، والحذق- بكسر أوله وفتحه - ومثله الحذاق والحذاقة - بكسرهما وفتحهما كذلك - المهارة وفعله حذق (بوزنى ضرب وعلم). وتأنق فى عمله: صنعه بالاتقان والحكمة ومثله تنوق: والمعنى أنه ظل يصف لى مهارة زوجته فى الذى تصنع ويحدثنى عن اتقانها وحكمتها فى عملها. والضمائر عائدة على زوجته، وإذا كانت ماهرة فى جميع =

والخــرقَــةُ فى وسـطهِــا[1]. وهـىَ تـدُورُ فى الدُّورِ. مـنْ التَّنُّورِ إلىَ القـدُورِ. ومنَ القـدُورِ إلى التَّنُّورِ[2]. تنفثُ بفـيِـهـا النَّارَ[3]. وتدقُ بيـديهْـا الأبزارَ[4]. ولو رأيتَ الدُّخَـانَ وقـدْ غـبَّـر فى ذلكَ الوجـهِ الجميلِ. وأثَرَ فى ذلكَ الخدِّ الصَّقيلِ[5]. لرأيتَ منظراً تحارُ فيهِ العيونُ. وأنَا أعشقُها لإنَّها تعشقُنى. ومنْ سعادةِ المرءِ أن يرزقَ المُساعدةَ منْ حليلتهِ. وأنْ يسعدَ بظعينتهِ[6]. ولاسيَّما إذَا كانتْ

= أعـمـالـهـا فـهـى لا شك حـاذقـة فى صنع المضـيـرة. وربما صح عـودها على المضيرة.

(١) الخرقة : لباس يجعله الطاهى (الطباخ) فوق صدره ويرسله إلى آخر ثيابه ليتقى به الوضر والدهن ورشاش الطعام وتسمى الآن بمصر (الفوطة). والجملة كناية عن نظافتها واهتمامها بالتأنق والإجادة .

(٢) التنور ما يـخبـز فيه أنواع الخبـز والقدور جمع قدر وهو الإناء الذى يطبخ فيه. (٣) تنفث : تنفخ . (٤) الابزار والأبازير : ما يوضع على الطعام لتمليح طعمـه وإعطائه نكهة طيبـة كالفلفل والقرنفل ونحوهمـا . (٥) الخد الصـقـيل : المجلو النظيف ويروى الأسيلى وهو اللين والمستطيل . (٦) أصل الظعـينة المرأة فى الهودج وأراد منها هنا المرأة فقط من إطلاق المقيد على المرسل والمعنى . أن من تمام رفاهية الإنسان واطمئنان عيشته واستتباب راحته أن تكون زوجته مساعدة لا مخالفة ولا مشاكسة بحيث تطيعه إذا أمر وتسره إذا نظر وتحفظه إذا غاب وتفرحه وإذا حضر .

منْ طينتِهِ. وهىَ ابنةُ عمِّى لحًّا[1]. طينتها طينتى. ومدينتَها مَدينتى . وعمُومَتِها عمومتى . وأرُومتُها أرومُتَى[2]. لكنها أوسعُ منِّى خلقاً . وأحسنُ خَلقاً[3]. وصدَعنى بصفاتِ زوجتِهِ . حتَّى انتهَينْا إلى محلَّتِهِ[4]. ثُمَّ قالَ يامولاىَ ترىَ هذهِ المحلةَّ. هىَ

(١) لحا: أى قرابة متصلة، أى أقرب أخ لأبى.

(٢) الأرومة الأصل وهى بفتح الأول - ويضم - والجمع أروم. وأراد من الطينة المنبت والمعنى أنى وإياها نشترك فى منبت (أى مكان الوجود) والمقام (أى مكان الإقامة) والعمومة والأصل فهى أشبه الناس بى وأنا أشبه الناس بها ولم تكن تليق إلا لى ولم أكن أجمل إلا لها .

(٣) أى أنها أجمل منى وأحسن أخلاقا، والخلق بضمتين واحد الأخلاق وهى الخصال التى يكون عليها المرء من خير وشر ويعرفه علماء النفس بأنه طبيعة تحمل صاحبها على اكتساب المحمدة أو ارتكاب المفسدة، والخلق بفتح فسكون: الخلقة .

(٤) صدعنى: جلب إلى الصداع، وهو بوزن غراب - وجع يأخذ الرأس والفعل : صدع (بالبناء للمجهول مضعفا) تصديعا ويجوز فى الشعر صدع كعنى فهو مصدوع. والمعنى أنه ظل يكثر من الكلام فى شأن زوجته والحديث عنها حتى أورثنى الصداع وجلب إلى وجع الرأس، وبغداد مقسمة إلى مجالات كتقسيم القاهرة إلى (أقسام وأحياء) فمحلته أى الجهة التى يسكنها من بغداد والحى الذى يقيم به .

أشرفُ محالٍّ بغدادَ يتنافسُ الأخيارُ فى نزولها . ويتغايَرُ الكبارُ فى حلُولها[1]. ثمُ لا يسكُنُها غيرُ التُّجارِ. وإنمَّا المرءُ بالجارِ[2]. ودارِى فى السِّطةِ منْ قلادتها[3]. والنقطَةِ منْ دائرتَهَا كمْ تقدرُ يا مولاىَ أُنفقَ علىَ كلِّ دارٍ منهْا؟ قلهُ تخميناً. إنْ لم تعرفهُ يقيناً[4].

---

(١) يقال نافس وتنافس إذا رغب على وجه المباراة والمسابقة فى مكارم الأمور ومنه قوله تعالى : (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون). وغايره : عارضه أو بادله، والمعنى أن هذه المَحلة أفضل محال بغداد وأحسنها لذلك فإنك ترى الكبار والعلية يتبارون فى سكناها ويتسابقون للحلول بها ويتعارضون فى دورها ومنازلها أو يتبادلون ذلك فيها .

(٢) من وصايا أمير المؤمنين : يا بنى سل عن الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار ، وقد نصح به كرم الله وجهه النصيحة الغالية فإن جار السوء يكدر صفو الحياة ويؤلم نفوس جيرانه، والحديث الشريف : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) وهذا التاجر يقول أن جميع جيرانه تجار فهو يريد أن يتمدح جيرانه ليلزم من ذلك امتداح نفسه ومنزله. وقد قال بعض الشعراء .

يلومونني إن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

(٣) السطة : الوسط، وأنفس ما يكون فى العقود والقلائد من حبات اللؤلؤ الواسطة فكأنه يقول أنه يقطن أشرف نقطة فى هذه المحلة .

(٤) أى إن كنت لا تستطيع أن تقدر على وجه اليقين نفقاتى على هذه الدار فلا بأس من أن تقول كم تتوهم أننى أنفقت .

قلتُ : الكثيرُ. فقالَ : يا سبحانَ الله ! ما أكبرَ هذا الغلطَ! تقولُ الكثيرَ فقطْ؟ وتنفَّسَ الصُّعداءَ[1]. وقالَ: سبحانَ منْ يعلمُ الأشياءَ. وانتهينَا إلىَ بابِ دارِه. فقالَ: هذهِ داري، كمْ تقدِّرُ يا مولايَ أنفقتُ علىَ هذهِ الطَّاقةِ؟[2] أنفقتُ واللهِ عليهْا فوقَ الطَّاقَةِ[3] ووراءَ الفاقةِ[4]. كيفَ ترى صنعتَها وشكلهَا؟ أرأيتَ باللهِ مثلهَا؟ أنظُر إلىَ دقائقِ الصَّنعةِ فيها وتأمَّل حُسنَ تعريجها فكأنمَّا خُطَ بالبركارِ[5]. وانظُر إلىَ حذقِ النَّجَّارِ في صنعَةِ هذا البابِ. اتخذهُ منْ كمْ؟. قلْ : ومنْ أينَ أعلمُ. هوَ ساجُ منْ قطعةٍ واحدةٍ لا

(١) أى : اظهر حزنه وأسفه بتنفسه من أعماق صدره تنفسا عاليا على عدم مبالغتى له فى النفقات .

(٢) النافذة (الشباك) .

(٣) القدرة والإمكان .

(٤) الفاقة : الفقر والاملاق، والمعنى إنه انفق عليها مقدارا يسوق إليه الفاقة ويجلب له الفقر ويجر عليه الإملاق .

(٥) البركار ويسمونه أيضا الفرجار آلة لتحديد الدوائر وتنظيمها يأمن بها الصانع من اختلاف النسب فى التدوير وهى التى تسمى الآن (برجل) والمعنى ظاهر .

مأرُوضٌ ولاعفنٌ.[1] إذَا حُرِّكَ أنَّ[2] وإذَا نقرِ طنَّ[3]. منِ اتَّخذهُ يا سيِّدى؟. اتَّخذهُ أبُو أسحق بنُ محمَّدٍ البصرىُّ وهوَ واللهِ رجلُ نظيفُ الأثوابِ. بصيرٌ بصنعةِ الأبواب[4] خفيفُ اليدِ فيِ العملَ، للهِ درُّ ذلكَ الرَّجلِ! بحياتى لا استعنتَ إلا بهِ علىَ مثله[5]. وهذهِ الحلقةُ تراها اشتريتهُا فيِ سُوقِ الطَّرائفِ منْ عمرانَ الطَّرائفِّيِ بثلاثةِ دنانيرَ معزِّيَّةٍ[6]. وكمْ فيها يا سيِّدى منَ

(١) الساج: شجر يطول ويرتفع جدا ويوجد بالهند. المأروض الذى أكلته الأرض وهى دويبة صغيرة، والعفن : الذى أصابته الرطوبة .

(٢) أى إذا فتح أو أغلق سمع صوت يشبه الأنين .

(٣) وإذا دق عليه كان له طنين وذلك دليل سلامته وجودة خشبه وصنعته .

(٤) أراد من وصف الصانع بأنه نظيف الأثواب أن يصف مصنوعاته بالنظافة والرواء والبهجة وأراد من كونه بصيرا بالصنعة أنها بالغة حد الاتقان متناهية الجودة والمتانة . (٥) أى إذا شئت أن تعمل مثل هذا الباب فلا تطلب غير ذلك الرجل الماهر الذى دلت صنعته فى هذا الباب على حذقه .

(٦) الحلقة : هى التى يدق بها عند الاستفتاح ويجذب منها عند الإغلاق وسوق الطرائف كان ببغداد لبيع النفائس والذخائر، والطرائف : جمع طريفة وهى المستحدث المعجب ومنه : هذا من طرائف مالى، وهذه طرفة من الطرف، ويقال مال طريف وطرف ومطرف ومستطرف، وأطرفت شيئا واستطرفته أخذته طريفا ولم يكن لى. والدنانير المعزية المنسوبة إلى المعز لدين الله .

الشَّبهِ؟[١] فيها ستَّةُ أرطالٍ وهيَ تدُورُ بلولبٍ في البابِ[٢] باللهِ دوِّرها. ثُمَّ انقُرها وأبصُرها. وبحياتي عليكَ لا اشتريتَ الحلقَ إلاَّ منهُ فليسَ يبيعُ إلا الأعلاقَ[٣] ثمَّ قرَع البابَ ودخلْنا الدِّهليزَ وقالَ : عمركِ اللهُ يا دارُ. ولا خرَّبكَ ياجدارُ. فمَا أمتنَ حيطانكِ. وأوثقَ بنيانكِ وأقوى أساسكِ. تأمَّلِ باللهِ معارجهَا[٤]. وتبيَّنْ دواخلهَا وخوارجهَا وسلنيِ : كيفَ حصلَّتَها. وكَمْ منْ حيلةٍ احتلتَها. حتَّى عقدتَها[٥]. كانَ لي جارٌ يُكنى أبا سليمانَ يسكُنُ هذهِ المحلَّةَ ولهَ منَ المالِ ما لا يسعُهُ الخزنُ. ومنَ الصَّامتِ ما لا يحصرُهُ الوزنُ[٦]. ماتَ رحمَهُ اللهُ وخلَّفَ خلفاً أتلفهُ بينَ الخمرِ

---

(١) الشبه بفتحتين: النحاس الأصفر .

(٢) قال صاحب القاموس : ويقال للماء الذى يحمل منه الفتح ما يسعه فيضيق صنبوره عنه من كثرته فيستدبر الماء عند فمه ويصير كأنه بلبل آنية - لولب- قال شارح القاموس : قال أبو منصور ولا أدرى أعرابى هو أم معرب غير أن أهل العراق أولعوا باستعمال اللولب .

(٣) الأعلاق النفائس جمع علق ومتى كان لا يبيع إلا الذخائر وكانت هذه منه فإنها ذخيرة . (٤) المعارج جمع معراج وهو الدرج تصعد به إلى سطح الدار أو الطابق الثانى منها وهو السلم أيضا. (٥) عقدتها: ملكتها .

(٦) الصامت الذهب والفضة ونحوهما .

والزَّمرِ[1] ومزَّقهُ بينَ النردِ والقمرِ[2] وأشفقتُ أنْ يسوقهُ قائدُ الاضطرارِ. إلىَ بيعِ الدَّار . فيبيعَها فى أثناءِ الضّجَرِ. أو يجعلهَا عرضةً للخطرِ. ثُمَّ أراها. وقد فاتنى شراها. فأنقطَعُ عليهْا حسَراتٍ. إلىَ يومِ المماتِ[3]. فعمدتُ إلىَ أثوابٍ لا تنضُّ تجارتُها فحملُتها إليهِ. وعرضتُها عليهِ.[4] وساومتُهُ علىَ أنْ يشتريها نسيَّةً[5]. والمدبرُ يحسبُ النسيَّةَ عطيَّةً[6]. والمتخلِّفُ يعتدُّها هديَّةٍ.

---

(١) خلف : ترك – ويقال للولد الصالح خلف بفتحتين وللفاسد الطالح خلف بفتح فسكون وفى التنزيل (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) .

(٢) المراد أنه بدد أموال أبيه فى الملاهى والمفاسد ومالايعود عليه بالفائدة .

(٣) أى أننى خفت أن تتحكم فيه دواعى السرف وشهوة الانفاق – وقد أضاع ما كان تحت يده من أموال أبيه – فتسوقه الضرورة لبيع هذه الدار ثم يشتريها منه سواى فأظل آسفا عليها إلى أن أفارق الحياة الدنيا والضجر: التبرم والتألم مع الملل والسآمة، وانقطع عليها حسرات مثل قوله تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى لا تحزن ولا تشتد بك الحسرة من أجلهم .

(٤) نضت التجارة : كسدت ولم ترج، وتحولت فقدا بعد أن كانت متاعا (ضدان) والثانى هو المراد هنا، والمعنى أننى أخذت بعض أثواب لا يتصور أن يتجر فيها لعدم رواج سوقها وحملتها إليه . (٥) نسيه : أى مع تأخير الثمن .

(٦) المدبر هو الذى يسير إلى الخلف وأراد منه المفلس لأنه كأنه بعد العز والغنى يسير فى طريق عكس الذى كان يسلكه .

وسـألتُهُ وثيقةً بأصلِ المالِ. ففعلَ وعـقدَها لي[1]. ثُمَّ تغافلتُ عنِ اقتضـائه[2]. حتَّى كادتْ حـاشيةُ حـاله ترقُّ فـأتيتُهُ فـاقتضيتُهُ. واستمهلَني فـأنظرتُهُ[3]. والتمَسَ غيرَها منَ الثِّيابِ فـأحضرتُهُ وسـألتُهُ أنْ يجعلَ دارهُ رهينَةً لديَّ[4]. ووثيقَةً في يديَّ . ففعَلَ ثُمَّ درَّجتُهُ بالمعاملاتِ إلىَ بيعها حتَّى حصلتْ لي بجدٍ صاعدٍ [5] . وبختٍ مساعدٍ. وقوَّةِ ساعدٍ. ورُبَّ ساعٍ لقاعدٍ[6]. وأنَا بحمدِ اللهِ

(١) الوثيقة . الصك الذى يكتب فيه الدين وعقدها أى حررها والتزم بما فيها .

(٢) مطالبته بالدين الذى عليه . (٣) أى انتظرت حتى علمت أنه موشك على الافتار فجئته أطلب منه الأداء فطلب منى أن أمهله فأمهلته أى أعطيته مهلة .

(٤) الرهن عين توضع فى يد الدائن لتكون تأمينا له على ماله حتى إذا أفلس المدين استوفى الدائن منها . (٥) درجته، واستدرجته، معناهما: أدنيته مما أريد على التدريج فتدرج أى دنا وكأن الأصل فى اشتقاق هذا اللفظ الدرج هو المرقاة لأنها تدنى الإنسان شيئا فشيئا من علوها، وجد صاعد : حظ موفور، وبخت مرتفع . (٦) رب ساعد لقاعد: أى أن بعض الناس يكد نفسه ويجهدها ويحملها العناء والمشقة ويجشمها المخاوف والمخاطر ثم لا ينال من سعيه ودأبه ولا يصيب من جده ونصبه شيئا بل يكون عليه الغرم ولغيره الغنم. وتكون مهمته العمل ولسواه الربح والجزاء وذلك مثله كمثل الذبلة تضىء للناس وهى تحترق والجملة بدون الواو مثل ويروى معه وآكل غير حامد ويقال أن أول من قاله النابغة الذبيانى وكان قد وفد إلى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم =

مجدُودٌ[1]. وفى مثلِ هذهِ الأحوالِ محمودٌ وحسبُكَ يا مولاى أنِّى كنتُ منذُ ليالٍ نائماً فى البيتِ معَ منْ فيهِ إذ قرعَ علينا البابُ . فقلتُ : منِ الطارقُ المنتابُ[2]. فإذا أمرأةٌ معهَا عقدُ لآلٍ فى جلدةِ ماءٍ ورقَّةِ آلٍ[3] تعرضُهُ للبيعِ. فأخذتُهُ منها إخذةَ خلسٍ. وأشتريتُهُ

= رجل من بنى عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك: رب ساع لقاعد .

وقال للنعمان :

أبقيت للعبسى فضلا ونعمة ومحمدة من باقيات المحامد

حباء شقيق فوق أعظم قبره وما كان يحبى قبله قبر وافد

أتى أهله منه حباء ونعمة ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

ويروى : اسلمى أم خالد . رب ساع لقاعد. قالوا أن أول من قال ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان .

(١) مجدود : محظوظ . (٢) المنتاب : الذى أتى دارك فى وقت لا يأتى فيه الناس وأصله الطارق مرة بعد مرة فاستعير للطارق مطلقا من باب إطلاق المقيد وإرادة المطلق وهو معروف عن علماء البيان أو أنه جعل تردده على البيوت التى قبله كأنها تردد على بيته وكأنه لم يجئه إلا بعد أن طرق بيوت جيرانه جميعا .

(٣) لآل : أصله لآلئ جمع لؤلؤة ثم سهلت الهمزة فجرى مجرى قاضى، والآل : السراب، وهو الذى يظهر من بعيد كأنه ماء، يقول: إن هذا العقد فى الصفاء واللمعان يشبه الماء وفى الرقة يشبه الآل .

بثمنٍ بخسٍ[1] وسيكونُ لهُ نفعٌ ظاهرٌ. وربحٌ وافرٌ. بعونِ اللهِ تعالى ودولتكَ. وإنمَّا حدَّثتُك بهذا الحديثِ لتعلمَ سعادَة جدِّى فى التِّجارَةِ. والسَّعادةُ تنبطُ الماءَ منَ الحجارةِ[2]. اللهُ أكبرُ! لاينبئكَ أصدقُ منْ نفسكَ . ولا أقربُ منْ أمسكَ[3]. اشتريتُ هذا الحصيرَ فى المُناداتِ. وقدْ أُخرجَ من دورِ آلِ الفراتِ. وقتَ المصادَراتِ. وزمنَ الغاراتِ[4]. وكنتُ أطلبُ مثلهُ

(١) ثمن بخس : قليل، والخلس يشبه السرقة فكأنه حين أخذه بالقليل من الثمن قد سرقه .

(٢) تنبط : تخرج يقول: إن من رزق السعادة ويمن الطالع وحسن الحظ وجد الربح الذى لا يتوهمه فيه وأتاه من حيث لا ينتظره .

(٣) الله أكبر . كلمة أجراها مجرى التعجب كسبحان الله، وينبئك يخبرك، والمعنى أنه لا يخبرك عن أحوالك ولا يحدثك بشؤونك أصدق من نفسك لأنها هى التى تعلم مقدار الحقيقة كما لا يكون أقرب للصدق ولا ادعى إليه من الحديث عن أقرب أيامك الماضية وهو الأمس لأنه أعلقها بالذهن .

(٤) المنادات : يشبه ما يسمى الآن (بالمزاد)، ودور الفرات : منازل عائلة كان لها هذا اللقب وكان بعضهم وزيرا للمقتدر بالله العباسى وهو على بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وأصلهم من صريفين من أعمال دجيل وكانوا أجل الناس فضلا وكرما ونبلا ووفاد ومروءة وكان (أبو الحسن) من أفضل الناس وأعظمهم جودا وكرما وكانت أيامه مواسم للناس وأعيادا ولما جرت الفتنة وخلع المقتدر بالله بن المعتضد العباسى وبويع ابن المعتز ثم =

منذُ الزَّمنِ الأطولِ فلا أجدُ. والدَّهرُ حبلَى ليس يدُرَى ما يلدُ[١].
ثُم اتفقَ أنِّى حضرتُ بابَ الطَّاقِ. وهذا يعرضُ فى الأسواقِ.
فوزنتُ فيهِ كذا وكذَا ديناراً . تأمَّل باللهِ دقتهُ ولينهُ وصنعتهُ ولونهُ
فهوَ عظيمُ القدرِ. لا يقعُ مثلهُ إلا فىِ النَّدرِ[٢]. وإنْ كنتَ سمعتَ

= استظهر المقتدر عليه واسترجع ملكه واستقرت له الخلافة أرسل إلى أبى الحسن على بن الفرات فأحضره واستوزره وخلع عليه فنهض بتسكين الفتنة أحسن نهوض ودبر الدولة فى يوم واحد وقرر القواعد واستمال الناس وفى ذلك يقول بعض شعراء الدولة :

ودبرت فى ساعة دولة   تميل بغيرك فى أشهر .

قالوا: أنه تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرات وفى المرة الثالثة قبض عليه ثم قتل سنة ٣١٢ وصودرت أمواله – فهو يشير بذلك إلى أنه نفيس عالى القدر عظيم القيمة مما اقتناه الرؤساء واختزنته الأمراء ورغبه كبار الدولة .

(١) شبه الدهر فى مجيئه بما لا يفكر فيه واتيانه على خلاف الظنون بالمرأة الحبلى فإنك تعلم أنها تلد ولكن لا تتحقق من نوعه، وكذلك الزمان تعلم أن فيه حوادث ولا تدرى ما هى كالتشبيه والذى فى قول الشاعر:

والليالى من الزمان حبالى   مثقلات يلدن كل عجيب

(٢) الندر والنادر : القليل والمعنى : أنه لا يتفق مثل هذا الحصير فى كل حين بل أنه يغلب عدم وجوده وذلك بعد وصفه بالنفاسة ودقة الصنعة وجودتها شبه تأكيد .

بأبى عمرَانَ الحصيرىِّ فهوَ عملهُ ولهُ ابنٌ يخلفُهُ الآنَ فى حانُوتهِ لا يوجدُ أعلاقُ الحصُرِ إلا عندَهُ فبحيَاتى لا اشتريتَ الحصرَ إلا منْ دكانهِ. فالمؤمنُ ناصحٌ لإخوانهِ : لاسيمًّا منْ نحرمَ بخوانهِ[1]. ونعودُ إلىَ حديثِ المضيرةِ . فقدْ حانَ وقتُ الظهيرةِ. يا غلامُ الطَّستَ والماءَ[2]. فقلتُ : اللهُ أكبرُ ربمًّا قرُبَ الفرجُ. وسهلَ

(١) حرم الإنسان وحريمه : ما يحميه ويقاتل عنه ويمنع دونه ومن هذا سمى بيت الله بالحرم وفيه يقول الله تبارك وتعالى : (ومن دخله كان آمنا) ويقال نحرم فلان من فلان بحرمة : أى تمنع واحتمى بذمة. وفلان فى حريمك أى منعتك وذمتك وحصنك وحمايتك بحيث تلتزم الدفاع عنه، وأبو الفتح سيتناول مع ذلك التاجر المضيرة على خوان واحد فكأنه لاذ بجوار ولجأ إليه ولذلك تجب عليه نصيحته وتوضيح الأمر له .

(٢) الطست والماء مفعولان لفعل مضمر أى احضرهما، والطست كلمة تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى ادخالها فى لغتها والأمر فى ذلك على وجوه فمنه ما يكون فى اللغتين قائما على لفظ واحد وذلك مثل : التانور، والخمير، والزمان والدين والكنز والدرهم والدينار ومنه مالا وجود له إلا فى الفارسية فتعربه العرب بنوع من أنواع التعريب كالنحت مثلا أو تنقله بحاله وذلك كثير مثل : الكوز، والإبريق والطست، والخوان، والطبق، والقصعة، والخز، والديباج، والسندس، والياقوت، والفيروزج، والبلور، والكعك، والسميذ، والدرمك، والفالوذج، والجوزينج، واللوزينج، والجلاب، والكرويا ، والقرفة، =

المخرجُ. وتقدَّمَ الغلامُ. فقالَ: ترى هذا الغلامَ. إنَّهُ روميٌّ الأصلِ عراقيُّ النَّشءِ[١]. تقدَّمْ ياغلامُ واحسِرِ عنْ رأسِك[٢]. وشمِّرْ عنْ ساقكَ. وانضُ عنْ ذراعكَ[٣]. وافترَّ عنْ اسنانكَ[٤]. وأقبِلْ وأدبرْ. ففعَلَ الغلامُ ذلكَ. وقالَ التَّاجرُ: باللهِ منِ اشتراهُ؟ اشتراهُ واللهِ أبُو العبَّاسِ. منَ النَّخَّاسِ[٥]. ضعِ الطَّستَ. وهاتِ الإبريقَ.

= والزنجبيل، والنرجس، والبنفسج، والسوسن، والمسك، والعنبر، ومنه نوع انتسيت فارسيته وحكيت عربيته مثل : الكف، والساق، والفراش، والبزاز، والوزان، والكيال، والمساح، والدلال، والصراف، والبيطار، والخراط، والغلط، والصواب، والخلوق، والمشجب، واللهو، والقمار، والسفط، وكما نقلت العرب عن الفارسية فقد نقلت عن لغات أخرى كالرومية وذلك مثل: الفردوس للبستان، والقسطاس للميزان، والسجنجل المرآة، والبطاقة لرقعة فيها رقم المتاع، والقسطل الغبار، والنقرس والقولنج : مرضان معروفان، والترياق دواء السموم، والقراميد الحجارة، والقنطار : معروف وإنما بسطنا الكلام والنقل هنا بعض البسط لنثير همم أدباء امتنا وعلمائها المتمكنين فى اللغة الضاربين فيها بسهم وفير إلى كد قرائحهم واتصال مجهوداتهم لينقلوا أو يعربوا تلك الكلمات التى استحدثت بعد عهود آبائنا ومورثينا، ولغتنا والحمد لله قد شهد لها العدو والحميم بأنها أوسع اللغات وأقواها على احتمال آلاف الكلمات .

(١) النشء : المنشأ، والمعنى أنه رومى تربى بالعراق وتعلم الخدمة فيها.

(٢) احسر: اكشف . (٣) انض : انزع من نضا ينضو .

(٤) وافتر: اضحك حتى تكشف عن اسنانك . (٥) النخاس : الذى يبيع العبيد ويطلق العبد على الأبيض والأسود بالسواء .

فوضعَهُ الغلامُ وأخذهُ التَّاجرُ وقلبهُ وأدارَ فيهِ النَّظرَ ثمَّ نقرهُ. فقالَ : انظرْ إلى هذا الشَّبهِ كأنَّهُ جذوةُ اللَّهب. أو قطعةٌ منَ الذَّهبِ[1]. شبهُ الشَّامِ . وصنعةُ العراقِ[2]. ليسَ منْ خلقانِ الأعلاقِ[3]. قدْ عرفَ دارَ الملوكِ ودارهَا[4]. تأملْ حسنهُ وسلنِي متَى اشتريتَهُ؟ اشتريتُهُ واللهِ عامَ المجاعَة. وادَّخرتُهُ لهذه السَّاعة. يا غلامُ الإبريقَ. فقدَّمهُ. وأخذهُ التَّاجرُ فقلَّبهُ. ثُمَّ قالَ : وأنبُوبهُ منهُ[5]. لا يصلحُ هذا الإبريقُ إلا لهذا الطَّستِ. ولا يصلحُ هذا الطستُ إلا معَ هذا الدَّستِ[6]. ولا يحسنُ هذا الدَّستُ إلا في

---

(١) أى : أن نحاس هذا الإبريق فى صفائه ولمعانه يشبه القطعة من النار لأنها تبرق وتلمع أو القطع من الذهب لأنها صافية براقة .

(٢) أى أنه من نحاس الشام وكانت مشهورة بجودة نحاسها وقد صنع فى العراق وهى إذ ذاك مهبط الحذق ومعنى المهارة .

(٣) خلقان : جمع خلق وهو البالى، والأعلاق : جمع علق وهو النفيس، والمعنى أنه نفيس ولكن لم يتطرق إليه البلى .

(٤) أى أنه كان عند بعض الملوك .

(٥) الأنبوب المكان الذى ينزل منه الماء .

(٦) الدست المكان المهيأ لمقابلة الضيفان وهو أشرف ما يكون فى البيت وصدر الدار .

هذا البيتِ. ولا يجمُلُ هذا البيتُ إلا معَ هذا الضَّيفِ. أرسِلِ الماءَ يا غلامُ. فقدْ حانَ وقتُ الطَّعامِ. باللهِ ترى هذا الماءَ ما أصفاهُ أزرقُ كعينِ السِّنَّورِ[1]. وصافٍ كقضيبِ البلورِ[2]. استقَى منَ الفراتِ[3]. واستُعمِلَ بعدَ البياتِ[4]. فجاءَ كلسانِ الشَّمعَةِ . فى صفاءِ الدمعةِ. وليسَ الشأنُ فى السقَّاءِ. الشأنُ فى الإناءِ. لا يدلُّكَ على نظافةِ اسبابهِ. أصدقُ منْ نظافةِ شرابه[5]. وهذا المنديلُ سلني عنْ قصتهِ. فهوَ نسجُ جرجانَ[6]. وعملُ أرَّجانَ. وقعَ إليَّ فاشتريتُهُ فاتخذتِ امراتى بعضهُ سراويلاً. واتخذتُ بعضهُ

(١) السنور : القط .

(٢) البلور، بوزن تنور وسنور وسبطر: نوع من الزجاج وقال الفيروزبادى : أنه جوهر يريد هذا ويضرب به المثل فى النقاء والصفاء .

(٣) استقى : أخذ .

(٤) أى ولم نستعمله إلا بعد أن ظل ليلته فى إناء .

(٥) أى أن الإناء الذى بات فيه هو سبب صفائه ونظافته ويدلك على ذلك ما تجده فى الماء من هذه النعوت والصفات .

(٦) المنديل : خرقة تستعمل لتجفيف الأيدى من الماء. وأرجان : بهمزة مفتوحة فراء مشددة مفتوحة : إحدى بلاد فارس .

منديلاً[1] دخلَ في سراويلها عشرونَ ذراعاً. وانتـزعتُ منْ يدِها هذا القدرَ انتزاعاً[2]. وأسلمتُهُ إلى المطِّرز حتَّى صنعهُ كمَا تراه وطرزهُ[3]. ثُم رددتُهُ منَ السُّوقِ. وخزنتُهُ فيِ الصُّندُوقِ. وأدَّخرتهُ للظِّرافِ. منَ الأضيافِ[4]. لمْ تذلهُ عربُ العامَّةِ بأيديها. ولا النساءُ لمآقيها[5]. فلكلِّ علقٍ يومٌ. ولكلِّ آلةٍ قومٌ[6]. يا غلامُ

(١) سراويل : جمع سروال أو سروالة أو سرويل بكسر السين فى الثلاثة وبالشين المثلثة لغة وهو نوع من الثياب .

(٢) انتزعت : أخذت بشدة والمعنى أنها كانت تريد أن تستبقيه كله لنفسها ضنا به وحرصا عليه لجودته ونفاسته ولكنى لم أشأ أن أوافقها على ذلك بل أخذته منها رغما عنها . (٣) طرزه : وشى أطرافه بالحرير ونحوه والتطريز معروف .

(٤) ادخرته : أبقيته والظراف بكسر أوله : جمع ظريف وهو الحسن الزى الجميل المنظر .

(٥) أى لم أخرجه لأحد حتى تتبدله العامة فتذله وكأنه جعل استعمال غير الظراف له مذلة وهوانا والفعل يصح قراءته مضعفاً ومن غير تضعيف ، يقال : ذله وأذله واستذله (بتشديد اللام فيهن) كما يقال : أذلته والمعنى أهنته واحتقرته وهونت من شأنه ولم أحسن القيام عليه. والمآقى جمع مؤق وهو مؤخر العين مما يلى الانف فاما مما يلى الصدغ فهو اللحاظ بكسر أوله .

(٦) يعنى انه لا يجوز ان يجعل كل شئ من النفائس لكل ضيف طارق بل ينبغى ان ترتب على قدر الناس ومستواهم .

الخـوانَ. فـقـدْ طـالَ الزَّمـانُ. والقـصـا عَ. فـقـدْ طالَ المصـا عُ[1].
والطعـامَ. فـقدْ كثرَ الكلامُ. فـأتىَ الغـلامُ بـالخـوانِ. وقلبـهُ التَّـاجـرُ
على المكانِ. ونقرهُ بالبنانِ . وعجمهُ بالأسنانِ[2]. وقـالَ: عمرَ اللهُ
بغدادَ فـمـا أجـود مـتـاعـهَا. وأظرفَ صناعـهَا. تـأملْ باللهِ هذا
الخـوانَ. وانظرْ إلىَ عـرضِ مـتنهِ. وخـفَّـةِ وزنهِ[3]. وصـلابـةِ عودهِ

---

(١) المصـا ع بكسـر اوله اصله المجالدة، ومـا اشبـه هـذا الحديث البـارد والكلام الممل بالمقاتلة والمكافحة ولعمرى لو ان ابا الفتح كان فى معركة القتال لما لقى من الضيق وتألم النفس وشدة الكرب عشير ما لقيه من صاحبه ولما كان يحتمل من بأس خصـمـه وشـجـاعـتـه وقوته وجلاده نصـف ما لقيـه من نذالة هذا وبرود طبيعتـه . (٢) قلبه على المكان : اى على الفور ، هذا هو الذى يتبـادر لنا ولعل الاصل فيـه ان المرء انما يحصل منـه فى مكانه الذى يكون فيـه احب الاشيـاء اليه سـرعـة نفـاذ واقتـراب مضـاء، ولم نعثـر علـى تعبيـر مثل هذا ولا حل لـه، ونقره ضربه، والبنان : أطراف الاصابع، وعجمه بالاسنان : عضه بها ليخبره، والمعنى انه فعل كل هذه الافعال ليمتدحه ويثنى عليه .

(٣) عمر الله بغداد : جعلها عامرة آهلة بالسكان، وارفة النعمة، رخـاء. والمتن فى اصل الوضـع : الظهـر واراد منه المكان الذى يوضـع عليـه الطعـام من الخـوان، واذا كـان عريضـا اى متسـع المسـاحـة او عريض السمك فذلك يقتضـى ان يكون وزنه ثقيـلا بمقدار سمكه ولكنه أراد ان يبين جودة خشبـه الذى صنـع منه فذكر انه خفيف لا مثل ما يتبادر الى الذهن من ثقله وصعوبة حمله .

وحسنِ شكلهِ. فقلتُ: هذا الشكلُ. فمتَى الآكلُ[1]؟ فقالَ: الآنَ. عجِّلْ يا غلامُ الطعامَ[2]. لكنَّ الخوانَ قوائمهُ منهُ[3]. قالَ أبُو الفتحِ فجاشَتْ نفسِي[4]. وقلتُ: قدْ بقيِ الخبزُ وآلاتهُ . والخبزُ وصفاتُهُ[5]. والحنطةُ منْ أينْ اشتريتْ أصلاً[6]. وكيفَ اكترى لها

(١) أى : لقد طال بى الانتظار وسمعت منك كثيراً، ورأيت شكل خوانك ولكن متى يحين الوقت لتحضر الأكل .

(٢) عجل الطعام . أحضره فى العاجل، والعاجل والعاجلة : ضد الآجل والآجلة، وهو الوقت الذي يقرب من زمانك الذى انت فيه وقد عجل تعجيلا وتعجل ومنه قوس عجلى بوزان سكرى اذا كانت سريعة السهم .

(٣) أى أن له مزية خليقة بأن تلتفت اليها وهى أن ظهره وقوائمه التى يقف عليها قطعة واحدة .

(٤) جاشت : تحركت وغلت قال الشاعر :

وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى أو تستريحى

(٥) الخبز - بالفتح - : مصدر خبز وبابه ضرب، والخبز - بالضم - معروف . والمعنى : أنه قد بقى أن يتكلم حينما يجىء الطعام على كيفية الخبز ويشرح لى كيف اشترى آلاته ويصفها وصفا يطيل الامد ويزيد الكمد ثم يتكلم عن الرغفان فينعتها ويمدحها ويثنى عليها وفى ذلك المضيعة للوقت وازدياد الالم الناجم عن كثرة كلامه .

(٦) أى : من أى مكان اشترى أصلها وهو الحب .

حمــلاً[1]. وفى أىِّ رحًى طحنَ[2]. وإجـانةٍ عـجنَ[3]. وأىَّ تنُّورٍ سجرَ[4]. وخبازٍ استأجرَ. ونبقىَ الحطبُ منْ أينَ احتطبَ. ومتْى جلبَ. وكيفَ صـففَ. حـتَّى جـفِّفَ. وحـبسَ. حـتَّى يبسَ. وبقىَ الخبـازُ ووصـفـهُ والتِّلمـيذُ ونعـتـهُ[5]. والدَّقـيقُ ومدحـهُ. والخمـيرُ وشـرحـهُ. والملحُ ومـلاحتُهُ. وبقـيتِ السُّكرَّجـاتُ منِ اتخـذها[6]. وكيفَ انتقَدَها[7] . ومنِ استـعملَهَا. ومنْ عملـهَا. والخلُّ كيفَ

(١) حملا : المراد منه الحامل لأنه هو الذى يكترى وكثيرا ما يعبر بالمصدر عن اسمى الفاعل والمفعول كالخلق مرادا به المخلوق .

(٢) الرحا : معروفة وهى مؤنثة والمثنى رحوان ورحيان (واوية ويائية) والجمع أرح وأرحاء. ورحاء لغة فيها والتثنية رحاءان، والجمع أرحيه .

(٣) الاجانة : اناء يستعمل فى الغسيل والعجين ونحوها .

(٤) التنور : الموقد الذى يخبز فيه، وسحره: أشعله وأوقده .

(٥) أى أنه بقى الكلام على أشياء كثيرة لانه لن يترك شيئا يتعلق بالطعام نوع تعلق حتى يذكره ويأتى على جملته وتفصيله. والمراد بالتلميذ : فتى الخباز . (٦) السكرجات : جمع سكرجه وهى الصحفه وجمعها صحاف كجفنه وجفان وزنا ومعنى والمراد أنه لابد أن يتكلم عن الاوانى التى ستكون فيها ألوان الطعام كيف وقعت له وعند أى الأمراء والملوك كانت ، وأى صانع ماهر ذلك الذى صنعها .

(٧) استخلصها من بائعها .

انتقِيَ عنبهُ أو اشترىَ رطبهُ[1]. وكيفَ صهرِجتْ معصَرتهُ[2]. واستُخلِصَ لبُّهُ. وكيفَ قيِّر حبُّهُ[3]. وكمْ يُساوىَ دنُّهُ. وبقىَ البَقلُ كيفَ احتيلَ لهُ حتَّى قطفَ[4]. وفى أىِّ مبقلةٍ رُصفَ[5]. وكيفَ تؤُنِّقَ حتَّى نظِّفَ[6]. وبقيتِ المضيرَةُ كيفَ اشترىَ لحمُها. ووفِّيَ شَحمُها. ونصبتْ قدرُها. وأججَتْ نارُها[7]. ودقَّتْ أبزارهُا. حتَّى أُجيدَ طبخهُا وعقدَ مرقهُا. وهذا خطبٌ يطمُّ[8]. وأمرٌ لا يتمُّ.

(١) كان المعروف عندهم اذ ذاك خل العنب وخل الرطب فحسب ولابد أن يكون أحدهما على الخوان وهو سيتكلم عنه وعن كيفية شرائه والسبيل التى سلكها حتى وصل اليه .

(٢) صهرجت طليت بالصاروج وهو أخلاط من النورة ونحوها .

(٣) الحب بالضم هنا بمعنى الخابية كالدن وقير طلى بالقار الذى هو القطران .

(٤) أى قطع ورقه دون جذره .

(٥) المبقلة : مكان البقل الذى يزرع فيه، ورصف : أى نظم بعضه بجوار بعض.

(٦) تأنق : استعمل الدقة فى عمله. والمعنى كيف استعملت الدقة والحذق فى تنظيف هذا البقل مما لابد أن يكون عالقا به من طين ونحوه .

(٧) اججت أى أوقدت وأشعلت قال : لدى حطب جزل ونار تأججا .

(٨) يطم : يشتد ويعظم والمعنى أن هذا رزء لا قدرة لى على احتمال مثله وبلية لا قبل لى بها فيجب أن أتدارك نفسى بالنجاء منها .

فقمتُ. فقالَ : أينَ تريدُ؟ فقلتُ: حاجةً أقضيها. فقالَ : يامولاى تريدُ كنيفاً يزرِى بربيعِيِّ الأميرِ. وخريفِىّ الوزيرِ[1]. قدْ جصِّصَ أعلاهُ وصهرِجَ أسفلُهُ[2]. وسطِّحَ سقفهُ وفرشَتْ بالمرمرِ أرضهُ. يزلُّ عنْ حائطهِ الذَّرُّ فلاَ يعلقُ[3]. ويمشِى علىَ أرضهِ الذُّبابُ فيزلَقُ[4]. عليهِ بابٌ غيرَ انُهُ منْ خليطَىْ ساج وعاجٍ[5]. مزدَوِجينِ أَحسَنَ ازدِواجٍ. يتمنَّى الضَّيفُ أنْ يأكُلَ فيه. فقلتُ : كلْ أنتَ منْ هذا الجرابِ. لمْ يكنِ الكنيفُ فى الحسابِ. وخرجتُ نحوَ البابِ.

---

(١) الربيعى : المكان يتخذ للإقامة فيه أثناء زمن الربيع، والخريفى الذى يتخذ لزمن الخريف : ومثلها تبذل الهمة فى اجادتها ويقال : أزرى به وازدراه اذا حقره وتهاون بشأنه، ومنه الزارى على الانسان وهو الذى لا يعده شيئا وصاحب المضيرة - أضره الله -يزعم أن كنيفه خير من ربيعى الامير وأحسن من خريفى الوزير وأنهما بجواره مزدريان مستخف بهما وقبحه الله فما أقل عقله واكثر سماجته وتهوسه وأنه لحرى بأن يقطع عمره بين جدران ذلك الذى أعجبه وراق فى نظره .

(٢) جصص طلى بالجص وهو الجير، وصهرج : تقدم قريبا معناه .

(٣) الذر : جمع ذرة وهى أصغر النمل ومنه سمى الرجل (ذرا) وكنى (أبو ذر) وعلق بالشىء علوقا : تعلق، والمعنى أنه لا يثبت ولا يستطيع البقاء لملاسته .

(٤) أراد أنه شديد الملاسه أيضا .

(٥) غير انه أى الفواصل بين الواحه ، والعاج : سن الفيل .

وأسرعْتُ فى الذَّهَابِ. وجعلتُ أعدُو[1] وهوَ يتبعنُى ويصيحُ يَا أبا الفتحِ المضيرَةَ. وظنَّ الصِّبيانُ أنَّ المضِيرَةَ لقبٌ لِى فصاحُوا صياحهُ[2]. فرميتُ أحدهُمْ بحجرٍ. منْ فرطِ الضَّجرِ[3]. فلقِىَ رجلُ الحجرَ بعمامتهِ. فغاصَ فى هامتهِ[4]. فأخذتُ منَ النِّعالِ بما قدُمَ وحدُثَ. ومنَ الصفْعِ بمَا طابَ وخبثَ[5]. وحشرتُ إلىَ الحبسِ. فأقمتُ عامينِ فى ذلكَ النحسِ فنذرتُ أنْ لا آكُلَ مضيرَةً ما عشتُ. فهلْ أنا فى ذَا يا آلَ همذانَ ظالمٌ[6]. قالَ عيسىَ بنُ هِشَامٍ : فقبِلنْا عذرَهُ. ونذرنا نذرَهُ. وقلنْا : قديماً جنتِ المضيرَةُ على الأحرارِ[7]. وقدمَتِ الأراذلَ على الأخْيارِ .

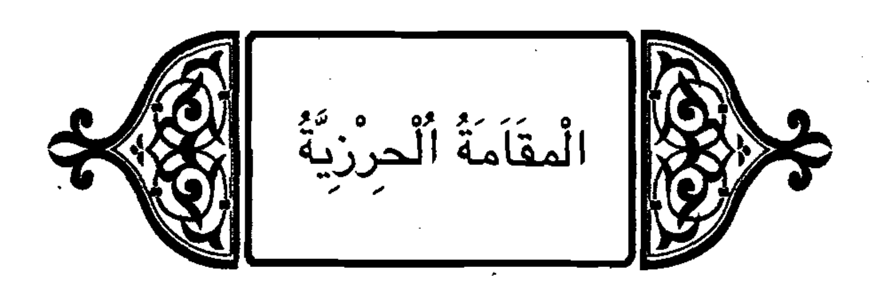
(١) أسير بسرعة . (٢) أى أنهم صاروا ينادونني بما سمعوا منه .

(٣) فرط الضجر : شدة السآمة والملل .

(٤) هامة الرجل : رأسه، وغاص الحجر فيها : أى شجها ودخل فيها .

(٥) الصفع : الضرب على القفا خاصة .

(٦) أى : هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة مادام هذا هو السبب أو هل ظلمت فى نذرى هذا . (٧) اللهم أنه لا توجد جناية أعظم إيلاما للنفس وأشد تنكيلا بها من هذه الجريمة وانما اسندها إلى المضيره لانها سببه .



الْمقَامَةُ الْحِرْزِيَّةُ

حَـدَّثَنَا عـيِسَـى بْنْ هِشَـامٍ قَـالَ : لَمَّا بلغَتْ بِيَ الغُـربَةُ باب الأبوابِ(١). ورضيتُ منَ الغنيمةِ بالإيابِ(٢). ودونَهُ منَ البحرِ وثابٌ بعـاربِهِ(٣). ومنَ السُّفُنِ عسَّـافٌ براكـبِـهِ(٤). اسـتـخـرتُ اللهَ فيِ القفُولِ(٥). وقعدتُ منَ الفلكِ بمثابَةِ الهلكِ(٦). ولمَّا ملكنَا البحرُ(٧)

---

(١) أحد ثغور بحر الخزر سمى بذلك لأنه كان يحيط به سور كثير الأبواب الحديدية .

(٢) مثل يضرب لخيبة الرجاء وضياع الأمل وأصله من قول امرئ القيس :

وقد طوفت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

(٣) وثاب : صيغة مبالغة من وثب أى ارتفع، والغارب : أصله الكاهل أو ما بين السنام والعنق وجمعه غوارب وهو هنا أعلى الموج والمعنى أننى أحببت الأوبة إلى وطنى والعود لديارى ولكنى وجدت أنه يمنعنى من ذلك بحر متلاطم الأمواج مرتفعها . (٤) عساف : شديد الاعتساف وهو السير فى غير المسلك المطلوب .

(٥) الرجوع . (٦) المثابة : المكان، والهلك: الهلاك أى جلست فى مكان لاينجو الجالس فيه . (٧) أى صرنا منه بحيث لا نستطيع الفكاك والتخلص .

وجنَّ علينْا اللَّيلُ[1] . غشيـتنْا سحَابةٌ تمدُّ منَ الأمطارِ حبالاً[2]. وتحدُو منَ الغيمِ جبالاً[3]. بريحٍ ترسِلُ الأمواجَ أزواجاً. والامطارَ افواجاً[4]. وبقينا فى يدِ الحينِ[5]. بينَ البحرينِ. لا نملكُ عدَّةً غيرَ الدُّعـاءِ. ولا حـيلةً إلا البُكاءَ[6]. ولا عـصـمـةً غـيـرَ الرَّجـاءِ[7].

(١) جن عليه الليل وجنه الليل يجنه بالضم جنونا وأجنه: ستره وأخفاه .
(٢) يقال : غشيه الأمر وتغشاه وأغشيته إياه وغشيته : إذا غطاه وأحاط به ومنه قوله تعالى : (فغشيهم من اليم ما غشيهم) ومنه سميت القيامة غاشية وقيل لأنها تغشى الناس أى تغميهم: ولما كان الحبل متصلا ليس لأجزائه تقاطع ولا انفكاك: شبه به المطر فى اتصاله وكثرته .
(٣) تحدو : تسوق . والغيم : السحاب، وتقول : غامت السماء تغيم غيومة أغامت وأغيمت وتغيمت، ولسنا ندرى كيف تسوق السحابة جبال السحاب اللهم إذا كان مجرد استتباعها له يسمى سوقا فأما إذا أريد من السحبة المطر كما فى قوله الشاعر :

إذا نزل السحاب بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فيكون المعنى أظهر وأوضح . (٤) جماعات . (٥) الهلاك .
(٦) العدة بضم أوله : ما أعدده لحوادث الدهر من المال والسلاح قيل ومنه قوله تعالى: (جمع مالا وعدده) أى اتخذه عدة وقيل بل المعنى جعله ذا عدد، والحيلة اسم من الاحتيال وكذا الحول والحيل يقال : لا حيل ولا قوة لغة فى حول وهو أحيل منه وما أحيله لغة فى أحوله ويقال: ماله حيلة ولا محيلة ولا احتيال ولا محال بمعنى واحد . (٧) العصمة : الوقاية .

وطويناهَا ليلةً نابغيَّةً[1]. وأصبحنا نتباكَى ونتشاكَى[2]. وفينا رجلٌ لا يخضلُّ جفنُهُ[3]. ولا تبتلُّ عينُهُ. رخىُّ الصَّدرِ منشرحُهُ. نشيُط القلبِ فرحُهُ[4]. فعجبِنا وَاللهِ كلَّ العجبِ. وقلنا لهُ : ما الذِى أمنَكَ منَ العطَبِ؟[5]. فقالَ : حرزٌ لا يغرقُ صاحبُهُ[6]. ولوْ شئتُ

(١) نسبة إلى النابغة الذبيانى وهو الذى أكثر من وصف ليله بالطول والشناعة كقوله :

فبت كأن العائدات فرشن لى   هراسا به يعلى فراشى ويقشب

وقوله : فبت كأنى ساورتى ضئيلة   من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وقوله : كلينى لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطىء الكواكب

تطاول حتى قلت : ليس بمنقض   وليس الذى يهدى النجوم بآيب

(٢) يبكى كل واحد منا سوء حاله ويشكو صروف دهره خشية الغرق وضياع الحياة . (٣) اخضل الزرع : تبلل وندى والشىء الخضل : الرطب وجفن العين معروف وعدم ابتلاله كناية عن عدم بكاء صاحبه . (٤) رخى الصدر : واسعه وسعة الصدر وانشراحه : كناية عن عدم التألم واطمئنان الخاطر وارتياح الضمير ويقال نشط الرجل لم يعمل عملنا ولم تظهر عليه علامات التأثر ولم يفزعه حالنا ولا جزع مثلنا بل كان على العكس ظاهر السرور طلق الوجه بسام الثغر ضاحك السن . (٥) العطب التلف والهلاك وأمنك منه جعلك تأمن وقوعه ولا تخشى نزوله . (٦) الحرز المراد هنا ما يكتب فى الأوراق ويجعل كالتمائم يعلقه المرء أو يحمله لغرض من الأغراض .

أن أمنَحَ كلاًّ منكُمْ حرزاً لفعلتُ[١]. فكلٌّ رغبَ إليهِ وألحَ فى المسألةِ عليهِ[٢]. فقالَ: لنْ أفعلَ ذلكَ حتَّى يعطينِى كلٌّ واحدٍ منكُمْ ديناراً الآن ويعدنى ديناراً إذا سلمَ[٣]. قالَ عيسى بنُ هشامٍ: فنقدناهُ ما طلبَ. ووعدناهُ ما خطبَ[٤]. وآبتْ يدهُ إلى جيبهِ[٥] فأخرجَ

(١) منح: أعطى والفعل (منح) من باب قطع والاسم بكسر أوله والمعنى أن فى مقدورى أن أعطى كل واحد منكم حرزا حتى يأمن على نفسه من الغرق ولا يخشى ثورة البحر فتطمئن نفسه ويثلج صدره ويستريح خاطره ولا يأخذه الفزع فيكون مثلى.

(٢) رغب إليه: طلب منه، فأما رغبه ورغب فيه وارتغب فيه فمعناها أراده، ورغب عنه: كرهه، وألح فى المسألة: أكثر من سؤاله وكرر من طلبه والمعنى: أنه لم يبق من بيننا من لم يطلب منه حرزا يتقى به هياج البحر وشدته ويبالغ فى طلبه واشتدت بنا الرغبه على قدر شدة الحاجة.

(٣) المعنى أنه أبى أن يجيبنا إلى مسألتنا إلا إذا أعطيناه الأجر ووعدناه بأجزل العطاء بعد النجاة.

(٤) نقدناه: أعطيناه حالا، ووعدناه ما خطب: أى أعطيناه وعدا أكيدا أننا ننجز له طلبه الثانى بعد النجاة.

(٥) وآبت يده أى رجعت ولا يستلزم ذلك أن تكون أصلها فيها فكثيرا ما استعمل مثل هذا فى معنى صارت.

قطعةَ ديباجٍ. فيها حقَّةُ عاجٍ[1]. قدْ ضمِّنَ صدرُها رقاعاً وحذفَ كلَّ واحدٍ منَّا بواحدةٍ منهَا[2]. فلمَّا سلمتِ السَّفينَةُ . وأحلَّتنَا المدينَةَ[3]. اقتضَى النَّاسَ ما وعدُوهُ. فنقدُوهُ[4]. وانتهَى الأمرُ إلىَّ فقالَ : دعوهُ[5]. فقلتُ: لكَ ذلكَ بعدَ أنْ تُعلمنِي سرَّ حالكَ[6]. قالَ : أنا منْ بلادِ الإسكندريَّةِ. فقلتُ: كيفَ نصركَ الصبَّرُ وخذلنَا[7]؟ فأنشأَ يقُولُ :

---

(١) حقة : وعاء صغير، والعاج : سن الفيل .

(٢) حذف : أى رمى لكل واحد منا ورقة من تلكم الورقات والرقاع جمع واحده رقعة وهى ما يكتب فيه والمعنى أنه أطلع من جيبه وعاء يشتمل عدة أوراق قد كتب فيهن وناول كل واحد منا واحدة .

(٣) أحلتنا، وصلت بنا حتى حللنا المدينة أى نزلناها وآتينا محلاتها .

(٤) اقتضى : طلب منهم الوفاء أى بعد أن نجونا من الغرق ودخلنا المدينة التى قصدناها طالبنا بالوفاء والإنجاز فلم يتخلف أحد منا بل كنا سراعا إلى إجابة دعوته . (٥) أى أنهم مازالوا يعطونه الواحد بعد الآخر حتى وصلت النوبة إلى ويقى على أن أنقده ولكنه بادر إلى أمرهم بتخليتى وإعفائى .

(٦) المعنى أن لك أن تحكم عليهم بأن يتركونى ولك أن تجاب إلى هذه البغية ولكن بشرط أن تخبرنى بأمرك وتشرح لى حقيقتك .

(٧) شبه الصبر بإنسان يأخذ بيد بعض الناس فيعينها ويترك البعض وأسند إليه فعلا من خواص المشبه به ترشيحا .

ويكَ لوْلا الصَّبرُ ماكُنْـ تُ ملأْتُ الكيسَ تبرا[1]

لنْ ينالَ المجدَ من ضا قَ بما يغشاهُ صدرا[2]

ثُمَّ ما أعقبَنِي السا عةَ ما أُعطِيتُ ضراًّ[3]

بلْ بِهِ أشتَدُّ أزراً وبِهِ أجبُرُ كسرا[4]

ولوَ انِّي اليومَ في الْـ غَرقَى لَمَا كلِّفتُ عُذراً[5]

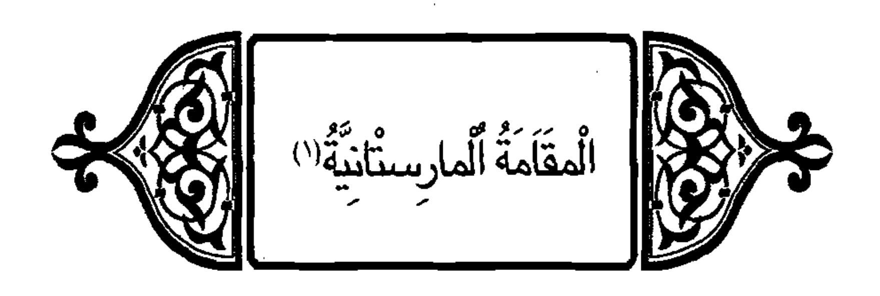
---

(١) أى أنه لولا ما تدرعت به من الصبر لما سألتمونى وكشفت لكم المسألة ونشأ عن ذلك أنى أخذت منكم مالا ملأت به كيسى . (٢) يغشاه ينزل به من الحوادث والمعنى أن بلوغ المجد والوصول إلى غاية الرفعة لا يكونان مع الجزع والخوف .

(٣) أعقبنى: أورثنى ومنه قوله تعالى: (فاعقبهم نفاقا) أى أورثهم بخلهم نفاقا. والمعنى: إن الذى أعطيته وهو ما أخذته منكم فى السفينة لم يكن سببا فى ايصال الضر إلى ولم يورثنى شيئا من المساءة .

(٤) المعنى أن الذى أخذته لم يتسبب لى عنه ضرر بل بالعكس سيقوى ساعدى ويصلح حالى وينعم عيشى .

(٥) المعنى : أننى لو كنت غرقت معكم لما كان هناك ضرر على وذلك لأنه لايوجد من يسألنى عن فائدة حرزى فأتكلف له الاعذار وأتمحل أوهن الحجج وأضعف البراهين على صدقى والمراد أن يذكر له أنه كان يعتقد فوزه فى حال نجاتهم بما يأخذه منهم وإذا كان الغرق قد كتب عليه معهم فما ضره ألا يأخذ منهم فرأى أن يحتال هذه الحيلة ليبتز منهم ما يصلح شأنه ويقيم حاله ويسعد باله .



الْمَقَامَةُ الْمارِسْتانِيَّةُ(١)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ :

---

(١) أنا وإن كنا نعتقد أن هذه المقامات وما أشبهها قصص متخيلة منتحلة نرى مع هذا أنه كما تضم السجون كثيرا من المظلومين والأبرياء فكذلك توصد أبواب المارستان على كثير من العقلاء وأرباب النهى ونحن نذكر هنا حادثا تاريخيا عن رجل منهم قد يكون أمس بالأدب من الحادث الذى ذكره البديع ولو أن المتنبى كما استظهر أحد أدباء هذا العصر كان مجنونا فكم فى الناس من يود يجدع الأنف لنفسه مثل هذا الجنون - قال أبو بكر الأزهر: حدثنى المبرد قال: قال لى المازنى : أنت تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواطن المجانين والمعالجين فما معنى ذلك؟ فقلت : أعزك الله تعالى إن لهم طرائف من الكلام قال : فأخبرنى بأعجب ما لقيته من المجانين . فقلت : دخلت يوما إليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب فجاوزته إلى غيره فقال : سبحان الله تعالى... أين السلام؟ من المجنون أنا أو أنت؟ فاستحييت منه فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد على أنا نصرف سوء أدبك على أحسن جهاته من العذر لأنه كان يقال : أن للقادم على القوم دهشة، اجلس أعزك الله عندنا وأومأ إلى موضع من الحصير فقعدت ناحية =

= استجلب مخاطبته فقال لى وقد رأى معى محبرة : أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما أمجالس أصحاب الحديث الأغثاث أو الأدباء أصحاب النحو والشعر : فقلت الأدباء قال: أتعرف أباعثمان المازنى؟ قلت نعم، قال : أتعرف الذى يقول فيه :

وفتى من مازن	أستاذ أهل البصرة
أمــه معــرفة	وأبــــوه نكـــــره

فقلت : لا أعرفه، فقال : أتعرف غلاما له نبغ فى هذا العصر معه ذهن وله حفظ وقد برز فى النحو يعرف بالمبرد، فقلت : أنا ولله عين الخبير به، قال : فهل أنشدك شيئا من شعره؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر، قال : يا سبحان الله ! أليس هو القائل؟

حبذا ماء العناقيـ	د بريق الغانيـــات
بهمـا ينبت لحمى	ودمـــى أى نـبــات
أيها الطالب أشهى	من لذيذ الشــهوات
كل بماء المزن تفا	ح خـــدود الفتيـات

قلت: قد سمعته ينشد هذا فى مجلس الأنس، فقال: يا سبحان الله! أولا يستحى أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؟ ثم قال وما تسمع ما يقولون فى نسبه؟ قلت يقولون هو من الأزد أزد شنوءة ثم من ثماله، قال: قاتله الله ما أبعد غوره أتعرف قوله ؟ =

مـارسـتـانَ الـبـصــرةِ[1]. ومـعَـيِ أبُو داوُدَ المتكِّلمُ[2]. فنظرتُ إلى

= ســـــألنا عن ثمالة كل حــى   فقال القائلون : ومن ثمالـه؟

فقلت : محمد بن يزيد منهم   فقالـوا : زدتنا بهـم جهالـه

فقال لى المبرد : خل قومــى   فقومى معشر فيهم نذاله

فقلت أعرف هذا لعبد الصمد بن المعدل يقولها فيه، فقال : كذب من ادعاها، هذا لرجل لا نسب له يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسبا، فقلت : أنت أعلم، فقال : يا هذا قد غلبت خفة روحك على قلبى وقد أخرت ما كان يجب تقديمه، ما الكنية أصلحك الله؟ قلت : أبو العباس، قال : فما الاسم؟ قلت محمد، قال فالاب؟ قلت يزيد: قال قبحك الله، أحوجتنى إلى الاعتذار مما قدمت ذكره، ثم وثب باسطا يده يصافحنى فرأيت القيد فى رجله إلى خشبة فأمنت غائلته، فقال: يا أبا العباس، صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ أن تصادف مثلى على مثل هذه الحالة، أنت المبرد أنت المبرد؟ وجعل يصفق، وانقلبت عينه، وتغيرت حالته، فبادرت مسرعا خوفا أن تبدر لى منه بادرة، وقبلت – والله – منه فلم أعاود إلى مجلس بعدها ولنسا ندرى أى كارثة أصابت ذلك الفكر الناضج، والعقل السديد فشدته إلى السارية، وغادرته حليف القيود والأغلال؟ ولكن الجنون فنون، لعله كان مجنونا بجنون العظمة، أو جنون العبقرية وأهل العبقرية النابغون على رأى مذهب طبائع الإنسان فى منزلة آخذة بطرفى العقل والجنون.

(١) المارستان مكان تداوى فيه المجانين .

(٢) المتكلم أى أحد علماء الكلام وهو النظر فى العقائد .

مجنونٍ تأخُذُنى عينُهُ وتدعُنى[1] فقالَ : إنْ تصدُقِ الطَّيرُ فأَنتُمْ غرباءُ[2]. فقلنْا : كذلكَ. فقالَ : منِ القومُ للهِ أبُوهُمْ؟ فقلتُ : أنا عيسى بنُ هِشامٍ وهذا أبُو داوُدَ المتكِّلمُ. فقالَ : العسكرِىُّ؟ قلتُ : نعَمْ. فقالَ : شاهَتِ الوُجُوهُ وأهلُها[3] إنَّ الخيَرَةَ للهِ لا لِعبدِهِ. والأُمُورَ بيدِ اللهِ لا بيدِهِ[4] . وانتمْ

(١) كناية عن توجيه نظره إليه، وتأميله فيه .

(٢) كان من عوائد العرب أن يعرفوا حوادثهم وما جريات أحوالهم بأن يزجروا طيرا فإن مر بهم يمينا تفاءلوا وإن مر شمالا تشاءموا وأشهرهم فى ذلك بنو لهب قال الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا   مقالة لهبى إذا الطير مرت

وقال بعض الشعراء :

فإن زجروا طيرا بنحس تمر بى   زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

(٣) أى بئست هذه الوجوه وقبح أهلها .

(٤) أبو داود أحد المعتزلة الذين يقولون أن العبد خالق أفعال نفسه والمجنون يرد عليه هذا القول، ومجمل القول فى هذه المسألة التى ثارت عجاجتها بين الفرق الإسلامية أنهم انقسموا فى الرأى على ثلاثة أوجه فقالت الجماعة : أن الله تعالى هو خالق أفعال العبد اختيارية أو اضطرارية لكن للعبد كسبا يقتضى أن يوجه قدرته وإرادته نحو العمل فيختار أحد النجدين وبه يثاب، وعليه =

= يعاقب، ونصوص الكتاب تشهد لهم قال الله تبارك وتعالى : (والله خلقكم وما تعملون، الله خالق كل شيء، خلق كل شيء فقدره تقديرا، إنا كل شيء خلقناه بقدر، فعال لما يريد) وقال المعتزلة : الموجد للاختيارية منها هو العبد بل قال بعضهم الخالق لها هو العبد .

واستدلوا على ذلك بأنه لولا استقلال العبد بفعله الاختيارى لما كان هناك معنى للتكاليف الشرعية ولبطل المدح والذم والثواب والعقاب ولم يبق لبعثة الرسل وإنزال الكتب ودعوة الناس إلى الإيمان والطاعات فائدة قطعية بل مقتضى الحكمة الإلهية أن يجعل الثواب والعقاب ونحوهما متصلين بسبب من فعل العبد لا أن يكون منشأهما شيئا كان هو سبحانه الخالق له وموجده وكيف يكون من عدل الله وقضائه أن يحاسب إنسانا على ما لم يفعله ولم يكن له فيه اختيار. وهو مردود بأن صحة التكليف وما معه لا تتوقف على كون العبد هو الموجد للفعل والخالق له بل يكفى فيها اختياره وصرف قدرته وإرادته إليه وأن فائدة البعثة وما معها لا يلزم أن تكون سببا فى ايجاد العبد فعل الخير وإنشائه وخلقه بل يكفى فى فائدتها أن تكون داعية للعبد إلى صرف قدرته وتوجيه إرادته إلى الفضائل والخيرات وقالت الجبرية لا اخيتار للعبد فى شيء من أفعاله أصلا لأن العبد وجميع صفاته من قدرة وإرادة وعلم وغيرها وجميع أفعاله صادرة من الله تعالى والعبد لا يعلم تفاصيل فعل من أفعال نفسه والاختيار تابع للعلم وهو مدفوع بأنه لو كان مسلوب الاختيار لم يكن هناك فرق بين حركة البطش وحركة الارتعاش، ولما صح تكليفه وبأن الكسب وهو رأى الجماعة لا يتوقف على العلم=

وتُساقُونَ إلىَ المقدورِ قهراً[1] ولوْ كنتُمْ فى بيُوتِكُمْ لبرزَ الَّذينَ كُتِبَ عليهِمُ القتلُ إلى مضَاجعهِمْ. أفلا تُنصفُونَ. إنْ كان الأمرُ كما تصفُونَ؟. وتقُولونَ : خالِقُ الظُّلمِ ظالِمٌ : أفَلا تقُولُونَ : خالقُ الهلكِ هالكٌ[2]؟ أتعلمُونَ يقيناً. أنَّكُمْ أخبثُ منْ إبليسَ ديناً؟ قالَ :

= التفصيلى بل يكفى فيه العلم الإجمالى فأما الذى يتوقف على العلم التفصيلى فهو الخلق والإيجاد وهو رأى المعتزلة، قالوا وكان أبو العلاء المعرى يرى رأى الجبرية حيث يقول :

رماه فى اليم مكتوفا وقال له : إياك إياك أن تبتل بالماء

ونحن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى فإن فيلسوف المعرة كان حائرا مضطربا تتنازعه أفكار كثيرة ولم يقف عند حد مذهب جماعة يصح أن ينسب إليه .

(١) المجوس : جماعة اتخذت من دون الله آلهة نسبوا إليهم خلقهم وايجادهم واعتقدوا أن بيدهم زمام أمورهم والمجنون يقول لأبى داود أنه من مجوس المسلمين وذلك لأنه من جماعة المعتزلة الذين يرون للعبد قدرة على الخلق والايجاد فكأنهم اشبهوا المجوس فى اسنادهم الإنشاء لغيره سبحانه وتعالى، وجبرا قسرا والمعنى أنه يرد عليه بأن ظاهر حاله فى حياته ينقض مذهبه فإنه قد ولد دون أن يختار وتنزل به المحن وتعتريه الشدائد وتحيط به الملمات من غير أن يكون له رأى فى شىء من ذلك فكيف يعتقد أنه مخير فى شؤونه مريد والاية التى ذكرها تؤيد دعواه وتقيم حجته .

(٢) من أدلة المعتزلة على دعواهم قولهم : ان من الافعال قبيحا كالكفر والظلم =

ربِّ بمِا أغويتَنى . فأقرَّ وَأنكَرتُمْ. وآمنَ وكفرتُمْ[1]. وتقُولونَ : خُيِّرَ فاختارَ[2]. وكلاَّ فإنَّ المختارَ لا يبعَجُ بطنَهُ[3]. ولا يفقأُ عينَهُ[4]. ولا

= وبقية المعاصى، وخلق القبيح قبيح، والله تعالى منزه عن القبيح فيجب ألا يكون خالقه وحينئذ يلزم ان يكون العبد خالقا لأفعاله ، وهو مردود بانه لا يقبح من الله جلت قدرته شئ لانه الحكيم القادر على كل شئ القائم على كل نفس بما كسبت وانما القبيح كسب القبيح وهو الامر الذى تتعلق به قدرة العبد وارادته وقد نقض المجنون دعواهم بانه لو صح ان يكون خلق القبيح قبيحا للزم منه ان يكون كل خالق شئ متصفا بمخلوقه، ويلزم من هذا ان يكون خالق الموت ميتا وهم يعتقدون ان الله خالق الموت لانه اضطرارى ولعمرى ان ذلك رد فى نهاية الاحكام وغاية القوة .

(١) أى أن ابليس أسند الاغواء الى الله تعالى وهو شر كما تقولون فأقر بايكال الامر كله لله واسناده اليه وانتم أنكرتم ذلك وآمن بقضاء الله وقدره ولم تذعنوا لهما .

(٢) احدى دعاوى المعتزلة، يقولون : ان الله عرض الافعال خيرها وشرها على العبد فاختار منها لنفسه الاعمال التى نهجها وسار عليها .

(٣) بعج بطنه بالسكين : شقه ، فهو مبعوج وبعيج، وبابه قطع .

(٤) فقأ عينه وبخقها – وبابه قطع – : غورها واتلفها .

يرمي منْ حالقٍ ابنهُ[١]. فهلِ الإكراهُ. إلا ماتراهُ[٢]؟؟ والإكراهُ مرَّةً بالمرَّةِ . ومرَّةً بالدِّرَّة[٣]. فليخزِكُمْ أنَّ القُرآنَ بغيضُكُمْ. وأنَّ الحديثَ يغيظكُمْ[٤]. إذا سمعتم: (منْ يضللِ اللهُ فلا هاديَ لهُ) ألحدتُمْ[٥]. وإذا سمعتمْ : (زُويَتْ ليَ الأرضُ فأريتُ مشارقِها

(١) حالق : مرتفع ، أى : لو كان للعبد الاختيار الذى تدعونه انتم لما اختار هذه المضرات الظاهر ضررها البين نكالها .

(٢) اى هل تعرف لذلك الاكراه معنى غير ذلك السوق الذى ترى العباد يسيرون بمقتضاه؟ وهل يمكنك ان تفهم له مغزى او تتبين له طريقا غير ذلك الظاهر الذى ساق الناس الى أعمالهم فتراهم مسخرين ولا قدرة لاحدهم على معاندته والوقوف فى طريقه .

(٣) المرة : العقل والمراد ان الاكراه نوعان : نوع خفى، وهو التسلط على المشاعر وقهر العقل وغلبته . ونوع ظاهر وهو السوق بالعصى، ويخيل لى ان فى هذا نوع ميل الى مذهب الجبرية الذين يقولون بجبر العبد وعدم اختياره وذلك ان مذهب الجماعة وسط بين المذهبين كما أسلفنا . (٤) البغض : المقت والكراهية ، والبغيض الممقوت والمكروه والمعنى : ان من أسباب خزيكم وخجلكم ان يكون كتاب الله ممقوتا عندكم غير محبوبا لديكم لانه ناطق بالحجة ضدكم .

(٥) ألحد فى دين الله : حاد عنه وعدل ولحد من باب قطع : لغة فيه، وقرئ قوله تعالى : (لسان الذين يلحدون اليه) بها، والتحد : مثله، والمعنى أنكم حينما تسمعون نسبة الاضلال الذى هو شر للعبد الى الله فى محكم كتابه تميلون وتتأولون وتنتحلون وتقولون الذى لا ينطبق مع القرآن فى شئ.

ومغاربِهَا) جحدْتُمْ[1] . وإذا سمعتمِ : (عُرِضَتْ علىَ الجنَّةُ حتىَّ هممتُ أنْ أقطِفَ ثمارَها . وعرِضَتْ علىَّ النَّارُ حتَّى اتقيتُ حرَّها بيدِى) أنغضتم رؤُسَكُمْ ولويتُمْ أعناقكُمْ[2]. وإنْ قيلَ : عذابُ القبرِ

---

(١) زوى الشيء يزويه زيا: جمعه وقبضه والحديث من خوارق العادات، والمعتزله لاينكرونها، وانما ينكرون المعراج وهو صعود النبى صلى الله عليه وسلم الى ما فوق السموات السبع حيث لا يعلم الا الله ويقولون : انما كان فى اليقظة كما روى فى حديث عائشه وهذا الحديث يقرب الاستدلال على انه كان حقيقة وفى اليقظة كما يقول الجماعة فهو يقول له انكم حينما يذكر لكم هذا الحديث تجحدون أى تنكرون نسبته الى الرسول لانه يدحض مدعاكم ويقيم الحجة عليكم.

(٢) نغض رأسه من باب نصر وجلس : تحرك ، وأنغض فلان رأسه أى حركه كالمتعجب ومنه قوله تعالى : (فسينغضون اليك رءوسهم) ويقال : نغضه (متعديا) أيضا ، والمعنى انكم حين تسمعون ذكر الجنة والنار بما يدل على وجودهما اليوم تتعجبون وتعرضون عن القائل لانكم ترون كلامه كالشجا فى حلوقكم ، والمعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار اليوم فاما الجماعة فيقولون إنهما موجودتان الآن مخلوقتان قبل خلق الانسان بدليل ما ذكره الله تعالى من قصة آدم وحواء واسكانهما فى الجنة واخراجهما منها ولقوله تعالى : (أعدت للمتقين، أعدت للكافرين) والصيغة تقتضى الوجود بالفعل فى هذه الاثناء .

تطيَّرتُم[١]. وانْ قيلَ: الصِّراطُ تغامزْتُمْ[٢]. وانْ ذُكرِ المُيزانُ قُلتمْ : منَ الفرغِ كفتَّاهُ[٣] . وانْ ذكرَ الكتابُ قلتمْ : منَ القدِّ دفَّتاهُ[٤]. يا أعداءَ الكتابِ والحديثِ بماذا تَّطيَّرونَ؟. أباللهِ وآياتهِ ورَسُولهِ

---

(١) تطيرتم : تشاءمتم ، والمعتزلة ينكرون العذاب فى القبر والحديث ناطق بتسفيههم والرد عليهم فقد قال صلى الله عليه وسلم : (القبر أما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار، مر على قبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كثير أما أحدهما فكان لايستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة) وقال الله تعلى : (أغرقوا فأدخلو ناراً، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

(٢) من دعاوى المعتزلة أن الصراط المذكور فى الكتاب هو الطريق المعنوى وليس هناك كما يقول الجماعة جسر ينصب على شفير النار يجتازه المؤمنون وتزل عليه أقدام المبطلين وصريح الكتاب والحديث ضدهم فقد ورد فى الحديث وصفه وذكر كيفية العبور عليه واجتيازه .

(٣) أى تهزأتم بذلك والفرغ بكسر أوله : الفرا غ ، والمراد عدم وجوده والله يقول: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فأما من خفت موازينه ، وأما من ثقلت موازينه) .

(٤) القد – بكسر أوله – : الجلد أى أدعيتهم أنه حادث ووصفتموه بصفات الحوادث ، والقول أن القديم هو صفة الله الكلامية فأما الحروف التى نقرأها والكاغد والورق فمحدثة .

تستَهزِءُونَ؟. إنَّما مرقَتْ مارقةٌ فكانوا خبَثَ الحديثِ[1]. ثُمَّ مرَقتمْ منْها فأَنتمْ خبثُ الخبيثِ[2]. يا مخانيثَ الخوارجِ ترونَ رايهُمْ إلا القتالَ![3] وأنتَ يا ابنَ هشامٍ تُؤْمنُ ببعضٍ وتكفُرُ ببعضٍ؟ سمعتُ أنَّكَ افترَشْتَ منهُمْ شيطانَةً[4]!. ألمْ ينهكَ اللهُ عزَّ وجلَّ ان تتخذَ منهُمْ بطانةً[5]؟. ويلكَ هلا تخيَّرتَ لنُطفتِكَ. ونظرتَ

(١) خبث الحديد وغيره بفتحتين : ما نفاه الكير ، ويقال : مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر، وبابه دخل ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله صلى الله عليه وسلم (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) والمعنى أنه خرجت جماعة فكانت للحديث كالصدأ للحديد .

(٢) ثم خرجتم أنتم عنها فكان خبثكم أشد .

(٣) الخوارج : جماعة خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقاموا فى وجهه يفسقونه ويحاربونه لتحكيمه عمرا وأبا موسى وقالوا ليس الحكم إلا لله فكل من أسنده لغيره فقد فسق، والمعتزلة يرون أن واحد من الامامين (على ومعاويه) قد فسق ولكنهم لم يجزموا بواحد بعينه وهم لا يرون قتاله ولذلك فإن المجنون جعلهم مخانيث الخوارج لانهم بينهم كالرجل الذى يتطبع بطبائع النساء بين الرجال .

(٤) تزوجت امرأة منهم .

(٥) بطانة الرجل ووليجته : خاصته ومن يشتد بهم أزره ويقوى ساعده ولعل أصله بطانة الثوب ضد ظهارته لأن بها يقوى الثوب ويكون أكثر تحملا .

لعقبِكَ[١]. ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أبدِلْني بهؤُلاءِ خيراً منهُمْ وأشهِدني ملائكتَكَ[٢]. قالَ عيسى بنُ هِشامٍ: فبقيتُ وبَقيَ أبُو داوُدَ لا نحيرُ جواباً[٣]. ورجعْنا عنْهُ بشرٍ وإنِّي لأعرفُ في أبي داوُدَ انْكساراً حتَى أردْنا الافتراقَ قالَ : يا عيسى هذا وأبيكَ الحديثُ فمَا الذَّي أرادَ بالشَّيطانَةِ؟ قلتُ: لا واللهِ ما أدري غيرَ أني هممتُ أنْ أخطُبَ إلى أحدِهمْ ولَمَ أُحدِّثْ بما هممتُ بِهِ أحداً. واللهِ لا أفعلُ ذلكَ أبداً . فقالَ : ما هذا واللهِ إلا شيطانٌ. في أشطانٍ[٤].

(١) في الحديث : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، أياكم وخضراء الدمن قالو : وما هي يا رسول الله ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء ، لا تجعلوا نطفكم إلا في طهاره) فكل هذا حث على اختيار الزوجه وانتخابها من طواهر النساء وفضلياتهم .

(٢) اشهدني : أرني، والمراد أخرجني من الحياة التي تجمعني بهؤلاء الاقذار وادعني إلى الحياة الأخرى لالقى ملائكتك .

(٣) يقال كلمته فما أحار جوابا : أي مارجع ، وقال الاخطل :

هلا ربعت فتسأل الاطلالا ولقد سألت فما أحرن سؤالا

ومنه يقال حاورته أي راجعته ، وهو حسن الحوار ، وكلمته فمارد الى محوره.

(٤) يقال : عندي شطن قوي وهو الحبل يستقي به وتربط به الدابه وجمعه أشطان .

فرجعنْا إليْهِ. ووقفنْا عليهِ . فابتدرنا بالمقال وبدأنا بالسُّؤَالِ. فقالَ : لعَلَّكما آثَرتُما . أنْ تعرِفا منْ أمرى ما أنكَرتماُ[1]. فقُلْنْا : كُنتَ منْ قبلُ مُطَّلعاً على أُمُورِنا . ولَمْ تعدُ الآنَ ما فى صدُورِنا[2]. ففسِّر لنا أمركَ . واكشِفْ لنا سرَّكَ. فقالَ :

أنا ينبُوعُ العجَائِبْ فى احتِيَالى ذُو مراتِبْ[3]

أنا فى الحقِّ سنَامُ أنا فى الباطِلِ غارِبْ[4]

أنا إسكَندَرُ دارى فى بلادِ اللهِ سارِبْ[5]

أغتَدى فى الدَّير قِسِّيساً وفِى المسجِدِ راهِبْ[6]

---

(١) آثرتما : فضلتما ومنه قوله تعالى : (لقد آثرك الله علينا) أى فضلك، والمعنى أنى أرى فى عودتكما أنكما فضلتما أن تتبينا ما خفى عليكما من أمرى .

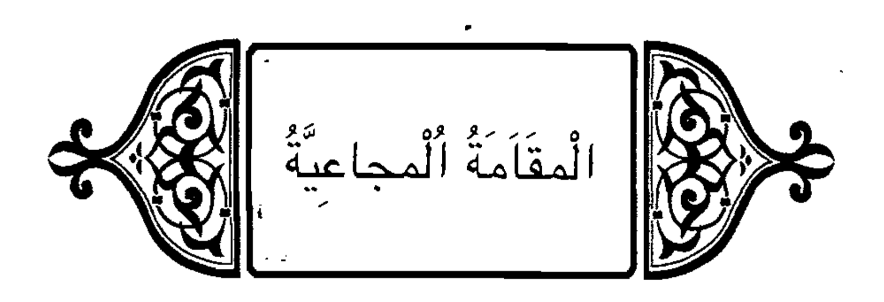
(٢) تعد : تجاوز ، والمعنى انك الان كذى قبل قد تفرست فينا فلم تخطئ فراستك ولم يخب ظنك .

(٣) أى أنا مصدر كل عجيبة ، ومورد كل غريبة ، ومعدن كل شارده .

(٤) السنام : أعلى ظهر البعير ، والغارب : كاهله وهو مرتفع أيضا ، والمعنى أنه إذا أراد الحق كان فى أعلى مكان منه وإن شاء الباطل برع فيه أيضا .

(٥) السارب : الذاهب فى الارض نهارا كالهائم الذى لايدرى أين يتوجه .

(٦) أى أنه ذو ألوان فتارة يدعو إلى هذا وطورا إلى ذاك والمراد مجرد التقلب إلى الوان مختلفة .



الْمقَامَةُ الْمجاعِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كنتُ ببغدادَ عامَ مجاعةٍ[١]. فملتُ إلى جماعةٍ. قد ضمَّهُمْ سِمطُ الثُّريَّا[٢]. أطلُبُ منهُم شيًّا. وفيهِمْ فتًى ذُو لثغةٍ بِلِسانه[٣]. وفَجٍ بأسنانه[٤]. فقالَ: ما خطبُكَ[٥]؟. قلتُ : حالانِ لا يُفلِحُ صاحِبُهما : فَقيرٌ كدَّهُ الجوعُ[٦]. وغريبٌ لا يُمكنُهُ الرُّجُوعُ[٧]. فقالَ الغلامُ: أيُّ الثُّلمَتَينِ تُقدِّمُ

(١) قحط . أمحال . جدب شدة .

(٢) السمط : السلك مادام اللؤلؤ منظوما به والا فهو سلك . والثريا : مجموع كواكب يشبهون بها الجماعات المتآلفة .(٣) أى أنه يبدل بعض الحروف ببعض .

(٤) الفلج تباعد ما بين الاسنان وهو من محاسنها.

(٥) ما حاجتك ؟ او ماهو الامر الذى آلمك فجئت تشكو منه ؟

(٦) كده : أتعبه ، وأجهده ، ونال منه ، وأعياه .

(٧) أى لا يستطيع العودة الى وطنه ، ولا يقدر على الأوبة لداره.

(٨) الثلمة : هى الشق فى الحائط ونحوه وليس مما يرتاب فيه أن الجوع والاغتراب أكبر ما ينزل بسعادة المرء فيعطلها.

الجوعُ قدْ بلغَ منِّى مبلغاً[1] ! قالَ : فمَا تقولُ فى رغيفٍ علىَ خُوانٍ نظيفٍ. وبقلٍ قطيفٍ[2]. إلى خلٍ ثقيفٍ[3]. ولونٍ لطيفٍ. إلى خردلٍ حرِّيفٍ[4]. وشواءٍ صفيفٍ. إلى ملحٍ خفيفٍ[5]. يُقدِّمهُ اليكَ

(١) أى أننى أفضل رد عادية الجوع لأنه أقوى وآكد وقد أصبح وطؤه على ثقيلا، وعبئه متعبا كادا، وقد تحملت له العناء والمشقة، وشربت منه الامرين، فخلصنى منه أولا، ونجنى من آلامه بادىء ذى بدء.

(٢) الخوان : المائدة قبل أن يوضع عليها طعام فإذا وضع فهى مائدة .

(٣) بقل قطيف : مقطوف : أى ورق بلا جذور، وخل ثقيف حامض جدا .

(٤) اللون : الدقل ، وهو نوع من النخل، وهو جمع واحدته لينة وأصلها لونة بالواو ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت ياء ومنه قوله تعالى : (ما قطعتم من لينة) وثمرها سمين يسمى العجوة ، وقد تجمع على لين ، والمراد هنا نبيذ ذلك التمر، والخردل حب شجر معروف ، وحريف : أى له لذعة فى اللسان وأصل هذه الكلمة (الحرف) بوزن قفل : وهو حب الرشاد ، وإنما يستحب مثل ذلك أثناء الطعم لأنه يجدد الشهوة الى الاكل .

(٥) الشواء بكسر الشين : اللحم المشوى . والقطعة منه شواءة والفعل : شوى يشوى شيا وتقول : انشوى اللحم، ولا تقل. اشتوى، والصفيف – بوزان أمير – ماصف فى الشمس ليجف أو على النار لينشوى ، والمعنى : هل تريد أن أقدم لك لحما قد جعل شواء وأجيئك معه بقليل من الملح ليساعدك على الاكل .

الآنَ منْ لا يمطلكَ بوعدٍ[١] ولا يُعذِّبُكَ بصبرٍ .ثُمَّ يعلُّكَ بعدَ ذلكَ[٢] بأقداحٍ ذهبيةٍ. منْ راحٍ عنبيَّةٍ[٣]؟ أذاكَ أحبُّ اليكَ أم أوساطُ

---

(١) لايسوف عليك بل يسرع لك بالانجاز والتنفيذ .

(٢) أصل العل الشرب مرة بعد أخرى وأراد منه هنا مطلق شئ يجيء بعد آخر.

(٣) أى : خمر متخذة من العنب وقد أولع الشعراء قديمهم وحديثهم بالكلام عنها ووصفها، قال أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز :

وحلو الدلال مليح الغضب	يشوب مواعيده بالكذب
سقانى وقد سل سيف الصبا	ح والليل من خوفه قد هرب
عقارا اذا ما جلتها السقا	ة ألبسها الماء تاج الحبب
فأصلح بينى وبين الزمان	وأبدلنى بالهموم الطرب
وما العيش الا لمستهتر	تظل عواذله فى شغب
يهيم الى كل ما يشتهى	وان رده العذل لم ينجذب
ويسخو بما قد حوت كفه	ولا يتبع المن ما قد وهب
فكم فضة فضها فى سرو	ر يوم وكم ذهب قد ذهب

والمبرز فى هذه الحلبة ذو المعانى الفياضة والاساليب المستملحة هو الحسن بن هانى أبو نواس الذى يقول :

وكأس كمصباح السماء شربتها	على قبلة أو موعد بلقاء
أتت دونها الايام حتى كانها	تساقط نور من فتوق سماء
ترى ظهرها من ظاهر الكاس ساطعا	عليك ولو غطيتها بغطاء =

محشوَّةٌ[١]. وأكوابٌ مملوَّةٌ[٢]. وأنقالٌ مُعدَّدَةٌ[٣]. وفرشٌ منضِّدةٌ[٤]. وأنوارٌ مجوَّدةٌ[٥] ومُطربٌ مجيدٌ[٦]. لهُ منَ الغزالِ عينٌ وجيدٌ[٧]؟

= ولابن الرومى كلام جزل وشعر رائع فى هذا الباب وهو الذى يقول :

يمل كل شـراب من يعاقره وشارب الراح مشغوف بها عانى

كريقة المرء لاتنفك فى فمه ومـا يمـل لها طعـم لأبـان

(١) أى أماكن جمعت كثيرا من الظراف .

(٢) الاكواب : جمع كوب وهو الكوز مالم يكن به عروة وأراد بها أكواب الخمر وكؤوسها .

(٣) أنقال جمع نقل وهو بفتح أوله ما ينتقل عليه من الخمر ومنه إليها.

(٤) نضد متاعه من باب ضرب - وضعه منتظما مرتبا مصفوفا، ونضده تنضيدا أيضا : للمبالغة فى وضعه متراصفا .

(٥) جاد الشئ يجود جودة (بفتح الجيم وضمها)، صار جيدا، واجاده وجوده : صيره كذلك ، ومعنى تجويد الانوار : انه قد أجيد سراجها وتؤنق فى مسارجها.

(٦) التطريب فى الصوت : مده وتحسينه ، ولو كان المطرب مأخوذا من هذا لكان على زنة اسم الفاعل من المضعف ، ولعله مأخوذ من أطرب بمعنى بعث الطرب إلى غيره مع ملاحظة ذلك المعنى ، والطرب : خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور .

(٧) الجيد : العنق ومثل هذا قول المجنون : =

فـــإنْ لـــم تـــرد هـــذا ولا ذاكَ. فـــمَـــا قـــولكَ فى لحمٍ طرِيٍ. وسمكٍ نهرِيٍ[1]. وباذنجانٍ مقلّيٍ وراحٍ قطـــربُلّـــيٍ[2]. وتفُاحٍ

= فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى ان عظم الساق منك دقيق

ومن بديع ما قيل فى القيان قول ابن الرومى :

ظبية تسـكن القلـوب وتـرعا ... هـا وقمـرية لهـا تغـريـد
حسنها في العيون حسن جديد ... فلهـا فـى القلوب حب جـديد
تتغنـى كـانهـا لا تغنـى ... ،من سكون الاوصال ، وهى تجيد
مد فـى شأو صوتها نفس كا ... ف كانفـاس عاشـقيها مـديد
وأرق الـدلال والـ ... منـه ... وبـراه الشـجا فكـاد يبيد
فـتراه يمـوت طـورا ويحيى ... مسـتلذ بسـيطه والنشـيـد
فـى هـوى مثلها يخـف حليم ... راجـح حلـمه ويغـوى رشـيد
خلقـت فتنـه غنـاء وحسـنا ... مالهـا فيهمـا جميعـا نديـد
لى حيـث انصـرفت منها رفيق ... من هـواهـا وحيث حلت قعيد
عن يمينى وعن شمالـى وقدا ... مـى وخلفى فأيـن عنـه أحـيد

(١) لحم طرى : أى لايجـهد المعدة ولا يحملها مشـقـة كلحم الطير، والسمك النهرى : المستخرج من النهر، وهو اكثر طراءة من سمك البحر الملح، والمعنى: اذا كنت لا تستطيع الموافقة على حضور مجلس الغناء ومشاركة الندماء فى احتساء الخمر فماذا ترى فى مثل هذا .

(٢) قطربل : قرية بالعراق شهيرة بالخمر وقال أبو نواس :

قطربل مربعى ولى بقرى الكر ... خ مصيف وأمـى العنب
تـرضعنـى درها وتلحفنـى ... بظلها والهجـير يلتهب

جنِيٍ[1]. ومضجعٍ وطِيٍ[2]. علىَ مكانٍ علىٍّ[3]. حذاءَ نهرٍ جرارٍ. وحوضٍ ثرثارٍ[4]. وجنةٍ ذاتِ أنهارٍ؟ قالَ عيسى بنُ هشامٍ : فقلتُ: أنا عبدُ الثلاثةِ[5]. فقالَ الغلامُ : وأنا خادمُها لو كانتْ[6]. فقلتُ : لا حيَّاكَ اللهُ، أحييتَ شهواتٍ قدْ كانَ اليأسُ أماتهَا[7]. ثُمَّ قبضتَ لهاتهَا[8]. فمنْ أىِّ الخراباتِ أنتَ[9]؟. فقالَ :

(١) يقال : ثمر جنى إذا كان حين اقتطافه قريبا، والفاكهة أجود ما تكون إذا كانت كذلك .   (٢) مضجع وطى : لين ، هانئ ، لا تمل النوم فيه .

(٣) مرتفع ، وذلك من دواعى الرغبة .

(٤) أى يسمع به صوت الماء دائما لدوام جريه .

(٥) أى أريد كل هذه الامور التى ذكرت .

(٦) أى كما أنك تشتاقها وتتمنى وجودها بين يديك فكذلك أنا ولكن الحصول عليها عسير .

(٧) أى أثرت فى نفسى دواعى الشهوة الى أشياء كان الفقر قد أيأسنى من بلوغها .

(٨) اللهاة : الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم ، والجمع اللها واللهوات واللهيات أيضا، والمعنى : أنك بعد أن هيجت ساكن الشهوة الى ما ذكرت من المطعم والمشرب لم تنقع الغلة ولم تبل الاوام بل تركتنى أتألم وأتضجر .

(٩) والخرابات : الامكنة المتخربة التى لايسكنها أحد ، ويزعمون أنها تكون مأوى الشياطين ، فالمعنى : أنت شيطان من أى مكان .

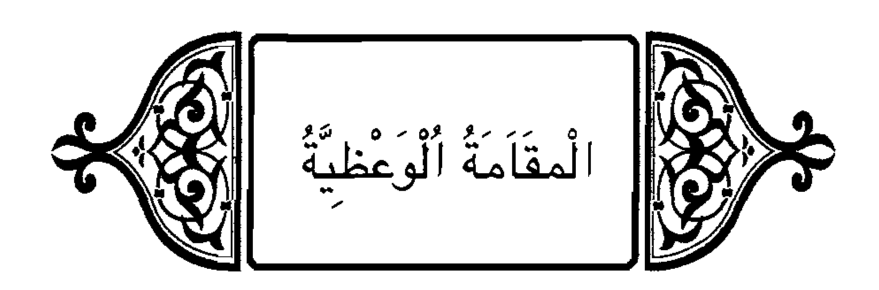
أنا منْ ذوى الإسكندَريَّة   مـنْ نبعـةٍ فيهِـم زكيَّـهْ[1]

سـخُفَ الـزَّمـانُ وأهلُهُ   فركبتُ منْ سخفِى مطيَّهْ[2]

(١) أى أنا من أصل أصيل فى الاسكندريه .

(٢) السخف – بوزن القفل : رقة العقل ، وبابه طرب فهو سخيف ، والمعنى أن الزمان وأهله قد رقت عقولهم وضعفت أحلامهم فالتزمت ان أكون مثلهم فتعمدت السخف وتصنعت الجهالة .





الْمقَامَةُ الْوَعْظِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بينا أنا بالبصرَةِ أميسُ[1]. حتَّى أدَّاني السيرُ إلى فرضةٍ قدْ[2]. كثرُ فيها قومٌ علىَ قائمٍ يعظهُمْ وهوَ يقولُ : أيهَا النَّاس إنَّكُمْ لمْ تُتركوا سدًى[3]. وإنَّ معَ اليومِ غداً[4] وإنَّكُمْ واردُوا هُوَّةٍ[5]. فأعدُّوا لها ما استطعتُم منْ قوةٍ. وإنَّ بعدَ المعاشِ معاداً[6] . فأعدُّوا لهُ زاداً. ألا لا عذرَ فقدْ

---

(١) أى اختال فى مشيتى ، واتبختر فى سيرى .

(٢) فرضه : فرجة ، ثلمة .

(٣) أى هملا لا راعى لكم .

(٤) أى ان كنتم تظنون أنكم تفرون اليوم فان الغد ملاقيكم فاعدوا له .

(٥) الهوة فى الاصل : الحفرة العميقة واراد منها القبر .

(٦) المعاد : الرجوع والمعنى ان بعد هذه الحياة اخرى ترجعون فيها الى الله وكما أنكم لا تحيون هنا الا بالزاد وأنتم تتكالبون عليه فاجمعوا شيئا من الزاد تستمدون منه هناك وهو العمل الصالح .

بينَتْ لكُمُ المحجَّةُ[1]. وأُخذَتْ عليكُمُ الحجَّةُ. منَ السماءِ بالخبرِ . ومنَ الأرضِ بالعِبرِ[2]. ألا وإنَّ الذى بدأَ الخلقَ عليماً . يحُيى العظامَ رميمًا[3]. ألا وإنَّ الدُّنيا دارُ جهَازٍ. وقنطرةُ جوازٍ[4]. منْ عبَرَها سلمَ. ومنْ عمرَها ندِمَ[5]. ألا وقدْ نصبَتْ لكمُ الفخَّ ونثَرتْ

(١) الحجة : الطريقة الواضحة ، والحجة البرهان .

(٢) أى نزل عليكم من السماء دليل الشرع وبين أيديكم دليل العقل وهو التدبر فى الاكوان وملكوت الارضين والعبرة بالكسر : الاسم من الاعتبار وجمعها عبر.

(٣) بدأ الخلق : أنشأه أول مرة ، والرميم : البالى، وهو فعيل من قولهم : رم العظم يرم رمة بكسر الراء فى الاخيرين اذا بلى وتقادم عليه العهد والمعنى : أن الله جلت قدرته قد أنشأكم أول مرة وأوجدكم بداءة عالما بكم خبيرا بما تكونون عليه وأنه لن يعجز على اعادتكم ليعرضكم علي الحساب و يناقشكم فيما أسلفتم فى أيام حياتكم الاولى وإذا كان حاله كذلك فقد وجب على عبده ألا يلهو عن مراقبته وحساب نفسه .

(٤) جهاز العروس والسفر - بفتح الجيم وكسرها .. : متاعه وحمولته التى يأخذها معه المسافر ، والجواز : المرور ، والسلوك ، والسير ، والمعنى : أن هذه الحياة ليست إلا سوقا تتجهزون منها لسفركم الطويل ، وطريقا تسلكونه الى مقصدكم الذى تريدونه فانتقوا من المتاع ماتعلمون أنه يعينكم فى سفركم ولا يضركم ، واسلكوا الطريق التى لايشوبها عوج ولاتنهشكم أسودها .

(٥) عبرها : تخطاها ، وعمرها : أقام فيها العمارات .

لكُمُ الحبَّ فمَنْ يرتَعْ. يقَعْ. ومنْ يلقُطْ يسقُطْ[١]. ألا وإنَّ الفقرَ حليةُ نبيِّكُمْ فاكتسُوها. والغنَى حلةُ الطُّغيانِ فلاَ تلبسُوها[٢]. كذبَتْ ظنُونُ الملُحدِينَ. الذَّينَ جحدُوا الدِّينَ. وجعلوا القرآنَ عِضينَ[٣]. إنَّ بعدَ الحدثِ جدثاً[٤]. وإنَّكُم لمْ تخلقُوا عبثاً[٥].

---

(١) أى أن الدنيا كصياد ينصب حبائله للطير لا يريد بذلك منفعة الطير ولكنه يريد منفعة نفسه فكل طائر يلقط الحب يقع فى هذه الأحبولة .
(٢) المعنى : لا يزدهيكم رونق الغنى ولا تغرنكم مظاهره ولا يخدعكم سرابه اللألاء فإنه عرض زائل ومتاع قليل وهو مع ذلك مثار الاغترار ومنشأ التهلكة ورداء من لبسه نسى الله واتبع هواه فأضله وأرداه ، ولا تأنفوا الفقر، ولا تنفروا من الاملاق فانه يذكركم بالخالق دائما ويحثكم علي طاعته ورضوانه، ولقد خير النبى عليه السلام فى أن يكون له مثل جبل أحد ذهبا فقال : لا ، يارب، أجوع يوما فأحمدك، وأشبع يوما فأشكرك ، فتشبهوا به وسيروا سيرته وانهجوا طريقه . (٣) عضين . جمع عضه وهى الفرقة . كانوا يختلفون فى تأويله بالسحر والكهانة والاساطير ، والمعنى: ان هؤلاء الذين عاندوا النبى ولم يقبلوا قوله واستكبروا عن الاستجابة له قائلين : ان هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين – قد كذبوا فى هذه الدعوى، وضلوا عن الصراط فلا تسمعوا لهم ولا تقولوا بقولهم . (٤) الحدث : الحياة فى هذه الدنيا . والجدث القبر . (٥) عبثا : بلا حكمة وأراد من هذا أن يبين لهم أن المعاد أمر يقتضيه العقل ولا يأباه كل ذى فكر لان من اعتقد أنه لم يوجد فى هذه الحياة ليتمتع بلذائذها ويثلج بنعائمها ثم لا يكون بعد ذلك شئ فقد ضل ضلالا بعيدا بل لابد وأن تكون هناك حكمة فى هذا الوجود هى، إثابة الخيرين والتنكيل بالاشرار .

فحذارِ حرَّ النَّارِ[1]. وبدارِ عقبىَ الدَّارِ. ألا وإنَّ العلمِ أحسنُ علىَ علاقِهِ. والجهلَ أقبَحُ على حالاتِه[2]. وإنَّكُم أشقَى منْ أظلَّتهُ السَّماءُ. إنْ شقيِ بكُمُ العلماءُ[3]. النَّاسُ بأئمَّتهم. فإنِ انقادُوا بأزمَّتهِم. نجوا بذمَّتهِمْ[4]. والنَّاسُ رجُلانِ: عالمٌ يرعى. ومتُعِّلمٌ يسعَى. والباقونَ هاملُ نعامٍ. وراتِعُ أنعامٍ[5]. ويلُ عالٍ أُمرَ منْ سافلِهِ. وعالمِ شيءٍ منْ جاهلِهِ[6]. وقدْ سمعتُ أنَّ عليَّ بنَ الحُسينِ كانَ قائماً يعظُ النَّاسَ ويقولُ : يا نفسُ حتَّامَ إلى الحياةِ

---

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذروا وبدار اسم فعل معناه بادروا .

(٢) أى أن العلم وإن كان فيه تعب ومشقة ولكنه حسن وجميل بخلاف الجهل وإن صحبته الدعة والراحة .

(٣) المعنى إذا لم تهتدوا بهدى العلماء ولم تنهجوا سبيلهم فقد حلت بكم الشقوة .

(٤) أى ليس الناس الا بقوادهم وهم أئمة الدين فان أسلموا لهم زمامهم نجوا وان جمحوا هلكوا .

(٥) أى لا يعد انساناً إلا واحد من اثنين عالم أو متعلم ، وهو من حديث على : كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك .

(٦) ليس أشق على النفس ولا أنكى بها من سافل يأمر العلية بأمره أو جاهل يرشد العالم الى ما لا يعلمه .

رُكُونُكِ. وإلى الدُّنيا وعمارَتِها سُكونُكِ[1]. أما اعتَبرتِ بمنْ مضَى منْ أسلافكِ. وبمنْ وارَتْهُ الأرضُ منْ ألافكِ[2]. ومنْ فجعتِ بِهِ منْ إخوانكِ. ونُقِلَ إلى دارِ البلَى منْ أقرانكِ[3] ؟؟

---

(١) ركن اليه - من باب دخل، وركن أيضاً بالكسر - ، والمعنى : ألا ترتدعين أيتها النفس الغاوية عن الميل الى لذات الدنيا وشهواتها وتخلعين عنك ثوب التكالب على جمعها واقامة العمائر بها .

(٢) يقال : ألفت الموضع آلفه إلفا، وألفته أولفه إيلافاً، وأؤالفه مؤالفة وإلافا: أى أحببته ورغبت فيه، ومنه : الالف يقال : حنت الالف الى الالف، والاليف وجمعه ألائف بزنة تبيع وتبائع فأما الالاف فجمع آلف بمعنى محب وراغب ، بزنة كافر وكفار ، والمعنى . ألم تكن لك بمن سبقك من الناس موعظة فتهتدى الى ما ينجيك ؟ ثم ألم تأخذك الحسرة على نفسك بعد ما تبين لك أن اخوانك ومحبيك ومن كنت تركن اليهم قد صاروا الى الاجداث وتواروا تحت التراب ؟؟؟

(٣) الفجيعة : الرزيئة. وقد فجعته المصيبة - من باب قطع - وفجعته أيضا تفجيعا : أوجعته وآلمته ، والأقران جمع واحده قرن وهو بفتح أوله : مثلك فى السن تقول : هو على قرنى أى على سنى، بكسره قريعك فى الشجاعة وضريبك والمعنى : ألا تردعك المصائب التى نزلت بعشرتك واخوانك فتألمت لها نفسك ثم ألم يحزنك انتقال لداتك وقرنائك الى الحياة الثانية فتعتبر بهم .

فهُم فى بطُونِ الأرضِ بعدَ ظهُورِها   محاسِـنهُم فيها بوالٍ دواثرُ[1]
خلتْ دُورُهم منهُم وأقـوَتْ عـراصُهُم   وسـاقتهُمُ نحوَ المنَايَا المقَادرُ[2]
وخــلوْا عنِ الدُّنيا ومَا جمعُـوا لهَـا   وضمتَّهُمُ تحتَ الترابِ الحفائرُ[3]

كمِ اختلسَتْ أيدى المنُونِ. منْ قرونٍ بعدَ قرونٍ[4]. وكمْ غيَّرَتْ ببلاها . وغيبتْ أكثرَ الرِّجالِ فى ثرَاها؟؟؟

وأنتَ علىَ الدُّنيا مكِبٌّ مُنافِسٌ   لُخِطَّابِها فيها حريصٌ مكاثِرُ[5]

---

(١) بوال : جمع بال وهو الخلق الرث ودواثر جمع داثر وهو الهالك .

(٢) أقوت : خلت وأقفرت ، قال النابغة :

يادار مية بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الامد

والعراص : جمع عرصة وهى الفضاء بين الدور، والمقادير: الأقضية، وأحكام الله . (٣) المعنى : أنهم نزحوا عن هذه الحياة تاركين أموالهم وذخائرهم التى قضوا أعمارهم فى جمعها وتحصيلها واستنفدوا أيامهم فى الكدح لها والجلد عليها وكأنهم كانوا لا يظنون وراءهم مثل ذلك اليوم فلما ذهبوا ضمت أجسامهم حفرة صغيرة ووسعهم جحر ضيق وكانت الدنيا كلها تضيق فى وجوههم .

(٤) أى أن الموت أباد كثيرا من جماعات الناس وأفنى العديد من الأمم والقرون: جمع قرن وهو أهل الزمان الواحد. قال الشاعر :

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهم   وخلفت فى قرن فأنت غريب

وهو أيضاً ثمانون سنة وقيل ثلاثون سنة . (٥) أكب فلان على كذا وانكب : لزمه وما فتئ يفعله ، والمنافسة : المباراة والتسارع الى العمل ، والتكاثر : المكاثرة فى الاعمال والاموال ونحوهما أى المغالبه فى كثرتهما والمعنى أنك مقبل على الدنيا تجمع لذاتها وتنافس فيها أهلها فى حرص منك ومغالبة ومنافسة كأنك تعتقد دوام الحال لك .

عَلى خطَرٍ تمشى وتصبِحُ لاهِياً ... أتَدرى بماذَا لوْ عقلتَ تُخاطِرُ؟[1]

وإنَّ امرأً يسعىِ لدُنياهُ جاهِداً ... ويذهَلُ عنْ أُخراهُ لاشَكَّ خاسِرُ[2]

أُنظُر إلى الأمَمِ الخاليةِ[3]. والمُلُوكِ الفانيَةِ[4]. كيفَ انتَسَفَتهمُ الأيامُ[5] . وأفناهُمُ الحمَامُ[6]. فأنمحَتْ آثارُهمَ. وبقيَتْ أخبارُهم[7].

---

(١) أى أنك تسير فى الدنيا سيرا خطير بحيث لو عقلت لعلمت أنك تعرض بنفسك للشقاوة والهلاك .

(٢) والمعنى أنه لاريب فى أن الذى يكون همه تحصيل الدنيا دون أن يهتم بشأن حياته الأخرى سيخسر فى صفقته ويؤوب بالخذلان المبين .

(٣) الماضية . (٤) التى ذهبت من قبل .

(٥) انتسفهم : أى أهلكتهم ولم تبقى لهم أثرا من قولهم نسف البناء إذا أقتلعه من أصله . (٦) الحمام بالكسر الموت .

(٧) أنمجت وامحت : خفيت ولم يبق لها أثر وامتحت لغة فيه ضعيفة ، والمعنى أن آثارهم ومصنوعاتهم لم يبق منها شئ غير الذكرى والأخبار ، وما أبدع قول أمير الشعراء فى هذا العصر (شوقى بك) فى هذا المعنى :

كل حى على المنية غاد ... تتوالى الركاب والموت حاد

ذهب الاولون قرنا فقرنا ... لم يدم حاضر ولم يبق باد

هل ترى منهم وتسمع عنهم ... غير ذكرى مآثر وأيادى ؟

فاضحَوا رميمِا فى التُّرابِ وأقفرَت مجالِسُ مِنهُم عطِّلتْ ومقاصِرُ[1]
وحلَّوا عنِ الدُّنيا ومَا جمعُوا بهِا ومَا فازِ منهُم غيرُ منْ هوَ صابرُ
وخلُّوا بدارٍ لا تزاورَ بينهُمْ وأنى لِسُكان القُبُورِ التزَاوُرُ[2]
فمَا إنْ تَرَى إلاَّ رمُوساً ثوَوا بها مُسَطَّحةً تسفيِ عليها الأعاصِرُ[3]
كمَ عاينتَ منْ ذِى عزةٍ وسلُطانٍ. وجنُودٍ وأعوانٍ. قدْ تمَكَّنَ

(١) أقفرت : خلت ، قال عبيد بن الابرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالجنوب

والمقاصر : المقاصير جمع مقصورة وهى الدار التى يختص بها صاحبها والمعنى: أنهم أصبحوا تحت التراب عظاما بالية واجساما نخره فى حين أن مجالس لهوهم ومغانى أنسهم فى هذه الحياة الدنيا قد خلت منهم ، وأن مساكنهم التى كانوا قد قصروها على أنفسهم وكانت تتحلى بهم كما تتحلى الحسناء بنفيس القلائد أصبحت معطلة منهم .

(٢) أى انهم فى أخراهم لاتنتقل أجسامهم لزيارة بعضهم كما كانوا هنا وذلك من علامات الوحشة، لأن العزلة من أكبر دواعى الانقباض وأسباب الاستيحاش.

(٣) رموسا : جمع رمس وهو القبر ، وثوى يثوى ثواء : أقام، والأعاصر : جمع إعصار وهى الريح الشديدة، وتسفى عليها : تحمل الغبار إليها .

مِنْ دُنياهُ. ونالَ منها مُناهُ. فبَنَى الحصُونَ والدَّساكِرَ. وجمعَ الأعلاقَ والعساكِرَ[1] .

فمَا صرفَتْ كَفَّ المنيَّـةِ إذ أتَتْ مُبادِرَةً تَهوى إليهِ الذَّخائرُ[2]

ولا دفعَتْ عنهُ الحصُونُ التَّى بَنى وحَفَّت بهِا أنهارها والدَّساكرُ[3]

ولا قارعَتْ عنهُ المنيَّةَ حيلَةٌ ولاطَمعَتْ فى الذَّبِّ عنْهُ العَساكِرُ[4]

يا قومُ الحذَرَ الحذَرَ. والبدارَ البدارَ. منَ الدُّنيا ومكايدِها. ومَا نصبَتْ لكُمْ منْ مصايدِها . وتجلَّت لكُم منْ زينتهِا. واستشرَفَتْ لكم منْ بهجَتِها[5].

(١) الحصن : البناء حول القرية أو المدينة، والاعلاق : النفائس والعسكر : الجيش ، وعسكر : هيأه.

(٢) الذخائر : جمع ذخيرة، وهى فاعل صرفت فى أول البيت، والمعنى : أنه لم تنفعه ذخائره، ولم تدفع عنه ضرا ولم تجلب له خيرا .

(٣) الدساكر جمع دسكرة وهى البناء الذى يكون كالقصر من حوله بيوت .

(٤) قارعت : دافعت، والذب : الذود، والمنع، والدفاع ، والمعنى : أن حيله وأفكاره التى كان يدبر بها ملكه لم تدافع عنه حين نزل الموت به ولا أمكن لجيوشه التى أعدها لمحاربة الاعداء والكفاح والجلاد أن تمنع عنه أو تحميه لأن الموت سلطان قاهر لا قدرة لمخلوق على دفعه .

(٥) المعنى : حاذروا من الدنيا ولا تأمنوا لها ولا تنخدعوا بها فقد نصبت لكم الفخاخ ونشرت بينكم العيون والرقباء لتستطلع أمركم ثم تأخذكم فى =

وفى دُونِ ما عاينتَ منْ فجَعاتِها الى رفضِها داعٍ وبالزُّهدِ آمرُ[1]
فجُدَّ ولا تغفُل فعَيشُكَ بائِدٌ وأنت الى دارِ المنيةِ صائرُ[2]
ولا تطلُبِ الدُّنيا فإنَّ طلابُها وإن نلتَ منها رَغبةً لكَ ضائرُ[3]

وكيفَ يحرصُ عليها لبيبٌ. أو يُسرُّ بها أريبٌ. وهوَ علىَ ثقَةٍ منْ فنائها[4]؟ ألا تعجبُونَ ممَّن ينامُ وهوَ يخشى الموتَ ولا يرجُو الفوتَ[5]؟

= اشراكها، ألا وان من اشراكها وفخاخها ذلك الرواء الظاهرى وتلك الزينه الخادعة التى تظهر لكم فيها وهذه البهجة وذلك الرونق الخلاب الذى تطلع عليكم به .

(١) أى أن أقل من الذى شاهدته من أفعال دنياك كفيل بأن يردعك عن غيك ويسير بك إلى رشدك .

(٢) بائد : هالك ، أى أن ما أنت فيه من متاع هذه الفاتنة شئ مصيره إلى الزوال فلا تغفل عن ذلك واجتهد فى الذى يدوم ويبقى .

(٣) ضائر : مضر ، وهو خبر أن ، والمعنى أن طلب الدنيا ولو كان يعقبه نوال شئ منها لا يفيدك بل يضرك .

(٤) أى لا يتصور أن يحرص على الدنيا رجل آتاه الله حصافة الرأى ورزقه سداده لان من كان ذلك شأنه فهو لاشك واثق تمام الثقه بأنها لاتدوم ولا تبقى .

(٥) أراد من النوم التقصير فى أعمال البر والخير ، والمعنى أنه من أشد ما يدعو إلى العجب ويثير دواعى الغرابه ان يغفل امرؤ عن صنائع المعروف وهو =

أَلا لا ولكِنَّا نَغُرُّ نفُوسنَا وتشغَلهُا اللَّذاتُ عمَّا تحُاذِر[1]

وكيفَ يلذُّ العيش منْ هوَ مُوقِنٌ بموقفِ عدلٍ؟ حيثُ تُبلى السَّرائرُ[2]

كأنَّا نرى أنْ لا نشُورَ وأنَّنا سُدًى ما لنا بعدَ الفنَاءِ مصابِرُ[3]

كمْ غرَّتِ الدُّنيا منْ مخلد إليها[4] وصرَعَتْ منْ مكِبٍ عليها .

= يعتقد أن وراء هذه الحياة موتا وان بعد ذلك اللقاء فراقا وليس عنده أمل فى أن ينسأ له فى أجله ويؤخر موعده .

(١) أى أننا لا نتعجب من الذى يرقب الموت ولا يظن أنه مفلته ثم ينام ملء عينيه بل نحن نغتر ونخدع أنفسنا فتستهوينا اللذائذ والشهوات وتنسينا ذلك الذى نخافه ونخشاه وهو لنا بالمرصاد وذلك هو الموت .

(٢) بلاه يبلوه ، وأبلاه وابتلاء : اختبره ، وجربه ، والسرائر : جمع سريرة وهى ما انطوت عليه نفسك وقر فى ضميرك، والمعنى أنه لا يجد للعيش طمعا ولامساغا ولا يستلذه كل انسان علم أنه سيعرض على الله فى يوم يؤخذ فيه بالنواصى والاقدام تفتضح السرائر وتظهر المكنونات .

(٣) النشور : البعث والمعنى أن أفعالنا هذه تشبه أفعال من لا يدين بالبعث ويعتقد أننا أوجدنا فى هذه الحياة بلا راع يكفلنا ولن نصير إليه فيحاسبنا .

(٤) مخلد اسم فاعل من أخلد بمعنى سكن واستراح وهدأ .

فلَمْ تنعَشهُ منْ عَثرتِهِ. ولَمْ تُقلهُ منْ صرعتِهِ. ولمْ تُداوِه منْ سقمِهِ ولمْ تشفِهِ منْ ألمِهِ[1] .

بَلى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزّ وَرِفْعَةٍ — مَوَارِدَ سُوءٍ ما لَهُنَّ مَصادِرُ[2]

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لا نَجاةَ وَأَنَّهُ — هُوَ الْمَوْتُ لايُنْجيهِ منْهُ الْمُؤَازِرُ[3]

تَنَدَّمَ لَوْ أَغْناهُ طُولُ نَدَامَةٍ — عَلَيْهِ وَ أَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكبائِرُ[4]

(١) صرعت : غلبت وقهرت ، ونعشه – من باب قطع – : رفعه ، ولا يقال : أنعشه ، والعثرة : الكبوة ، والمعنى : أن هذه الدنيا قد قهرت بصروفها كل من سكن إليها وهدأت نفسه لها فلم ترفعه من كبوه ولم تأخذ بيده بل بقى يرزح تحت أعبائها واستمر مثقلا بمتاعبها وآلامها.

(٢) المورد ومثله الورد – بكسر أوله – : مكان الورود ، والمصدر ومثله الصدر – بفتحتين – الأوبة، الرجوع وهو من قولهم صدر عن الماء وعن البلاد – من بابى نصر ودخل – أى رجع ، والمعنى : أن هذه الدنيا قد ذهبت به وأخذته إلى أماكن يلقى فيها الجهد والإعياء بعد أن لبس ثوب العز، وتقلد وسام الرفعة وليست له أوبة ولا رجعة عنها.

(٣) المؤازر : المساعد والمعاضد والناصر .

(٤) أى أنه حين علم أن الموت نازل به لا يدفعه عنه صديق ولا حميم أسف على تفريطه ولكن الأسف لا يجديه، وبكى طويلا على ما قدم من ذنوب وآثام واجترح من خطايا وسيئات .

بَكى عَلَي ما سَلَفَ مِنْ خَطاياهُ . وتَحَسَّرَ عَلَى ما خَلَّفَ مِنْ دُنْياهُ

حَيّثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الاسْتعْبارُ[١] وَلَمْ يُنْجِهِ الاعْتِذارُ[٢]
أحاطَتْ بِهِ أَحْزانُهُ وَهُمُومُهُ وَأَبْلَسَ لَمّا أَعْجَزَتْهُ الْمعَاذِرُ[٣]
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ المْوَتِ فارِجُ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يحاذِرُ ناصِرُ[٤]
وَقَدْ خَسئِتّ فَوْقَ المنيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُها مِنْهُ اللُّهى والَخْناجِرُ[٥]

---

(١) الاستعبار: البكاء مأخوذ من العبرة بالفتح وهى الدمعة

(٢) أى أنه لا ينجو إذا اعتذر ، والمعنى أنه بكى وأذرف دمع عينه سخينا فى موقف لا يفيده ذلك فيه، ومكان لا تنفعه الإنابه به ولا تنقذه المعذرة .

(٣) أبلس : حزن، والمعاذر : جمع معذرة فى الأمثال (المعاذر مكاذب) .

والمعنى أن همه وأحزانه تجمعت عليه فأراد أن يعتذر لينج منها فلم يستطع إلى الاعتذار سبيلا فاشتد غمه . (٤) فارج : مفرج .

(٥) خسئت: بعدت أو طفت واللها جمع لهاة وهى اللحمة التى تشرف على الحلق عند أقصى سقف الفم والحناجر جمع حنجرة وهي مكان خروج الصوت والنفس، المعنى: أن نفسه بعدت عن جسمه وطفت عليه حينما نزلت المنية به وقد طفقت لهاته وحنجرته تردد صوته وترجع أنفاسه، وذلك يكون عند الحشرجة فى أغلب الناس

فإلى متى ترقع بآخرتكَ دنياكَ[1] وتركبُ فى ذلكَ هوالكَ إنِّى أراكَ ضعيفَ اليقينِ يا راقعِ الدنيا بالدينِ! أبهذا أمركَ الرحمنُ أم. على هذا دلكَ القرآنُ[2]؟

تخربُ ما يبقى وتعمر فانياً فلا ذاكَ موفورٌ ولا ذاك عامر[3]

فهل لك إن وافاكَ حتفتكَ بغتةَ

ولم تكتسب خير الذى اللّه عاذر[4]؟

---

(١) أى تصلح دنياك بإفساد آخرتك وهو مثل قول الشاعر :

نرقع دنيانا بإفساد ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(٢) المعنى : أنك - أبهذا الذى تصلح دنياك بإفساد دينك وتلم شتتها وترأب صدعها بتشتيت شمله وتفريق مجتمعه - لم تكن فى الإيمان شديد الاعتقاد لأن هذه خصلة لم يأمرك بها الله ولم يقرك عليها كتابه فتجتهد فى تحصيلها وتدأب على العمل بها .

(٣) المعنى على الاستفهام التوبيخي ومعناه أنه ليس بالحكمة ولا أصالة الرأى أن تخرب دينك وهو أمر يبق لك وينفعك عند الله وتصلح دنياك وهى ذاهبة عنك إن اليوم أو غدا ثم لا تؤوب لك فكأنك قد خسرت بذلك الأمرين وضاع عليك المنفعتان لان عمار الدنيا لا يبقى ولأن الدين بعملك غير عامر . (٤) المعنى هب أنك كنت تقول فى نفسك بأنك تائب فيما بعد فهل ضمنت ذلك وأخذت به عهدا وكيف يكون حالك لو جاءك الموت قبل أن تستعد للإنابة وتعمل بالتوبة؟ أو تجد عند الله من يعتذر عنك أو يقبل معذرتك إن قدمتها؟

اترضى بأن تقضى الحياة وتنقضى

ودينك منقوصٌ ومالكَ وافرُ[1]؟؟

قال عيسى بن هشامٍ: فقلت لبعض الحاضرين : من هذا ؟ قال غريبٌ قد طرأ لا أعرف شخصه فاصبرو عليه إلى آخر مقامته. لعله ينبىء بعلامته. فصبرت فقال: زينِّوا العلم بالعمل واشكروا القدرة بالعفو[2] وخذوا الصفو ودعوا الكدر يْغفر اللّه لى ولكم.

ثم أراد الذهاب فمضيت على أثره فقلت: من أنت يا شيخ ؟ فقال: سبحان اللّه! لم ترض بالحلية غيرتها حتى عمدت إلى المعرفة فأنكرتها[3]. أنا أبو الفتح الإسكندرى . فقلت حفظك اللّه فما هذا الشيبُ[4] ؟ فقال:

---

(١) المعنى هل يعجبك ويروق فى نظرك أن تترك هذه الحياة ومالك كثير لا يحصره العد وأنت لم تكسب فى دينك شيئا .

(٢) أى أن الله أنعم عليكم بنعمة القدرة فاشكروا له عليها بالعفو عمن أساء إليكم .

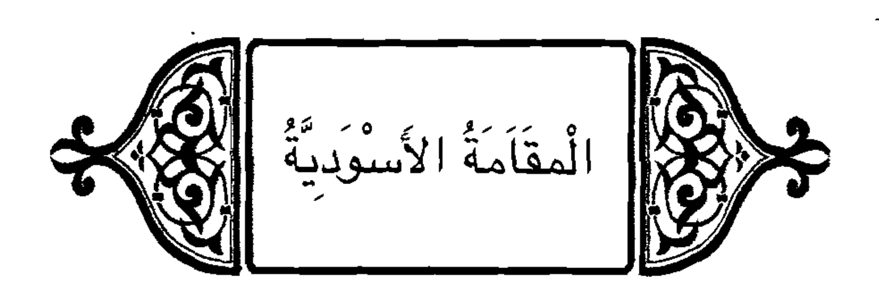
(٣) أى لم تكتف بأن ادعيت تغيير حالى وشكلى فجئت تنكر معرفة اسمى وكنيتى . (٤) أى أن العذر لى أنى لم أرك بهذا الشيب .

نذير ولكنـــه ســـاكت وضيف ولكنه شامت[1]

وإشخاص موت ولكنه إلى أن أشيِّعه ثابت[2]

(١) ينذرني بالموت ودنو الأجل ولكن مع الصمت، وضيف نزل بي غير أنه شامت

(٢) أشخاص موت إزعاجه والرسول المخبر به وعادة الرسول أن يرجع بعد تأدية رسالته ولكن هذا لا يرتحل حتى أودعه بترك الحياة .



الْمقَامَةُ الأَسْوَدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ :كنت أتهم بمال أصبته . فهمت على وجهى هاربا حتى أتيت البادية فأدتنى الهيمة[1] إلى ظل خيمة فصادفت عند أطنابها فتى[2]. يلعب بالتراب. مع الأتراب[3]. وينشد شعراً يقتضيه حاله. ولايقتضيه ارتجالهُ[4]، وأبعدت أن يلحم نسيجه[5]. فقلت: يافتى العرب اتروى هذا الشعر أم تعزمه[6]؟ فقال: بل اعزمه وانشد يقول:

(١) هام على وجهه يهيم إذ سار عن غير قصد معلوم والواحدة منه هيمة.

(٢) الطنب بضمتين : حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد وجمعه أطناب وطنبة والمراد هنا الكناية عن القرب منها. (٣) الترب بكسر أوله اللذة وسنيك ومن ولد معك وهى تربى والجمع أتراب. (٤) أى أن هذا الشعر يصف حاله التى هو عليها تماما فالحال يقتضيه ولكن سنه وكونه مرتجلا يبعد أن يكون الشعر له

(٥) أى وكنت فى نفسى أعتقد أنه من العسير عليه أن يكون أبا عذرة هذا الشعر وصاحبه .

(٦) رواية الشعر حفظه ونقله عن الغير عزمه صياغته ونظمه وأصل العزم النية الحاملة على العمل أريد منه هنا العمل لأنه مسبب عنها .

إني وإن كنت صغير السنِّ   وكان في العين نبوعتي

فإن شيطاني أمير الجنِّ   يذهب بي في الشعر كل فن

حتى يرد عارض التظني   فامض على رسلك واغرب عني[1]

فقلت: يا فتى العرب أدتني إليك خيفة فهل عندك أمن أو قرى؟[2]

قال: بيت الأمن نزلت. وأرض القرى حللتَ[3] . وقام فعلق بكمي. فمشيت معه إلى خيمةٍ قد أسبل سترها[4]. ثم نادى:

(١) تعتقد العرب أن لكل شاعر هاجسًا من الجن يلقى إليه بشعره كما يقولون أن هاجس امرئ القيس كان اسمه لافظ بن لاحظ وسيأتي لذلك ذكر في المقامة الإبليسية، ونبو العين تجافيها لحقارة المنظور إليه، والتظني: الظن والمعنى: لا يحطن من قدرتي ولا يزدرين بقدري في نظرك أن تراني صغير السن وأن تجدني في منظري منشأ لابتعاد عيون الناس عني وتجافيها دوني لأن الشيطان الذي يملي على هذا الشعر ليس أحد السوقة من الشياطين بل هو رئيسهم وأميرهم وقوه الخيال وشدة العارضة يتبعان ذلك وأنه ليملي إلى الشعر الجيد المصقول المتين في جميع الأبواب وكل الأفانين ليدفع عني مظنة انتحال ما ليس لي وخير لك بعد أن عرفت ذلك كله ألا تقف حارا مرتابا في أمري. (٢) الخيفة: الخوف – والمعنى أنني إنما لجأت إلى هنا من الخوف فأنا في حاجة للأمن وقد سرت طويلا حتى نال مني الجوع وأحتاج إلى القرى وهي الضيافة. (٣) أي أنك قد جئت بيتا لا يخاف اللاجئ إليه وأداك السير إلى أرض أهلها كرام يرحبون بالضيف ويكرمون نزله.

(٤) علق بكمي: أمسك بي وكأنه لحرصه على إكرامه يخشى أن يفلت منه.

يافتاة الحيِّ هذا جار نبت به أوطانهُ[1]. وظلمة سلطانهُ[2]. وحداه إلينا صيتٍ سمعهُ. أو ذكرُ بلغهُ[3]. فأجيريه[4]. فقالت الفتاةُ : اسكن يا حضرى .

أيا حضرى أسكن ولا تخش خيفة　　فأنت ببيت الأسود بن قنان

أعز بن أنثى من معد ويعربٍ　　وأوفاهم عهداً بكل مكان[5]

وأضربهم بالسيف من دون جاره　　وأطعنهم من دونه بسنان[6]

---

(١) الظاهر أن المراد بالجار هنا المستجير وربما صح إرادة معناه المعروف ويكون جواره لهم فيما يقيمه بينهم، ونبت به أوطانه أى اشتد عليه المقام فيها إنما لفظته إلى غيرها فهو حقيق بأن تكرمى مثواه وتبالغى فى العناية به.

(٢) ويروى : وطلبه، أى بحث عنه لينكل به.

(٣) حداه : ساقه - والمعنى أن الذى جاء به إلينا شهرة عرفها عنا.

(٤) لعل فى هذه الكلمة قرينة على إرادة ما رأيناه فى معنى الجار.

(٥) يعرب بن قحطان : أول من تكلم بالعربية فى رأى كثير من المحققين ويستدلون على ذلك بمثل قول حسان : تعلمتم من منطق الشيخ يعرب. ومعد بن عدنان : الجد التاسع عشر للنبى صلى الله عليه وسلم . والمعنى أن الممدوح الذى نزلت داره عزيز منيع الحمى لا يخشى على جاره ضيم.

(٦) المعنى أن يذب عمن لجأ إليه ويدفع عنه عدوان مريديه ولا يألو فى ذلك جهدا.

كـــأن المنـايـــا والعطـايـــا بكفـــه   سـحـابان مقرونان مؤتلفـــان[١]

وأبيض وضاح الجبين إذا انتمى   تلاقى إلى عيص أغر يمانى[٢]

فدونكـــه بيـــت الجـــوار وســـبعةٌ   يحلـــونهُ شـــفعتهـم بثمـــان[٣]

فأخذ الفتى بيدى إلى البيت الذى أومأت إليه[٤]. فنظرت فإذا سبعة نفر فيه. فما أخذت عينى إلا أبا الفتح الإسكندرى فى جملتهم[٥] فقلتُ لهُ : ويحك لأى أرض أنت؟ فقال:

---

(١) المنايا جمع منية وهى الموت، والمعنى: كأنه من فرط شجاعته وكرمه قد اقترن الجود والإقدام بيده فصارا سحابين. أحدهما ينقع الغلة ويحيى موات الأرض ويعشب جديبها. وثنيهما ينزل كسفا على قوم فيفنيهم ويستأصل شأفتهم. وهذا البيت فى نظرنا خير من قول طرفة بن العبد .

يداك يد خيرها يرتجى   وأخرى لأعدائها غائظة

(٢) انتمى انتسب، عيص: أصل، مأخوذ من العيص الذى هو الشجو ينبت بعضه فى أصول بعض، وقولهم والمرء يشبه عيصه أى أصله دليل، والمراد من بياضه نقاء عرضه، والمعنى أنه إذا انتسب فإنما ينتسب إلى أشوف أصل وأطيب أرومة من نسب اليمانية .

(٣) أى أقبل عليه فإنه بيت اللاجئين ودار المستجيرين وأن عنده سبعة نزلوا به مثلما نزلت وستكون أنت ثامنهم .

(٤) أومأت : أشارت. (٥) المعنى أنى لم أعرف أحدا منهم غيره ولذلك فإن عينى أطالت النظر إليه، والتحديق فيه .

نزلت بالأسود في داره — أختار من طيب أثمارها[1]

فقلتُ: إني وجلٌ خائفٌ — هامت بي الخيفة من ثارها[2]

حيلة أمثالي على مثله — في هذه الحال واطوارها[3]

حتى كساني جابراً خلتي — وماحيا بين اثارها[4]

---

(١) أي : أنا مثلك جئت هذه الدار مستئمنا فأنزلتم مكانا رحبا وخيروني في أموالهم فأنا بينهم أختار أطيبها وأكرمها.

(٢) يريد أنه حين استجاره ذكر له خوفه وأنه غير آمن على نفسه من جماعة يتعقبونه طلبا لثاراتهم وأضاف الثار للخيفة في قوله (ثارها) كما يضاف السبب للمسبب.

(٣) المعنى أن العفاة كلهم يتحيلون على نوى المكارم بمثل هذه الحيلة التي تحايلت بها عليه وأنه لن يسأل عن حقيقة أمري ليتبين صدق حديثي أو كذبه لأن شرف النفس وكرم الطبع لا يوجبان ذلك.

(٤) جبر السر يجبر جبرا: أي عالجه وأصلح فاسده، والخلة - بفتح أوله - الفقر والحاجة، والبين الظاهر، ومحا محوا : أزال، والمعنى أنه لم يزل يحتال حيلته إلى أن كساه كسوة جبر بها فقره وأزال آثار إملاقه.

خذ من الدهر ونل ما صفا   من قبـل أن تنقـل عن دارها[1]

إيـاك أن تبقـى أمنيـةً   أو تكسـع الشـول بأغـبارهـا[2]

قال عيسى بنُ هشام: فقلت يا سبحان اللّه: أى طريق الكدية لم تسلكها[3]؟ ثم عشنا زمانا فى ذلك الجناب حتى أمنا. فراح مشرقاً ورحتُ مغرباً[4].

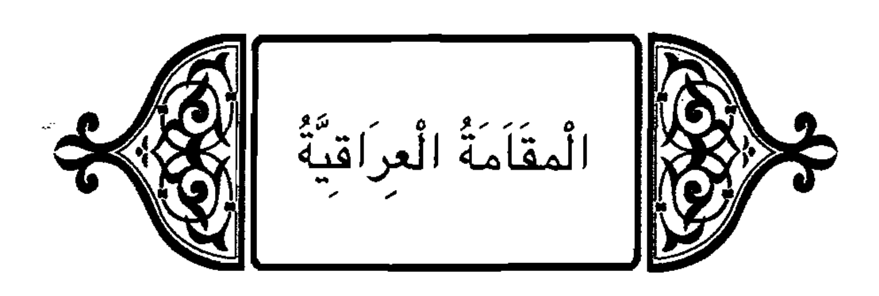
---

(١) أى: لا تترك شيئا مما يجلب لك السرور وصفاء النفس وانشراح الخاطر دون أن تأخذ منه طرفا وتنال حظك منه وإياك أن تدخر فى ذلك وسعا أو تألو جهدا فإن أيام الحياة قليلة لا تحتمل أن تنغصها ولا تكفى لتديرها بالمخاوف والمزعجات وسوف تنقل عنها فاغتنم أيامها وانتهز عمرك بها فليست الحياة إلا اختلاسات تختلسها من يد الزمن وفرص تغتنمها من بين أوقاته.

(٢) الشول : الناقة أتى على ولادتها سبعة أشهر، ويقال كسع الناقة بغبرها إذا ضرب اخلافها بالماء ليرجع اللبن فتكون أقوى وأشد، يريدون بها ادخاره للأيام المقبلة (وأخلاف الناقة كثدى المرأة) والمعنى ان تدخر شيئا للزمن القابل فإنما دهرك الحاضر ولك الساعة التى أنت فيها.

(٣) الكدية : سؤال الناس واستجداؤهم وطلب عطاياهم المعنى إن عرفت طرق الاستجداء كلها فلم تترك طريقا إلا سلكته ولا بابا من أبوابها إلا ولجته.

(٤) أى لم نزل فى جوار ذلك الرجل الكريم حتى أفرخ روعنا ثم تفرقنا فسرت إلى وطنى وسار إلى نصب شباكه.



الْمقَامَةُ الْعِرَاقِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. قَالَ: طُفتُ الآفاقَ. حتَّى بَلغتُ العرَاقَ(١). وتَصفَّحْتُ دَواوينَ الشُّعَراءِ. حتَّى ظَننتُنى لمْ أبْق فى القضوسِ منزَعَ ظفَرٍ(٢). وأحلتْنى بغْدادُس فبَينْمَا أنَا علَى الشَّطِّ إذْ عَنَّ لى فتًى فى أطمارٍ يسْألُ النَّاسَ ويحْرمُونَهُ(٣) فأعْجبَتْنى

(١) العراق: بلاد من عبادان إلى الموصل طولا ومن القادسية إلى حلوان عرضا سميت بذلك لتواشج عراق النخل والشجر فيها أو لأنه استكف أرض العرب أو سمى بعراق المزادة لجلدة تجعل على ملتقى طرفى الجلد إذا خرز فى أسفلها لأن العراق بين الريف والبر أو لأنه على عراق دجلة والفرات أى شاطئها أو هى كلمة معربة عن إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر. (٢) المنزع بوزن منبر: السهم، والظفر: الفوز والغلبة، وأضيف المنزع إليه لأنه أداته وآلته التى تستعمل من أجله، والمعنى : أنه زاول كتب الشعر وقرأ دواوينه حتى توهم فى نفسه أنه استقصى جميعها ولم يبق شىء لم يطلع عليه . (٣) أى ظهر لى شاب يلبس أثوابا خلقة وهو يطلب من الناس فلا يعطونه ويسألهم فلا يجيبونه بل يردونه بخيبته.

فَصاحَتُهُ فَقُمتُ إليْهِ أسْألُهُ عنْ أصلهِ ودَارِه . فقَالَ أنَا عَبْسِيُّ الأصْلِ إسكَنْدَرِيُّ الدَّارِ[١]. فقُلتُ: ما هذا اللَّسانُ. ومنْ أينَ هذا البَيانُ[٢] ؟ فَقَالَ: منَ العلْمِ. رُضْتُ صعابهُ[٣]. وخُضْتُ بِحارَهُ. فقُلتُ: بأيِّ العُلومِ تَتَحلَّى[٤]؟ فَقالَ: لى فى كُلِّ كنانَةٍ سَهْمٌ فأيَّها تُحْسِنُ[٥]؟ فقُلتُ: الشِّعْرَ فَقالَ: هلْ قالتِ العرَبُ بيْتًا لايُمكنُ حلُّهُ[٦]؟ وهَلْ نظمَتْ مدْحًا لمْ يُعْرَفْ أهْلُهُ[٧]؟ وهَلْ لهَا بيْتٌ سمُجَ

---

(١) المعنى أن أصلى ونشأتى من العرب من قبيلة عبس ولكنى أقيم بالاسكندرية وهى إحدى بلاد الأندلس . (٢) أى: ما هذه البلاغة وما تلك الحصافة؟ ومن أين لك هذا المنطق الفصيح وذلك اللفظ الأنيق؟ .

(٣) راض يروض رياضا ورياضة : ذلل، والصعاب جمع صعبة وهى الجامح الحرون وكأنه شبه العلم بالدابة التى يكون شأنها ذلك لاستيلائه عليه وتفوقه فيه

(٤) أى أن العلوم كثيرة وفنونها متشعبة فبأى فرع تستمسك وأى نوع قد ضربت فيه بسهم وفير.

(٥) الكنانة : الوعاء الذى توضع فيه السهام، والمعنى أننى حزت من كل فن طرفا وأخذت من كل نبعة سهما، وأنت أى علم تعرف حتى أناقشك فيه وأحاورك؟ .

(٦) حله: نثره وذلك أن الشعر متى نثر تغير وزنه واختل، وهذا البيت لا يكون كذلك بل يبقى موزونا فكأنه لا يمكن فيه الحل.

(٧) أى هل لها كلام لم يعرف الذى قيل فيه.

وضْعُهُ. وحسُنَ قطْعُهُ[1]؟ وأىُّ بيتٍ لا يرقَأُ دمْعُهُ[2]؟ وأىُّ بَيت يثْقُلُ وقعُهُ [3]؟ وأىُّ بيتٍ يشُجُّ عرُوضُهُ ويأْسُو ضَرْبُهُ[4]؟ وأىُّ بيتٍ يعظُمُ وعيدُهُ ويصْغُرُ خطْبُهُ[5]؟ وأىُّ بيتٍ هُو أكْثرُ رمْلاً منْ يبْرينَ[6]؟ وأىُّ بيتٍ هُوَ كأسْنَانِ المظْلُومِ. والمنْشارِ المثْلومِ[7]؟ وأىُّ بيتٍ يسُرُّكَ أوَّلُهُ ويسُوءُكَ آخِرُهُ[8]؟ وأىُّ بيتٍ يصفْعُكَ باطنُهُ، ويخْدَعُكَ ظاهِرُهُ[9]؟ وأىُّ بيتٍ لا يُخْلَقُ سامِعُهُ. حتَّى تُذْكَرَ

---

(١) أى أن معناه ردئ واقتطاعه عما قبله وعدم اتصاله معناه بمعناه حسن.
(٢) رقأ الدمع والدم : سكن، وبابه قطع، والمعنى هل تعرف للعرب بيتا كله مدامع وعبرات لا تسكن ولا تغيض؟ (٣) أى يعسر النطق به لتنافر بين ألفاظه أو يعسر الوصول إلى معناه لتعقيد فى أسلوبه أو أن ألفاظه تمثل لك شدة وبأسا ونحوهما. (٤) يشج : يكسر، ويأسو : يداوى، وعروض البيت: الكلمة الأخيرة فى المصراع الأول وضربه : الكلمة الأخيرة فى المصراع الثانى، والمعنى: أن القارئ إذا وصل إلى العروض حسب هناك ضربا وشجارا وإذا وصل الضرب ألفى وداد وسلاما. (٥) أى أنه جاء فى صورة عظيمة من صور الوعيد ولكن شأنه صغير قلما يهتم به . (٦) يبرين، ويقال فيه: ابرين، موضع بإزاء الإحساء كثير الرمال والمعنى أن البيت فيه ما يمثل لك ذلك ويزيد عنه.
(٧) المنشار : آلة النجار وهو معروف والمثلوم: المتكسر، واسنان المظلوم: أى المضروب على فمه ظلما تكون منكسرة متباعدة والبيت يشبه ذلك لكثرة شينانه التى لكل واحدة منه اسنان ثلاث. (٨) أى إذا وصفت بأوله فرحت وإن وصفت بآخره ألمت. (٩) أى أن سبك ألفاظه واختيارها يوهمك أن له معنى جليلا فإذا تكشفت عنه كان له أثر سيئ فى نفسك.

جَوَامعُهُ[١]؟ وأىُّ بيتٍ لايُمكِنُ لَمسُهُ[٢]؟ وأىُّ بيتٍ يسْهُلُ عكْسُهُ[٣]؟ وأىُّ بيتٍ هُو أطْوَلُ منْ مثلِه، وكأنَّهُ ليَسَ منْ أهلِه[٤]؟ وأىُّ بيتٍ هُوَ مهِينٌ بحَرْفٍ. ورَهِينٌ بحَذْفٍ[٥]؟؟؟

قَالَ عيِسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَ اللّه ما أجلْتُ قِدْحاً فى جَوَابه.[٦] وَلا اهْتَدَيْتُ لوَجْهِ صَوَابِه إلاَّ: لا أعْلمُ[٧] فقَالَ: وَما لا تَعْلَمُ أكثرُ[٨]

---

(١) أى أن السامع لا يستطيع أن يفهم معناه الذى أريد منه حتى يأتى المتكلم على آخره . (٢) المعنى أن ما اشتمل عليه البيت من الألفاظ التى تدل على معان ليس من الميسور لمسها بل ولا الدنو منها كالبرق والغيم. (٣) عكس البيت : جعل صدره عجزا وعجزه صدرا . (٤) الأبيات المتفقة فى بحر وحد تكون متقاربة متجانسة فى هذه الصفة ويكون بينها ارتباط كرابطة القرابة والأهلية، والمعنى أى بيت هو أكثر حروفا وكلمات من بيت آخر مثله فى البحر بحيث لو قرأهما واحد لم يعتقد أنهما من بحر واحد ولم يثق بأن بينهما ذلك الارتباط.

(٥) مهين أى بما اشتمل عليه من الهجاء ورهين بحذف : أى أنه متى حذف منه شىء انقلب معناه. (٦) أجلت : حركت، والمعنى أن كلامه وقع عندى موقع الغربة فلم أستطع أن أضرب فى تفهمه بسهم. (٧) المعنى أننى لم أعرف من وجوه الصواب شيئا أجيبه به إلا قولى فى كل مسألة لا أعلم . (٨) المعنى أنك تصورت فى هذا أنك لا تعرفه ولكن الذى لا يمكنك أن تتصور عنه شيئا بالسلب أو الإيجاب أكثر.

فقُلتُ: مالكَ معَ هذا الفْضْلِ. ترْضى بِهذا العَيْشِ الرَّذْلِ(١)؟ فأنْشأَ يَقولُ:

بُؤْساً لهذا الزَّمانِ منْ زمَنٍ ... كُلُّ تَصاريفِ أمرِهِ عَجَبُ(٢)

أصبَحَ حربًا لكُلِّ ذى أدَبٍ ... كَأنمَّا ساءَ أُمَّهُ الأدَبُ (٣)

فَأَجَلتُ فيهِ بَصَرى. وكرَّرْتُ فى وجْهِهِ نَظَرى(٤). فإذا هُوَ أبُو الفْتَحِ الإسكنْدَرِىُّ. فقُلتُ: حيَّاكَ اللّهُ وأنْعَشَ صرْعَكَ(٥) إنْ رأيْتَ أنْ تمُنَّ علىَّ بتَفْسيرِ ما أنْزَلتَ. وتفْصيلِ ما أجْملتَ. فعلتَ. فقَالَ: تفْسيرُهُ: أمَّا البيَتُ الذَّى لايُمكنُ حلهُ فكَثيرٌ ومثُالهُ قوْلُ الأعْشى(٦)

---

(١) الرذل : المرذول ، والمعنى أن علو كعبك وارتفاع شأوك لا يليق بهما ظاهر حالك. (٢) بؤسا : قبحا ومذمة، تصاريف أمره: تدبيراته فى شؤونه وأحواله، والمعنى أن كل ما يفعله هذا الزمن القبيح عجيب جدا وموضع للغرابة والاستنكار.

(٣) المعنى: أن هذا الدهر لا يعاكس إلا أهل الفضل وذى الآداب كأن له ثأرا عندهم . (٤) أى أننى أدمنت النظر إليه وظللت أتفرس في وجهه لأعرف من هو. (٥) أنعش صرعك أقامك من سقطتك وهى لغة رديئة إن صح ورودها وقد أسلفنا ذلك. (٦) هو : أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل رابع فحول الجاهلية، وأمدحهم للملوك، وأوصفهم للخمر وأغزرهم شعرا، وأكثره عروضا وافتنانا وطوالا جيادا، وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان من أهل اليمامة يسكن قرية منها تسمى منفوحة ونشأ فى بدء أمره رواية لخاله المسيب بن علس أحد الشعراء المقلين المجيدين وكان الأعشى يطرى شعره ويأخذ منه حتى إذا =

دَراهِمُنا كُلُّهَا جيِّدٌ فَلا تَحْبسنَّا بتنْقَادِها

= جاد شعره ونبه شأنه قصد الملوك والأجواد وطوف إليهم الآفاق وأقاصى البلدان مادحا لهم مستجديا عطاياهم وهو أول من مدح فى شعره بالسؤال وطلب الحاجة وكان ينتاب بالمدح بنى عبد المدان ملوك نجران وأساقفتها يقيم عندهم ما يشاء يشرب الخمر ويسمع الغناء ويأخذ عنهم بعض آرائهم فى العقائد فجاد لذلك وصفه للخمر وظهر بعض معتقدهم فى شعره كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الأسود أخا النعمان بن المنذر وما زال هذا شأنه حتى يطمع فى جوائز كسرى فرحل إليه يمدحه بالشعر العربى فأجزل عطاءه وإن لم يرق عنده شعره لسوء ترجمته له .

وعمى الأعشى وطال عمره حتى كان الإسلام وعظم أمر النبى صلى الله عليه وسلم بين العرب فأعد له قصيدة يمدحه بها أولها .

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

ومنها :

فاقسمت لا أرنى لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقى محمدا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلفى من فواضله ندى

نبى يرى ما لا يرون وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

وقصده بالحجاز فلقيه كفار قريش وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة ويرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل ولما قرب اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات ودفن ببلدته منفوحة باليمامة

ومعنى البيت المذكور: لا تضيع علينا الوقت لتفرز نقودنا وتتبين زيفها من جيدها فإنها لا تشتمل زيوفا، وأما كونه غير قابل للحل فمعناه أنه جاء ما يجيء النثر ليس فيه تقديم ولا تأخير فلا يمكن أن يصاغ فى صورة غير هذه ثم لو أنك قلت داهمنا جيد كلها، لم يختل الوزن.

وأمَّا المدْحُ الذَّى لم يُعْرفْ أهْلُهُ فكَثيرٌ و مثالُهُ قولُ الهُذَلِيِّ[1]:

ولَمْ أدْرِ منْ ألْقى عليْهِ ردءَهُ   علَى أنَّهُ قدْ سُلَّ عنْ ماجدٍ مَحْضِ

وأمَّا البَيتُ الذَّى سمُجَ وضْعُهُ. وحَسُنَ قطْعُهُ. فقوْلُ أبى نُوَاسٍ[2]:

---

(١) شعراء هزيل كثيرون منهم أبو بكر الشاعر الإسلامى الصحابى وأبو صخر مادح عبد الملك بن مروان وهو أحد شعراء الدولة الأموية وابو خراش الذى ينسب له هذا البيت وسببه أن رجلا قد ألقى رداءه على أخيه ليحميه من أعدائه ويجيره من خصومه وقبله .

حمدت إلهى بعد عروة إذ نجا   خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله ما أنسى قتيلا رزئته   بجانب قوسى ما مشيت على الأرض

ونسبه الأستاذ الإمام للاعشى. (٢) هو أبو الحسن على بن هانى الشاعر المتفنن الماجن الحاد صاحب الصيت الطائر، والشعر السائر ورأس المحدثين بعد بشار وهو فارسى الأصل ولد بقرية من كور خرذستان (شرقى البصرة) سنة ١٤١ ونشأ يتيما فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب فى الأدب فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصر فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر والاختلاف إلى الأدباء والمجان إلى أن صادفه عند العطار والبه بن الحباب الشاعر الماجن الكوفى فى إحدى قدماته إلى البصرة فأعجب كل منهما بالأخر فأخرجه والبه معه إلى الكوفة فبقى معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعا، وفد بغداد وقد أربت سنه على الثلاثين فاتصل ببعض الأمراء وبلغ خبره الرشيد فأذن له فى مدحه فمدحه بقصائد طنانة وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الخطيب =

فبِتْنا يَرانا اللّهُ شَرَّ عِصابَةٍ   تُجَرِّرُ أذْيالَ الفسُوقِ ولا فَخْرُ

وأمَّا البَيتُ الذَّى لا يرْقَأُ دمْعُهُ فقوْلُ ذى الرُّمَّة[1]:

ما بالُ عينِكَ منْها الْماءُ ينْسَكِبُ   كَأنَّهُ منْ كُلاً مفْريَّةٍ سَرَبُ[2]

= عامل مصر ثم انقطع إلى محمد الأمين وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد أن خرج من السجن أن مات سنة ١٩٩ .

وكان أبو نواس جميل الصورة، فكه المحضر، كثير الدعابة، حاضر البديهة متينا في اللغة والشعر والأدب متعصبا لليمانية على المضرية وأكثر علماء الشعر ونقدته على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا، وأرصنهم قولا، وأبدعهم خيالا، مع دقة لفظ، وبديع معنى ومن جيد شعره :

تقول غداة البين إحدى نسائهم   لى الكبد الحرى فسر ولك الصبر

وقد خضبتها عبرة فلدمعها   على خدها خد وفى نحرها نحر

وقالت: إلى العباس قلت : فمن إذاً   ومالى عن العباس معدى ولا قصر

فهل يكفلن ألا براحته الندى   وهل يزهون إلا بأوصافه الشكر؟؟

والبيت المذكور فى المقامة مقطوع عما قبله لأنه قد ذكر قبل ذلك أنواع اللذائذ التى اغتنموها فى ليلتهم، وقد أحسن فى هذا القطع .

(١) ذو الرمة : هو غيلان صاحب مى (تقدمت ترجمته) ولا يرقأ دمعه أى لا يجف لكثرته وقد بين البديع معنى هذا فى المقامة.

(٢) الكلية، والكلوة – بضم أولهما – ولا تقل كلوة بالكسر– إحدى لحمتين منتبرتين حمراوين لازقتين بعظم الصلب عند الخاصرتين فى كظرين من الشحم والجمع كليات وكلى، ومفرية : أى مقطوعة، وسرب : سائل من قولهم : سربت المزادة فهى سربة – وبابه فرح – أى سالت وإذا تقطعت الكلى سال بول المرء من دون أن يقدر على حبسه. وما أسمج هذا التشبيه وأبرده !

فإِنَّ جوامِعَهُ: إمَّا ماءٌ، أَوْ عينٌ، أو انْسِكابٌ، أو بَوْلٌ، أَوْ نَشيئَةٌ، أَوْ أَسْفَلُ مزادَةٍ، أو شِقٌ، أَوْ سَيَلانٌ. وأمَّا البيَتُ الذَّى يثقُلُ وقْعُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ(١):

(١) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى مولى بنى العباس الشاعر المكثر، المطبوع صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعانى المخترعة والأهاجى المقذعة، ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها وأقام كل حياته وكان كثير التطير جدا وله فيه أخبار غريبة حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعبثوا به أرسلوا إليه من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته ويمتنع من التصرف سائر يومه وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه ويخشى فلتات لسانه ويقال أنه دس عليه من أطعمه خشكنانه (ترادف ما يسمى الآن بسكويتا) مسمومة فأكلها ثم أتى منزله وأقام به أياما ومات سنة ٢٨٣ ببغداد، وقيل بل مرض ووصف له الطبيب دواء فيه سم فغلط فى مقداره وأكثر منه فمات، وقال ابن الرومى الشعر فى كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء ونبغ فى الشعر نبوغا لم يقصر به كثيرا عن درجة البحترى، وربما فاقه فى اختراع المعانى النادرة أو توليدها من معانى من سبقه بشكل جديد ووضعها فى قالب أحسن وكان إذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصى فيه وينظمه بوجوه مختلفة حتى لا يدع فيه بقية، وهو ممن جمع صقال اللفظ، واجادة المعنى ويكفيه فضلا أن يكون المتنبى أحد رواة ديوانه والآخذين عنه ومن معانيه البديعة قوله:

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله   وأطال فيه فقد أطال هجاءه =

إذا منَّ لمْ يمنُنْ بِمَنّ يَمُنُّهُ   وقَالَ لنَفْسى : أيُّها النَّفْسُ أمْهِلى

وأمَّا البيتُ الذَّى تَشُجُّ عرُوضُهُ ويَأسُو ضَرْبُهُ فمثْلُ قوْلِ الشَّاعرِ:

دلفْتُ لهُ بأبيَضَ مشْرَفِىّ   كَما يدْنُو المُصَافِحُ للسَّلامِ[1]

وأمَّا البيتُ الذَّى يعْظُمُ وعيدُهُ ويصْغُرُ خطْبُهُ فَمِثالُهُ قوْلُ عمْرو بْنِ كلثُومٍ[2]:

= لو لم يقدر فيه بعد المستقى   عند الورود لما أطال رشاءه

وقوله وقد غاب عن بغداد في بعض أسفاره :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا   ولبست ثوب اللهو وهو جديد

فإذا تمثل فى الضميــر رأيتـه   وعليه أغصان الشباب تميـد

وقوله وهو يجود بنفسه:

غلط الطبيب على غلطة مورد   عجزت موارده عن الإصدار

والناس يلحـون الطبيب وإنما   غلط الطبيب إصابة الأقدار

ومعني البيت الذى بالمقامة: أن الممدوح إن أحسن لم يطلب شكر إحسانه ولم يرج من ورائه خيرا لنفسه فهو يمن بطبعه، ومعني أنه ثقيل الوقع أن تجد فى عبارته نبوا وجفاء لتكرار المن أربع مرات. (١) عروض هذا البيت (مشرفى) وهو السيف ومن خصاله أنه يكسر ويميت (وضربه السلام) وهو الأمن ومن خصائصه تطبيب الآلام، ودلفت: سرت. (٢) هو ابو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائها المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر، وأمه ليلي بنت مهلهل أخى كليب، نشأ عمرو فى قبيلة تغلب بالجزيرة الفرانية شجاعا، هماما، خطيبا، جامعا لخصال =

كأَنَّ سُيُوفَنا مِنَّا ومِنْهُمْ   مَخاريقٌ بأيْدى لاعِبينا

= الشرف، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرا فى كثير من أيامهم، وأكثر ما كانت فتن تغلب وحربها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشؤومة المشهورة بحرب البسوس وكان اخر صلح له فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر ولم تمض مدة يسيرة حتى حدث بين وجوه القبيلتين ملاحاة ومشادة ومشاحة فى مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث بن حلزة اليشكرى وأنشد قصيدته المشهورة وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر فانصرف بن كلثوم وفى نفسه مافيها ثم خطر فى نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هندا أمه أن تستخدمها فى قضاء أمر فصاحت ليلى : واذلاه، فثار به الغضب وقتل ابن هند فى مجلسه ثم رحل توا إلى بلاد الجزيرة وأنشد معلقته التى أولها .

ألا هبى بصحنك فاصبحينا   ولا تبقى خمور الأندرينا

من سامى فخره قوله وهو يتوعد عمرو بن أبى حجر الغسانى:

ألا فاعلم - أبيت اللعن - أنا   على عمد سنأتى ما نريد

تعلـــم أن محملنـــا ثقيـــل   وأن ذياد كبتنـا شــديد

وأنـــا ليـــس حـــى معـــد   يوازننا إذا لبس الحديـد

والمخاريق الخرق المفتولة التى يلعب بها الصبيان وليس أهون خطبا منها ولا تجد أخف ضرر فيها ومن هذا كان هذا البيت صغير الشأن وإن كان سياقه فى أمر عظيم وهو تشبيه حالهم وإقدامهم على العدو رافعى السيوف.

وأمَّا البَيتُ الذَّى هُوَ أكثرُ رمْلاً منْ يبْرِينَ فمثْلُ قولِ ذى الرُّمَّة[١]:

مُعْرَوْرِيًا رَمَضَ الرَّضْرَاضِ يرْكُضُهُ والشَّمْسُ حَيْرَى لهَا فى الجَوِّ تَدْوِيمُ

وأمَّا البَيتُ الذَّى هُوَ كأسْنانِ المَظْلومِ. والمِنْشارِ المتثلمِ فكقَوْلِ الأعْشى:

وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يتْبَعُنى

شاوٍ مِشَلٌ شلُولٌ شلْشُلٌ شَوِلُ[٢]

وأمَّا البَيتُ الذَّى يَسُرُّكَ أوَّلُهُ ويَسُوؤُكَ آخِرُهُ فكَقَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كجُلمودِ صَخْرٍ حطَّهُ السَّيْلُ منْ عَلِ[٣]

---

(١) ذو الرمة تقدم وليس فى البيت ما يفيد كثرة الرمل كما ذكر اللهم إلا إذا كثرة الراءات فى البيت ولكنه بعيد جد البعد. (٢) تقدمت ترجمة الأعشى والبيت من معلقته التى يقول فى أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟

والحانوت دكان الخمار يذكر ويؤنث والشاوى الذى يشوى اللحم والمشل بكسر الميم وفتح الشين المستحث والجيد السوق، وقيل الذى يشل اللحم فى السفود، واشلول بفتح الشين مثل المشل ويروى: نشول بفتح النون وهو الذى يأخذ اللحم من القدر، ويروى شليل بصيغة المصغر، والشلشل بضم الشينين كقنفذ: الخفيف اليد فى العمل والتحرك والشول بفتح فكسر هو الذى يحمل الشيء وقيل هو المعنى بحاجته ويروى شمل وهو الطيب النفس والرائحة.

(٣) مكر مفر بكسر ميمهما علي وزن مفعل الموضوع للمبالغة ومعنى مقبل مدبر معا أنه سلس العنان شديد العدو وقد شبهه فى عدوه بالحجر لأنه يطلب الإنحطاط بطبعه من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوة ادفاع السيل من مرتفع عال.

وأمَّا البَيتُ الذَّى يَصفَعُكَ باطِنُهُ ويخْدَعُكَ ظاهِرُهُ فكقَوْلِ القائلِ

عاتَبْتهُا فَبَكتْ وقالتْ يا فَتى نجَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ منْ عَتْبى

وأمَّا البَيتُ الذَّى لا يُخْلِقُ سامِعُهُ. حتَّى تُذْكر جوامعُهُ فكقَوْلِ طَرَفَةَ:

وُقُوفًا بهِا صَحْبِى علىَّ مَطِيهُمْ يقُولونَ: لا تَهْلِكْ أسًى وَتَجلَّدِ[1]

فإِنَّ السَّامِعَ يظُنُّ أنَّكَ تُنْشدُ قوْلَ امرِىءِ الْقَيْسِ. وأمَّا البَيتُ الذَّى لايُمكِنُ لمسُهُ فكقَوْلِ الُخبْزُرُزِّىِّ:

تقَشَّعَ غَيمُ الهَجْرِ عنْ قَمرِ الحْبِّ

وأشْرَقَ نُورُ الصلْحِ منْ ظُلمَةِ العَتْبِ[2]

---

(١) البيت فى معلقة امرىء القيس وقافيته: (وتحمل) وهى أكثر دورانا على الألسنة وشهرة من معلقة طرفة فقبل أن يذكر القارئ القافية لا يدرى السامع أنه ينشد لطرفة.

(٢) لم نقف على ترجمة حقيقية تثبت هذا البيت لشاعر ولكن الذى عثرنا عليه ترجمة لرجل اسمه (نصر بن أحمد الخبزارزى) قال عنه أبو منصور الثعالبى: وقد بلغنى من غير جهة أنه كان أميا لا يتهجى وكانت حرفته خبز خبز الأرز فى دكانه بمربد البصرة فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وأحداث البصرة يتنافسون فى ميله إليهم وذكره لهم ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته، وكان ابن لكك على ارتفاع مقدار ينتاب دكانه ويسمع شعره ونحن نكاد نجزم بأن البيت لهذا الشويعر لأننا نجد كلامه الذى عثرنا عليه كله =

وكَقَوْلِ أبى نُوَاسٍ :

نَسِيمُ عَبيرٍ فى غِلاَلَةِ مَاءِ وتمثَالُ نُورٍ فى أدِيم هَوَاءِ [1]

وأمَّا البَيتُ الذَّى يَسْهُلُ عكْسُهُ فكَقَوْلِ حَسَّانٍ [2]:

= على هذا النمط فمن ذلك قوله :

قالوا عشقت صغيرا؟ قلت أرتع في روض المحاسن حتى يدرك الثمر

ربيع حسن دعاني لافتتاح هوى لما تفتح منه النور والزهر

وقوله: ورد الخدود ورمان النهود وأغصان القدود تصيد السادة الصيدا

شرطى إذا ما رأيت الخصر مختصرا والردف مرتدفا والقد مقدودا

وألفاظ البيت المذكور في المقامة تدل على أشياء لا يمكن لمسها ولا الدنو منها في أصل معناها فالقمر والنور والظلمة معان لا أجسام لها وما له جسم منها وهو القمر بعيد المنال ولما أضيف القمر للحب والغيم للهجر والنور للصلح والظلم للعتب أضحى كل شيء سوى تخيله ذهنا بعيدا جدا.

(١) العبير: الرائحة الطيبة المستحسنة والغلالة الثوب، والأديم الجلد ومن ذا الذى يستطيع أن يلمس نسيم الريح الطيب أو ثوب الماء أو صورة النور أو جلد الهواء؟ بعيد غاية البعد أن يوجد القدير على هذا.

(٢) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر أهل المدر وفحل شعراء المخضرمين وهو من بنى النجار من أهل المدينة نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها إذ أدرك الكثير من فحولها فلم يقصر عن اللحاق بهم بل بذ الكثير منهم وكان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة فى الجاهلية ويرحل إليهم فينال منهم جزيل العطايا وأكثر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان لما بين أهل يثرب والغساسنة من صلة النسب وقرب الجوار فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع حتى ناله منهم =

= شيء بعد أن أسلم وتنصروا ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم الأنصار أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع قومه الانصار بسيوفهم، فكان لقوله من النكاية فى قريش وأعداء النبى أحسن بلاء وأحمد أثر. وكان شاعر أهل المدر فى الجاهلية وشاعر اليمانية فى الإسلام ولم يكن فى أصحاب رسول الله ولا فى أعدائه حين دعوته إلى الله أشعر منه وكان رسول الله ينصب له منبرا بالمسجد ويسمع هجاءه فى أعدائه ويقول (أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس) .

ومن شعره فى الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ... ونسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاجح سادة ... ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة ... فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ... ومتى نحكم فى البرية نعدل

ومن شعره فى الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الذوائب من فهر وأخوتهم ... قد بينوا سننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة ... إن الخلائق - فاعلم - شرها البدع
إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ... لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خوف ولا جزع =

وأمَّا البَيتُ الذَّى هُوَ أطْوَلُ منْ مثْله فَكَحمَاقَةِ المُتَنَبِى[1]:

= ومما سار من شعره مسير الأمثال قوله :

إن امرأ يمسى ويصبح سالما　　　من الناس - الأماجنى - لسعيد

وقوله :

رب حلم أضاعه عدم الما　　　ل وجهل غطى عليه النعيم

وقوله :

فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا　　　من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

ومات رضى الله تعالى عنه في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ وقد عمر قريبا من ١٢٠ سنة .

والشم جمع اشم، وهو المتصف بالشمم الذى هو عزة النفس وكرامتها وأصله ارتفاع قصبة الأنف، وسهولة عكس هذا البيت تقديم شطره الثانى على الأول من غير اختلال فى المعنى وعكسه بعضهم هكذا .

سوء الوجوه لئيمة احسابهم　　　فطس الأنوف من الطراز الآخر

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسن الجعفى الكندى الكوفى المتنبى الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة والمعانى النادرة وخاتم ثلاثة الشعراء وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء وهو من سلالة عربية من قبيلة جعف بن سعد العشيرة أحد قبائل اليمانية.

ولد بالكوفة سنة ٣٠٢ فى محلة كندة ونسب إليها - وليس بكندى - ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه وكان نادرة فى الحفظ لا يسأل عن شىء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، وكان أبوه - فيما يقال - سقاء فخرج به إلى الشام ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون =

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ جُدْ قُدْ مُرِ انْه اسْرُفْهُ تُسَلْ

غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ ابْنِ نَلْ

وأمَّا الَبيتُ الذَّى هُوَ مُهِينٌ بحِرْفٍ. ورَهِينٌ بحَذْف . فَكَقَوْلِ

= إلا بالمعيشة فى البادية فخرج إلى بادية بنى كلب وهو بعد فتى لا يزيد عمره على عشرين سنة فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة إذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بغريبها وحوشيها فعظم شأنه بينهم ..

وكانت الأعراب الضاربون بمشارف الشام شديدى الشغب على ولاتها فوشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة فى بنى كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه فخرج لؤلؤ إلى بنى كلب وحاربهم وقبض على المتنبى وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبى مع كراهته له .

فأما منزلته فى الشعر فقد شهد له أبو العلاء المعرى – وهو من تعرف بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه فى المعانى والتصورات الفلسفية – بالسبق وقدمه على نفسه وغيره، وهو الذى يقول عنه ابن رشيق: ثم جاء المتنبى فملاء الدنيا وشغل الناس

ومن شعره

إذا رأيت نيوب الليث بارزة   فلا تظنن أن الليث يبتسم

أعيذها نظرات منك صادقة   أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره   إذا استوت عنده الأنوار والظلم

يا من يعز علينا أن نفارقهم   وجداننا كل شىء بعدكم عدم =

أبى نُوَاس:

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِى عَلى بَابِكُمْ　　كَما ضاعَ دُرٌّ عَلى خالِصَهْ

وَكَقَوْلِ الآخَرِ:

إنَّ كلاَماً تَرَاهُ مَدْحاً　　كانَ كَلاَماً عليْهِ ضاءَ

يَعْنِي أنَّهُ إذَا أَنْشَدَ «ضَاعا» كانَ هَجَاءً. وإذَا أَنْشَدَ «ضاءَ» كانَ مَدْحاً[1]. قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ : فَتَعَجَّبْتُ وَاللّهِ مِن مَقالِه. وأَعْطَيْتُهُ ما يَسْتَعِينُ بِهِ عَلى تَغْيِيرِ حالِهِ. وافْتَرَقْنا.

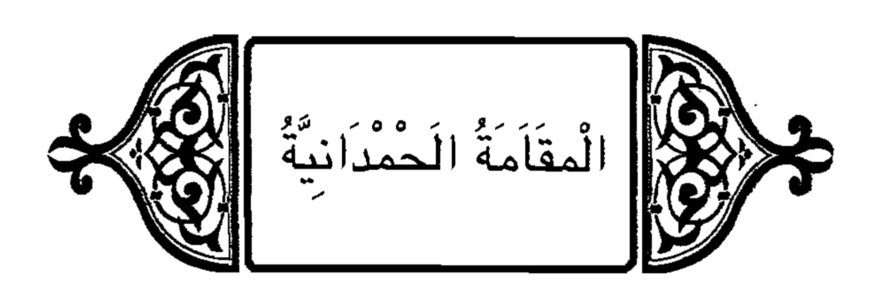
= إن كان سركم ما قال حاسدنا　　فما لجرح إذا أرضاكم ألم

وبيننا – لو رعيتم ذاك – معرفة　　إن المعارف فى أهل النهى نمم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا　　ألا تفارقهم فالرحلون هم

وعش من العيشة، وابق من البقاء، واسم من السمو، وسد من السيادة، وجد من الجود، وقد من قيادة الجيوش، ومر من الامر، وانه من النهى، وره من الرؤيا، وفه من فاه أى تكلم، وتسل أى يسألك الناس عما اغلق عليهم، وغظ من الغيظ، وارم من الرماية، وصب من الاصابة، واحم من الحماية اى الوقاية واغز من الغزو، واسب من السبى، ورع من الروع وهو الخوف، وزع من الوزع وهو الكف، ود فعل بقى على حرف واحد أصل أخذه من وداه أى أعطى ديته أو أخذها ول فعل كذلك من الولاية وابن من البناء والمراد به بناء المجد والمكرمات ويروى أثن من الثناء ونل من النوال.

(١) الكلام ظاهر .



الْمقَامَةُ الْحَمْدَانِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ يَوْماً(١)

(١) هو أبو الحسن على أشهر أمراء الدولة الحمدانية من قبيلة تغلب . وكان سيف الدولة يملك حلب والعواصم ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٧ وان أخوه الحسن ناصر الدولة يملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة وخلف ناصر الدولة ابنه ابو تغلب ثم أخوه الغضنفر وسيف الدولة ممدوح أبى الطيب وله فيه المديح الذى خلد اسمه أبد الدهر ومنه .

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

قال عنه صاحب اليتيمة : كان غرة الزمان، وعماد الاسلام ، ومن به سداد الثغور وسداد الامور، وكانت وقائعه فى عصاة العرب يكف بأسها، وتفل أنيابها وتذل صعابها، وتكف الرعية سوء آدابها. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال، وموسم الادباء، وحلية الشعراء، ويقال أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر وكان مع ذلك أديبا نقادة شديد العارضة سريع البديهة ومن شعره فى وصف قوس قزح :

وساق صبيح للصبوح دعوته فقام وفى أجفانه سنة الغمض =

= يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الحنوب مطارفا ... على الجود كنا والحواشى على الارض
يطرزها فوق السحاب بأصفر ... على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

وأنشده أبو الطيب المتنبى قصيدته التى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

فلما وصل قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ما انتقد على امرىء القيس قوله :

كأنى لم أركب جواد للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل ... لخيلى كرى كرة بعد أجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين .

كان ينبغى لامرئ القيس أن يقول :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلى كرى كرة بعد أجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

(ليكون قد جمع ما يناسب الركوب مع لذته ، ويضم لذة الشرب إلى لذة النساء وهما أقرب الأشياء تناسبا) ولك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

الجَمَاعَةُ[1]. وَقالَ سَيْفُ الدَّوْلَة: أَيُّكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ. جَعَلْتُهُ صِلَتَهُ[2] فكُلٌّ جَهِدَ جَهْدَهُ. وبَذَلَ ما عِنْدَهُ[3]. فقالَ أحَدُ خَدَمِهِ: أصْلَحَ اللّهُ الأَمِيرَ رأيْتُ بِالأَمْس رجُلاً يَطأُ الفَصَاحَةَ بِنَعلَيْهِ[4]. وتَقِفُ الأبصارُ عَلَيْهِ[5]. يَسْأَلُ النَّاسَ. وَيَسْقِي الْيَاسَ[6]. وَلَوْ أمَرَ الأَمِيرُ بإِحْضارِهِ.

= فقال : أبو الطيب أيد الله مولانا أن صح إن الذى استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لان البزاز لا يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء. وأنا لما ذكرت الموت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم، لأجمع بين الاضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجمعها .

فانظر إلى دقة الملاحظة مع سرعة البديهة وقوة العارضة .

(١) لحظته الجماعة : نظروا إليه وتأملوا فيه . (٢) الصلة فى الاصل : العطية وأراد منها هنا الجزاء والمكافأة . (٣) جهد جهده : أى اجتهد بكل ما فيه من قوة وأفرغ قصارى جهده فى أن ينعته ليكون له . (٤) أى أنه قد أصبح ملك الفصاحة وفارسها . (٥) أى لا تتحول عنه ولا تبصر إلى سواه لانها أضحت أسيرة لديه بما شاقها منه . (٦) يسأل الناس: يطلب منهم العطاء . ويسقى : يذم ويعيب واليأس أى الحال التى لزمته .

لَفَضلُهمْ بِحضَارِه[1] فقالَ سيفُ الدَّوْلةِ: علَىَّ بِهِ فى هَيْئتِهِ فَطارَ الخَدَمُ فى طلَبِهِ. ثُمَّ جاءُوا للْوَقْتِ بِهِ. ولم يُعلموهُ لايَّة حالٍ دُعِىَ[2] ثُمَّ قُرِّبَ واستُدْنى وهُوَ فى طِمْرَيْنِ قَدْ أكلَ الدَّهْر عليهما وشَرِبَ[3]. وحِينَ حَضَرَ السِّمَاطَ. لَثَم الْبِساطَ[4]. ووَقفَ فقالَ سَيفُ الدَّوْلةِ: بلغَتْنا عَنْكَ عارِضَةٌ فأَعْرِضْها فى هذَا الْفَرسِ ووَصْفِه[5]. فقَالَ: أصلَحَ اللّهُ الامِيرَ كيْف بهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ ووثُوبِه. وكَشفِ عُيُوبِه

(١) الحضار بكسر أوله قوة البيان وجودة القريحة من قولهم : ناقة حضار إذا جمعت قوة وجودة سير أو هو من قولهم : رجل حضر بفتح فضم إذا كان ذا بيان وفقه .

(٢) أى أنهم لم يبطئوا فى استدعائه ولم يخبروه بما كان فى المجلس وذلك كتمهيد لنعته بالفصاحة والبيان الكاملين .

(٣) طمرين : ثوبين خلقين وأكل الدهر عليهما وشرب من قول بعضهم :

سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

(٤) حضر فعل يتعدي ويكون لازما تقول : حضره وتحضره وأحضر الشئ وأحضره أياه والسماط جماعة الحاضرين مع الامير ولثم البساط قبله إجلالا لشأنه .

(٥) العارضة : البديهة ، وقيل هى الصرامة وهى المضاء فى الامور يقال رجل صارم وصرامة إذا كان ماضيا فى الامور ومنه فلان صريم سحر على هذا الامر أى : متعب حريص عليه . والمعنى أنه وصل إلينا أن لك بديهة حاضرة وأنك ماض فى البراعة قوى البيان فإذ كان ذلك حقا فانشره علينا فى وصف هذا الفرس.

وغُيُــوبِه(١)؟ فقالَ : ارْكَبْــُـه فرَكِبه . وَأَجْـرَاهُ ثُــمَّ قـــالَ : أَصْلَحَ اللّهُ الأَمِـيــرَ هُوَ طَــوِيلُ الأُنُنَـــينِ . قَلِيــلُ الإِثْنَـينِ . وَاسِــعُ الْمُــــرَاتِ . قَــينُ الثّـلاثِ(٢) غَلِيــظُ الاكْــرُعِ. غـامِــــضُ

(١) وثب من مكان إلي مكان وثبا ووثوبا ووثيبا ووثبانا ووثب إليه : طفر، وفرس وثابة سريعة ، والغيوب : جمع غيب وهو ماخفى على الإنسان فلم يعلم به والمعنى : أنه لاطاقة لي على وصفه ولاسبيل إلى نعته حتى أركبه وأركض به فأعلم سرعته وأتبين ماخفى عنى من صفاته التى لاتظهر بمجرد النظر ليكون وصفى صحيحا صادقا.

(٢) المراث ومثله المروث بوزن منبر مبعر الفرس : وابن الثلاث سيأتى فى كلامه تفسيره وقد سبق المفضل الضبى إلى مثل ذلك ، روى الزجاج قال: قال المفضل الضبى : قال لى أمير المؤمنين المنصور : صف لى الجواد من الخيل فقلت يا أمير المؤمنين إذا كان الفرس طويل ثلاث قصير ثلاث رحب ثلاث صلقى ثلاث فذلك الجواد الذى لايبارى قال : فسرها . فقلت : أما الثلاث الطوال فالاننان والهادى والفخذ . وأما القصار فالظهر والعسيب والساق وأما الرحاب فالليان والمنخر والجبهة ، والصلقية الاديم والعين والحافر . غير أن البديع قد زاد فيها وبسط الوصف بأكثر منه . وقد وصف ابن أقيصر الفرس فقال : اذا استقبلته أقعى، وإذا استدبرته جبا، واذا اعترضته استوى. وفى هذا المعنى يقول أنيف بن جبلة الضبى فارس الشيط :

ولقد شهدت الخيل يحمل شكتــى	عتد كسرحان القصيمة منهب
أمـــا اذا اســتقبلته فكــأنــه	للعين جذع مـن أوال مشـذب
واذا اعترضت به استوت أقطاره	وكــأنه مـستدبراً متـصــوب

والقصيمة : رملة تنبت الغضى نثبها خبيته وأوال - بوزن سحاب - جزيرة كبيرة بالبحرين بينها وبين القطيف مسيرة يوم فى البحر عندها مغاص اللؤلؤ .

الأَرْبَعِ[1]. شَـديدُ النَّفْسِ. لَطِيفُ الخَـمْسِ[2] ضَـيّقُ الْقَلْتِ. رَقِـيقُ الْسِّتِ[3]. حَـدِيدُ الْسَّمْعِ. غَلِيظُ السَّبْعِ[4]. دَقِـيقُ اللَّسـانِ. عَـرِيضُ الثَّمـانِ[5]. مَـدِيدُ الضِلْعِ. قَصِـيرُ التِّسْعِ[6] وَاسِعُ الشَّجْـرِ. بَعِيـدُ الْعَشْرِ[7] يأْخُـذُ بالْسَّابِحِ . وَيُطْلِقُ بالرَّامِحِ. يَطلعُ بِلاَئحٍ. وَيَضْحَكُ

(١) الكرع، محركة ، قوائم الدابة ، والكراع بوزن غراب ويؤنث والجمع أكرع وأكارع مستدق الساق : وغامض الاربع سيأتى معناه فى المقامة .

(٢) يروى : النفس بالتحريك ومعناه أنه اذا تنفس كان نفسه طويلا وشديداً. ويروى النفس بفتح فسكون ومعنى شدة النفس شهامتها وقوتها والعرب تتمدح بكرم الخيل وشدتها وطيب أصلها كما تمدح ذلك فى الاناسى ولطيف الخمس معناه مذكورة فى كلامه.

(٣) أصل القلت النقرة فى الجبل وهو فى الفرس النقرة فى رأس الورك يكون فى جوفها الموقف وهو عصبة اذا انفكت عرجت الدابة.

(٤) من الأوصاف التى تمتدحها العرب فى الخيل أن يكون فى اذنيها صلابة فاذا استرختا كانت مذمومة ويقولون عن الفرس المسترخى الأذنين أخذى، فمعنى حديد السمع شديد الأذنين صلبهما.

(٥) الدقيق ضد الغليظ.

(٦) مديد: ممتد مستكمل أضلاعه.

(٧) الشجر بفتح فسكون مخرج الفم أو مؤخره أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى اللهزمتين أو مابين اللحيين والجمع أشجار وشجور وشجار.

عَنْ قارِحٍ[1]. يَخُدُّ وَجْهَ الَجْدِيدِ. بَمدَاقِّ الَحْدِيدِ[2]. يُحْضِرُ كالْبَحْرِ إذَا مـاجَ. وَالْسَّيْلِ إذَا هاجَ[3]. فـقـاَلَ سَيفُ الدَّوْلة: لَكَ الْفَرَسُ مُباركاً فِيه. فقَالَ: لازِلْتُ تأْخُذُ الأنْفاسَ. وَتمنْحُ الأَفْرَاسَ[4]. ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ: لَكَ عَلَيَّ مَا يَلِيقُ بهذَا الْفَرَسِ مِنْ خِلْعَةٍ إنْ فَسَّرْتَ ما وَصَفْتَ. فقَالَ : سَلْ عَمَّا أحْبَبْتَ . فقُلْتُ . مامَعْنَى قَوْلِكَ

(١) يأخذ بالسابح : أى يبتدى سيره بيديه اللتين تشبهان يدى السابح، ويطلق بالرامح أى أنه يتبعهما رجليه الرامحتين أى السريعتين من رمح اذا ركض، ويطلع بلائح. أى أنه يلاقيك بوجه لائح أى مشرق ذى غرة. ويضحك عن قارح: أى يظهر لك سنه الذى يدلك على بلغ التسع من عمره.

(٢) يخد: يشق ويروى يحز أى يقطع والجديد الأرض ويروى الكديد وهو ما غلظ. والمداق جمع مدق بكسر ففتح أو بضمتين. والمعنى أنه يسير سيراً متواصلا وكانه فى سيره يشق وجه الارض بحوافره التى تشبه المداق.

(٣) أحضر الفرس أى ارتفع فى عدوه وأسرع والبحر إذا ماج وتدافعت أمواجه وتلاحق بعضها ببعض ـ والعرب تشبه الفرس بالماء كثيراً وتضع له أسماء مأخوذة من أسماء بعض المياه وأماكنها فمن ذلك الغمر اذا كان كثير الجرى. وأصل الغمر الماء الكثير. ومنه اليعبوب اذا كان سريع الجرى وأصله الجدول السريع. ومنه الجموم اذا كان كلما ذهب منه احضار جاءه احضار وأصله البئر التى لاينزح ماؤها ومن ذلك سكب وفيض اذا كان خفيف الجرى سريعه وأصلها فيض الماء وانسكابه وهكذا.

(٤) أى أدام الله نعمتى الشجاعة والكرم لتنهب النفوس وتعطى النفيس.

بعِيدُ الْعَشْرِ؟ فقَالَ: بعِيدُ النَّظَرِ وَالَخطْوِ[1] وَأعالى الَّلحْيينِ[2]. وَما بَينَ الوَقْبينِ[3]. وَالَجْاعِرتَينِ[4]. ومَا بَينَ الْغُرَاَبينِ[5]. وَالْمَنْخَرْيينِ وَما بَينَ الرِّجْلَيْنِ وَمابَينَ الْمَنْقَبِ والصِّفاقِ[6]. بعيدُ الْغايَةِ فى السِّباقِ . فقُلْتُ : لافُضَّ فُوكَ فمَا معْنَى قَوْلِكَ قَصيرُ التِّسْعِ. قالَ : قَصيرُ الشَّعْرَةِ[7] قَصيرُ اْلأُطْرةِ[8] قَصيرُ الْعَسيبِ[9]. قَصيرُ الْقضيبِ[10] قَصيرُ الْعَضُدَيْنِ[11]. قَصيرُ الرُّسْغَينِ[12]. قَصيرُ النَّسَا[13] قَصيرُ الظَّهْرِ[14] قَصيرُ الوَظيفِ[15] فقُلْتُ : للّه أنْتَ ! فَما مَعْنى قَوْلِكَ : عَرِيضُ الثَّمانِ ؟ قالَ : عَرِيضُ الْجَبْهَةِ[16] عَرِيضُ الوَرِكِ[17]

(١) يرى الشىء عن بعد ويسرع إليه. (٢) عظمى الحنك اللذين يكون عليهما الأسنان . (٣) الوقب النقرة أي نقرة فى الجسد. والوقبان من الفرس نقرتان فوق عينيه. (٤) الجاعرتان حرفا الورك المشرفان على الفخذين.
(٥) الغرابان هما طرفا الوركين الاسفلان. (٦) المنقب موضوع على السرة ينقبه البيطار والصفاق ما بين الجلد والمصران. (٧) إذا كان الفرس قصير شعر الجلد رقيقه فهو أجرد وهو ممدوح. (٨) الاطره : ما أحاط بالظفر من اللحم . (٩) العسيب عظم الذنب. (١٠) الذكر. (١١) العضد من الإنسان ما بين مرفقه والكتف ومن الفرس ما بين الكتف والركبه. (١٢) الرسغ : المستدق بين الحافر والوظيف من يد أو رجل. (١٣) النسا: عرق يخرج من الورك ويصل إلى الحافر. (١٤) يريد من ظهره المكان الذى يركبه الفارس منه.(١٥) الوظيف : مستدق الذراع والساق. (١٦) الجبهة : أعلى الوجه. (١٧) الورك : معروف.

عَـرِيضُ الصَّـهْـوَةِ[١] عَـرِيضُ الكَتفِ[٢] عَـرِيضُ الجَنْبِ[٣] عَـرِيضُ الْعَصَبِ[٤] عَرِيضُ اْلبَلْدَةِ[٥] عَرِيضُ صَفْحَةِ الْعُنُقِ[٦] فقُلْتُ: أَحْسَنْتَ فَما مَعْنى قَوْلِكَ غَلِيظُ السَّبْعِ؟ قالَ : غَلِيظُ الذَّراعِ غَلِيظُ المَحْزِمِ[٧] غَلِيظُ الْعُكْوَةِ[٨] غَلِيظُ الشَّوى[٩] غَليظُ الرُّسْغِ غَلِيظُ الْفَخِذَيْنِ غَلِيظُ الْحاذِ[١٠]. قُلْتُ لِلّهِ دَرُّكَ ! فَما مَعْنى قَوْلِكَ رَقِيقُ السِّتِّ؟ قالَ: رَقِيقُ الْجَفْنِ رَقِيقُ السَّالِفَةِ[١١] رَقِيقُ الْجَحْفَلَةِ[١٢] رَقِيقُ اْلأَدِيمِ[١٣] رَقِيقُ أَعالي اْلأُذُنَينِ رَقِيقُ الْعُرُضَينِ[١٤]. فَقُلْتُ: أَجَدْتَ فَما مَعْنى قَوْلِكَ

(١) الصهوة: مكان الفارس فى ركوبه. (٢) الكتف: مافوق العضد.

(٣) الجنب: المراد به ما بين أعلاه وآخره.

(٤) العصب: أطناب المفاصل التى تربط بعض أجزاء الجسم ببعض.

(٥) البلدة : الصدر . (٦) صفحة العنق: جانبه. (٧) موضع الحزام.

(٨) العكوة: أصل الذنب.

(٩)الشوى: جلدة الرأس.

(١٠) الحاذ: الظهر ويروى الجبال، ومعناها العروق التى تربط اليد.

(١١) السالفة : ما تقدم من عنقه.

(١٢) الجحفله للفرس ونحوه مثل الشفة للإنسان والمشفر للبعير.

(١٣) الاديم : الجلد.

(١٤) العرضان: هما جانبا العنق .

لَطيفُ اَلْخَمْس؟ فَقالَ: لَطيفُ الزَّوْرِ. لَطيفُ النَّسْرِ[1]. لَطيفُ اَلْجَبْهَة. لَطيفُ الرُّكْبَةِ. لَطيفُ الْعُجايَةِ[2]. فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللّهُ فَما مَعْنى قَوْلِ غامِضُ اْلأَرْبَعِ؟ قالَ : غامِضُ أَعالى الْكَتِفَيْنِ[3] غامِضُ اَلْمَرِفَقْينِ[4] غامِضُ الْحَجاجَينِ[5] غامِضُ الشَّظْى[6] قُلْتُ: فما مَعْنى قَوْلَكَ لَيِّنُ الثَّلاثِ؟ قالَ: لَيّنُ المَرْدَغَتَينِ[7] لَيّنُ العُرْفِ[8] لَيّنُ العِنْانِ[9]. قُلْتُ: فمَا مَعْنى قَوْلَكَ قليلُ الإثْنينِ؟ قالَ: قليلُ لحَمِ الوَجْهِ قليلُ لحَمِ المَتْنَينِ[10] قُلْتُ: فمِنْ أيْنَ منْبِتُ هذَا الفَضْلِ؟ قالَ: منَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ. والبْلادِ الإسكَنْدَرِيَّةُ[11]. فقُلْتُ: أنْتَ معَ هذَا الْفَضْلِ. تُعَرِّضُ وجْهكَ لهِذَا

(١) النسر: هو لحمة تشبه النواة أو الحصاة تكون فى باطن حافر الفرس من أعلاه. (٢) العجاية: عصب مركب فيه فصوص من عظام كفصوص الخاتم عند رسغ الدابة. (٣) معناه أنه مكتنز اللحم ليس بناشز العظم. (٤) المرفقان مؤخر العضدين الذين يتصل عليهما العضدان. (٥) الحجاج: منبت الحاجب.

(٦) الشظى : عظم مستدق لاصق بالركبه أو الذرع أو هو عصب صغار فيه.

(٧) المردغة: ما بين العنق والترقوة. (٨) الشعر النابت على محدب عنقه.

(٩) أراد بلين عنانه سهولة قياده وسلاسته. (١٠) المتنان : مايحيطان بالصلب عن يمين وشمال من العصب. (١١) الأموية: المنسوبة لبنى أمية، وببلاد الاندلس مدينة اسمها الاسكندرية فهو ينتسب إليها.

الْبَذْلِ؟ فأنْشأَ يَقُولُ:

سَاخِفْ زَمانكَ جِداًّ ... إنَّ الزَّمانَ سَخِيفْ[1]

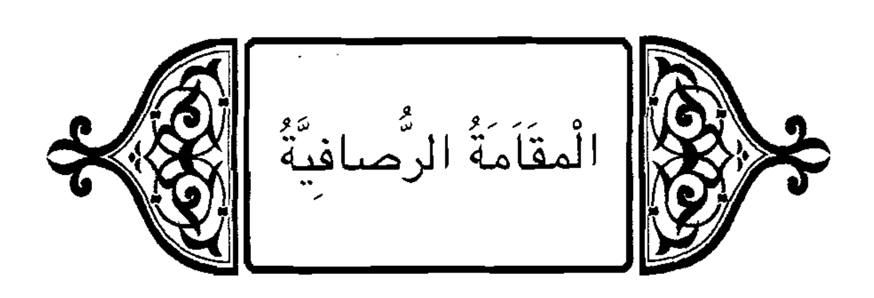
دعِ الحَمِيَّةَ نِسْـياً ... وعِشْ بِخيرِ وَرِيفْ[2]

وقُـلْ لعَبْـدِكَ هـذَا ... يَجِـيُنـا بِـرَغِـيفْ

(١) السخف : الحمق، والمعنى: أن عليك أن تجارى الدهر فى حماقته لتنال منه رغباتك فانه لايفل الحديد الا الحديد.

(٢) قال الاستاذ الامام: الريف: السعة فى المأكل والمشرب واقتصر عليه مع أنه تغمده اللّه برحمته كان يكتب فى شرحه كل مايتصور أن يرجع الكلام إليه ونحن نقول أنه لايبعد أن تكون الكلمة مأخوذة من ورف الظل يرف ورفا ووريفا اذا طال وامتد ويكون المعنى وعش بخير ممتد متسع وهو ظاهر وبديع.





الْمقَامَةُ الرُّصافيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هشَامٍ قَالَ: خَرَجْتُ منَ الرُّصافَةَ(١) أُريدُ دارَ الخْلافَةِ. وحَمَّارَةُ الْقَيْظِ تَغْلى بِصَدْرِ الْغَيْظِ(٢). فَلَمَّا نَصَفْتُ الطَّريقَ(٣) اشْتَدَّ الْحرُّ. وأعْوزَنى الَّصبْرُ(٤). فَملْتُ إلى مَسْجدٍ قَدْ أخَذَ منْ كُلَّ حُسْنٍ سرَّهُ وفيهِ قَوْمٌ يَتَأمَّلونَ سُقوفَهُ. ويَتَذاكرونَ وقُوفَهُ(٥) وأدَّاهُمْ عجُزُ الحْديثِ(٦) إلى ذِكْرِ اللُّصُوصِ وَحيَلِهِمْ. والَّطَّارينَ وعَمَلِهِمْ(٧) فَذَكَروا أصْحابَ الفْصُوصِ(٨) منَ اللُّصوصِ.

---

(١) الرصافة بضم أوله : اسم لبلدان كثيرة منها واحدة بالشام وأخري بالبصرة وثالثة بالاندلس ورابعة بأفريقية وقرية بواسط وأخري بنيسابور واسم محلة ببغداد التي هي دار الخلافة أي المكان الذي يجلس فيه الخلفاء. (٢) حمارة القيظ : شدة الحر.
(٣) نصفت الطريق أي قطعت نصفه أو انتصفته أي صرت في نصفه. (٤) أي افتقرت إلي الصبر لانه ذهب مني كله. (٥) أي أعمدته وسواريه جمع واقف. (٦) آخره.
(٧) الطرارون : الذين يختلسون المال خفية من طر اذا شق أو قطع وهم الذين يقال لهم اليوم (نشالون). (٨) جماعة ينقشون آسماء بعض الناس علي فصوص ثم يذهبون الي ديارهم حال غيبتهم يطلبون من المال ما أرادوا دون أن ينكر عليهم أهل البيت والفص علامة.

وَأهْلَ الْكَفِّ والْقَفِّ[١] ومَنْ يَعْـمَلُ بِالَّطفِّ[٢] ومَنْ يحَـتْـالُ فى الصَّفِّ[٣] ومنْ يَخْنُقُ بالدَّفِّ[٤]. ومنْ يُكْمِـنُ فـى الـرَّفِّ. إلى أنْ يُمْكنَ اللَّفُّ[٥] ومَنْ يُبَـدِّلُ بالمسْـحِ[٦]. ومَنْ يأُخُـذُ بالمَزْحِ[٧]. ومَنْ يَسْـرِقُ بالنُّصْحِ[٨] ومَـنْ يَدْعُـو إلـى الُّصْلـحِ[٩] . ومَنْ قَـمَشَ بِالَّصْـرفِ[١٠]. ومَنْ أنْعَسَ بِالَّطْـرفِ[١١]. ومَنْ باهَـتَ

---

(١) أهل الكف : الذين يدخلون بين متشاجرين ليكفوهم عن الشجار ويختلسون فى هذه الاثناء أموالهم وأهل القف : الذين يختلسون المال بين أصابعهم.
(٢) أى يسرق بالتطفيف فى المكيال. (٣) أى يسرق من صفوف المصلين منتهزا اشتغالهم بالصلاة . (٤) أى يدخل للسرقة فإذا تعرض له رب البيت قتله ويكون معه جماعة يضربون بالطبول والدفوف حتى إذا صاح لايسمعه أحد ولايغيثه إنسان . (٥) يختفى فى مكان الامتعة حتى يتمكن من جمعها والفرار بها.
(٦) الذى يضع دراهم زائفة فى فمه ثم يأخذ من آخر دراهم جيدة ويدنيها الى فمه ثم يمسحها موهما أنه يختبرها وهو فى الواقع يستبدلها بما معه من الرديء . (٧) الذى يختلس دراهمك فاذا عرفت ذلك منه ردها إليك يوهمك أنه يمازحك . (٨) الذى يسرق منك نقودك على هيئة النصيحة لك كمن يدخل عليك وبين يديك دراهم فيقول لك لا تفعل هذا فان بعض الناس كان مثلك فدخل عليه طرار فوضح يده على كيسه هكذا (ويضع يده) ثم أخذ هكذا (ويأخذه) ثم سار الى الباب ويفر (٩) الذى يرتقب حصول الخلاف بين اثنين فيدخل بينهما ولايزال ينتهز غفلتهما بشأنهما حتى يسلب ماقدر عليه من مالهما. (١٠) قمش جمع ومعناه الذى يجيء الى الصيرفى يوهمه أنه يريد صرف دينار مثلا فيختلس الذى أمامه ويهرب . (١١) أى الذى يتناوم لينام صاحب المال فاذا نام أخذ ماله.

بِالنَّـرْدِ[١]. ومَنْ غَـالَطَ بِالقِـرْدِ[٢]. ومَنْ كَـابَرَ بِالرَّيْطِ. مَعَ الإبْرَةِ والخَيْطِ[٣]. ومَنْ جَاءَكَ بِالْقُفْلِ[٤]. وشَقَّ الأرْضَ مَنْ سُفْلٍ[٥]. ومَنْ نَـوَّمَ بِالْبَنْـجِ[٦]. أو أحْتَـالَ بِنِيرَنْجٍ[٧] ومَنْ بَـدَّلَ نَعْلَيْـهِ. ومَنْ شَـدَّ بِحَبْلَيْـهِ[٨] . ومَنْ كَابَـرَ بِالسَّـيْفِ[٩]. ومَنْ يَصْـعَدُ فى

---

(١) أى الذى يدخل الدار ومعه النرد فإذا توسطها وعلم به صاحبها بسيط النرد فإذا جاء ليقبض عليه نادى بأنه يظلمه فى اللعب ولا يعطيه ما قامره به .

(٢) الذى يكترى قرادا يوقفه على باب دكان ليشتغل به صاحب الدكان فيسرقه

(٣) الريط : جمع ريطة والمراد به هنا الثياب الذى يلبس فوق غيره . وهذه الحيلة هى أن الطرار يرفع ثوب بعض المارة خلسة ويمسك بطرفها الاسفل ثم يأخذ فى خياطته بما على العاتق فان لم يشعر به صاحب الثياب أخذ هميانه (وهو وعاء دراهمه) واذا استشعره صاح: أنى كنت أخيط لك ثوبك هكذا أفلا تريد.

(٤) الذى يبيع التاجر قفلا سهل الفتح فإذا أغلق التاجر به جاء فسرقه.

(٥) الذى يحفر حفيرة فى الأرض حتى تصل الدار فإذا نام أهلها دخلها.

(٦) البنج : مخدرمعروف. (٧) النيرنج : ضرب من الشعبذة يشبه السحر.

(٨) بدل نعليه : الذى يدخل الحمام أو المسجد ومعه نعل خلق ثم ينتهز غفلة الناس ويتحين اشتغالهم فيأخذ نعلين جديدين ويخرج وشد بحبليه: الرجل يصعد جدارا أو يرقى سطحا ثم يشد على مايجده من المتاع حبلا يكون قد ترك طرفه فى الارض من أسفل الدار مثلا ثم ينزل فيشد ذلك الحبل ويأخذ ما علق به ويسير. (٩) كابر بالسيف : اى عاند به جهارا وهؤلاء قطاع الطريق.

الْبِيرِ[١]. ومَنْ سارَ مَعَ الْعِيرِ[٢]. وأصْحابُ العَلاماتِ[٣] ومَنْ يَأْتى الْمَقاماتِ[٤]. ومَنْ فَرَّ مَنْ الطَّوْفِ[٥]. ومَنْ لاذ مِنْ الخَوْفِ[٦]. ومَنْ طَيَّرْ بِالطَّيْرِ[٧]. ومَنْ لاعَبَ بِالّسيْرِ. وَقالَ: اجْلِسْ ولا ضَيْرُ[٨]. ومَنْ يَسْرِقُ بِالْبَوْلِ[٩] ومَنْ يَنْتَهِزُ الْهَوْلَ[١٠]. ومَنْ أطْعَمَ فى السُّوقِ. بما

(١) يصعد فى البير : الرجل يختبئ فى بئر فإذا ورده قوم وأدلى أحدهم دلوه صعد المختبئ فيه فيخافونه وهم يحسبونه من الجن فيتذرع بذلك إلى سلبهم وسرقتهم . (٢) العير : جماعة المسافرين القافلة ، وهذا يسير معهم يوهمهم أنه أحدهم حتى إذا وجد منهم غرة انتهزها. (٣) أى الذين يجعلون لأنفسهم شعارا كشعار المتصوفة وأمثالهم يريدون بذلك أن يطمئن الناس لهم فإذا تمكنوا من ذلك سرقوهم. (٤) الذى يلبس لباس العلية والكبراء ليدخل بيوتهم من غير ممانعة فتتسنى له السرقة. (٥) الطوف : العسس ورجال الشرطة الذين يطوفون لحفظ الأمن والفار منهم الذى يجرى أمامهم دون أن يطلبوه فإذا لقى دارا دخلها حتى إذا فطن له ربها ذكر له أنه هارب من الطوف لانهم يريدونه ظلما فينجو. (٦) لاذ ، التجأ وهو الذى يقبل عليك ويحتمى بك يوهمك أنه يخاف عدوا فإذا لاحت له منك غرة انتهزها. (٧) الذى يتخذ حماما يطيره ويدخل البيوت فإن سأله أحد زعم أنه يبحث عن حمامه. (٨) السير : قطعة من جلد واللاعب به الذى يلاعبك ويداعبك فى إخفاء بعض الاشياء فمن لم يعرفها ضربه وفى هذا منازعة تمكنه من الخلسة (٩) الذى يجلس بجانب المال ويكشف سوأته موهما أنه يبول فيخجل صاحب المال فيخفى وجهه فيتمكن اللص من السرقة.

(١٠) الذى يرتقب حصول كارثة كحريق أو معركة فيدخل بين الناس وينتهز اشتغالهم للسرقة .

يَنْفُخُ فى البُوقِ[١]. ومَنْ جاءَ بِبَسْتُوقٍ[٢] وأصحابُ الْبَساتينِ[٣].
وسُرَّاقُ الرَّوَازِينِ[٤]. ومَنْ ضَبَرَ فى الَّصْرحِ[٥]. ومَنْ سَلَّمَ فى
السَّطْحِ[٦]، ومَنْ دبَّ بِسِكِّينٍ. عَلَى الحْائطِ مَنْ طينٍ[٧]. ومَنْ جَاءَكَ
فى الحْينِ. يُحَيِّى بِالرَّيَاحينِ[٨]. وأصحْابُ الَّطْبرزَينِ. كَاعوَانِ
الدَّوَاوِينِ. ومَنْ دبَّ بِأنِينٍ . عَلَىَ رَسْمِ اَلْمجانينِ[٩]. وأصحْابُ
اَلمفَاتيحِ[١٠].

---

(١) الرجل ينادى فى السوق بأنه يعالج الشهوة بدواء يعرفه.

(٢) البستوق ، والبستوقة : الإناء الذى يتخذ للماء (كالدورق والقلة) ومعنى هذا: الرجل الذى يدخل البيوت وبيده هذا فإن عثر به أحد قال : أنى أريد أن تملأوا لى هذا ماء وإذا لم يعثر به أحد ووجد شيئا أخذه وانطلق .

(٣) أصحاب البساتين : الرجل يأتيك فيمتدح نفسه بالمهارة فى خدمة البساتين والحنكة فى القيام عليها ثم لايزال بك حتى توليه شؤون بستانك فإذا تولاه سرق ماشاء بدون أن يشتبه به أحد. (٤) الروازين : جمع روزنه وهى الكوة.

(٥) ضبر : وثب ، والصرح : البناء العالى. (٦) الذى معه حبل كالسلم يرميه على الدار ثم يصعد عليه. (٧) الذى يصعد على الحائط ومعه سكين يضرب بها من يتعرض له. (٨) الذى يدخل عليك وبيده باقة زهر فإن أحسست به أوهمك أنه جاء مهديا إياه لك . (٩) دب : أى مشى ، والمعنى : الذى يدخل الدور للسرقة فإن أبصره أحد ما صاح صياح المجانين ليظن الناس به ذلك فيتركوه

(١٠) الذين يحملون مفاتيح كثيرة ليفتحوا بها الدور والصناديق.

وَأهْلُ الْقُطْنِ وَالرِّيحِ[1]. ومَنْ يَقْتَحِمُ الْبابَ. عَلَىَ زىِّ مَنْ انْتَابَ[2]. ومَنْ يَدْخُلُ فى الدَّارِ. عَلَىَ صُـــورَةِ مَنْ زارَ. ومَنْ يَدْخُلُ بِالِّلـينِ. عَلَىَ زىِّ الْمسَــاكِينِ. ومَنْ يَســرِقُ فـى الحَـوْضِ. إذَا أمْكَن فـى الخَوْضِ[3]. ومَنْ سَلَّ بِعُودَيْنِ[4]. ومَنْ حَلَّفَ بالدَّيْنِ[5]. ومَنْ غَالَطَ بِالرَّهْنِ[6]. ومَنْ سَفْتَجَ بالدَّيْنِ[7].

---

(١) جماعة تجعل فى أيديها قطعا من القطن المندوف ثم ينفخونه ليطير إلى بعض البيوت فيدخلونها بحجة البحث عنه.

(٢) أى الرجل الذى يدخل الدار كانه ضيف فان وجد من أهل البيت اشتغالا عنه سرقهم.

(٣) الذى يجيء الحمامات ليسرق من يدخلها إذا نزل الحوض.

(٤) الذى يجلس على سطح داره منتظرا ورود القافلة مثلا فإذا وصلته مد يده بعصا إلى المتاع فأخذ منه ماشاء. (٥) أى الذى يدعى على أحد الوجهاء والعيون مقدارا زهيدا ويكلفه الحضور أمام القاضى ليحلف على البراءة منه فيأنف من ذلك فيعطيه له. (٦) غالط بالرهن: الرجل يأخذ معه صندوقا صغيرا مغلقا يودعه عند آخر موهما أن به جواهر وأشياء نفيسة ثم يرهنه عنده ويأخذ منه جزءا من المال ثم لا يعود. (٧) سفتح بالدين: سفتج عامل بالسفتجة وأصلها يشبه ما يسمى الآن (بوليصة) وكيفية هذا: أن الرجل يأتى رجلا آخر قد عزم على السفر إلى ناحية ما ومعه مال فيقول له: لاتكلف نفسك عناء حمل المال فأنا اريحك منه فأعطنيه وخذ هذه الورقة إلى فلان هناك فبينى وبينه معاملة وإذا وصلته أعطاك ذلك المبلغ . ولايكون شيء من ذلك حقيقيا.

ومَنْ خالَفَ بِالْكيسِ[١]. ومَنْ زَجَّ بِتَدْلِيسٍ[٢] ومَنْ أعْطىٍ الْمَفَاليسَ. ومَنْ قَصٍ مَنْ الْكُمِّ. وَقالَ: انْظُروَا حكُمْ[٣]. ومَنْ خاطَ عَلى الصَّدْرِ[٤]. ومَنْ قالَ: ألمْ تَدْرِ[٥]؟ ومَنْ عَضَّ وَمَنْ شَدَّ[٦].

(١) خالف بالكيس: الرجل يذهب إلى بعض التجار فيساومه في بضاعه ثم يخرج له كيسا به دنانير ويهم بنقده الثمن فيأبى التاجر لقلته فيأخذ كيسه ويضعه فى ثيابه ثم يزيد له فى الثمن فإذا رضى أخرج له كيسا آخر يشبه الأول فى لونه وحجمه ثم يعد له منه فلوسا والتاجر لا يدرى. فإذا تأملها التاجر وأراد إمساكه يكون قد أفلت. (٢) الذى ينتقد دراهم الناس فيخفى بعضها ويضع بدلا منه زيوفا. (٣) الذى يقطع كمه ثم يتعلق بمن معه مال مدعيا عليه به فإذا رآه أحد شكا إليه قائلا: انظر ماذا فعل بى وأنا أطالبه بحقى.

(٤) خاط على الصدر : الرجل يستصحب إبرة وخيطا فإذا لقى رجلا آخر أمسك بتلابيبه ونصح له أن ينتظر حتى يخيط له ثوبه على صدره فتأخذه الدهشة لغرابة ذلك الفعل وحينذاك يسلبه ما يشاء ثم يفر. (٥) وقال : ألم تدر؟ : الرجل يأتى إلى آخر فيقول له: لقد سمعت عجيبا. ألم يصل إليك أن فلانا جاءه سارق فأمسك به هكذا (ويمسكه) ثم مازال السارق به حتى وصل إلى موضع النقود فى ثيابه فاختسلها منه، ولا يفتأ يحدثه حتى يصنع به الذى يخبره بغرابته. (٦) من عض : الرجل يلقى آخر فيبدؤه بالمنزعة فإذا اشتبك معه لا يزال يعض فى موضع النقود ويقرضه بأسنانه حتى يتمكن من اختلاسها، ومن شد : الرجل يربط الثوب ونحوه بما يمسكه فى يده فينهض عنه صاحبه وقد اتسل عنه وهو غافل.

ومَنْ دَسَّ إذَا عَدَّ[١]. ومَنْ لَجَّ مَعَ الْقَوْمِ . وَقالَ لَيْس ذَا نوْمٍ[٢]ومَنْ غَرَّكَ بِالألْفِ[٣]. ومَنْ زَجَّ إلى خَلْفٍ[٤]ومَنْ يَسْرِقُ بِالْقَيْدِ. ومَنْ يَأْلمُ لِلْكَيْدِ[٥]. ومَنْ صافَحَ بِالنَّعْلِ[٦].

---

(١) من دس إذا عد: الرجل يعد دراهم غيره وفى أثناء ذلك أخذ جيدها ويضع بدله زيوفا. (٢) الذى يدخل المسجد مع جماعة فيرى رجلا نائما عند متاعه فيقول إنه ليس نائما فلا تخفوا متاعكم لئلا يراكم. فيعتر النائم ، فيتصنع النوم، ويجىء بعضهم إليه فيأخذ متاعه وكأنه يختبره ليعلم أنائم أم لا فيشتد النائم فى تصنعه، ثم يذهب ذلك السارق جوار الحائط يوهم أنه يخفى شيئا ثم يخرجون جميعا فاذا قام النائم يبحث عما خبأوه وجده حصى ومدرا . (٣) الرجل يودع أحد التجار كيسا له فيه دراهم وعلى وجهها عند أوله بعض الدنانير، ثم تجيئه طالبا كيسه فيفتحه أمامه ويأخذ الدنانير بمرأى منه يوهم أن كل ما فيه كذلك، ثم تجيئه ثانية فيأخذ منه بضاعة بقيمة عالية دون أن يعطيه شيئا ــ والتاجر يظن أن فى الكيس سداد ــ ثم لايعود إليه. (٤) الرجل يتفق مع آخر على أن يذهب أحدهما إلى تاجر يوهمه أنه يشترى منه ويأخذ بعض المتاع يفحصه ثم يجىء الثانى فيطرحه الأول إليه بخفة من غير أن يبصره التاجر ثم يضطرب ويصيح شاتما فيه لاعنا له موهما أنه اختطفه منه ويكون قد ذهب . (٥) الذى يسرق بالقيد ومثله الذى يألم للكيد: هو الذى يجعل فى رجليه قيدا ثم يسير به فإذا رأيته شكا إليك أنه كان أسيرا فترق له وتأخذه لتأويه فيختلس منك.

(٦) الذى يجىء رجلا فيضربه بنعله الخلق فإذا خلع الثانى نعله ليضربه به خطفه وفر.

ومَنْ خـاصَمَ فـى الحْقِّ[١]. ومَنْ عـالَجَ بِالَّشقِّ[٢]. ومَنْ يَدْخُلُ فى السِّرْبِ[٣]. ومَنْ يَنْتَهِزُ النَّقْبَ[٤]. وأصْحابُ الَخْطاطيفِ. عَلى الَحْبْلِ مَنْ اللِّيفِ[٥]. وَانْجَزَّ الَحْديثُ إلى ذكْرِ مَنْ رَبِحَ عَلَيهِمْ.

فَقالَ كَهْلُ مِنُهمْ : سأُحَدِّثُكُمْ بِما يُضْحِكُ السَّامِعَ وَيُشْبِعُ الجْائِعَ.

(وذكر كلاماً غير متناسب مع الآداب نتركه تعففاً).

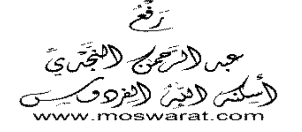
(١) الذى يلقاك ومعك مال فيعرض عليك سلعة تساوى كثيرا بقليل وليست معه فإذا رضيت قال لك: هل معك الثمن؟ فتقول: نعم، ثم تخرجه له، فإذا أخذه أنكر أنه لك وجادلك.

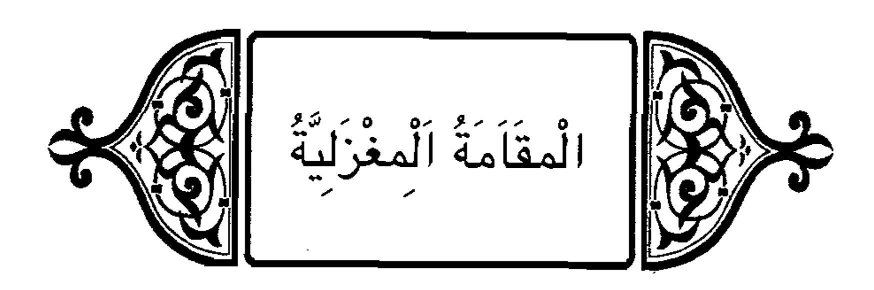
(٢) عالج بالشق: الرجل الذى يحتال للسرقة بشق الوعاء كالكيس ونحوه .

(٣) السرب : الحفيرة فى الأرض، ويدخل فيه : أى يختفى عن أعين المارة فيه حتى إذا وجد فرصة سانحة لم يأل جهدا فى انتهازها.

(٤) ينتهز: أى يعتد غنيمة وربحا، والنقب: ثلم الجدار وشقه، والمعنى مقصده وهو السرقة.

(٥) الذى يجعلون خطافا فى طرف حبل ويرسلونه إلى الدور فأى شيء علق به اخذوه وولوا هاربين.





الْمقَامَةُ الْمغْزَلِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيِسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ(١) وَأنا مُتَّسِعٍ

---

(١) تقدم عن البصرة شيء ليس بالقليل ولكنا نذكر هنا طرفا من ميزاتها وخصائصها:

صعد على بن أبى طالب كرم اللّه وجه منبرها فخطب الناس ثم قال فى آخر خطبته: يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود، يا جند المرأة، واتباع البهيمة. دعا فاتبعتم. وعقر فانهزمتم. أما أنى أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرض يقال البصره أقوم الأرضين قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، ومتصدقها أكثر الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة، منها إلى قرية يقال لها الابلة أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفا الشهيد منهم كالشهيد فى يوم بدر. ويقال: أن لاهل البصرة ثلاث أشياء ليس لاحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم: النخل، والشاء، والحمام . أما النخل فهم أعلم خلق اللّه به وأحذقهم باصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس فى بلد من البلدان. وأما الشاء المعبدية فقد تبلغ الشاة منها خمسين دينارا، وهم يحتفظون بها ويبالغون فى اقتنائها كِكرائم الخيل عند العرب وقد وصل بهم الحد إلى =

الصِّيتِ كَثيرُ الذِّكْرِ[١] فَدَخَلَ عَلَيَّ فَتَيانِ، فقالَ أحَدُهُما: أَيَّدَ اللّهُ الشَّيْخَ دَخَلَ هذا الْفَتَى دارَنا فَأخَذَ فَنَجَ سُنَّارٍ[٢].

بِرَأسِهِ دُوَارٌ[٣]. بِوَسْطِهِ زُنَّارٌ[٤]. وَفَلَكٌ دَوَّارٌ. رَخيمُ الصَّوْتِ انْ صَرَّ[٥]. سَرِيعُ الْكَرَّانْ فَرَّ[٦]. طوِيلف الذَّيْلِ إنْ جَرَّ[٧]. نَحيفُ

= أن يحفظوا أن بدار فلان شاه أمها شاه بنى فلان وأبوها تيس بنى فلان مقدار حلبها بالغداة والعشى كذا. وأما حمامهم فقد بلغت فى الهداية أن جاءت من أقصى بلاد الروم ومن مصر إلى البصرة وينتهى ثمن الطائر منها إلى تسعمائة دينار وتباع بيضتها بعشرين دينارا.

(١) أى أنه دخلها وله شهرة واسعة والناس يتناقلون أخباره ويتحدثون بشأنه وهذا مدعاة إقبالهم عليه وانصرافهم إليه.

(٢) فنج بفاء فنون فجيم حيوان يؤخذ من جلده فراء كأحسن ما يكون وأطلقه هنا وأراد منه جلده. والسنار ـ بضم أوله وتشديد ثانية ـ: السنور، وهو الهر، والمعنى شيء يشبه ذلك والمراد تشبيه الغزل بالهر لانه يكون وجود الخيط عليه شبيها به فى الصورة .

(٣) الدوار: الدوران وظاهر ذلك فى المغزل لانه كثير الدوران .

(٤) أصل الزنار: الخيط الذى يضعه القسوس فى أوساطهم والمغزل يصنع له دائرة من نفسه في وسطه. (٥) صر: صوت ، وأنك لتسمع للمغزل صوتا إذا دار. (٦) أى إذا تحرك فهو سريع.

(٧) متى أدرت المغزل للغزل طال الخيط حتى يصل المغزل الأرض.

الْمُنَطَّقِ. ضعيفُ الْمُقَرْطَقِ[1] . فى قَدْرِ الْحِرَرِ. مُقِيمُ بالْحضَرِ. لايَخْلُو مَنَ السَّفَرِ[2] إنْ أوُدِعَ شَيْئاً رَدَّ. وإنْ كُلِّفَ سَيْراً جَدَّ. وَإنْ أجَرَّ حَبْلاً مَدَّ . هُناكَ عَظْمُ وَخَشَبٌ. وَفيهِ مالٌ ونَشَبٌ. وَقَبْلٌ وَبَعْدٌ[3]. فَقالَ الْفَتَى : نَعَمْ ـ أَيَّدَ اللّهُ الشَّيْخَ ـ لأنَّهُ غَصَبَنى عَلَىَ

مُرَهَّفٍ سِنانُهُ مُذلَّقٍ أسْنانُهُ[4]

أَوْلادُهُ أعْوانُهُ تَفْريقُ شَمْلٍ شَانُهُ[5]

---

(١) المنطق : مكان المنطقة ، وهى شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها بها فترسل الاعلى على الاسفل إلى الأرض والاسفل يجر على الأرض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان، والمقرطق : مكان القرطقة وهى ثوب ذو طاق واحد.

(٢) أى أنه لا يتسنى العمل به لغير المقيم ومع ذلك فإنه مسافر دائما لطول حركته ودوامها.

(٣) المغزل يصنع من الخشب رأسه وعوده أو من العظم كذلك وقد يصنع الرأس من العظم والعود من الخشب، والحبل الخيط الذى يغزل عليه والنشب أصله المال والعطف لتفخيم الشأن، وقبل وبعد : المراد بهما الخير والمنفعة من قولهم ليس له قبل بكذا أى طاقة وليس عنده بعد أى منفعة طائلة.

(٤) مرهف ومذلق معناهما محدد والسنان أصله طرف الرمح واستعير هنا لاسنان المشط. .

(٥) أولاده: هم أسنانه لأنها تتفرع عنه وتخرج منه، والشمل المجتمع، والمشط

مُواثِبٌ لِصاحِبْه مُعلَّقٌ بِشارِبِهْ[1]

مُشْتَبِكُ ٱلأَنْيابِ فى الشَّيِبِ وَالَّشبابِ[2]

حُلْوٌ مَليحُ الشَّكْلِ ضاوٍ زَهيدُ ٱلأكلِ[3]

رَامٍ كَثيرُ النَّبْلِ حَوْفَ اللِّحى والسَّبْلِ[4]

فَقُلْتُ لِلأَوَّلِ : رُدَّ عَلَيْهِ ٱلمِشْطَ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ المِغْزَلَ.

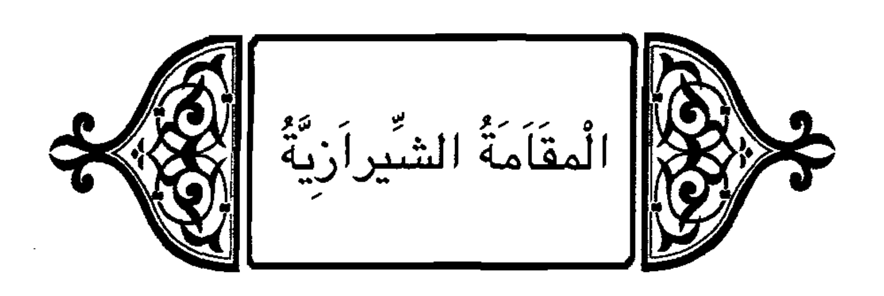
---

(١) أى أنه يقفز على صاحبه فيصل إلى رأسه أو لحيته أو شاربه.

(٢) الأنياب هى الأسنان والشيب بكسر أوله جمع أشيب والمعنى أنه يحتاجه كل واحد لافرق بين الشيوخ والشبان.

(٣) ضاو : أى نحيف هزيل، وزهيد الاكل: قليله والمشط كذلك لأنه ضئيل، ولا يعلق به إلا قليل الشعر.

(٤) نبله أسنانه وهو كثيرها والسبل فتح الباء جمع سبلة وهى ما على الشارب من الشعر وتسكين الباء لضرورة موافقة النظم.



الْمقَامَةُ الشِّيرَازِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْيَمَنِ[1]. وهَمَمْتُ بِالْوَطَنِ[2]. ضَمَّ إِلَيْنا رَفيقٌ رَحْلَهُ فَتَرَافَقْنا ثلاثَةَ أيَّامٍ حَتَّى جَذبَنى نَجْدٌ[3]. وَالْتَقَمَهُ وَهْدٌ[4]. فَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ[5]. وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ[6] وَنَدِمْتُ عَلَى مُفارَقَتِهِ بَعْدَ أنْ مَلَكَنى الجَبَلُ وَحَزْنُهُ[7]. وَأَخَذَهُ الْغَوْرُ

(١) قفلت: رجعت .

(٢) هممت به: عزمت عليه .

(٣) النجدة: ما ارتفع من الأرض.

(٤) الوهد: ما تطامن وانخفض من الأرض.

(٥) صعدت : سرت مرتفعاً بما يناسب النجد، وصوب: سار منحدرا أو على اعتدال يتفق مع الوهد.

(٦) سرت جهة الشرق وسار جهة الغرب.

(٧) الحزن: المرتفع الشديد وكأنه كان على قمة الجبل.

وَبَطْنُهُ[١] فَوَاللّهِ لَقَدْ تَرَكَنى فِرَاقُهُ. وَأنا أشْتاقُهُ[٢]. وَغادَرَنى بَعْدَهُ. أُقاسِى بُعْدَهُ[٣]. وَكُنْتُ فارَقْتُهُ ذَا شَارَةٍ وَجَمالٍ. وَهَيْئَةٍ وَكَمالٍ[٤]. وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنا ضُرُوبَهُ[٥]. وَأنا أتَمَثَّلُهُ فى كُلِّ وَقْتٍ. وَأتَذَكَّرُهُ فى كُلِّ لَمْحَةٍ. وَلا أظُنُّ أنَّ الدَّهْرَ يُسْعِدُنى بِهِ وَيُسْعِفُنى فيهِ. حَتَّى

---

(١) المعنى: أنه أسف كثيرا على مفارقته وتمنى لو تمكن من العودة إليه ولقائه مرة ثانية ولكن ابتعاد كل واحد منهما عن الثانى حال دون هذه الأمنية.

(٢) الشوق، والاشتياق: نزوع النفس إلى الشئ واندفاعها نحوه. يقال: شاقه الشئ - من باب قال - فهو شائق، وذلك مشوق، وشوقه فتشوق: أى هيج شوقه، واشتاقه: أى هاج شوقه إليه والمعنى: أن فراق ذلك الرفيق أثر فى نفسى وآلمها واهتاج إليه خواطرى .

(٣) غادرنى: تركنى، والضمير عائد إلى الرفيق أو إلى الفراق، وبعده بفتح أوله - ظرف، والبعد - بالضم - ضد القرب ، وقد بعد - بالضم بعدا فهو بعيد أى متباعد، ومقاساة البعد: تحمل مشقاته، ومعاناة ويلاته وآلامه.

(٤) أى أنه غادره جميلا بهى الطلعة وسيم الخلقة تظهر عليه أمارات النعمة ومخايل الرفاهة.

(٥) ضرب الدهر بهم ضربانا، ومن ضربانه ، كناية عن ايصال صروفه ومحنه إليهم، وتقول : لحا الله زمانا ضرب ضربانه حتى سلط عليه ضربانه.

أَتَيْتُ سِيرَازَ[١] فَبَيْنا أنا يَوماً فى حُجْرَتى إذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدْ غَبَّرَ فى وَجْهِهِ الْفَقْرُ[٢]. وَانْتَزَفَ ماءَهُ الدَّهْرُ[٣]. وَأمالَ قَناتَهُ السَّقَمُ[٤]. وَقَلَّمَ أظْفارَهُ الْعَدَمُ[٥]. بِوَجْهٍ أكْسَفَ مِنْ بالِهِ. وَزِيٍ أوْحَشَ مِنْ

(١) شيراز : مدينة فارس العظمى وهى مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة ورفاهة عيش حتى أنه ليس فيها منزل إلا ولصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون فى البساتين وشرب أهلها من عيون تجرى فى أنهار ينحدر إليها الماء من جبال يتراكم فوقها الثلج . وهى الآن من بلاد ايران وقاعدة ولاية فارس إحدى ولايات تلك المملكة.

(٢) غبر : أثار الغبار، والكهل : الرجل إذا تمشت جذوة الشيب فى فحمة شبابه .

(٣) انتزف : أخذه ولم يبق منه شيئا، والمراد بالماء هنا جدة الشباب وميعته.

(٤) أصل القناة الرمح وكنى بها عن ظهره، والسقم: المرض وفى الحديث (خذ من صحتك لسقمك) أى اعمل فى زمن قوتك ما يفيدك حال اعتلالك. والمراد هنا أن ظهره قد تقوس واحدودب لما نزل به .

(٥) الأظفار : جمع ظفر وتكون به القوة والشدة والبطش، ومنه أظفار المنية على رأى، واذا كان الاملاق قد قلمها فقد أذهب بطشه فهو كناية عن ضعفه وهو ان حاله بعد ما نزل به .

حـالـه[1]. ولِثَـةٍ نَشِـفَـةٍ. وَشِـفَـةٍ قَشِـفَـةٍ[2] وَرجـعلٍ وَحِلَةٍ. وَيَـدٍ مَـحِلَةٍ[3]. وَأنْيابٍ قَدْ جَرَعَـها الْضـرُّ. وَالْعَيْشُ الْمُرُّ.[4] وَسَلَّمَ فـازْ دَرَتْهُ عَيني ولكِنِّي أجَـبْـتُـهُ. فَـقـالَ : اللَّـهُـمَّ اجْـعَلْنا خَـيْـراً ممَّا يُظَنُّ بِنا[5] فَبَسَطْـتُ لَهُ أسِـرَّةَ وَجْهِـي. وَفَتَـقْـتُ لَـهُ سَـمْعي[6] وَقُلْـتُ

(١) يقال: فلان كاسف البال اذا كان سيء الحال رديئه قال الشاعر :

إنما الميت من يعيش كئيبا   كاسفا باله قليل الرجاء

أوحش: ذا وحشة.

(٢) اللثة : اللحمة التي تحيط بالأسنان ونشفها ذهاب ما فيها من الرطوبة والبلالة ، والشفة : معروفة، وقشفة : أي قد علاها القشف وهو الخشونة التي تنشأ عن الجوع ونحوه.

(٣) رجل وحلة : أي عليها الوحل وهو الطين ، ويد محلة : أصابها المحل وهو الجدب والفقر .

(٤) أي أن أمره قد تغير إلى بؤس شديد وضنك ملازم .

(٥) المعنى : أن ظاهر حاله دعاني إلى التقزز منه وإنكاره وأنه استراب ذلك مني واستبشعه فعرض بي لاقدره قدره وأقوم له بما تستوجبه مكانته من التجلة والاحترام .

(٦) بسطت له أسرة وجهي: ضحكت له، ولقيته بالبشر والطلاقة، وفتقت له سمعي: كناية عن الاقبال عليه، والمعنى: أنني حينما سمعت ألفاظه غيرت =

لَـــهُ : إيهِ[1] . فَقالَ: قَدْ أَرْضَعْتُـكَ ثَدْىَ حُرْمَةٍ وَشارَكْتُكَ عِنَـــان عِصْمَةٍ. وَالمعْرِفَةُ عِنْـــدَ الْكِـــرامِ حُرْمَةٌ. وَالمـــوَدَّةُ لُحَمَـــةٌ[2]؟ فَقُلْتُ: أَبَلَدِىٌّ أَنْتَ أَمْ عَشيرِىٌّ[3]؟. فَـقَـــالَ: ما يَجْمَعُنا إلا بَـلَـدُ

= سبيلى فى ملاقاته واستبدلت جفائى ونفرتى وانصرافى عنه، بالملاطفة والدعابة والتوجه إليه.

(١) إيه : أسم فعل معناه طلب الزيادة من الحديث فان كان منونا فالزيادة من مطلق حديث وأن كان بلا تنوين فمن كلام معين.

(٢) أى أنه حدثنى عن نفسه وعرفنى بسابق صلة وبسط لى أمره معى ومودته لى واستنهض فى نفسى آثار ذلك وناشدنى ألا أنسى قديم معرفته .

(٣) أى هل الجامعة بينى وبينك الاشتراك فى البلد أو الاشتراك فى العشرة التى هى الصداقة وربما صح فى عشيرى النسبة الى العشيرة وهى القبيلة وهو أقرب لمكان الياء وان كان القياس فى النسبة الى مثل عشيرة وقبيلة وجهينة مما فيه تاء التأنيث وياء قبلها حذف الياء والتاء معاً، لكن أجاز صاحب أدب الكاتب عدم حذف الياء اذا كان الاسم المنسوب إليه غير مشهور، وملخص ما فيه انك اذا أردت النسب الى اسم على فعيل أو فعيلة كربيعة وثقيف وحنيفة وعتيك أو على فعيل أو فعيلة كقريش وجهينة وهذيل ومزينة قلت: ربعى وثقفى وحنفى وعتكـــى وقرشـــى وجـهنى وهذلى ومـــزنى، فان لم يكن الاسم مشـهوراً لم تحـذف الياء فى الاول ولا الثانى ، وانما ذكرت ذلك لأننى لم أر جواز عدم الحذف لغيره .

الْغُـرْبَـةِ[١] . وَلا يَنْظِمُنا إلا رَحِـمُ الْقُرْبَـةِ[٢] . فَقُلْتُ: أَىُّ الطَّرِيقِ شَدَّنا فى قرنٍ[٣] ؟ قالَ: طَرِيقُ الْيَمَنِ. قَالَ عيسى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِىُّ؟ فَقَالَ: أنا ذَاكَ. فَقُلْتُ: شَدَّ ما هُزِلْتَ بَعْدِى وَحُلْتَ عَنْ عَهْدِى[٤] !! فانْفُضْ إلَىَّ جُمْلَةَ حالِكَ. وَسَبَبَ اخْتِلالِكَ فَقالَ: نَكَحْتُ خَضْراءَ دِمْنَةٍ[٥]. وَشَقِيتُ مِنها بِابْنَةٍ. فَأنَا مِنهَا فى مِحْنَةٍ، قَدْ أَكَلَتْ حَرِيَتِى[٦] وأَرَاقَتْ ماءَ شَيْبَتِى. فَقُلْتُ: هَلاَّ سَرَّحْتَ. وأسْتَرَحْتَ[٧] . ثم ذكر كلامًا يندى له وجه الادب فتعففنا عن ذكره والخوض فيه .

---

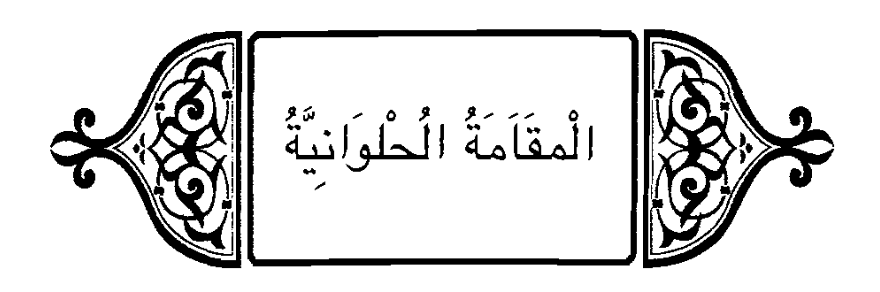
(١) المعنى : لست من بلدك ولا من عشيرتك ، ولكنى رجل اشتركت معك فى الاغتراب عن الوطن والنزوح عن مقر الاهل . (٢) القربة : الاقتراب فى المسكن، والمراد به ما يعم طريق السفر . (٣) القرن ومثله القران : أصله الحبل يربط به البعيران وتقول أعطيته بعيرين فى قرن وفى قران معاً مأخوذ من الاقتران وهو الاجتماع ومنه قيل للصاحب قرين . (٤) أى ما أشد هزالك وضعفك وما أكثر نحافتك وضالة جسمك فلقد تغيرت عما عرفتك ويقال : حال فلان اذا تغير ومنه قوله وكلام البديع مأخوذ منه :

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير

(٥) خضراء الدمن مفسرة فى الحديث : (اياكم وخضراء الدمن . قالوا: وما هى يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسنة فى المنبت السوء) .

(٦) حريبة الرجل : ماله الذى يعيش منه .

(٧) سرحت : طلقت هذه المرأة، وفى الكتاب العزيز : (أو تسريح باحسان) .



الْمقَامَةُ الْحُلْوَانيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ[1] وَنَزَلْتُ حُلْوَانَ مَعَ مَنْ نزلَ[2]. قُلْتُ لِغُلاَمِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلاً وَقَدِ اتَّسَخَ بَدَنِي قَلِيلاً[3]. فَاخْتَرْ لنَا حَمَّاماً نَدْخُلُهُ. وَحَجَّاماً

(١) قفل: رجع ، وتقول : قفل الجند من الغزو الى أوطانهم قفلا وقفولا وهذا وقت القفل أى العود والرجوع، ورأيت القفل: أى جماعة العائدين كما يقال القعد لجماعة القاعدين، ويقال : أقفلهم الامير أى رجعهم ، والمعنى: حينما رجعت الى وطنى عائداً من مكة بعد أداء فريضة الحج مع الذين رجعوا. (٢) حلوان: اسم يقع على قريتين وبلدين إحداهما فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد وهى المقصودة هنا. (٣) يحرم على الانسان متى نوى الحج وأحرم به أن يحلق شعره أو يقصره حتى يؤدى شعائره فيتحلل ويجوز له ذلك ونحوه، والحكمة فى مثل ذلك إظهار تمام الطاعة الى الله بالخروج عن مظاهر النعمة وعلائم الرفاهية بكل أنواعها والتجرد من أسباب الاغترار والدعة ، ومدة الحج طويلة بحيث لا يستطيع المرء أن يتمهل بعدها أو يبطئ فى تنظيف نفسه وازالة ما طال من شعره، وعيسى قد زاد على مدة الحج بالمدة التى قضاها فى طريقه الى حلوان، فهو لا شك أشد احتياجا وأكثر افتقارا للنظافة.

نَسْتَعْمِلُهُ[1]. وَلْيَكُنِ الحَمَّامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ[2]. نَظِيفَ الْبُقْعَةِ[3]. طَيِّبَ الهَوَاءِ. مُعْتَدِلَ المَاءِ[4]. وَلْيَكُنِ الحَجَّامُ خَفِيفَ الْيَدِ حَدِيدَ المُوسَى نَظِيفَ الثِّيَابِ قَلِيلَ الْفُضُولِ[5]. فَخَرَجَ مَلِيًّا. وَعَادَ بَطِيًّا[6]. وَقَالَ: قَدِ اخْتَرْتُهُ كَمَا رَسَمْتَ[7]. فَأَخَذْنَا إِلَى الحَمَّامِ السَّمْتَ[8] وَأَتَيْنَاهُ فَلَمْ نَرَ قَوَامَهُ[9]. لَكِنِّي دَخَلْتُهُ وَدَخَلَ عَلَى أَثَرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إِلَى

(١) الحجامة فى الاصل: مختصة بامتصاص الدم، والحجام المصاص، والمحجم والمحجمة – بوزان منبر ومكنسة: آلة الحجامة التى يجتمع فيها الدم عند المص والمحجم أيضاً المشرط الذى يتخذه الحجام، والفعل حجم – من بابى ضرب ونصر – : أى صنع ذلك ، واحتجم : طلب الحجامة ، ولكنها استعملت بعد ذلك فيما هو أعم من هذا ، ومن الحلاقة التى هى فى الاصل خاصة بقص الشعر، وهذا مراد البديع، ولعل منشأ هذا أن الذى يتولى الامرين واحد .

(٢) المراد أن يكون كبير المساحة لأن المكان الضيق تتأذى النفس منه .

(٣) البقعة : المكان الذى يستنقع فيه الماء .

(٤) أى : يكون وسطا بين البرودة والسخونة .

(٥) الفضول : فى الاصل جمع فضل وهو الزيادة والمراد الكلام الذى يزيد عن قدر الحاجة فى التفاهم .

(٦) مليا : أى قدراً طويلا من الزمن ، وقد فسر ذلك بما بعده .

(٧) أى : أننى فعلت الذى أمرتنى به وسرت على رغبتك .

(٨) السمت : الجهة، والمعنى أننا سرنا متجهين نحو الحمام لنقضى منه لبانتنا .

(٩) قوامه : القائم عليه الذى يراعى شؤونه والمراد صاحبه .

قِطْعَةِ طِينٍ فَلَطَّخ بِها جَبِينِى وَوضَعَها عَلَىَ رأْسِى. ثُم خَرَجَ وَدَخَلَ آخَرُ فَجَعلَ يَدْلِكنُى دَلْكاً يَكُدُّ الْعِظامَ(١) وَيَغْمِزُنى غَمْزاً يَهُدُّ الأوْصالَ(٢) وَيُصَفِّرُ صَفِيراً يَرُشُّ الْبزَاقَ(٣). ثُمَّ عَمَدَ إلىَ رأْسِى يَغْسِلُه. وَإلى المَاءِ يُرْسِلهُ(٤). وَمالَبِثَ أنْ دَخَلَ الأوَّلُ فَحَيَّا أخْدَعَ الثَّانى بَمضمُومةٍ قَعْقَعَتْ أنْيابَهُ(٥). وَقالَ : يَالُكَعُ مَالَكَ وَلِهذَا

(١) يكد : يتعب، والمعنى أنه كان يبالغ فى دلكه غير مراع أنه يتضرر منه ويتأذى به .

(٢) الاوصال : المفاصل ، ويهد : يكسر ، وتقول منه : هدنى هذا الامر ، وهد ركنى - إذا بلغ منك وكسرك قال النمر :

على فاجع هد العشيرة فقده   به أعلن الناعى الحديث المجمجما

وتقول أيضاً : هذا رجل هدك من رجل - اذا وصفته بالجلد والشدة - : أى غلبك وقهرك وكسرك، ومثله هذه امرأة هدتك من امرأة، ويقال فى هذين : هادك، وهادتك، والاول أكثر .

(٣) البصاق والبساق والبزاق - والكل بوزن غراب - : ماء الفم إذا خرج منه .

(٤) أرسل الماء : صبه . (٥) الاخدع : عرق فى العنق، قال الصمة بن عبد الله :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى   وجعت من الاعياء ليتا وأخدعا

والمضمومة: اليد إذا انطبقت أصابعها سميت بذلك لانضمام أجزائها إلى بعض والانياب جمع ناب وهو معروف وقعقعتها: جعلتها بحيث يسمع لها صوت لتضاربها والمعنى: أنه لم يمض وقت طويل منذ ابتدأ الرجل الثانى بدلكى حتى عاد الاول فوجده قد استأثر بى فضربه بجمع يده ضربه سمع لها اصطكاك فى أنيابه.

الرَّأْسِ وَهُوَ لى[1]. ثمَّ عَطَفَ الثَّانى عَلَى الأَوَّل بِمَجْمُوعةٍ هَتَكَتْ حِجَابَهُ[2] وَقَالَ: بَلْ هذَا الرَّأْسِ حَقِّى وَمِلْكِي وَفى يَدِى[3] ثُمَّ تَلاكَما حَتَّى عَيِيَا. وَتَحَاكَما لِما بَقِيا[4]. فأَتَيا صَاحِبَ الحَمَّامِ. فقالَ الأَوَّلُ: أنا صاحِبُ هذَا الرَّأْسِ. لأنى لَطَّخْتُ جَبِينَهُ وَوضَعْتُ عَلَيْهِ طينَهُ. وَقالَ الثَّانى: بَلْ أنَا مالِكُهُ لأنى دَلَكْتُ حامِلهُ. وَغَمَزْتُ مفَاصِلُه. فقَالَ الحَمَّامىُّ: ائْتُونِى بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أسْأَلهُ. أَلكَ هذَا الرَّأْسِ أمْ لهُ. فأَتَيَانى وَقالاَ لنَا عَنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ[5]. فَقُمْتُ

---

(١) المعنى : أى شئ سوغ لك أن تدلك صاحب ذلك الرأس وأنا الذى أستحق هذا لأننى أول من لقيه .

(٢) عطف عليه : أى حمل عليه وكر. والمجموعة : مثل المضمومة، وأراد من حجابه قوته لانها تحجب صاحبها عن انتهاك الناس لحرماته وتعديهم عليه، والمعنى أن هذه الضربة أضعفت قوته وهونت أمره .

(٣) أى : اذا كنت تدعى أن لك وحدك حق التصرف فيه بمجرد ملاقاتك له أولا ولطخك الطين عليه فان لى حقا هو آكد من حقك وهو أنه تحت حوزتى الآن وفى تصرفى . (٤) يقال للرجل إذا تعب من شئ وناله الاعياء منه : عى به ، والمعنى أنهما تضاربا ضرباً شديداً حتى أنهك كل واحد منهما الآخر وكاد الموت يدنو منهما ثم تراضيا على أن يرفعا أمرهما لمن يفصل بينهما . (٥) أى تحمل المشقة التى تلحقك فى السير لأداء هذه الشهادة أمام صاحب الحمام .

وَأتَيْتُ. شِئْتُ أمْ أبَيْتُ[1]. فقالَ الحَمَّامِيُّ: يَا رَجُلُ لا تَقُلْ غَيْرَ الصِّدْقِ. وَلا تَشْهَدْ بِغيرِ الحَقِ. وَقُلْ لى هذَا الرَّأْسِ لأيِّهِما. فَقُلْتُ: يَا عافَاكَ اللّهُ[2] هذَا رأْسِى قَدْ صَحِبَنى فى الطَّرِيق. وَطاف مَعى بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ[3]. وَمَا شَكَكْتُ أنَّه لِى. فَقَالَ لِى: اسْكتْ يا فُضُولىُّ. ثُمَّ مَالَ إلى أحَدِ الْخَصْمَينِ فقالَ: يا هذَا إلَى كْم هذه الْمنافَسَةُ مَعَ النَّاسِ. بِهذَا الرَّأْسِ. تَسَلَّ عَنْ قَلِيلِ خَطَرِه، إلى لَعْنَةِ اللّهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ[4]. وَهَبْ أنَّ هذَا الرَّأْسِ لَيْسَ، وَأنَّا لمْ نر هذَا التَّيْسَ[5]. قَالَ عيسَى بْنْ هِشَامٍ: فَقُمْتُ مِنْ ذلكَ الْمكانِ خَجلاً. وَلَبِسْتُ الثِّيابَ وجِلاً[6]. وانْسَلْلتُ مِنَ الحَمَّامِ عَجِلاً. وَسَبَبْتُ

(١) أى: أننى سرت الى الحمامى إن طائعا وان مكرها. (٢) عافاك الله : جملة المقصود منها الدعاء له بالعافية والسلامة، وفيها إشارة إلى أن الذى حل به مما يشبه السقم ولا يقل خطبه عن المرض .(٣) العتيق : أصله القديم، والمراد به الكعبة المكرمة سميت بذلك لقدم عهدها وفى التنزيل: (وليطوفوا بالبيت العتيق) .

(٤) الخطر: الشأن والمنزلة، أو هو الجعل وأصله الذى يجعل للسابق من الخيل فى الحلبة، والمعنى: هون على نفسك شأن هذا الرأس ولا تجعل له فى قلبك المنزلة التى تحملك على المنافسة واسل ذلك بالذهاب الى لعنه الله وناره الحامية فهو نهاية فى تفظيع حاله. (٥) خبر ليس محذوف أى ليس موجودا أو تجعل ليس بمعنى العدم والمعنى: أفرض هذا الرأس عدما لا وجود له.

(٦) الوجل : الخوف، ووجل صفة مشبهة منه معناها: خائف، والخجل انكسار فى النفس تظهر آثاره بحمرة الوجه ونحوها.

الغُلامَ بالعَضِّ والْمصِّ[1]. ودَقَقْتُهُ دقَّ الجِصِّ[2] وَقُلْتُ لآخَرَ: أَذْهَبْ فأتِنى بِحَجَّامٍ يَحُطُّ عنِّى هذَا الثِّقلَ فَجَاءَنى برَجُلٍ لطِيفَ الْبِنْيَةِ[3]. مَلِيحِ الحِلْيَةِ[4]. فى صُورَةِ الدُّمْيَةِ[5].

فَارْتَحْتُ إليْهِ. وَدخَلَ فقالَ: السَّلامُ عليْكَ ومِنْ أىِّ بَلدٍ أنْتَ؟ فقُلْتُ: مِنْ قُمَّ[6]. فقَالَ: حَيَّاكَ اللّهُ، مِنْ أرْضِ النِّعْمَةِ والرَّفاهَةِ[7] وبَلدِ السُّنَّةِ والجْماعَةِ[8]. ولقَدْ حَضَرْتُ فى شَهْرِ رمَضانَ جامِعَها وقَدْ أُشْعِلتْ فِيهِ المَصابِيحُ. وأُقِيمتِ الْترَاوِيحُ.

---

(١) فى الحديث: من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا، أى قولوا له عض هن أبيك، ومعنى سببته بالعض، قلت له ذلك: والمص أن يقول له: ياماص هن أمك. (٢) أى ضربته ضربا أليما. (٣) البنية: الجسم. وأصلها هيئة البناء سمى بها الجسم لانضمام بعض أجزائه الى البعض مثل تضام البناء.

(٤) الحلية: الشكل والصورة وربما أريد منها ما يتجمل به من ثياب ونحوه.

(٥) الدمية: الصورة من عاج أو رخام ونحوهما والجمع دمى كمدية ومدى تشبه بها الغيد الحسان ومنه قوله :

أقول دمى وهى الحسان الرعابيب .

(٦) بلدة من بلاد ايران. (٧) الرفاهة والرفاهية بتخفيف يائها والرفهنية كبلهنية رغد العيش ولينه وخصبه وهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه مستريح متنعم.

(٨) الجماعة كلمة كثر استعمالها عند علماء الشرع فى الفرقة التى تضم السواد الاعظم من المسلمين ويقابلها عندهم المعتزلة والجبرية وغيرهما .

فمَا شَعَرْنا إلاَّ بِمدِّ النِّيلِ. وَقَدْ أتَى عَلى تِلْكَ القَنادِيلِ [١]. لكنْ صَنَعَ اللّهُ لي بِخُفٍ قدْ كنْتُ لَبِستُهُ رطْبًا فَلمْ يَحْصُلْ طِرَازُهُ على كُمهِ[٢] وعَادَ الصَّبُِّى إلَى أُمهِ. بَعْدَ أنْ صلَّيْتُ الْعَتَمةَ وأعْتَدلَ الظِّلُّ[٣] ولكِنْ كَيفَ كانَ حَجُّكَ هَلْ قَضَيْت مَنَاسِكَهُ كَما وَجبَ. وصَاحُوا: الْعَجَبَ الْعَجَب[٤] فَنَظَرْتُ إلَى الْمَنَارَةِ. ومَا أهْوَنَ الْحربَ عَلَى النَّظَّارَةِ[٥]. وَوجَدْتُ الَهْرِيسَةَ على حالِها. وَعَلمْتُ أنَّ الأمْرَ بقَضَاءٍ منَ اللّهِ وقَدَرٍ. وَإلى مَتى هذَا الضَّجرُ. والْيَوْمُ وَغَدُ. والسَّبْتُ والأحَدُ. ولا أطِيلُ. وَما هذَا القالُ والقِيلُ؟ ولكنْ أحْبَبْتُ أنْ تَعْلَمَ إنَّ المَبَّردَ فِي النَّحْوِ حدِيدُ الْموسَى[٦] فَلاَ تَشْتَغِلْ بقَوْل

(١) الكلام هذيان وخرافة والا فالنيل بمصر .

(٢) ليس للخف طراز أى علامات ولا كم ولكنه يهرف .

(٣) أين صلاة العتمة أى العشاء من اعتدال الظل وهو يكون نهارا؟

(٤) مناسك الحج ما تكلفنا الشارع بادائه .

(٥) الجماعة يرقبونها من بعيد .

(٦) هذا ضرب من الهذيان أيضا وإن كان يصح أن يقال أن معنى كونه حديد الموسى فى النحو أنه سريع المضاء فيه قوى العارضة بين الحجة .. والمبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى نسبة الى ثمالة بن سلمة بن كعب بن الحرث بن كعب قبيلة من الازد صاحب كتاب الكامل والمقتضب والتعازى وغيرهما كان شيخ النحو والعربية وإليه انتهت الزعامة فيهما بعد =

الْعَامِةَ. فَلَوْ كانَتِ الإِسْتِطاعَةُ

= طبقة شيوخه كالجرمى والمازنى وكان من أهل البصرة . وتلقى عن أبى عمر الجرمى وأبى عثمان المازنى وأبى هاشم السجستانى وغيرهم من أهل العربية. وكان يعول على المازنى . ويقال أنه بدأ بقراءته كتاب سيبويه على الجرمى وختمه على المازنى ، وكان اسماعيل القاضى وهو أقدم مولدا منه يقول : ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه ، وأخذ عنه الصولى ونفطويه النحوى وآبو على الطومارى وجماعة كثيرة ، وكان حسن المحاضرة. مليح الاخبار . كثير النوادر ، وقال أبو سعيد السيرافى : سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : مارأيت أحسن جوابا من المبرد فى معانى القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم، وسمعته يقول : لقد فاتنى منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب ، قال السيرافى : وسمعت نفطويه يقول : ما رأيت أحفظ لاخبار بغير أسانيد منه ومن أبى العباس ابن الفرات، وقال أبو سعيد : وقد نظر فى كتاب سيبويه فى عصره جماعة لم يكن لهم كتناهيه مثل أبى زكوان القاسم بن اسماعيل ومثل أبى على بن زكوان ومثل أبى يعلى بن ابى ذرعة من أصحاب الحديث ومثل الطبرى ومثل أبى عثمان الاشناندانى وأبى بكر محمد بن اسماعيل المعروف بمبرمان وغيرهم، وقال أبو عبد الله المفجع : كان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم فتواضعنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها لننظر كيف يجيب ! وكنا قبل ذلك تمارينا فى عروض بيت الشاعر :

أيا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال قوم : من البحر الفلانى وقال آخرون : من البحر الفلانى فقطعناه وتردد على أفواهنا تقطيعه ومنه (ق بعضنا) فقلت له : أيدك الله تعالى، ما القبعض عند العرب؟ فقال : القطن ، يصدق ذلك قول الشاعر : =

= كان سنامها حشى القبعضا

قال : فقلت لاصحابى : ترون هذا الجواب والشاهد ؟ ان كان صحيحا فهو عجب ، وان كان اختلق الجواب فى الحال فهو أعجب !! وروى أن أبا العباس ثعلبا تحلف أبا العباس المبرد بكلام قبيح فبلغ ذلك المبرد فانشده :

رب من يعنيه حالى وهو لا يجرى ببالى

قلبه ملآن منى وفؤادى منه خالى

فلما بلغ ثعلبا ذلك لم يسمع منه بعد ذلك فى حقه كلمة قبيحة . وحكى أبو بكر ابن السراج عن محمد بن خلف قال : كان بين أبى العباس المبرد وأبى العباس ثعلب من المنافرة مالا خفاء به ولكن أهل التحصيل يفضلون المبرد على ثعلب وفى ذلك يقول احمد بن عبد السلام :

رأيت محمد بن يزيد يسمو الى الخيرات فى جاه وقدر

جليس خلائف وغذى ملك وأعلم من رأيت بكل أمر

وكان الشعر قد أودى فأحيا أبو العباس دائر كل شعر

وقالوا : ثعلب رجل عليم وأين النجم من شمس وبدر؟

وقالوا : ثعلب يفتى ويملى واين الثعلبان من الهزبر ؟

وروى أن بعض أكابر أولاد طاهر سأل أبا العباس ثعلبا أن يكتب له مصحفا على مذهب أهل التحقيق فكتب: (والضحى) بالياء، ومن مذهب الكوفيين أنه إذا كانت كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتبت بالياء وان كانت من ذوات الواو، والبصريون يكتبون جميع ذلك بالالف فنظر المبرد فى ذلك المصحف فقال: ينبغى أن يكتب (والضحا) بالألف لانه من ذوات الواو، فجمع أبو طاهر بينهما، فقال المبرد لثعلب: لم كتبت والضحى بالياء؟ فقال : لضمة أوله. فقال له: ولم =

= إذا ضم أوله وهو من نوات الواو تكتبه باليـاء فقـال: لان الضمة تشبـه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو، فقال أبو العباس المبرد: أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة؟ ولبعضهم فى مدح المبرد:

وأنت الذى يبلغ الوصف مـدحـه ... وان أطنب المداح فى كل مطنب

رأيتك والفتح بن خاقان راكبـا ... وأنت عديل الفتح فى كل موكب

وكـان أمير المؤمنـين اذا دنـا ... إليك يطيل الفكر بعـد التعجـب

وأوتيت علمـا لايحيـط بكنهـه ... علوم بنى الدنيا ولا علم ثعلـب

يـروح إليك النـاس حتى كانهـم ... ببابـك فى أعلى منى والمحصب

وقال الزجاج: لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره ـ وكنت أقرأ على أبى العباس ثعلب ـ فعـزمت على اعناته، فلمـا فـاتحتـه ألجمنى بـالحـجـة. وطالبنى بالعلة. والزمنى الزامات لم أهتـد إليها فـتيـقنت فضله واسترجـحت عقله وأخـذت فى ملازمته ولبعضهم فى مديحه أيضا:

واذا يقال: من الفتى كل الفتى ... والشيـخ الكهل الكريم العنصر؟

والمسـتضـاء بعلمـه وبـرأيـه ... وبعقله؟ قلـت : ابن عبـد الاكبر

قال أبو العباس بن عمارة: صحف محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الروضه فى قـوله : حبيب بن خـدرة، فقـال: حبيب بن جـدرة، وفى ربعى بن حـراش فقـال: حراس، وصنف كتبا كثيرة ومن أكبرها كتاب المقتضب وهو نفيس إلا أنه قلما يشتغل به أو ينتفع به. قال أبو على: نظرت فى كتاب المقتضب فما انتفعت منه بشىء وإلا بمسألة واحدة وهى وقوع إذا جوابا للشـرط فى قـوله تعـالى: (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون).

قال أبو البركات بن الانبارى: وكان السر فى عدم الانتفا ع به أن أبـا العباس=

قَبْلَ الْفعْلِ لَكُنْتُ قَدْ حَلقْتُ رَأْسَكَ[1]. فَهَلْ تَرَى أنْ نَبْتَدِيءَ؟
قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبِقيتُ مُتَحَيراً مِنْ بَيانهِ فى هَذَيانه.

= لما صنف هذا الكتاب أخذه عنه ابن الراوندى المشهور بالزندقة وفساد الاعتقاد وأخذه الناس من يد ابن الراوندى وكتبوه منه فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع منه أحد . وقال أبو بكر بن السراج: كان مولد المبرد سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٥ ولذلك قال محمد بن العباس: قرأ على بن المنادى وأنا اسمع مات محمد يزيد المبرد فى شوال سنة ٢٨٥ فى خلافة المعتضد بالله تعالى . ولثعلب فى المبرد حين مات :

ذهب المبرد وانتهت أيامه ... وليذهبن مع المبرد ثعلب
بيت من الآداب أضحى نصفه ... خربا وباقى النصف منه سيخرب
فتزودوا من ثعلب فبكأس ما ... شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه ... ان كانت الانفاس مما يكتب

(١) هذه إحدى مسائل علم الكلام وقد تقدم كثير منها فى المقامة المارستانية وبيانها أنه قد وقع خلاف بين الأشاعرة وغيرهم فى هل الاستطاعة ــ وهى القدرة على الفعل وإحداث المراد ــ أمر يوجد فى المستطيع قبل العمل ومتى اتجهت إرادته إليه وتعلقت به أوجده أو هى أمر لا يوجد فى المستطيع إلا مقارنا للفعل وحين تتجه الإرادة لإنجازه يخلقه الله مع الفعل نفسه، والحجام المعتوه يؤيد الرأى الثانى الذى يقول أن الاستطاعة والفعل يخلقان معا ويستدل على ذلك بأنه لو ثبت حقيقة أن الاستطاعة توجد قبله ومتى توجهت الإرادة إليه حصل لكان توجه إرادته إلى حلق رأسه كافيا فى حلقها وإيضاح ذلك أنه يلزم عليه أن تكون الاستطاعة مؤثرة بنفسها فى الفعل غاية ما هناك أنها لاتؤثر قبل تسلط الإرادة عليه.

وَخَشيتُ أنْ يَطُولَ مَجْلِسُهُ فُقْلتُ: إلى غَدٍ إنْ شاءَ اللّهُ . وَسألْتُ عَنْهُ منْ حَضَرَ فقالوا: هذَا رَجُلٌ منْ بِلاَدِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ لمْ يُوَافقْهُ هذَا المَاءُ. فَغلَبَتْ عَليْهِ السَّوْدَاءُ. وَهُوَ طُولَ النَّهارِ يَهْذِى كَما تَرَى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ. فقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَعَزَّ علَيَّ جُنُونُهُ. وَانْشأْتُ أَقُولُ:

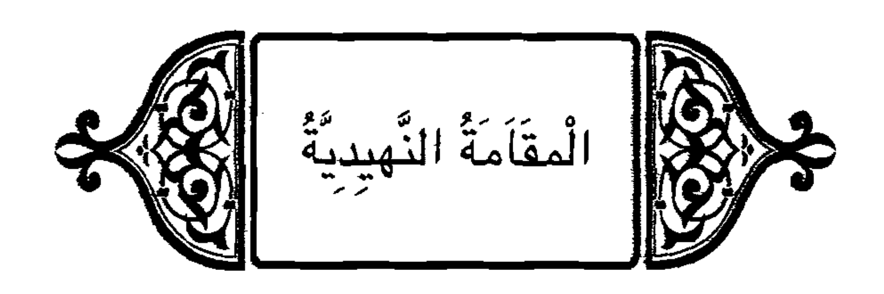
أنَا أُعْطِي اللّهَ عَهْداً ... مُحَكَماً فى النَّذْرِ عَقْداً[1]

لا حلَقتُ الرَّأسَ مَا ... عِشْتُ وَلَوْ لاقَيتُ جُهَداً[2]

---

(١) عقدا : أى واجب النفاذ وفى الكتاب العزيز : (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان) أى نويتموه ولم تطلقوه عفواً.

(٢) الجهد. التعب، والمعنى أننى عزمت عزيمة أكيدة وانتويت نية لا أخلفها وأقسمت يمينا لا أحنث فيه أني لا أحلق رأسى ولا استدعى حجاما يكون شأنه معى هكذا مهما كلفنى عدم استدعائه من المشقة وحملنى من العناء ومهما لقيت فى سبيل انفاذ هذا العزم من نصب واجهاد.



الْمقَامَةُ النَّهِيدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: مِلْتُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِى إلى فَنَاءِ خَيْمَةٍ أَلْتَمِسُ القِرى مِنْ أَهْلِها(١) فَخَرَجَ إلَيْنا رَجُلٌ حُزُقَّةٌ(٢) فقَالَ: مَنْ أَنْتمْ؟ فقُلْنا: أَضْيافٌ لمْ يَذُوقُوا مُنْذُ ثَلاثٍ عَدُوفًا(٣) (قالَ) فَتَنحْنَحَ ثُمَّ قالَ: فمَا رَأْيُكُمْ يا فَتْيانُ فى نَهِيدَةٍ فِرْقٍ كَهامَةِ الأَصْلَعِ فى جَفْنَةٍ رَوْحاءَ(٤) مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَكْتارِ جَبَّارٍ

(١) الخيمة معروفة وفناؤها المكان المتسع يمتد بجانبها، وألتمس: أطلب والقرى: الضيافة والنفر ـ بوزان بلح وتمر، ومثله النفير والنفرة كتمرة الجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة، والمعنى أننى قصدت خيمة ومعى جماعة من الناس من أخلائى أطلب الضيافة من أهلها لى ولهم. (٢) حزقة بضمتين، أو بفتح فضم، ثم قاف مشددة مفتوحة: الرجل العظيم البطن مع قصر أو هو القصير. (٣) يقال: ماذقنا عدوفا ولا عدوفة ولاعدفا ويحرك ولا عدافا كغراب أى ماطعمنا شيئا ومنه قيل. دابة بلا عدوف أى علف. والمراد شكاية الحال واظهار شدة الحاجة إلى الطعام. (٤) النهيدة: الزبدة، والفرق القطيع من الغنم العظيم ومن البقر أو هو خاص بقطيع الغنم وإضافة النهيدة إليه لانها منه وهامة الأصلع: رأس الرجل الذى لاشعر له، وجفنة روحاء: متسعة، وأراد من =

رَبُوضٍ[1] الْواحِدَةُ مِنها تَمْلأُ الْفَمَ[2] مِنْ جَماعَةٍ خُمْصٍ عُطْشٍ خِمْسٍ يَغِيبُ فِيهَا الضِّرْسُ[3] كَأَنَّ نَوَاها أَلْسُنُ الطَّيْرِ[4] يَجْحَفُونَ

= تشبيه الزبدة برأس الاصلع وصفها بالنقاء والضخامة لان رأس الاصلع نقية من الشعر نظيفة ويغلب على الصلع ضخم الرأس وعظمها والمعنى: ما رأيكم فى أن أحضر اليكم زبدة كانها رأس الاصلع ضخامة ونقاء قد اتخذت من لبن الغنم فى قصعة واسعة وكنى بسعة القصعة عن كثرة المقدار الذى سيحضره لهم.

(١) مكللة: أى جعل على جوانبها شىء من العجوة وهى التمر وخيبر مدينة تقرب من مدينة الرسول ﷺ كانت تسكنها اليهود ثم افتتحها المسلمون وتجلت شجاعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه بأجلى معانيها يوم فتحها، والاكتار جمع كتر وأصله السنام المرتفع وأراد منه عذق النخلة تشبيها له بالسنام والجبار النخلة العظيمة والربوض الواسعة الاقطار والمعنى أننى أضع لكم أيضا على جوانب هذه القصعة الممتلئة من الزبدة أجود أنوا ع التمر وأفضلها لتسيغوا أكلها وتستمرئوا طعمها.(٢) المعنى. أن التمرة الواحدة من العجوة التى سأحضرها لكم لسمنها وعظم ضخامتها تملا الفم وليس الفم مطلقا بل فم جماعة صفتهم كيت وكيت.(٣) الخمص الجيا ع وفى الحديث: (تغدو خماصا) والخمصة ـ بفتح الخاء ـ : المرة من الجوع. يقال الجوع ـ من باب نصر ـ: أصابه وأخلى بطنه والعطش العطاش والخمس تأكيد له وهو من صفات الابل أن تمنع الورود ثلاثة أيام ثم ترد فى الرابع ويغيب فيها الضرس: لسمنها وكونها طرية سائغة. (٤) السن الطير صغيرة وإذا كانت التمرة كبيرة ونواتها صغيرة كان أكثرها غذاء فالعبارة كناية عن ذلك يقول: ليس عظمها ولا =

فيها النَّهِيدَةَ[1] مَعَ أقْعُبٍ قَدْ احْتُلِبْنَ مِنَ الْجِلادِ الْهَرْمِيَّةِ الرَّبْلِيَّةِ[2] أتَشتَهُونَها يا فِتْيانُ؟ فقُلْنا: إى وَاللّه نَشْتَهِيهَا[3] فَقَهقَه الشَّيْخُ وَقالَ: وَعَمُّكُمْ أيْضًا يشتَهِيهَا ثُمَّ قالَ: فَما رَأْيُكَمْ يا فِتْيانُ فى دَرْمَكٍ كأَنَّهَا قِطَعُ السَّبائِكِ[4] تُجَرْ ثِمُ على سُفْرَةٍ حَرْتِيَّةٍ بِها رِيحُ

= ضخامتها ناجما عن كبر النواة بل أن معظمها وأكبر ما فيها جسم يؤكل.

(١) يحفون : يغرقون، والضمير فى (فيها) للتمرة. ويقال : أنه ليحف الزبد بالتمر. وقال جرير:

ودعا الزبير فما تحركت الحبى   لو سمتهم جحف الخزير لثاروا

والخزير والخزيرة: لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهى حريرة واذا كان من نخالة فهى خزيرة والمعنى أنكم تطعمون الزبدة بالتمر وذلك أشهى وأحسن. (٢) الاقعب جمع قعب وهو وعاء اللبن، والجلاد الابل الكثيرات الدر والهرمية والربلية نسبتان إلى الهرم والربل بفتحهما، والهرم نبت أو شجر أو هو البقلة الحمقاء وابل هوارم تأكلها فتبيض عثانينها منها، والربل ضرب من الشجر يتفطر فى آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر وتربل أكله والمعنى: أننى آنى لكم مع ما أسلفت بأقعب مملوءة من ألبان الابل التى كانت أكلت الهرم والرمل فغزر لبنها وسمن، والمراد التكنية عن سمن اللبن وغزارته. (٣) أى أنه بعد أن وصف لنا الوصف الذى يبعث الشوق ويزيد الرغبة سألنا عما إذا كنا نريد أن نأكل منه فما أجبناه الا بالذى يدل على الطلب ولكنه ما زاد على أن ضحك وذكر أنه يود أن يطعم معنا.

(٤) الدرمك لباب الدقيق والسبائك: القطع من الفضة ونحوها، جمع سبيكة.

القَرَظِ[١] فَيَثِبُ إلَيْها مِنْكُمْ فَتى رفَيِفٌ. لَبِقٌ خَفَيِفٌ[٢] فَيَعْجِنُهُ مِنْ غَيْرِ أن يَرْجُفَهُ أوْ يَخْشِفَهُ فَيُزِيلُه دَونَ مَلْكٍ ناعِمٍ ثُمَّ يَلُتُّهُ بالسُّمارِ أوِ الْمذْقِ لَتَّا غَزِيراً[٣] ثُمَّ يَعْمَدُ إلَيْهِ فَيلْوِيهِ وَيَدَعُهُ فى ناحِيَةِ الصَّيْدَاءِ حَتَّى إذَاتَخَّ مِنْ غَيْرِ أنْ يَتْرُزَ عَمَدَ إلى قَصِدَ الْغَضَا[٤]

(١) تجرثم: تجتمع، والسفرة: الجلدة التى توضع تحت الخوان ليتقى عليها فتات المائدة، وحرتيه نسبة الى الحرت وأصله قطع الشىء مستديرا ودلكه وأراد الذى بولغ فى العناية به، والقرظ: ثمر يدبغ به والمعنى أن رائحة الدبا غ لا تزال عالقة به كناية عن جدتها. (٢) يثب: يظفر، والمراد يقوم، رفيف: حسن الخلق، ولبق حاذق وخفيف: أى سريع الحركة نشيط . والمعنى: ماذا تقولون إذا أحضرت لكم خالص الدقيق ولبابه وجيئتكم بسفرة مستديرة لا تزال علائم الجدة بادية عليها ووضعت فوقها ذلك الدقيق فيقوم منكم فتى خفيف اليد سريع الحركة كثير النشاط حاذق جميل ليقوم لكم بعمله. يرجفه أى يحركه بعنف وأصله الرجفة وهي الحركة الشديدة ومنه سميت القيامة: راجفة. ويخشفه يسىء صنعه بوضع ماء كثير يجعله قطعا كمخشوف الرأس أى مفضوخها. (٣) يلته: يخلطه ولت السويق، ومثله الجدح، أن يحرك السويق بالماء أو اللبن ونحوهما ويحرك حتى يستوى ، وربما حرك بخشبة مجنحة الرأس لها ثلاث شعب وتسمى: المجدح ، والسمار اللبن الحليب إذا خلط بالماء والمذق اللبن الحامض إذا صنع به ذلك قال: جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط. (٤) الصيداء: الأرض الغليظة أو الحجارة التي تصنع منها القدور والمراد أن يكون على أرض تظهر فيها الحرارة مع جودة الهواء، وتخ ظهرت فيه الحموضة ويترز أى ييبس ويشتد وقصد الغضا أغصانه والغضا شجر كثير اللهب شديد النار يضرب به المثل فى ذلك .

فَأَشْعَلَ فيهِ النَّارَ فَلَمَّا خَبَتْ نارُهُ[١] مهَّدَ لِقُرْمُوصِهِ[٢] ثُمَّ عَمَدَ إلى عَجِينِهِ ففَرْطَحَهُ بَعْدَما أنْعَمَ تَلْوِيثَهُ ثُمَّ دَحَا بهِ عَلَيْهَا ثُمَّ خَمَّرَهُ[٣] فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أحالَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّضْفِ ما يَلْتَقى بِهِ الأُوَارَانِ[٤] حَتَّى إذَا غَطَّاهُما عَلَى المَلَّةِ المُشاكِهَةِ بِطَبَقٍ وتَفَلَّجَ شِقَاقًا[٥]. وَحكى قِشْرُهَا رِقاقًا. وَاحمِرَارُها احْمِرَارَ بُسْرِ الْحِجازِ الْمَشْهُورِ بأُمِّ الْجِرْذَانِ أوْ عِذْقِ بِنْ طابٍ شُنَّ عَلَيْهَا ضَرَبُ بَيْضاءُ[٦] كالثَّلْجِ إلى أوَانِ رُسُوخِها فى خِلالِ الدِّهانِ وَيَشْرَبُ لُبُّ الدَّرْمَكِ ما عَلَيْهِ

(١) خبت النار: سكنت (٢) مهد: هيأ، القرموص بضم أوله ومثله القرمص والقرماص بكسرهما: موضع خبز الملة وهى الرماد الحار والجمر،والمعنى هيأ مكانا ليكون قرموصا يخبز فيه. (٣) فرطحه: عرضه ليتسع، واللويث: الدقيق يذر على الخوان تحت العجين، ولوث: فعل منه أى وضع اللويث، وأنعم: صيره ناعما، وقال الأستاذ الإمام فى بيان ذلك المعنى كلاما لا يفهم ولا يلتقى بالموضوع، ودحا: بسط، والباء في به للتعدية، والضمير فى عليها للنار، والمعنى وضعه فيها وخمره: غطاه. (٤) قف: يبس وجف، وقب: ارتفع، والرضف الحجارة المحماة والأوار: النار، والتقاء الأوارين: تقابلهما،والمقصود بهما النار الأولى من تحته ونار الرضف من فوقه.

(٥) الملة بالفتح الجمر، والمشاكهة: المشابهة قال زهير وشاكهت فيها الظباء، وتفلج: تشقق . (٦) البسر: التمر قبل أن تسير رطبا، وأم الجرذان: نوع منه مشهور، وعذق بن طاب: نخل بالمدينة ورش عليها: صب ، والضرب العسل .

مِنَ الضَّـرَبِ قُـدِّمَتْ إلَيْكُمْ فَـتَلْقَـمُـونهَـا لَقْمِ جُـوَيْنٍ أوْ زَنْكَلٍ[1]. أفَتَشْـتَهُونَهَا يا فِتْيـانُ ؟ (قـالَ) فـاشْرَأَبَّ كُلٌّ مِنَّا إلى وَصْفِهِ[2]. وتَحلَّبَ رِيقُهُ[3]. وتَلَمَّظَ[4]. وتَمطَّقَ[5]. قُلْنا : إِى واللهِ نَشْـتَهِيـهـا . قالَ : فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وقَالَ : وَعَمُّكُمْ واللهِ لا يُبغِضُها ثمَّ قالَ : ما رَأْيُكُمْ يا فِيْتانُ فى عَنَاقٍ نَجْدِيَّةٍ . عُلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ[6]. وقَدْ أَكَلَتِ الْبَرَمَ والشِّيخَ النَّجْدِيَّ والْقَيْصُومَ وَالْهَشِيمَ[7]. وَتَبَرَّضَتِ الْحَمِيمَ.

---

(١) جوين بصيغة المصغر وزنكل بوزن جعفر : رجلان شديدا النهم كثيرا الأكل.

(٢) أى مد عنقه متطلعا راجيا تحقيق وصفه .

(٣) أى سال لعابه .

(٤) أى جرى ريقه فأخرج لسانه ليمسح به شفتيه .

(٥) المعنى ضرب لسانه فى أعلا فمه وأسفله .

(٦) العنـاق بفتح أوله : الانثـى من المعز نجدية : منسوبة إلى نجد وهو قسم من بلاد العرب ، وعلوية : المنسوبة إلى العالية وهى أرض بين نجد وتهامة إلى ما وراء مكة ، والبرية : المنسوبة إلى البر، والمراد أنها ليست مما يربى فى البيوت.

(٧) البرم بفتحتين : ثمر الاراك أو الغضا. والشيح : شجر معروف والقيصوم : نبات طيب الرائحة ، والهشيم : المتكسر من النبات اليابس .

وتملأت من القصيص[1]. فورى مُخُّها وزهَمتْ كُشْيتُها[2]. تُشْحطُ مُعْتبَطةً ثُمَّ تُنكُس فىِ وطَيسٍ حَتَّى تَنْضَجَ مِنْ غيرِ امتحَاسٍ أوْ إنْهَاءٍ ثُمَّ تُقَدَّمُ إليكُمْ وقَدْ عُطَّ إهَابُهَا عنْ شَحْمةٍ بيضَاءَ علىَ خُوانٍ مُنَضَّدٍ بِصلائِقَ كأنَّهَا القَبَاطِيُ المُنْشَّرُ. أو القُوهِيُّ المُمَصَّر. قَدِ احْتَفَّتّهَا نُقراتُ فيِها صنابُ وأصْبَاغُ شَتَّى. فتُوضَعُ بينكُمْ تُهَادرُ عَرقًا. وتسَايلُ مَرقًا. أفتَشْتَهُونَهَا يَافتيَانُ. قُلنَا : إى واللّه نشْتَهيِهَا. قالَ : وعَمُّكُمْ واللّه يرْقُصُ لهًا. فوَثَبَ بَعْضُنَا إليْهِ بِالسَّيْفِ وقَالَ : مَا يكْفِى مَا بِنَا منَ الدَّقْعِ حتَّى تسْخَرَ بنَا. فَأَتتْنَا ابنتُهُ بطَبَقٍ عليْهِ جلْفَةٌ.

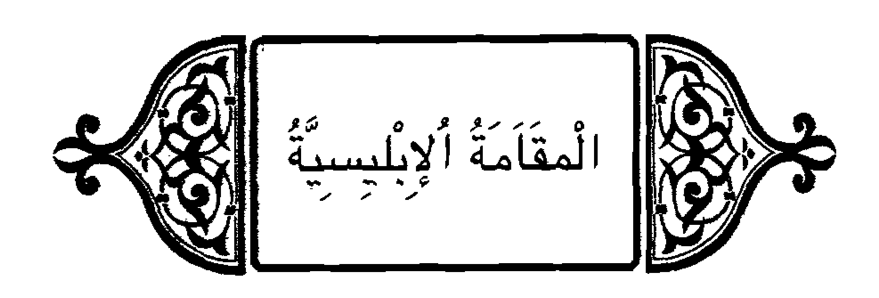
---

(١) الحميم : الماء البارد وتبرضته : شربت منه ، والقصيص : نبات يكون فى أصول الكمأة وتملأت منه : امتلا جوفها ، وشاة مليء : فى بطنها ماء وأغراس كثير فتحسبها حاملا .

(٢) ورى مخها : كثر من قولهم : ورت الأبل إذا سمنت ، وزهم بوزن فرح : سمن ودسم ، والكشية أصلها شحمة بطن .

وحُثَالُة ولوِيَّةٌ . وأكــرمَتْ مـثوانا[1] فانصَرفنا لها حامدينَ ولهُ ذامِّينَ .

(١) مثوانا : إقامتنا ، وفى التنزيل (أكرمى مثواه) . والمعنى أنها كانت خيرا من أبيها حيث أحسنت إلينا فى حين أنه أساءنا ولذلك غادرناها وألسنتنا رطبة بالثناء عليها وشكران صنيعها .



الْمقَامَةُ الإِبْلِيسِيَّةُ

حدَّثَنا عيسى بنُ هشامٍ قال : أضللتُ إبلاً لى فخرجتُ فى طلبها[1] فحللتُ بوادٍ خضر[2] فإذا أنهارٌ مُصرَّدَةٌ[3] وأشجارٌ باسقةٌ[4] وأثمارٌ يانعةٌ[5] وأزهارٌ منوِّرَةٌ[6] وأنماطٌ مبْسوطهٌ[7] وإذا شيخ جالسٌ فراعَنى منهُ ما يُروعُ الوحيدَ منْ مثلهِ فقالَ[8] : لا

---

(١) يقال : أضل فلان البعير والفرس ونحوهما إذا ذهبا عنه فلم يعرف لهما مكانا مثله ضلهما ، والمعنى أنه تفقد إبله فلم يجدها فذهب يبحث عنها .

(٢) الوادى مفرج بين جبال أو تلال أو آكام وجمعه أودية وأوداء وأوداة وأوداية، وخضر أى أخضر وذلك كناية عن كثرة نباته وأعشيشاب أرضه .

(٣) إنها مطردة : جارية .

(٤) باسقة مرتفعة وفى التنزيل (والنخل باسقات) .

(٥) ينع الثمر كمنع وضرب ينعا وينعا (بفتح أوله وضمه) وينوعا بالضم حان قطوفه ومثله أينع . (٦) أى زاهية .

(٧) الانماط : جمع نمط وهو البساط ومبسوطة : مفروشة .

(٨) راعه يروعه أفزعه وأخافه ، والمعنى أننى خشيت منه وأخذنى الرعب .

بأسَ عليْكَ[1] فسلمتُ عليهِ وأَمَرنى بالجلوسِ فامتثلتُ . وسألنى عن حالى فأَخْبَرْتُ فقالَ لى : أصبْت دالَّتَكَ[2] . ووجدْتَ ضالَّتَكَ. فهلْ ترْوى منْ أشعار العرب شيئًا ، قلتُ : نَعمْ . فأنشدْتُ لامرىءِ القيسِ[3] .

---

(١) البأس : الشدة ، ولا بأس عليك : كلمة معناها لا يلحقك مكروه ولا ينزل بك ألم . والمعنى أنه هدأ روعى وسكن جأشى .

(٢) الدال الذى يدلك على فقد منك ويهديك إليه والتاء فيه للمبالغة .

(٣) هو أبو الحرث حندج بن حجر الكندى رأس الشعراء فى الجاهلية ، والمبرز فى حلبتهم ، وقائدهم إلى التفنن فى أبواب الشعر وضروبه ، وآباؤه من أشراف كندة وملوكها ، وأمه فاطمة بنت أبى ربيعة أخت مهلهل وكليب التغلبيين ، وكانت بنو أسد من المضرية خاضعة لملوك كندة وآخر ملك عليها هو حجر ابو امرىء القيس .. وقد نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بنى أسد ، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان. وزاد على ذلك أنه انفق وقته فى التشبيب بالنساء والخروج فى ذلك إلى حد الصراحة فى الفحش منصرفا عما يأخذ به أمثاله أنفسهم من الاعتداد للملك وقيادة الشجعان فمقته أبوه لذلك وزجره عن اللهو والتشبيب بالنساء ولما لم ينجح فيه القول طرده عنه وأقصاه فالتف عليه بعض صعاليك العرب وذؤبانهم وشذاذهم ينزلون المياه ويذبحون ويشربون ويطربون وتغنيهم القيان . وأنه لكذلك فى =

= إحدى نزلاته بأرض (دمون) يشرب ويلعب النرد مع رفاقه إذا جاءه نبأ ثوران بني أسد على أبيه وقتلهم له لأنه كان يعسف في حكمه لهم ويشتد عليهم في الاتاوة التي يؤدونها إليه فلم ينزعج امرؤ القيس خشية أن ينغص على رفاقه عيشهم ثم قال : (ضيعنى صغيرا ، وحملنى ثأره كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا أمر) ثم أخذ يجمع العدّة ، ويستنجد القبائل في إدراك ثأره فكان يجيبه بعضها ويعتذر بعضها فنازل بني أسد وقتل منهم كثيرا ولم يشف ذلك من غلته ، وكانت في نفس المنذر (أحد ملوك الحيرة) موجدة على آل امرىء القيس لأن الحارث جد امرىء القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النيابة عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ (وهو أبو كسرى أنوشروان) فألب المنذر على امرىء القيس العرب، من أياد ، وبهراء ، وتنوخ ، وأمده كسرى أنوشروان بن قباذ بجيش من الأساوره لرضاه عن آل المنذر فلم يكن لامرىء القيس به طاقة وتفرق عنه أصحابه فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد واحدة وتقع من أجله حروب عديدة حتى نزل على السموءل بن عادياء اليهودى فأودعه ابنته ودروعه وسلاحه وطلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغسانى بالشام ليوصله إلى قيصر ، فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين جلهم من شيعة المناذرة وأتباعهم المستظلين بحماية الفرس أعداء الروم فأمده قيصر بجيش لم يخرج عن بلاد الروم حتى بدا له فاسترجع الجيش ، وقفل امرؤ القيس راجعاً ، واشتد به في طريقه علة قروح فمات منها ودفن بأنقرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن. =

= ويعتبر امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية والمقدم فى الطبقة الأولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم وهو - وإن كان راوية أبى دؤاد الأيادى وخاله المهلهل - لم يسبقه على مبلغ علمنا إلى طرق كثيرة من أبواب الشعر والإفاضة فيه أحد ، فهو أول من أجاد القول فى استيقاف الصحب ، وبكاء الدار . وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض ، وفى وصف الخيل بقيد الأوابد ، وترقيق النسيب ، وتقريب مأخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك ، ويغلب على شعره التشبيب والوصف أيام صبوته ، وبث الشكوى وتنكر الخلان زمن محنته ، وقد يفحش فى تشبيه النساء وتحدثه عنهن ، ويشم من شعره رائحة النبل ، وتلمح فيه شارات السيادة والملك من ذلك قوله :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

وقوله :

وظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

وقوله :

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وشعره - وان اشتمل بشملة البداوة فى جفاء العبارة وخشونة الألفاظ وتجهم المعانى - تراه يخطر أحيانا فى حلل من حسن الديباجة وبديع المعنى ودقة النسيب ومقاربة الوصف وسهولة المأخذ، مما كان منه لخلفه أجمل مثل حاكوه فى ترقيق شعرهم وحسن تأتيهم فى تصوير معانيه فمن النوع الأول قوله فى =

= وصف محبوبته :

واذ هى تمشى كمشى النزيـ ف يصرعه بالكثيب البهـر
بـرهـــرهـــة رودة رخصـــة كخرعوبة البانـة المنفطـر

وقوله فى معلقته :

وفرع يغشـى المتن أسود فاحم أثيـث كقنـــو النخلـــة المتعثكـل
غدائره مستشزرات لى العـــلا تضل العقاص فى مثنى ومرســل
وكشح لطيف كالجديل مخصر وســـاق كأنبــوب الســقى المــذلل
وتعطو برخص غير شثن كـأنه أسـاريع ظبى أو مسـاويك أسـحل

ومن النوع الثانى قوله :

كأن عيون الوحش – حول خبائنا وأرحلنا – الجزع الذى لم يثقب

وقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقوله :

أغرك منى إن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

ومن شعره السائر مسيرة الأمثال قوله :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه بخزان

وقوله :

وَعَبِيدٍ(١)

فأنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ، ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله :

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

(١) عبيد : هو عبيد (بفتح العين وكسر الباء الموحدة) بن الابرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر الاسدى الشاعر من فحول شعراء الجاهلية . عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة التميمى وعدى بن زيد العبادى . قال : وعبيد بن الابرص قديم عظيم الشهرة وشعره مطرب ذاهب لا أعرف منه إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

قال : ولا أدرى ما بعد ذلك . وقال الجاحظ : أن عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما فى يد الناس فقط ، وقد أشار أبو العلاء المعرى إلى اختلال بائية عبيد بقوله :

وقد يخطىء الرأى امرؤ وهو حازم كما اختل فى نظم القريض عبيد

ويذكرون أن سبب قوله للشعر أنه كان محتاجا ولم يكن له مال فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من بنى مالك بن ثعلبة وجبهه (أى قابله بما يكره) فانطلق حزينا مهموما للذى صنع به المالكى حتى =

ولبيدٍ [1]

= اتى شجيرات فاستظل تحتهن فنام هو وأخته . فيزعمون أن المالكى نظر إليه - واخته إلى جنبه - فقال :

ذاك عبيد قد أصاب ميا   يا ليته القحها صبيا

فحملت فولدت ضاويا

(ضاويا) : أى ضعيفا ، والعرب تزعم أن زواج القرائب يضعف الولد ، فسمعه عبيد فرفع يديه ثم ابتهل فقال : اللهم إن كان فلان ظلمنى فادلنى منه وانصرنى عليه ووضع رأسه فنام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فأتاه آت فى المنام بكبة من شعر حتى القاها فى فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ويتغنى ببنى مالك ، وكان يقال لهم : بنو الزينة :

أيابنى الزنية ما غركم ؟ !   فلكم الويل بسربال حجر

ثم استمر بعد ذلك فى الشعر وكان شاعر بنى أسد غير مدافع وأدرك حجرا ابا امرىء القيس .

(١) لبيد : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى ، أحد أشراف الشعراء المجيدين، والقواد الفرسان المعمرين ، والاجواد العريقين ، والحكماء المحنكين ، وهو من بنى عامر بن صعصعة أحد بطون هوزان من مضر، وأمه عبسية . نشأ لبيد جوادا ، شجاعا ، فاتكا . فاما الجود فقد ورثه عن أبيه الملقب : (بربيعة =

= المعترين) ، وأما الشجاعة والفتك فهما خصتا قبيلته إذ كان عمه ملاعب الاسنة أحد فرسان مضر فى الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين عبس أخواله عداوة شديدة فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسيين الربيع بن زياد، وعلى العامريين ملاعب الاسنة ، وكان الربيع مقربا عند النعمان يؤاكله وينادمه فأوغر صدره على العامريين وعدد معايبهم ومخازيهم . فلما دخل وفدهم على النعمان غض منه وأعرض عنه فشق ذلك عليهم وخرجوا غضابا يتذاكرون فى أمرهم مع الملك ، ولبيد يومئذ صغير يسرح إبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم، فاحتقروه لصغره فألح عليهم والحف فى مسألتهم حتى أشركوه معهم فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غدا عند النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله : فكان ذلك ومقت النعمان الربيع ، ولم يقبل له عذرا ، ولم يجتمع به بعد ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم . فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات ، وشهد له النابغة وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته التى أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

ومن حوادث فتكه : أن الحارث الاعرج الغسانى أرسل مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ليغتالوا المنذر بن ماء السماء فذهبوا إليه وأظهروا أنهم أتوه داخلين فى طاعته ، فأدناهم إليه ، ولما صادفوا منه غرة قتلوه . وهربوا ، فتبعهم جنود المنذر وقتلوا كثيرا منهم وفر الباقى وفيهم لبيد . ولما ظهر الاسلام =

= وأقبلت وفود العرب على النبى صلى الله عليه وسلم جاء لبيد فى وفد بنى عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر حتى لم يرو له بعد الاسلام غير بيت واحد قيل هو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقيل : لا . بل قوله :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وبعد أن فتحت الامصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها دار إقامة . ومن أحاديث جوده أنه نذر فى الجاهلية (ألا تهب الصبا إلا أطعم) وألزم نلك نفسه فى الاسلام ، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة ، فهبت الصبا والوليد بن عقبة والى الكوفة على المنبر ، ولبيد يومئذ قليل المال ، فحرض فى خطبته الناس أن يعينوه على مروئته ففعلوا وبعث إليهم هو مائة بكرة فشكرته ابنة لبيد عن أبيها على ذلك بشعر جميل ، ومازال بالكوفة حتى مات فى أوائل خلافة معاوية سنة ٤١ هـ وقد قيل انه عاش ١٣٠ سنة .

وقال لبيد الشعر ونبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الاشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يجعله مورد كسب ولذلك ترى فى شعره ولا سيما معلقته نبالة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيل، ويشابه علو همته جزالة لفظهٍ ، وفخامة عبارته ، ورقة معانيه ، وشرف مقاصده وقلة اللغو فى لفظه ، وكثرة اشتماله على عقائد الإيمان ، والحكمة الصادقة، =

= والموعظة الحسنة . وقد شهد له النبى صلوات الله وسلامه عليه بقوله : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد (ألا كل شىء ما خلا الله باطل) .

ومن جيد شعره قوله فى معلقته مفتخرا :

إنا اذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جشامها

ومقسم يعطى العشيرة حقها ... ومنذ مر لحقوقها هضامها

فضلا ونو كرم يعين على الندا ... سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة وامامها

لايطبعون ولا يبور فعالهم ... اذ لا تميل مع الهوى احلامها

فاقنع بما قسم المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها

وإذا الامانة قسمت فى معشر ... أوفى بأوفر حظنا قسامها

وقال يرثى النعمان :

الا تسألان المرء ماذا يحاول ... انحب فيقضى ام ضلال وباطل

أرى الناس لايدرون ما قدر أمرهم ... بلى كل ذى لب إلى الله واسل

الا كل شئ ماخلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقال يرثى أخاه أربد :

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولابد يوما ان ترد الودائع

وما الناس إلاعاملان : فعامل ... يتبر ما يبنى وآخر رافع

وَطَرَفَةَ (١)

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقى بالمعيشة قانع

(١) طرفة : هو عمرو بن العبد البكرى أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة ، وأوصفهم للناقة ، مات أبوه وهو صغير ، وولى أمره أعمامه ومال إلى البطالة ، واللهو ، والاخذ باسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوع به فى أعراض الناس حتى هجا قومه وأهله وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة ، مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفه له ، فاضطغنها عليه ، وأسرها فى نفسه ، حتى اذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله - وكان قد بلغه عن المتلمس مثل الذى وصل إليه عن طرفة - أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما، وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين. وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، فبيناهما فى الطريق ارتاب المتلمس فى صحيفته فعرج على غلام يقرؤها له ، ومضى طرفة فإذا فى الصحيفة الامر بقتله ، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين ، وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة .

وقال طرفة الشعر وهو صبى فنبغ حتى عد من الفحول ولم ينيف على العشرين، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التى وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتا وصفا لم يسبقه إليه أحد ، وتعد معلقته من أجود المعلقات ، وأكثرها غريبا، وأغزرها =

= معنى ، وروى له غيرها من الشعر ، ولكنه قليل بالنسبة لشهرته ، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره . ويجيد طرفة الوصف فى شعره مقتصرا فيه على بيان الحقيقة بعيدا عن الغلو والاغراق وكذلك كان هجاؤه على شدة وقعه : ومطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ومنها :

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى ... ولا أهل هاذاك الطراف الممدد
الا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى ... وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لاتستطيع دفع منيتى ... فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

ومن أبياته السائرة :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت اعداد النفوس ولا أرى ... بعيدا غدا ، ما أقرب اليوم من غد
ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له ... بتاتا ، ولم تضرب له وقت موعد

وقوله :

كل خليل كنت خاللته ... لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة البارحة

لِشيءٍ مِن ذلك وقالَ : أُنشدكَ من شعرى ؟ فقلتُ له : إيه فَأَنشدَ :

وقوله :

وأعلم علما ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وأن لسان المرء ما لم يكن له ... حصاة على عوراته لدليل

وقوله :

قد يبعث الامر الصغير كبيره ... حتى تظل له الدماء تصبب

ومن كلامه يفتخر :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى ... لانرى الآدب فينا ينتقر

حين قال الناس فى مجلسهم ... أقتار ذاك أم ريح قطر

بجفان تعترى نادينا ... من سديف حين هاج الضير

كالجوابى لاتنى مترعة ... قرى الاضياف أو للمحتضر

ثم لايخزن فينا لحمها ... إنما يخزن لحم المدخر

نمسك الخيل على مكروهها ... حين لايمسكها الا الصبر

ومن قوله فى الناقة :

وانى لامضى الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

أمون كألواح الأران نصأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد

جمالية وجناء تردى كأنها ... سفنجة تبرى لازعر أربد

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت ... وظيفا وطيفا فوق مور معبد

تربعت القفين فى الشول ترتعى ... حدائق مولى الاسرة أغيد

بانَ الخليطُ ولوْ طوَّعت ما بانا   وقَطَّعُوا من حبالِ الوَصلْ أقرانا[1]

حتى أتى على القصيدة كُلها . فقلتُ : يا شيخُ هذه القصيدة لجريرٍ قدْ حفظتها الصبْيانُ . وعرفَها النسْوانُ . وولَجتِ الأخبِيَةَ[2] .

تريع الى صوت المهيب وتتقى   بذى خصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحى مضرحى تكنفا   حفافيه شكا فى العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة   على حشف كالشن ذاو مجدد

(١) بان: افترق وبعد ، والخليط : الجماعة الذين تجمعهم المصالح فتخلط بينهم، وطوعت : أطعت ووافقت ، والأقران: جمع قرن : وهو الحبل يشد به البعيران ، والمعنى : أن القوم الذين كانت معهم خلطتك قد فارقوك ولو أنك وافقتهم وسرت معهم لم يكن بينكم افتراق أبد الدهر .

(٢) الأخبية : جمع خباء وهو الخيمة ، والاندية : جمع ناد وهو مجلس القوم ومحل سمرهم وكل هذه الكنايات عن شهرتها وذيوع انتسابها لجرير وجرير هو أبو حرزة جرير بن عطية بن الخطفى التميمى اليربوعى أحد فحول الشعراء الاسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأنسب الثلاثة المفلقين ، وهو من بنى يربوع أحد أحياء تميم ، ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه وكان يختلف إلى البصرة فى طلب الميرة ومدح الكبراء ، وينزل على من يسكن البصرة من قومه ، فرأى الفرزدق وما=

ووردتِ الأَنْديةَ . فـــقـــالَ : دَعْني منْ هذا وإنْ كنْتَ تَرْوِى لأبى

= كسبه الشعر من المنزلة عند الامراء والولاة وهو تميمى مثله وود لو يسبقه إلى ما ناله ، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم وتفخيم أمرهم ، إذ كان الشعر فى ذلك العصر هو وسيلة الإعلان عن الشرف وكريم الخصال ، فوقعت بينهما المهاجاة والملاحاة عشر سنين ، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها بالبادية ، وكان الفرزدق مقيما بالبصرة مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسبا فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة فكان يقيم بها كثيرا ، واتصل بالحجاج ومدحه فاكرمه ورفع منزلته عنده فعظم أمره وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه وأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه فلما دخل عليه الوفد استأذنه فى انشاده فأبى ، وقال له إنما أنت للحجاج ، فما برح يتوسل إليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنية ، ومن ذلك الحين عد من مداح خلفاء بنى أمية ودخل فى غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين فى نيل جوائزهم وجره ذلك إلى معادة منافسيه ومهاجاتهم، وحرش الفرزدق بينه وبينهم وأغراهم بالمال ونصب له منهم ثمانين شاعرا ولكن جريرا غلبهم كلهم وأخرسهم ، وثبت له من دونهم الفرزدق والاخطل فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالا حتى مات الاخطل ، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان بعده إلا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ وكان فى=

= جرير على هجائه للناس وخوضه فى أعراضهم - عفة ودين ، وحسن الخلق ، ورقة الطبع ، ظهر أثرها فى شعره .

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة النقد على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشئوا فى الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والاخطل وأنما اختلفوا فى السابق منهم والمبرز فى حلبتهم ومال إلى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه . ولكل هوى وميل فى تقديم صاحبه : فمن كان هواه فى النسيب ، وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال الفظ ولين الاسلوب ، والتصرف فى أغراض شتى فضل جريرا وحكم بسبقه ، ومن مال إلى جودة الفخر ، وفخامة اللفظ ودقة المسلك ، وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل الفرزدق ورآه خيرا من كليهما : ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان فى الهجاء ، واستهواء وصف الخمر ، واجتماع الندمان عليها حكم للأخطل .. وهناك فريق يدخل فى الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب : فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق ، وأهل الدين والعفة يقدمون جريرا ، وأدباء المسيحيين يقدمون الاخطل ولا عبرة فى ذلك فى باب صناعة الشعر . على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريرا أشعر الشعراء الثلاثة لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر فى باب ، وأن الفرزدق امتاز بالفخر ، وأن الاخطل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر ، ويحتجون بإنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير فى رثاء امرأته وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول : (ما أحوج جريرا مع عفافه إلى صلابة شعرى ! وأحوجنى مع =

فأنْشدنيه ، فأنشدتُه :

= شهواتى إلى رقة شعره) ، وأن له فى كل باب من الشعر ابياتا سائرة هى الغاية التى يضرب بها المثل ، فيقال : أن أغزل شعر قالته العرب هو قوله من القصيدة التى ذكر البديع مطلعها بالمقامة :

أن العيون التى فى طرفها حور ... قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

وأن أمدح بيت قوله :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح ؟

وأن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم ... رأيت الناس كلهم غضابا

وأن أهجى بيت - مع التصون عن الفحش - قوله :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأن أصدق بيت قوله :

أنى لأرجو منك خيرا عاجلا ... والنفس مولعة بحب العاجل

وأن أشد بيت تهكما قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربع

ونحو ذلك كثير من شعره .. قيل وقد لعب جرير وجد فى قصيدة يهجو بها الاخطل التغلبى بما لو أراده غيره لامتنع عليه ففى لعبه يقول :

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا

لا أندبُ الدهرَ ربعًا غيْر ما نُوس   ولستُ أصْبوُا إلى الحادينَ بالعيس[1]

غيضن من عبراتهن وقلن لى :   ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟

وفى جده يقول :

إن الذى حرم المكارم تغلبا   جعل الخلافة والنبوءة فينا

مضرأبى ، وأبو الملوك ، فهل لكم   يا خزر تغلب من أب كأبينا ؟

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة   لو شئت ساقكم إلى قطينا

قيل : فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال : ما زاد ابن المراغة أن جعلنى شرطيا! أما أنه لو قال : لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتكم إليه كما قال ومن بديع شعره القصيدة المذكور مطلعها بالمقامة ومنها :

لا بارك الله فى الدنيا إذا انقطعت   أسباب دنياك من أسباب دنيانا

ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم   للحبل صرما ، ولا للعهد نسيانا

أبدل الليل لا تسرى كواكبه   أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

(١) ندب الميت : بكى عليه وعدد محاسنه ، والربع : الدار ، أو المحلة والجمع ربوع وأرباع وأربع ، وغير مأنوس : ليس مسكونا فارقه أهله ، وصبا يصبو : مال ، والعيس : الإبل . وأبو نواس قد يكون أول من استنكر على الشعراء وقوفهم على الأطلال وبكاءهم على الدمن واستنطاقهم النؤى والأحجار وذكرهم مغانى الاحباب وتعفى الرياح لها فهو يقول فى هذا البيت أنه لا يبكى على ربع لا يحله أحد ، ولا تميل نفسه إلى ذكر الابل وحداتها .

أحـــقُّ منـزلةٍ بالهـجْر منـزلةٌ وصـلُ الحـبيبِ عليها غيرُ ملبُـوسِ[1]

يا ليلةً غـبرت مـا كـان أطْيبهـا

والكوسُ تعْمـلُ فى أخواننِا الشُّوسِ[2]

وشادنٍ نَطَقتْ بالسِّحْرِ مُقْلتُــهُ مُزنَّـــرٍ حلْـفَ تسْــبِيحٍ وتقديـــسِ[3]

نازعْتُهُ الرِّيـقَ والصَّهْبـاءَ صافيـــةً

فى زىِّ قَــاض ونسْـكِ الشــيخ إبليِس[4]

---

(١) هذا البيت يشبه أن يكون استدلالا على مذهبه وهو لعمرى دليل ناهض فهو يقول : أن أحق مكان يهجره الانسان وينفر منه ذلك المكان الذى أصبح وصال الحبيب فيه أمرا غير ممكن .

(٢) غبرت : مضت ، والكوس : جمع كأس وأصله كؤوس فخففت ، والشوس : جمع أشوس وهو ينظر إليك بمؤخر عينه كبرا ، وإذا كانت الخمر قد أمالت هؤلاء فكيف بغيرهم ؟

(٣) الشادن : الغزال إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ، والمراد صبى مثله على التشبيه وقد شدن - من باب دخل -: إذا صار كذلك قال :

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا ، والشدنيات من النوق منسوبة إلى موضع باليمن ، ومزنر : يلبس الزنار وهو ما يكون على وسط النصارى والمجوس ومثله الزنارة والزنير ، وحلف تسبيح وتقديس : أى طائع عابد لا يفتر عن تسبيح الله وتقديسه .

(٤) نازعه نزاعا ومنازعة : جاذبه ، والصهباء : من أسماء الخمر ، وصافية =

لَّما ثملنا وكُلُّ النَّاسِ قدْ ثملوُا وخَفْـتُ صرْعتهُ إيَّـاى بِالكـوسِ[1]

غطَطْتُ مُسْتنْعِسًا نَوْمًا لانعسَهُ

فاستشْعرتْ مُقلتاه النَّومَ من كيسى[2]

وامْتَدَّ فوقَ سريرٍ كان أرْفقَ بى على تشعثه مِنْ عرشِ بلقيسِ

وزرْتُ مضْجعهُ قبلَ الصَّباحِ وقدْ

دَلَّتْ على الصُّبْحِ أصواتُ النَّوَاقيسِ[3]

فقالَ : مَنْ ذَا ؟ فقلْتُ : القُسُّ زَارَ ولا بُدُّ لِديرِكَ منْ تَشميسِ قسيسِ

= واقع موقع الحال من الصهباء ، والمعنى : أننى جاذبته الكأس وأنا ألبس لبوس المتعبدين وأتزيى بزى النساك .

(١) يقال للشارب الذى يتمايل من الشرب ثمل والمعنى : إنه لما اخذت الخمر بعقولنا وظهر فعلها فينا وخشيت أن يلقينى صريعا من كثرة ما يقدم لى منها .

(٢) غط النائم يغط غطيطا : تردد نفسه حتى صار له صوت، والكيس خلاف الحمق وأصله بفتح أوله فكسره ضرورة وفسره الإمام بوعاء الدراهم وتمحل له وتبعه على ذلك بعض النقلة الذين لا يميزون بين غث المعانى وسمينها والمعنى على ما ذكرنا أنه تناول لينام ذلك الشادن مخافة أن يطول عليه مجلس الشراب فنجعت حيلته وذلك من آثار كياسته .

(٣) المضجع : مكان الرقاد ، ومن عادات النصارى أن يدقوا النواقيس قبيل الشمس ينادون بها عابديهم ليقيموا التقاليد الدينية ، وأبو نواس يقول أنه زار مضجع ذلك الشادن فى هذا الوقت .

فقالَ : بِئْس لَعمرى أنْتَ منْ رجُلٍ فقلت: كلاَّ . فإنى لَسْتُ بالْبِيسِ[1] (قَالَ) فطَرِبَ الشيَّخُ وشهقَ وزعقَ[2]. فقلتُ : قبَّحَكَ اللهُ مِنْ شَيْخٍ لا أدْرِى أبانتحالكَ[3] شعرَ جريرٍ أنتَ أسخفُ أمْ بطرَبكَ منْ شعرِ أبى نواسٍ وهوَ فويسِقٌ عيَّارٌ[4] ؟؟. فقالَ: دَعنى منْ هذَا وامْضِ علىَ وجهِكَ فإذَا لقِيتَ فى طرِيقكَ رجُلاً معهُ نحىٌ صغيرٌ يدورُ فى الدُّورِ حولَ القدورِ. يُزهَى بحليَتِهِ ويباهى بلحيتِه[5] فقُل

(١) بالبيس : أى الرجل الذى يقال فى حقه بئس .

(٢) الطرب : خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور ، وشهق - بالفتح يشهق - بالفتح والكسر - شهيقا - فيهما - ارتفع صوته ، والشهقة : كالصيحة وزعق - من باب قطع - : صاح ، والمعنى : أن الطرب أخذ بلب هذا الشيخ ومال بعقله فصار يصيح ويزعق . وإنما يكون هذا ممن ذهل واستحوز السرور على فؤاده فهو لا يعى .

(٣) انتحل فلان شعر غيره أو قول غيره : إذا ادعاه لنفسه ، ومثله تنحل .

(٤) الفويسق : تصغير فاسق ، والعيار : الذى يلقى لنفسه حبلها على غاربها لا يهديها إلى فضيلة ولا يزجرها عن ارتكاب مذمة .

(٥) يريد أن يلغز فى المذبة وسيأتى فى كلامه بيان ذلك وهى خشبة تغشى بالجلد فى أطرافها خوص ، والنحى : أصله الزق يوضع فيه نحو السمن والعسل ولما كان يخفى ما بداخله وجلد المذبة يخيفها شبهها به من هذه الجهة والمذبة من خصائصها أنها تستعمل فى طرد الذباب وشبهه عن القدور =

لهُ دلَّني علىَ حُوتٍ مصرُورٍ. في بعضِ البُحُورِ. مُخطفِ الخصُورِ. يلدَغُ كالزُّنبُورِ ويعتمُّ بالُّنورِ. أبُوهُ حجرٌ. وأمُّهُ ذكرٌ. ورأسُهُ ذهبٌ. اسمُهُ لهبٌ. وباقيهُ ذنبٌ. لهُ في الملُبوسِ. عملُ السُّوسِ. وهُوَ في البيتِ آفةُ الزَّيتِ. شرِّيبٌ لا ينقَعُ. أكُولٌ لا يشبَعُ. بذُولٌ لا يمنَعُ. ينْمي إلى الصُّعودِ. ولاينقُصُ مالهُ منْ جودٍ يسوءُكَ ما يسُرُّهُ. وينفعُكَ ما يضُرُّهُ[1] . وكنتُ أكتمُكَ حديثي. وأعيشُ معَك في رخاءٍ لكنَّكَ أبيتَ فخذِ الآنَ فمَا أحدٌ منَ الشُّعراءِ إلا ومعهُ مُعينٌ منَّا وأنَا أمليتُ على جريرٍ هذهِ القصيدَةَ وأنا الشَّيخُ أبُو مرَّةَ[2].

= والطعام فهى تدور فى الدور حول القدور ، ويزهى : يعجب - بالبناء للمجهول فيهما - لأنهما لم يستعملا على صيغة للفاعل وأراد من اللحية الخوص .

(١) هذا لغز آخر فى السراج وقد شبهه بالحوت فى أن كلا منها لا يعيش الا فى السائل : الحوت فى البحر ، وهذا فى المسرجة ، ومخطف الخصور: نحيلها، واعتم لبس العمامة وعمامة السراج هى النور كما ذكر ، وأبوه حجر أى الذي أخرج مادته وهى الزيت حجر المعصرة ، وأمه ذكر أى أنه يتربى بين أحضان ذكر وهو القنديل لأن يعبر عنه بضمير المذكر وله فى الملبوس الحريق وهو أشد مما يعمل السوس ، ينمى إلى الصعود : أى أنه دائم الارتفاع لا ينخفض فكأنه منسوب إليه .

(٢) أبو مرة : كنية إبليس ، والهاجس : أصله الخاطر الذى يخطر فى القلب =

= وأريد به فى مثل هذه العبارات ما يلقيه على لسان الشاعر رقيه من الجن ، وقد تقدم الالماع إلى هاجس بعض الشعراء فى المقامة الاسودية وأن العرب كانت تعتقد أن لكل واحد منهم رئيا من الجن يملى عليه قصائده قالوا : وهاجس امرىء القيس لافظ بن لاحظ . وحدث رجل من أهل الشام أنه خرج فى طلب لقاح له على فحل كأنه فدن يسبق الريح رفعه إلى خيمة فى فنائها شبح كبير . قال : فسلمت فلم يرد على . فقال : من أين وإلى أين . قال : فاستحمقته إذ بخل برد السلام وأسرع إلى السؤال فقلت : من ههنا فنعم وأما إلى ههنا فوالله ما أراك تبهج بذلك إلا أن يسهل عليك مداراة من ترد عليه ! قلت : وكيف ذلك أيها الشيخ . ؟ قال : لأن الشكال غير شكلك ، والزى غير زيك . فضرب قلبى إنه من الجن وقلت : أتروى من أشعار العرب شيئًا ؟ قال : نعم وأقول . قلت فأنشدنى - كالمستهزىء به - فأنشدنى قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فلما فرغ قلت لو أن امرأ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام . فقال : ماذا تقول؟ قلت : هذا لامرىء القيس . قال : لست أول من كفر نعمة أسداها . قلت : ألا تستحى أيها الشيخ . ألمثل امرىء القيس يقال هذا ؟ قال : أنا - والله - منحته ما أعجبك منه ! قلت : فما اسمك ؟ قال : لافظ بن لاحظ . فقلت : اسمان منكران . قال : أجل . فاستحمقت نفسى له بعد ما استحمقته لها وقد عرفت أنه من الجن ، وذكروا أن هاجس الأعشى اسمه مسحل بن اثاثة ويروون عن الاعشى أنه قال : خرجت أريد قيس بن معد يكرب بحضر موت فضللت فى =

= أوائل أرض اليمن لانى لم أكن سلكت ذلك من قبل فأصابنى مطر فرميت بيصرى أطلب مكانا ألجأ إليه فوقعت عينى على خباء من شعر فقصدت نحوه واذا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد على السلام وأدخل ناقتى خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلى وجلست فقال : من أنت ، وأين تقصد ؟ قلت : أنا الاعشى أقصد قيس بن معد يكرب . فقال : حياك الله أظنك امتدحته بشعر . قلت : نعم . قال : فأنشدنيه . فابتدأت مطلع القصيدة .

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبا عليك فما تقول بدا لها ؟

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم ، قال : من سمية التى نسبت بها ؟ قلت : لا أعرفها وإنما هو اسم ألقى فى روعى. فنادى : يا سمية اخرجى واذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال انشدى عمك قصيدتى التى مدحت بها قيس بن معد يكرب ونسبت بك فى أولها فاندفعت تنشده القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفا فلما أتمتها قال . انصرفى ثم قال : هل قلت شيئًا غير ذلك ؟ قلت نعم ، كان بينى وبين ابن عم لى يقال له يزيد بن مسهر يكنى أبا ثابت ما يكون بين بنى العم فهجانى وهجوته فأفحمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ قلت :

(ودع هريرة إن الركب مرتحل) فلما أنشدته البيت الأول قال : حسبك . من هريرة هذه التى نسبت فيها ؟ قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التى قبلها فنادى يا هريرة . فإذا الجارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال : انشدى عمك قصيدتى التى هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر فأنشدتها من أولها إلى

آخرها لم تخرم منها حرفا فسقطت في يدى وتحيرت وتغتشنى رعدة فلما رأى ما نزل بى قال : ليفرخ روعك أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذى ألقى على لسانك الشعر فسكنت نفسى ورجعت إلى وسكن المطر فدلنى على الطريق وأرانى سمت مقصدى وقال : لا تعج يمينا ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس .

وروى عن جرير بن عبدالله البجلى الصحابى رضى الله عنه أنه قال : سافرت فى الجاهلية فأقبلت ليلة على بعير أريد أن أسقيه فلما قربته من الماء تأخر فمقلته ودنوت من الماء فاذا قوم مشوهون عند الماء فبينما أنا عندهم اذ أتاهم رجل أشد تشويها منهم فقالوا : هذا شاعر ، ثم قالوا : يا أبا فلان أنشد هذا فإنه ضيف فأنشد :

ودع هريرة إن الركب مرتحل

فوالله ما خرم منها بيتا حتى أتى على آخرها فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : لولا ما تقول لاخبرتك أن أعشى قيس بن ثعلبه أنشدنيها عام أول بنجران . قال : أنك صادق ، أنا الذى ألقيتها على لسانه وأنا مسحل بن أثاثه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون ابن قيس . قالوا : واسم هاجس النابغة هاذر وفى حديث الرجل الشامى المتقدم فى قصة امرىء القيس أنه سأل لافظا من أشعر العرب ؟ فأنشأ يقول :

ذهب ابن حجر بالقريض وقوله ... ولقد أجاد فما يعاب زياد

لله هاذر إذ يجود بقوله ... أن ابن ماهر بعدها لجواد

مِنهُ فناوَلنيِ مسرجَةً وأومأ إلىِ غارٍ فى الجبَلِ مظلمٍ فقالَ : دُونكَ الغـارَ[1] ومـعَكَ النَّار. (قـالَ) فـدخَلتُـهُ فـإذَا أنا بإبِلى قـدْ أخـذَتْ سَمـتـهـا. فلوَيتُ وجُـوهَـهـا وردَدتُها. وَبينـا أنـا فى تلكَ الحـالةِ فى

فسـألـه الشـامى : من هاذر ؟ قـال : صـاحب زيـاد الذبيـانى وهو أشـعـر الجن وأضنهم بشعره فالعجب له كيف سلسل لاخى ذبيان ، ولقد علم بنية لى قصيدة له من فيه إلى أذنها ثم صرخ بها : أخرجى فدى لك من ولدت حواء فقلت له : ما أنصفت أيها الشيخ فقال : ما قلت بـأسا . ثم رجعت إلى نفسى فعرفت ما أراد فسكت ثم انشدتنى الجارية :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها حزين

حتى أتت على قوله منها :

فألفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

فقال : لو كان رأى قوم نوح فيه كرأى هاذر ما أصابهم الغرق ، وما نظن ذلك إلا حديث خرافة وإلا كيف كان زهير بن أبى سلمى المزنى وهو واحد الشعراء ديباجة وحسن وضع وحكمة يظل فى تنقيح قصيدته عاما وعلماء الأدب مجمعون على تسمية أربع منها حوليات . أنا نعجب لذلك ونستبعده ولا يسعنا إلا أن نقول ليست هذه أولى خرافات العرب فى جاهليتهم والعجيب الاغرب من هذا أن يتناقل كبار الأدباء ذلك الكلام من غير تعليق عليه ولا إشارة إلى إبطاله .

(١) أصل دونك اسم فعل بمعنى خذ ولعله أراد خذ فى السير إلى طريقه .

الغـيـِاض أدبُّ الخــمـرَ[1] إذ بأبِى الفـتـحِ الإسكندرىُّ تلقَّـانى بالسَّلامِ. فقلتُ : مـا حداكَ ويحكَ إلى هذا المقامِ[2]؟ قالَ : جورُ الأيَّامِ. فـى الأحكامِ . وعـدمُ الكرَامِ. منَ الأنامِ[3]. قلتُ : فـاحكُمْ حكمكَ يا أبا الفتحِ فقالَ : احملنىِ علىَ قعودٍ[4]. وأرقِ لى ماءً فى عُودٍ[5]. فقلتُ : لكَ ذلكَ. فأنشـأَ يقولُ :

نَفْسى فدَاءُ مُحكِّمٍ   كلَّفتُهُ شطَطًا فاسجَحْ[6]

---

(١) الغياض : جمع غيضة وهى مجتمع الأشجار ، وأدب الخمر : أى أمشى مشية المحاذر الذى يخدع الناظرين إليه فهو يخشى أن يشعر به أحد .

(٢) أى ما الذى ساقك إلى ذلك المكان .

(٣) جور الأيام ظلمها وعدم إعطائها كل ذى حق حقه فهى تشبه القاضى إذا مال ولم ينصف ، وزادنى قلقا واضطرابا أننى لم أجد بين الناس كريما أدفع به المسغبة .

(٤) أى أعطنى جملا اركبه .

(٥) أراد امنحنى ناقة احتلبها وأشرب لبنها

(٦) الشطط : مجاوزة الحد ، واسجح : معناه أنصف وسمح وأحسن ، ومنه قول عائشة لعلى رضى الله عنهما . ملكت فأسجح أى قدرت فسهل واحسن العفو وهو مثل سائر ، والمعنى أنه يفديه بنفسه لانه بذل ما يجاوز الحد وما يمنعه منه كثير

ماحكَّ لحيتَهُ ولا　　مسَجَ المخَاطَ ولا تنَحنَحْ[1]

ثمَّ أخبرتُهُ بخبرِ الشَّيخِ. فأَوما إلى عِمامَتهِ و قالَ : هذهِ ثمرَةُ برِّهِ. فقلتُ : يا أبا الفتحِ شَحذتَ علىَ إبليسَ إنكَ لشَحَّاذٌ!!

---

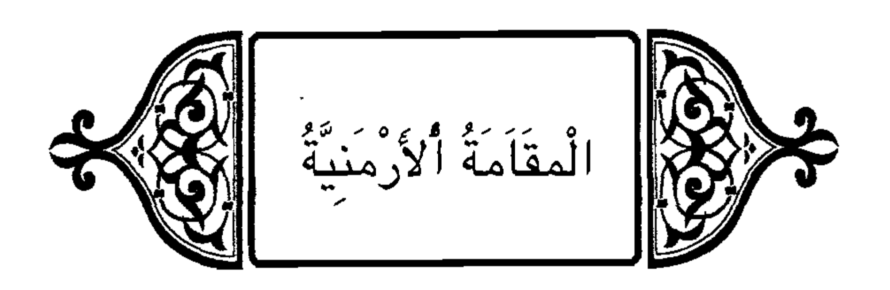
(١) أى لم يتلكأ بل أجابنى من فوره ، وأصل هذا ما ذكره ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى وصف الخطباء باللكنة ، والعى ، والحصر ، واحتباس القول ، والتمتمة ، وهم يستترون بالنحنحة ونحوها إخفاء لعوارهم وسترا لعيوبهم وقال بشر بن معمر فى نحو ذلك :

ومن الكبائر مقول متتعتع　　جم التنحنح متعب ميهور

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب . وقال الاشل الازرقى من بعض أخوال عمران بن حطان الصفر القعدى - فى زيد بن جندب الايادى خطيب الازراقة واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل :

نحنح زيد وسعل　　لما رأى وقع الاسل

ويلُ امه اذا ارتجل　　ثم أطال واحتفل



الْمقَامَةُ الأُرْمَنِيَّةُ

حَـدَّثَنَا عـيِـسَــى بْنُ هِشَــامٍ قَـالَ : لَمَّا قَـفلنَا مِــنْ تجــارَةٍ إرمـينيَـةَ أهـدتْنَا الفَلاةُ إلـىِ إطفَالهِـا[1]. وَعـثـرنا بهِم فى أذيالـها. وأنا خُونَا بـأرضِ نعـامـةٍ[2]. حتَّى اسـتنظفُوا حقـائبَنا. وأراحُوا

(١) الفلاة : الصحراء والأرض الواسعة التى لا شجر بها ولا نبات ، وأطفالها اللصوص وقطاع الطريق سموا بذلك لطول إقامتهم بها وعدم مبارحتهم إياها كما سمى المحاويج والفقراء بنى غبراء فى نحو قول طرفه :

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى ولا أهل هذاك الطراف الممدد

وأرمينية (بكسر أوله وتخفيف الياء الثانية أو تشديدها) : كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربع كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينية والنسبة إليها أرمنى بالفتح .

(٢) عثر : كبا وكأنه جعلهم حجرا يعثرون بسببه لشدة ما نالهم منهم قال الاستاذ الإمام ومعنى أرض نعامة . مفازة ونقول : أنه لا يبعد أن يكون قد أراد باضافة الأرض إلى النعامة جعلها سببا فى جبنهم لشدة عدوهم وقلة غنائهم وضعفهم فى قتالهم من قولهم أجبن من نعامة ومثل قول الشاعر : اسد على وفى الحروب نعامه .

ركـائـبِنَـا(١). وبقـيِنـا بيَـاضَ اليَـومِ. فى أيـدِى القَـوم. قـدْ نظَمَنـا القدُّ أحزَابًا. وربُطَـت خُيُـولنَا اغتصابًا(٢). حتَّـى أردَفَ اللَّيلُ أنـنـابَـهُ. ومَـدَّ النَّجـمُ أطنـابَهُ ثُـمَّ انتَحَوا عجُـز الفَـلاةِ وأخـذنَا صَـدرَهَا. وهلمَّ جَـرًّا(٣) حـتَّى طلَـعَ حُـسنُ الفـجرِ منْ

---

(١) الحقائب : جمع حقيبة وهى وعاء الثياب واستنظفوها اخذوا كل ما فيها والركائب المطايا وأراحوها أخذوا ما عليها .

(٢) أى أننا مازلنا عامة النهار تحت أمرتهم خاضعين لاحكامهم لانهم أوثقونا بالقد وهو سير من جلد تشد به الأسارى وربطوا خيولنا قهرا .

(٣) أردف الليل إعجازه استتبعها وجعل بعضها يتلو بعضا وهو كناية عن اشتداد الظلمة واحتباك الغسق قال امرؤ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه   وأردف أعجازا وناء بكلكل

والإطناب : جمع طنب واصله الحبل الذى تشد به الخيمة واراد منه هنا خيوط النور المنبعثة من النجوم وأشعتها ، وانتحوا : قصدوا ويمموا والمراد أنهم ساروا إلى جهة غير الجهة التى سلكها هؤلاء ، وهلم جرا : كلمة اختلف فى عربيتها وتفسيرها . قال فى القاموس : هلم بمعنى تعال وهو مركب من ها التنبيه ومن : (لم) أى ضم نفسك إلينا ثم استعمل استعمال البسيط يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين ، وسبقه إلى نكره صاحب الصحاح وتبعه الصنعانى فقالا : لا تقول كان ذلك عام كذا وهلم جرا إلى =

= اليوم: ولا يخفى عدم جريان ما قاله فى القاموس فى مثل هذا . وتوقف الجمال بن هشام فى كون هذا التركيب عربيا محضا وساق وجوه توقفه فى رسالة له وأجاب عن ذكره فى الصحاح ونحوه ، وذكر ما للعلماء فى إعرابه وبيان معناه ثم قال : فلنذكر ما ظهر لنا فى توجيه هذا المقال بتقدير كونه عربيا فنقول : هلم هذه هى القاصرة التى بمعنى أئت وتعال ألا أن فيها تجوزين أحدهما أنه ليس المراد بالاتيان هنا المجيء الحسى بل الاستمرار على شيء ، والمداومة عليه كما تقول : امش على هذا الامر ، وسر على هذا المنوال ومنه قوله تعالى : (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) المراد بالانطلاق ليس الذهاب الحسى بل انطلاق الالسنة بالكلام ولهذا أعربوا أن تفسيرية وهى إنما تأتى بعد جملة فيها معنى القول كقوله تعالى : (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك) والمراد بالمشى ليس المشى على الأقدام بل الاستمرار والدوام أى دوموا على عبادة أصنامكم واحبسوا أنفسكم على ذلك ، والثانى أنه ليس المراد الطلب حقيقة وانما المراد الخبر وعبر عنه بصيغة الطلب كما فى قوله تعالى (ولنحمل خطاياكم ، فليمدد له الرحمن مدا) ، وجرا : مصدر جره يجره إذا سحبه ولكن ليس المراد الجر الحسى بل المراد التعميم كما استعمل السحب بهذا المعنى ألا ترى أنه يقال : هذا الحكم منسحب على كذا أى شامل له فإذا قيل . كان ذلك عام كذا وهلم جرا فكأنه قيل . واستمر ذلك فى بقية الاعوام استمرارا وذلك جار فى جميع الصور وهذا هو الذى يفهمه الناس من هذا الكلام ، وبهذا =

الظلمَةِ[1]. فمَا طلَعْت شمسُ النَّهارِ إلا علَى الأشعارِ والأبشارِ.[2] ومَا زِلنا بالأهوالِ ندراُ حجُبهَا. وبالفلوَاتِ نقطَعُ نجَبهَا. حتَّى حللْنا المراغَةَ[3] وكلٌّ منَّا انتظَمَ إلى رفِيقٍ. وأخَذَ فيِ طريقٍ[4]. وانضَمَّ إليَّ شَابٌّ يعلوهُ صغَارٌ. وتَعلوهُ أطمارٌ[5]. يُكنَّى أبا الفتحِ الإسكندَرِيُّ وسِرنَا فى طلبِ أبى جابرٍ[6] فوجَدناهُ يطلُعُ منْ ذاتِ

= التأويل ارتفع إشكال العطف فإن هلم حينئذ خبر وإشكال التزام أفراد الضمير إذ فاعل هلم هذه مفرد أبدا كما تقول واستمر ذلك أو استمر الذى ذكرته .

(١) شبه بزوغ النور وانحسار الظلمة عنه بالجمال الرائع الذى يطلع من تحت النقاب أو بالسيف الذى يستل من غمده .

(٢) أى لم يكن عليهم ما يستترون به غير أشعارهم وبشرتهم وهى جلدة الجسم . (٣) ندرأ : ندفع ونمنع ، والنجب فى الأصل لحاء الشجر وقشره ، والمعنى أنهم استمروا فى مدافعة الأهوال والارتطام بعباب المخاوف يقطعون الصحراء دائبين حتى وصلوا المراغة وهى بلد بأذربيجان شرقى بحيرة أرمنية .

(٤) أى أنهم تقسموا فى سيرهم فمضى كل اثنين معا وأخذا طريقا غير طريق الباقين .

(٥) صغار بالغين المعجمة كما فى النسخة الامامية وهى الهوان والذل ويروى صفار بضم أوله وبالفاء وهو الجوع والصفرة الجوعة ويقال للجائع مصفور ومصفر بوزن معظم وهذه الرواية أحسن والاطمار الثياب البالية .

(٦) كنية الخبز .

لظًى تسجرُ بالغَضا[1]. فعَمَدَ الإسكندَرِىُّ إلى رجُلٍ فاستماحَهُ كفَّ ملحٍ وقالَ للخبَّازِ : أعِرنى رَأسَ التنُّورِ. فإِنى مقرُورٌ[2]. ولمَّا فرَغَ سنامَهُ جعَلَ يُحدِّثُ القَومَ بحالِه. ويخُبُرهم باختلالِه[3]. وينشُر الملحَ فى التنُّورِ منْ تحتَ أذيالِه يُوهمُهُم أنَّ أذًى بثيابِه. فقالَ الخبَّازُ: مالكَ لا أبا لكَ ؟! اجمَع أذيالكَ فقدْ أفسدتَ الخبزَ علينا. وقامَ إلى الرُّغفانِ فرَماهَا وجعَلَ الإسكندَرِىُّ يلقُطُها.

---

(١) ذات لظا : هى النار ، وتسجر توقد والغضا شجر اذا احترق دامت ناره طويلا واشتدت .

(٢) استماحه طلب منه . والتنور الكانون يخبز فيه ورأسه فتحة فى أعلاه والمقرور الذى أصابه القر وهو البرد .

(٣) فرع سنامه : صعد فجلس قريبا من رأسه والمعنى : أنهم بعد أن وصلوا المراغة وساروا مثنى وكان من حظ عيسى أن رافقه أبو الفتوح كان أول همهم البحث فى طلب ما يسدان به جوعهما ويدفعان آلامه ويردان شدته ففكر أبو الفتح فى حيلة يصل بها إلى مطلبهما بدون كبير عناء ومن غير أن يتجشما لذلك مالا فنظر غير بعيد إلى تنور قد أوقد ورغفان الخبز تخرج منه فعمد إلى رجل طلب منه قبضة من الملح وذهب إلى الخباز فرجاه أن يسمح له بالدفء فوق التنور شاكيًا له مالقيه من البرد فأذنه وحين جلس على رأس التنور جعل يحدث الناس بما لقيه من أذى الدهر ومحنته .

ويتأبَّطُها[1]. فأعجَبتَنى حِيلتُهُ فيما فعَلَ وقالَ: اصبرْ علىَّ حتَّى أحتالَ على الأدمِ [2]. فَلا حِيلَةَ معَ العُدمِ[3] وصارَ إلى رَجُلٍ قدْ صفَّفَ أوَانى نظيفَةً فيها ألوَانُ الألبانِ. فسألَهُ عنِ الأثمانِ. واستأذَنَ فى الذَّوقِ. فقالَ : افعَلْ. فأدارَ فى الآنيَةِ إصبعَهُ. كأنَّهُ يطلبُ شيئًا ضيَّعهُ[4]. ثُمَّ قالَ : ليسَ مَعِى ثمنُهُ. وهَلْ لكَ رغبَةٌ فى

(١) المعنى أنه حينما جلس رفع ثوبه ليدفىء جسده ثم كان يخالس الخباز ويقذف فى التنور قبضة من الملح فتسمع لها فرقعة فتوهم التنار أن بجسمه قملا فهو يتساقط إلى التنور وهذه أصوات احتراقه وخشى أن يكون قد علق بالخبز شيء منه فرمى به وانتهزها أبو الفتح فرصة يرد بها كيد الجوع فكان يأخذه ويضعه تحت أبطه .

(٢) مأخوذ من قول لبيد بن ربيعة :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه ... ان استه من برص ملمعه

وانه يدخل فيها أصبعه ... يدخله حتى يوارى أشجعه

كأنما يطلب شيئًا ضيعه

(٣) الادم - بوزن قفل - ومثله الادام - بكسر أوله - : ما يؤكل مع الخبز أى شيء كان ، وآدمته - بالمد ، وبالقصر ، وبالتشديد - : جعلت فيه أداما .

(٤) حيلة : الاحتيال ، ولا نرى المعنى يصلح على هذا اذ كيف يقول انهما سيحتالان فى طلب الادم ثم يقول أن المعدم لا احتيال له . لكن يمكن أن يراد من الحيلة الحول وهو : الحركة ، والقوة ، والدفع ، والمنع والعدم : الفقر ، =

الحِجامَة؟ فقالَ: قبَّحكَ اللّهُ! أنتَ حجامٌ؟ قالَ: نعَمْ فعمَدَ لإعراضه يسُبهُّا[1]. وإلى الآنيَةِ يصُبهُّا. فقالَ الإسكندَرِيُّ: آثِرني علىَ الشَّيطانِ[2]. فقالَ : خُذها لا بُورِكَ لكَ فيِها. فأخَذها وأوينا إلى خلوَةٍ[3]. وأكلناها بدفعَةٍ[4]. وسِرنا حتَّى أتَينا قريَة استطعَمْنا أهلهَا[5]. فبادَرَ منْ بينِ الجماعَةِ فتًى إلى منزِلهِ فجاءَنا بصحفَةٍ قدْ سدَّ اللَّبنُ أنفاسَها. حتَّى بلغَ رَأسَها[6]. فجعَلْنا نتحَسَّاها[7].

= والاملاق ، والمعنى : تعال بنا نطلب الادم بالاحتيال فانه لا قوة لامرىء تربت يده واقفر جرابه ونصب معينه وانه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أو يمنع دونها.

(١) أعراض : جمع عرض بكسر أوله والمعنى أنه بعد أن عرف أنه حلاق وقد أدار فى الآنية أصابعه تقذر وعافت نفسه ما فيها فأوسعه سبا وقصد أن يريق اللبن .

(٢) أى بدلا من أن تريقها فتذهب هباء ولا ينتفع بها أحد أعطنيها .

(٣) أوينا إلى خلوة : ملنا إليها .

(٤) بدفعه أى بتدافع وشدة . (٥) أى طلبنا منهم أن يطعمونا .

(٦) الصحفة وعاء يوضع فيه اللبن وهو معروف بهذا الاسم عند المصريين ومعنى كون اللبن قد سد أنفاسها أنها ممتلئة .

(٧) حسا يحسو وتحسى أيضا : شرب جرعة بعد جرعة .

حتَّـى اسـتَوفَيناهـا. وسأَلناهـمْ الخبزَ فـأبَـوا إلا بالثَّـمنِ. فقَال الإسكندَرِيُّ مالكُمْ تجُودُونَ باللَّبَنِ. وتمنَعُونَ الخبزَ إلا بالثَّمنِ[1]؟ فقالَ الغُـلامُ: كـانَ هذَا اللَّـبنُ فى غضـارَةٍ. قدْ وقعَتْ فـيه فـارَةٌ فنَحنُ نتَصـدَّقُ بِهِ علىَ السَّـيَّارةِ[2]. فـقـالَ الإسـكندَرِيُّ: إنَّا للهِ. وأخَـذَ الصَّـحـفَـةَ فكَسَـرَهـا. فَـصـاحَ الغُـلامُ: واحَـربَاهُ[3]، وامَـحـرُوباهُ. فـاقـشَـعَـرَّتْ منَّا الجلدَةُ. وأنقَلَبَت علينا المعِـدَةُ[4]. ونفَضْنا ما كُنا أكلنْاهُ[5].

---

(١) المعنى : أن الخبز أقل قيمة من اللبن وأزهد ثمنا فما الذى حداكم لان تجودوا بالشىء الرفيع القدر السنى القيمة فى حين أنكم تمنعوننا المرتخص الذى لا قدر له ولا يساوم فيه بجانب ما تمنحون ؟

(٢) الغضارة : القصعة العظيمة ، والسيارة : الجماعة السائرون .

(٣) واحرباه : كلمة تألم مأخوذة من الحرب بالتحريك وهو استلاب المال .

(٤) الجلدة : بشرة الجسم الظاهرة والمراد قشعريرة البدن . والقشعريرة : انتفاض الجسم وانما تكون اذا أصاب الانسان من خوف أو وجل والجملة كناية عن ذلك لانهم خافوا عاقبة أكلهم وظنوا أن الامر سيشتد بهم ويهلك أبدانهم ، وانقلاب المعدة : كناية عن المرض عليهما ونزوله بساحتهما .

(٥) نفضنا : طرحنا، ورمينا، والمراد الكناية عن أنهما استقاءا ما تناولاه من الاكل فرارا من نزول المرض بهما .

وقلتُ: هذَا جــزاءُ مــا بـالأمسِ فــعلناهُ وأنشــأ أبُو الفــتحِ الإسكندَرِىُّ يَقُولُ:

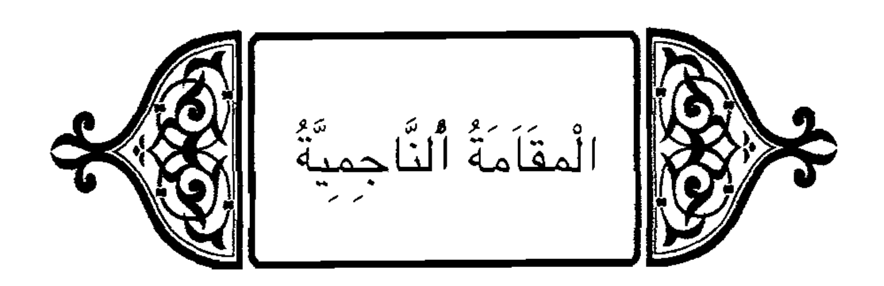
يَــا نفــسُ لا تَتَغـثــىِ فَالشَّــهمُ لا يتَغَثَّـا

منْ يَصحَبِ الدَّهرَ يأكُلْ فيـهِ سَـمِينًا وغـثَّا

فالبَــسَ لدَهــرٍ جـدِيدًا والبَسَ لآخَرَ رثًّا[1]

(١) التثنى : اندفاع النفس إلى القىء ، والمعنى : أيتها النفس اسكنى واستقرى فى مكانك ولا يذرعك القىء فهذه عادة الدهر يتقلب دائما ولابد لمن صحبه أن يجد فى تصاريفه عجبا وخليق بمن يسايره أن يكون مثله فيرتدى رداء التقلب أيضا .





حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بِتُّ ذاتَ ليلةٍ في كتيبةٍ[1] فضلٍ منْ رُفقَائى فتَذَاكْرنا الفصاحَةَ . ومَا ودَعنا الحديثَ حتَّى قُرِعَ علينا البَابُ[2]. فقلتُ : منِ المنتاب[3] فقالَ: وفدُ اللَّيلِ وبريدُهُ. وفَلُّ الجوعِ وطريدُهُ[4]. وغرِيبٌ نضوُهُ طليحٌ. وعيشُهُ تبريحٌ. ومنْ

(١) الكتيبة فى الاصل : الجيش أو الجماعة المغيرة من الخيل إذا بلغت مائة حتى تكون ألفا ، والمراد منها هنا مطلق الجماعة .
(٢) ودع بوزن وضع وبالتضعيف بمعنى ترك وقرع الباب : طرق ، والمعنى : أننا جلسنا نتسامر والحديث ذو شجون فتحدثنا عن الفصاحة وقال كل منا ما حضره ونفض جمله الذى عنده ثم انتقلنا إلى حديث آخر ولكننا لم نكد نبدأه ونترك موضوعنا الأول حتى طرق علينا الباب . (٣) يقال : انتاب فلان فلانا إذا أتاه المرة بعد الأخرى ولم يزل يعاوده وكأنهم سموه بذلك لانه طرقهم بعد أن طرق كثيرا من المنازل فاعتبروا متابعته طرق الابواب تتابعا عليهم ولا يبعد أن يكون قد أراد منه مطلق الطارق . (٤) الوفد : الجماعة الواردون للانتجاع ونحوه وكأنه جعل الليل لصعوبة الكد فيه حاملا له على الوفادة ، وبريده : رسوله ويقال منه : أبرد له اذا أرسل إليه ، والفل : المنهزم ويقال : سيف مفلول إذا كان به كلال .

دُونِ فرخَيهِ مهامهُ فيحٌ[1]. وضيفُ ظلُّهُ خفيفٌ. وضالتُهُ رَغيفٌ. فهَلْ منكُمْ مُضيفٌ[2]؟ فتبادَرْنا إلى فتحِ البابِ وأنخْنا راحلتَهُ. وجمَعنْا رحلتهُ[3]. وقلْنا: دارَكَ أتَيتَ. وأهلكَ وافيتَ وهلُمَّ البيتَ. وضحِكنْا إليهِ. ورحَّبنا بِهِ. وأرَيناهُ ضالَّتَهُ[4]. وساعدناهُ حتَّى شبعَ. وَحادثناهُ حتَّى أنسَ[5]. وقلْنا : منَ الطَّالعُ بمشرقِهِ، الفاتنُ بمَنطقِهِ[6] ؟؟ فقالَ: لا يعرفُ العُودَ كالعَاجمِ. وأنا المعرُوفُ

---

(١) النضو : البعير المهزول ، والطليح الذى زاد به التعب ، والتبريح : الشدة والجهد ، والمهامه : الصحارى ، وفيح : أى واسعة .

(٢) ظله خفيف : أى لا يكلفكم مشقة والضالة أصله المفقود الذى يطلبه صاحبه وأراد أن أمنيته سد جوعه .

(٣) الرحلة بضم أوله : الوجوه التى تقصدها بارتحالك ومعنى جمعها تهيئتها فى أمر واحد .

(٤) أى طمأناه باظهار مرغوبة .

(٥) ساعدناه : أى أعددنا له ما أراد حتى امتلا جوفه ، وإذا كان للقادم دهشة فهو فى حاجة للتحادث وجلب الانس اليه بابتدائه بالكلام ولذلك فهم مازالوا به يخاطبونه حتى خلع عذار الوحشة واطمأنت نفسه إليهم .

(٦) أى من ذلك الذى ظهر لنا كما يظهر الكوكب فاسترق ألبابنا بعذب حديثه واستولى على أفئدتنا بحسن بيانه .

بالنَّاجِمِ[1] عاشَرتُ الدَّهر لأخبُرَهُ. فعصَرتُ أعصُرهُ. وحَلبتُ اشطرَهُ[2]. وجرَّبتُ النَّاسَ لأعرِفَهُم. فعرَفتُ منِهُم غثَّهُم وسمينَهُم[3]. والغُرابةَ لأذُوقَها. فمَا لحَتنى أرضٌ إلا فقأتُ عَينها ولا انتظَمتْ رُفقَةٌ إلا ولجتُ بينهَا[4]. فأنا فى الشَّرق أذكَرُ. وَفى الغربِ لا أنكَرُ. فَما ملِكٌ إلا وطئتُ بساطَهُ. ولا خطبٌ إلا خرقتُ

---

(١) عجم الورد : عضه ليعرف أصلب هو أو لا وفى خطبة الحجاج حين قدم للعراق (وأن أمير المؤمنين جمع كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أصلبها مكسرا فرماكم بى) ، الناجم : الظاهر يريد أنه لا يخفى على أحد .

(٢) لأخبره : أى لأختبره وأعرفه ، والأعصر : جمع عصر وهو الزمن أيا كان مقداره ، والاشطر : اخلاف الناقة وقد جرى فى كلامهم (حلبت الدهر أشطره) مجرى المثل يريدون عرفت حلوه ومره ، غثه وسمينه خيره وشره ، سعادته وشقاءه .

(٣) يريد أنه امتحن الناس بمصادقتهم وابتلاهم بالعشرة معهم ليتبين حالهم فأدركه وظهرت له حقائقهم .

(٤) أى أنه اراد أن يختبر الاغتراب والاسفار كما اختبر الناس فقطع الحزون والسهول وطوى البحار ولم تبق أرض إلا وعرفها ولا جماعة من الخلان إلا دخل بينها وسار معها .

سماطَهُ[١]. ومَا سكَنَت حربٌ إلا وكُنتُ فيِها سفِيراً. قدْ جرَّبَنى الدَّهرُ فى زَمَنى رخائهِ وبُوسهِ. ولقِيَنى بوَجهَى بشرهِ وعُبُوسهِ[٢]. فمَا بحتُ لبُوسهِ. إلا بلبُوسهِ[٣].

وإنْ كانَ صرفُ الدَّهر قدماً أضربَّى وحمَّلَنى منْ ريبهِ ما يحِّملُ
فقدْ جاءَ بالإحسانِ حيثُ أحلَّنى محَلَّة صدقٍ ليسَ عَنها محوَّلُ[٤]

(١) الخطب : الامر الجسيم والكربة العظيمة ، والسماط : جماعة الجيوش تتقدم الملك ، والمعنى : أن له فى كل نازلة يدا .

(٢) السفير : الرجل الذى يدخل بين المتنازعين ليصلح ذات بينهما ويجمع كلمتهما وكنى بذلك عن حذقه ولباقته إذ لا يقوى على السفارة غير الفطن اللبيب ، والبشر : طلاقة المحيا والعبوس : انقباضه ، والمعنى : أنه عاشر الدهر فى كلا الحالين من الفرج والضيق وصاحبه فى طريقيه عسره وميسرته .

(٣) اللبوس : اللباس ، والمعنى : أنه لبس لكل حالة لباسها وتقدم لكل عصر بما يليق به وأخذ أهبته فى كل آوانة بما يناسبها .

(٤) صرف الدهر ، خطوبه ونوازله ، وريبه كذلك ومعنى البيتين أننى اغتفر للدهر ذنوبه الماضية وأنسى قديم إساءته بما أولانيه من نعمة حاضرة وسعادة شاملة .

قُلنا: لا فُضَّ فُوكَ . ولله أنتَ وأبُوكَ[1]. مَا يحرُمُ السُّكُوتُ إلاَّ عليكَ، ولا يحِلُّ النُّطقُ إلاَّ لكَ. فمنْ أينَ طلعتِ وأينَ تغرُبُ[2]؟ ومَا الَّذِى يحدُو أملكَ أمامَكَ. ويسُوقُ غرضَكَ قدَّامكَ؟؟[3]. قالَ: أمَّا الوطَنُ فاليمنُ وأمَّا الوطَرُ فالمطَرُ. وأمَّا السَّائقُ فالضُّرُّ. والعيشُ المرُّ[4]. قُلنا: فَلو أقمتَ بهذَا المكانِ لقاسَمْناكَ العُمرَ فمَا دونَهُ ولصادَفتَ منَ الأمطار ما يُزرَعُ. ومِنَ الأنواءِ ما يُكرَع قالَ: ما أختَارُ عليكُمْ صحبًا. ولقدْ وجدتُ فناءَكُمْ رحبًا. ولكنْ أمطارُكُمْ

(١) لا فض فوك أى لا خلى الله فمك من حليته وهى الاسنان ولما كان يتوقف على الاسنان حفظ الحروف وكان الثرم مضيعة لكثير من الكلمات جعلوا هذه الكلمة دعاء لمن يستجيدون نطقه ويستملحون لفظه .

(٢) أى من أين أقبلت وإلى أين أنت ذاهب .

(٣) المعنى أى المقصود لك فى سيرك وأى علة تحثك على ادمان السفر ومتابعة الجولان .

(٤) الوطر القصد ، والمطر المراد منه العطاء وقد أجاب على اسئلتهم كلها على الترتيب ، والمعنى أن محل إقامتى الذى أقبلت منه هو اليمن والمقصد الذى من أجله أجوب الطرقات هو طلب المال والسبب الذى يدفعنى إلى ذلك هو الفقر والحياة الكريهة .

مـاءٌ والماءُ لا يروِى العطاشَ[١]. قُلنا: فـأىُّ الأمطارِ يرويك؟ قـالَ: مطَرٌ خلِفىٌّ[٢] وأنشـأَ يقُولُ :

سـجِسـتانَ أيَّـهُا الراحِـلَـة   وبحـرًا يؤُمُّ المُنَى سـاحِلَه[٣]

---

(١) الانواء : الأمطار الغـزيرة ويكرع يشـرب من مكانه بدون كـوب ، والفناء : السـاحـة أمـام البيـوت ، والرحب المتسـع ، والمعنى أنهم ذكروا له استـعـدادهم لاسـتقبـاله ورضـاهم عن إقامته بينهم متمدحـين حالهم ليرغب فيها فـأجاب بأنه رضـيـهم إخوانا واعـتقد أنهم سيكونون عند شروطهم واقرهم على ما نعتوا به أنفسـهم ولكنه لا يستطيع الاقامة بينهم ولا يجسر على التخلف عن السـير لانهم إن أعطوه فانما يعطونه طعاما وشرابا وهما لا يسدان حاجته ولا يقومان برغبته

(٢) أى إذا كان الماء لا يرويك وقد أخبرتنا أنك تقصد المطر فـأى مطر تعنى ؟ فقـال : المطر الخلفى أى المنسـوب إلى خلف بن أحمد ، وذلك مثل قول الشـاعر (أو قريب منه) :

ما نوال السحاب وقت غمام   كنـوال الأمير وقت عطاء

فنـــوال الأميــر بــدرة مال   ونوال السحاب قطرة ماء

(٣) يؤم : يقصـد . والمعنى سيرى أيتـها الراحلة نحو سـجستان واجـعليها جـهتك واقصدى ذلك الأمير الذى تتوجه الرغبات إليه ويسعى نحوه ذوو الحاجات .

سَتقصدَ أرجان إنْ زُرتَهـــا ‏‏ بـــواحِـدَةٍ مائَـةً كـامِـلَـه[1]

وفَضلُ الأميرِ علىَ ابنِ العميدِ ‏‏ كفَضلِ قُريشٍ علىَ باهِلَه[2]

---

(١) أرجـان : بلدة من بلاد فـارس بفـتح الالف والراء مـشـدودة وقـد خـفـفت لضرورة الشعر . ومعنى البيت أنك وردت حضرة الأمير بأرجان فستنال أمانيك مضاعفة .

(٢) ابن العميد : هو الاستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد حسن ابن العميد كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وهو فارسى الاصل من مدينة قم وكان أبوه كاتبا مترسلا بليغا من كبار كتاب الدولة السامانية وهى إحدى الدول التى استقلت استقلالا داخليا فى أواسط الدولة العباسية . نشأ شغوفا بالعلوم العقلية واللسانية فبرع فى الحكمة والنجوم ونبغ فى الأدب والكتابة وقد قيل (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه وتقلد شريف الاعمال فى دولتهم إلى أن تولى وزارة ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه والد عضد الدولة المشهور سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء وكان يشاركهم فى كل ما يعلمون الا الفقه . وما زال فى وزارته محط الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفى سنة ٣٦٠ هـ . وكان ابن العميد أول من فتح باب الولوع بالرسائل البديعية متوخيا فيها السجع القصير الفقرات مقتبسا من القرآن بعض الآيات ومن السنة بعض الأحاديث المأثورة مشيراً إلى الحوادث المشهورة ناثرا فيها =

= الابيات الحكمية موثرا بعض الحلية اللفظية كالجناس والمطابقة مضمنا الامثال السائرة وحاكاه فى طريقته هذه فحول معاصريه فاصبح عميد رفقتهم وضليع حلبتهم وكلهم كارع من حياضه قاطف من رياضه إن لم يكن بالاقتباس منه فبالمشاركة له وإن كان هو أقلهم التزاما للمسجوع وأقربهم إلى المطبوع . وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدى فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التى منها :

من مبلغ الاعــراب أنى بعدهم	شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليمـوس دارس كتبه	متملكـا متبديـا متحضـرا
ولقيت كـل الفاضلـين كأنمـا	رد الإلـه نفوسـهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما	وأتـى فذلك إذا اتيـت مؤخرا
بأبـى وأمـى ناطق فى لفظه	ثمـن تباع به القلوب وتشترى
قطف الرجـال القول وقت نباته	وقطفـت أنـت القول لما نورا

ومن بديع رسائله ما كتب به إلى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة وهى رسالة طريفة شيقة كما أنها غرة كلامه وواسطة عقده وهى مطولة جداً نذكر منها لمعًا . قال فى أولها :

كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ، ويأس منك ، واقبال عليك ، وإعراض عنك، فانك تدل بسابق حرمه ، وتمت بسابق خدمة ، وأيسرهما يوجب رعاية، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنف خلاف =

= ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أنى وقفت بين ميل اليك ، وميل عليك : أقدم رجلا لصدمك ، وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يدا لاصطلامك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنا بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنيعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة فإلى انجلاء، وكما أنك أتيت من أساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك، فلا بدع أن تأتى من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما وصفت، وسوء ما آثرت، وسأقيم على رسمى فى الابقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستبقاء والمطاولة ما أمكن، طمعا فى انابتك، وتحكيما لحسن الظن بك، فلست اعدم فيما أظاهره من أعذار ، وأرادفه من انذار، احتجاجا عليك، واستدراجا لك .

ومنها :

وزعمت أنك فى طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها، فنشدتك الله إلا صدقت عما سألتك : كيف وجدت مازلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الاول فى ظل ظليل، ونسيم عليل ، ورريح بليل ، وهواء عدى، وماء روى ومهاد وطى، وكن كنين، =

ويؤْلمنا فِراقُهُ. فَبينْما نحنُ بيَومِ غَيمٍ فى سِمطِ الثُّريًّا جلُوسٌ إذِ

= ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفى المحاضر ذكرك ؟ ففيم الآن أنت من الامر ؟ وما العوض عما عددت والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونقضت منها كفك ، وغمست فى خلافها يدك ؟ وما الذى أظلك بعد انحسار ظلها عنك ؟ أظل ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغنى من اللهب ! قل : نعم كذلك ، فهو والله أكثف ظلالك فى العاجلة ، وأروحها فى الآجلة : إن أقمت على المحايدة والعقود ، ووقفت عن المشاقة والجحود .

ومنها :

تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابى فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ، واجسس عرقك هل ينبض ، وفتش ما حنا عليك هل تجد فى عرضها قلبك ، وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو أموت مريح ، ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

ومما سار من كلامه مسير الامثال قوله :

متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى =

= خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه ؟ هل السيد الا من تهابه اذا حضر ، وتغتابه اذا ادبر ؟

وله شعر رائع ، يأخذ بالألباب ويأسر النهى ومنه قوله

قد ذبت غير حشاشة ودماء	ما بين حر هوى وحر هواء
لا استفيق من الغرام ولا ارى	خلوا من الاشجان والبرحاء
وصروف أيام أقمن قيامتي	بنوى الخليط وفرقة القرناء
وجفاء خل كنت احسب انه	عونى على السراء والضراء
ثبت العزيمة فى العقوق ووده	متنقل كتنقل الافياء
ذى ملة يأتيك ، اثبت عهده	كالخط برقم فى بسيط الماء
ابكى ويضحكه الفراق ولن ترى	عجبا كحاضر ضحكه وبكائى

وقوله :

يا من تخلى وولى	وصد عنى وملاًّ
وأوسع العهد نكثًا	واتبع العقد حلا
ما كان عهدك الا	عهد الشبيبة ولى
أو طائفا من خيال	ألم ثم تولى
أو عارضا لاح حتى	إذا دنا فتدلى
الوت به نسمات	من الصبا فتجلى =

المراكِبُ تُساقُ والجنائِبُ تُقادُ[1]. وإذَا رجُلٌ قدْ هجَمَ علَيْنا[2]. فَقلنا: منِ الهاجِمُ؟ فإذَا شَيخُنا النَّاجِمُ. يَرفُلُ فى نيلِ الُمنىَ. وذَيلِ الغِنَى. فَقمنا إليهِ مُعانقِينَ وقُلنا: ما وَراءَكَ يا عِصامُ[3]. فقالَ:

= أهــلا بما ترتضــيه ... فى كل حــال وســهلا

ليجـزيــــنك ودى ... بمثــل فعــلك فعــلا

إن شئت هجرا فهجرا ... أو شئت وصلا فوصلا

صبرت عـنى فانظــر ... ظفــرت بالصبر أم لا

انــى إذا الخـل ولى ... وليتــه مــا تـــولى

وعنه أخذ الصاحب ابن عباد وتولى له كتابة خاصته . وتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

(١) الجنائب : جمع جنيبة ، وهى الدابة التى يأخذها المسافر معه ليستريح إليها اذا تعبت راحلته .

(٢) أى طلع علينا بغتة .

(٣) ما وراءك يا عصام : مثل يضرب عند الاستفسار عن أمر مرغوب فى معرفته ، جهله السائل ، وعرفه المخاطب ، وعصام هو حاجب النعمان بن المنذر منع النابغة الذبيانى من الدخول عليه وهو مريض فقال له النابغة :

ألم أقســم عليــك لتخــبرنى ... امحمول على النعش الهمام ؟

فانــى لا الام علــى دخـــول ... ولكــن مــا وراءك يا عصــام

فان تهلك - ابا قابوس - يهلك ... ربيــع الناس والبلد الحــرام

جِمالٌ مُوقَرةٌ[١]. وبِغالٌ مُثقلَةٌ[٢]. وَحقائِبُ مُقفلَةٌ[٣]. وأنْشأَ يقُولُ :

مولاىَ أىُّ رذَيلَةٍ لم يأبهَا خَلفٌ وأىُّ فضِيلةٍ لم يَأتِها[٤]

---

(١) الوقر : الحمل وأوقره :حمله والموقرة المحملة .

(٢) مثقلة : أى جعل عليها متاع كثير .

(٣) الحقائب : جمع حقيبة ، وهى الوعاء الذى يجعل فيه المسافر ثيابه وأمتعته، والمراد هنا مجرد الوعاء .

(٤) خلف بن أحمد : أحد الامراء الذين انتجعهم البديع ومدحهم ، وله فيه قصائد شيقة منها التى مطلعها :

لك الخير من طيف على النأى طارق ثوبى ريثما ولى ولا لمع بارق

ألم بنا والليل فى درع ثاكل لواحدها والنجم فى لون عاشق

فثرنا إلى الأكوار والعيس نوم تؤم بنا أقصى بلاد المشارق

نهاجر دار العامرية والحمى إلى أرض غزلان الظبا والمناطق

خليلى واها لليالى وصرفها لقد ثقفت إلا كعوب خلائقى

ألم ترنى بعد النهى وبلوغها رجعت لأوطار الشباب الفرانق

اذا سجع القمرى راسلت لحنه بايقاع دمع للغناء موافق

ويقول فيها :

لعمرى لئن من الوزير فإنما يمن على عبد بنعماه ناطق

اذا اقتنصت منه خراسان لفظة أماطت نساء العرب در المخانق

يلح على شوس القوافى وصيدها فيلبسها ماء المعانى الدقائق =

ما يُسمعُ العافِينَ إلاَّ هاكَها   لفظًا وليسَ يُجابُ إلاَّ هاتِها[1]

= أبعد وزير المشرقين أردها   على ملك ؟ ردت أذن فى حمالقى

ومن قصائده فيه قوله :

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل؟   أصدر الدجى حال ، وجيد الضحى عطل ؟!

لك الله من عزم أجوب جيوبه   كانى فى أجفان عين الردى كحل

كأن الدجى نقع وفى الجو حومة   كواكبها جند طوائرها رسل

كأن الربى سكرى ولا سكر بالقرى   كان الربى ثكلى ، وما بالربا ثكل

كان السرى ساق كأن الكرى طلا   كأنا لها شرب كأن المنى نقل

كان بصدر العيس حقدا على الثرى   فمن يدها خبط ومن رجلها نكل

كأن أبانا أودع الملك الذى   قصدناه كنزا لم يسع رده مطل

يقول فيه :

يقولون : وافى حضرة الملك الذى   له الكنف المأمول والنائل الجزل

فقيد له طرف ، وحلت له حبى   وخير له قصر ، ودر له نزل

وفاضت عليه مطرة خلفية   بها للغوادى عن ولايتها عزل

يذكرهم بالله إلا صدقتم   لدى ، أجد ما تقولون أم هزل ؟

طوينا للقياك الملوك وانما   بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

(١) العافين : جمع عاف وهو طالب الفضل وتكسيره عفاة ، وهاك : اسم فعل معناه خذ ، والمعنى أن طلاب فضله والواردين على حضرته لا يسمعون منه إلا كلمة خذ الدالة على كرم زائد وسماحة لا تتناهى وهم لا يجيبونه بغير هات تلك الكلمة التى تنبىء عن احتياجهم إليه .

إنَّ المكارِمَ أسفَرَتْ عنْ أوجُهٍ

بيضٍ وكانَ الخالَ فى وَجَناتها[1]

بأبى شمائلهُ الَّتِى تَجلو العُلا   ويَدا تَرَى البركاتِ فى حَرَكاتها

منْ عدَّها حسَنات دَهـر إنَّنى   ممَّن يعُدُّ الدَّهرَ منْ حَسَناتِها[2]

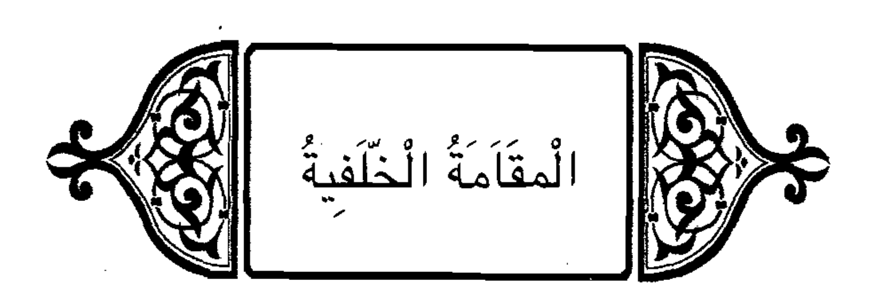
قالَ عِيسَى بنُ هِشامٍ : فسأَلْنا اللّهَ بقاءَهُ وأنْ يرزُقَنا لِقاءَهُ. وَأقامَ النَّاجمُ أيَّامًا مقتصرا منْ لسانِهِ. علىَ شُكرِ إحسانِهِ. ولا يتَصَرَّفُ منْ كلامِهِ. إلا فىِ مَدحِ أيَّامِهِ والتَّحدُّثِ بإنعامِهِ.

---

(١) الخال : نقطة سوداء تكون فى الصدغ الابيض وهى ما تتمدح بها الغوانى وتكسبهن جمالا وبهجة . ومعنى البيت أن الامير زينة المكرمات وحلية الفضائل ، وإنما الرجال بصالح الاعمال ، فإذا افتخر الناس بالمكارم فانها لتفتخر به .

(٢) المعنى : انه إذا كان لانسان أن يعتبر فضائل هذا الامير حسنة من حسنات الدهر فإننى أقول أن الدهر نفسه (وهو الذى يجود بالحسنات) حسنة من حسنات الامير ذلك نهاية المبالغة فى الاطراء .





الْمقَامَةُ الْخَلَفيةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا وُلِّيتُ أحكَامَ البَصرَة. وانحدَرتُ إليَهَا عنِ الحضَرةِ[1]. صحِبَنى فى المركبِ شابٌّ كأنَّهُ العافيَةُ فى البدَنِ[2]. فقالَ: إنِّى فى أعطافِ الأرضِ وأطرافِها ضائِعٌ[3] لكنِّى أعَدُّ معَدَّ ألفٍ[4]. وأقُومُ مقامَ صفٍ. وهَلْ لكَ أنْ

---

(١) تقدم عن البصرة كلام واف ، وانحدرت : سرت ، والحضرة : أراد بها ذات الخليفة الذى ولاه شؤون البصرة أو مكان اقامته وهو بغداد

(٢) يريد أن هذا الشاب طيب العشرة ، وسيم الخلق ، غزير الادب كامل المروءة، بحيث يتمناه الإنسان مثلما يتمنى الصحة ، ويأسف لفراقه ؛كما يأسف اذا فارقته العافية .

(٣) اعطاف : جمع عطف - بكسر أوله - وهو الجانب ، والمعنى : أنه مهضوم الحق ، مهيض الجناح ، ولا يعترف الناس له بفضله ، ولا يذعنون لكياسته ونبله.

(٤) المعنى : أن الحق أننى لست فى المكانة التى أنزلنيها الناس ، وإنما أنا من

تتَّخِذنى صنيعَةً[1]. ولا تطلُبَ منِّى ذَرِيعةً[2]. فقُلتُ: وأىُّ ذرِيعةٍ آكدُ منْ فضلكَ. وأىُّ وسيلةٍ أعظَمُ منْ عقلكَ[3]؟؟ لا بلْ أخدمِكَ

الشجاعة والاقدام ، وكمال الرجولية ، بحيث أسد مسد الالف فأنا من الذين عناهم ابن دريد بقوله :

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف أن أمر عنى

(١) الصنيع والصنيعة : الطعام والاحسان . والجمع : صنائع ، وتقول : هو صنيعى وصنيعتى اذا أحسنت اليه وربيته وخرجته ويقال أيضًا : صنعت الجارية - بالبناء المجهول - إذا أحسن إليها حتى سمنت . وقوله تعالى : (واصطنعتك لنفسى) أى أحسنت اليك لتقوم برسالتى .

(٢) تقول : فلان ذريعتى إلى فلان أى وسيلتى ، وقد تذرعت به إليه : توسلت . ويقال أيضًا : أنا ذريع لفلان عند فلان أى وسيلة وشفيع . والمعنى : أفما ترى أن تحسن إلى وتتعهدنى ثم لا تطلب منى وسيلة غير الحفاوة بى والقيام بشؤونى . هذا هو المعنى المتبادر ولا أدرى كيف يتفق مع الذى نعت به نفسه قبل ذلك ؟ ولو حملت الذريعة على الوثيقة ونحوها لنتج من ذلك معنى صحيح يناسب ما قبله وما بعده ولكنا لم نجد فى معاجم اللغة التى بايدينا الذريعة معنى يساعد على ذلك .

(٣) المعنى أننى لم أكلفك شيئا ، ولا أطلب منك - كما رأيت - وسيلة فإن فضلك وعقلك كافيان .

خِدمَةَ الَّرفيقِ[1]. وأُشارِكُكَ فى السِّعَةِ والضِّيقِ[2]. وسِرنا لَمَّا وصَلنا البَصْرةَ غابَ عنِّى أيَّاماً فَضِقتُ لغِيبَتِهِ ذَرعًا[3]. ولمْ أملكْ صبرًا. فأَخذتُ أُفتِّشُ جُيُوبَ البلَدِ حتَّى وجَدتُهُ[4]. فقُلتُ : ما الَّذِى أنَكرتَ؟ ولِمَ هَجَرتَ[5]؟ فقالَ : إنَّ الوَحشَةَ تقدَحُ فى الَّصدرِ اقتِداح النَّارِ فى الزَّندِ[6]. فإنْ أُطفِئَتْ نارَتْ وَتَلاشَتْ . وإنْ

---

(١) يروى الرقيق بقافين وهذه الرواية واضحة المعنى ويروى الرفيق بالفاء الموحدة ، ومن معانيه : العبد ، وحينئذ فالمعنى جلى .

(٢) المعنى : لا أبخل عليك بما بيدى إذا اثريت وأواسيك بطيب عشرتى إن أمحلت. (٣) ضاق بالامر ذرعا وذراعا : أى لم يطقه ، ولم يقدر عليه .

(٤) جيب الارض : مدخلها ، وجمعه جيوب ، والمعنى أنه حينما فارقنى داخلتنى الوحشة ، وزاد بى الغم ، فعيل صبرى ، ولم أستطع نسيانه ولا السلو عنه ، فخرجت فى طلبه أبحث عنه ولم أترك مدخلا للبلد ولا منعطفا إلا ولجته ، إلى أن هدتنى الالطاف اليه .

(٥) المعنى : أى شىء حملك على هجرانى وتركى ، وما الذى رأيت منى فلم يعجبك ، ولم يرق فى نظرك .

(٦) الوحشة : الخلوة ، والغم ، والخوف ، وانقباض النفس عند استذكارها أمرا تكرهه ، وتقدح : تشتعل ، أو تظهر ، والزند : العود الذى يقدح به النار ، وجمعه زناد أو أزند وازناد . والمعنى : أن الالم ليتوقد فى الصدر كما تتوقد النار اذا احتك الزناد .

عـاشَتْ. طـارَتْ وطـاشَتْ[1]. والقَطرُ إذَا تتَـابَعَ على الإنـاءِ امتَـلأ وفـاضَ[2]. والعتَبُ إذَا تُركَ فرَّخَ وبَاضَ[3]. والحُّرِ لا يعلَقُهُ شـرَكٌ كالعَطاءِ ولا يطرُدُهُ سـوُط كالجـفـاءِ[4]. وعلىَ كُلِّ حـالٍ. ننظرُ منْ

(١) بادت : هلكت ويروى نارت : ومعناه انهزمت على تشبيه الوحشة أو النار بالرجل المنهزم أمـام عدوه ، وتلاشت : تضـاءلت وانمحت آثارهـا ، وطارت : ارتفعت ، وطاشت : حـمقت ، والمعنى : أن النار إذا بودرت قبل أن تلتهب ، وعولجت من قبل أن يندلع لسانها ويرتفع شواظها فلابد أن تنكسر حدتها وتضمحل قواها فتعفوا آثارها ، فأما اذا تركت وشأنها ولم تتخذ الحيطة لها فإنها لا تترك سبدا ولا لبدا ولا تبقي ولا تذر ، وكذلك نار الاحقاد والآلام .

(٢) القطر : المطر ، تتابع : توالى وفاض : زاد حاجته ، والمعنى : أن توالى المطر وهو نعمة يعقب ضررا إذا زاد عن الكفاية فكيف بك اذا توالت البأساء والضراء واذا كان الاناء يرمى الزائد عن سعته فلابد أن يفجر الوحشان (المغتم) وشديد الضغط يعقبه انفجار دائما .

(٣) أفرخت البيضة وفرخت : انشقت عن الفرخ ، والطائرة اذا صار لها فرخ ، والعتب والعتبة - بالتحريك - : الامر الكريه من الشدة والبلاء . يقال حمل فلان فلانا على عتبة أى على شدة وكريهة . وفى حديث عائشة (إن عتبات الموت تأخذها) أى كروبه وشدائده والمعنى أن الكربات والشدائد اذا لم يعمل المرء على ازالتها تولدت عنها شرور ومساو وأصبح كبحها بعد ذلك عسيراً .

(٤) لا يملك الحر ويستهويه أكثر من الاحسان ولا يسيئه وينفره سوى الاساءة ، وأحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم .

عالٍ. علىَ الكريمِ نظرَ إدلالٍ. وعلىَ اللَّئيمِ نظَرَ إذلالٍ[1] فَمنْ لقيَنَا بأنفٍ طويلٍ. لقيناهُ بخُرطُومِ فِيل[2]. ومَنْ لحظَنا بِنظَرٍ شزرٍ. بِعناهُ بثمَنٍ نزرٍ[3].

---

(١) الادلال - بالدال المهملة - ومثله الدلال : التعزز على من لك عنده منزلة ، وفى الحديث : يمشى على الصراط مدلا (أى منبسطا لا خوف عليه)، ولعله مأخوذ من الدال وهو والهدى والسمت عبارة عن الحالة التى يكون عليها المرء من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة والاذلال - بالذال المعجمة - الاحتقار ، والاهانة ، والازدراء ، وتهوين الشأن ، والمعنى : أنه يجعل الناس فى المعاملة على قسمين فيعامل كل صنف بما يليق له ويلائمه فيتعزز على الكريم ويدل عليه وينأى عن اللئيم ويحقره وهو بهذا يشير إليه بأنه من الكرام الذين تجب الدالة عليهم ، وينبغى فى حقهم التيه .

(٢) يقال : شمخ الرجل بأنفه إذا كان متكبرا صلفا ، والشموخ الارتفاع وأصله من قولهم : جبل شامخ أى مرتفع عال ولبعضهم :

ترى شمخ الاطواد من شمخ خندف ذراهن فى ضحضاح بحرك تغرق

فهم يكنون بشموخ الانف عن الارتفاع والتكبر ، وخرطوم الفيل : أنفه مع شفته العليا وهما بالغان الغاية فى الطول ، والمعنى : أن الذى يتكبر علينا ويزور بجانبه عنا نعامله من جنس هذه المعاملة ونكيل له بكيله بل نفوقه صلفا وإباء وكبراً والكبر على أهل الكبر صدقة .

(٣) اللحظ : النظر بشق العين مما يلى الصدغ ويسمى اللحاظ فاما الذى يلى =

وأنتَ لمْ تغرِسنى ليقلعَنَى غلامُكَ[١]. ولا اشتَرَيتنيِ لتَبيِعَنى خدَّامُكَ[٢]. والمرءُ منْ غِلمانِهِ كالكِتابِ منْ عُنوانهِ[٣] فإنْ كانَ

= الانف فالموق والماق ، وأراد منه هنا مجرد النظر ، والنظر الشزر . أكثر ما يكون فى حال الغضب وإلى الاعداء والنزر : القليل والبخس ، والمعنى : أن حقا علينا أن من تأفف منا أو سئمنا فعاف عشرتنا غير آسفين عليه ولا متألمين له .

(١) شبه نفسه بالشجرة التى يغرسها الانسان وكأنه أراد من ذلك أن من زرع لا يزال يتعهد زرعه بالسقى إلى أن ينمو ويشتد ويحافظ عليه ويمنع عنه الايدى، والمعنى : انك لم تكلف نفسك عناء معاشرتى ، والقيام على ، وتأدية شؤونى لتتركنى إلى خدمك فيسيئوا إلى وتحمل رعايتى إليهم فيهملوا أمرى .

(٢) هذه الفقرة كالتى قبلها ، وشبه نفسه هنا بالشىء الذى يشتريه ويدفع المرء فيه ماله وذلك يكون مدعاة إلى الاحتفاظ به والخوف عليه :

(٣) المعنى : أن خدم الانسان ينبئون عن أخلاقه ويدلون على خفيه كالكتاب اذا خفى دل عليه عنوانه ، وهذا ضد الذى يقوله بعض الناس اذا حسنت أخلاق السيد ساءت أخلاق المسود . وللعباس بن الاحنف فى التشبيه بالكتاب ودلالة العنوان عليه :

لا جزى الله دمع عينى خيرا وجزى الله كل خير لسانى

كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان

جفاؤُهُم شيئًا أمرتَ بِهِ فمَا الَّذى أوجَبَ؟ وإنْ لمْ تكُنْ علِمتَ بِهِ كانَ أعجَبَ[1]!! ثُمَّ قالَ :

ظفرَتْ يدَا خلَفِ بنِ أحمَدَ إنَّهُ   سهلُ الفنَاءِ مُؤَدِّبُ الخدَّامِ[2]

أوَ مارَأيتَ الُجودَ يجتازُ الوَرى   ويحـلُّ منْ يدِهِ بدارِ مُقَامِ[3]

---

(١) أى أن أمرك دائر بين أن تكون أوعزت إلى خدمك بالاساءة إلى ومعاملتى بالشر وهذا عجيب جدا لانه لا سبب يدعو إلى مثل هذه المعاملة وبين أن يكونوا قد صنعوا ذلك من عند أنفسهم وبغير علمك وهذا أكثر عجبا وأشد غرابة اذ كيف يتصرف الخادم تصرفا لم يأمره به سيده ، أو يعمل عملا لا رغبة لمولاه فيه. (٢) اليد آلة القوة وواسطة البطش ولذلك يعبرون بها عن ذلك ويكنون عن القوة والمنعة ووفر النعمة ورخاء العيش بمثل : اشتد ساعده ، وقويت يده وظفرت يده، وما أشبه ذلك وفى ضد ذلك تربت يد ، وأمحلت ، وضعفت ، ويقولون فلان رحب الفناء - بكسر أوله - : المتسع أمام الدار ويجمع على أفنية بوزن كساء وأكسية، والمعنى : إنه يدعو لخلف بالخصب والنماء والقوة لانه كريم حسن الوفادة كثير الزوار ومع هذا فإن خدمه مؤدبون لا يسيئون إلى أحد ولا يمل منهم طارق، وفيه تعريض بعيسى.

(٣) جاز المكان يجوزه : تعداه إلى غيره واجتازه كذلك ، والمقام والاقامة : المكث والبقاء ، والمعنى : أن الكرم وطيب الاخلاق وشريف الخلال تمر بالناس جميعا لا تعرج عليهم ولا تقع بساحتهم فإذا بلغت الامير القت عصاها عنده وبقيت لديه لا تحول ولا تتحول وفى البيت كناية عن نسبة صفة الكرم اليه كقولهم : المجد بين برديه ، والكرم حشو ثوبيه ، والسؤدد طوع يديه ، وكقول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى   فى قبة ضربت على ابن الحشرج

قالَ عيسى بنُ هشامٍ : ثُمَّ أعرضَ وتبعتُهُ أستعطِفُهُ[1] ومَازلتُ أُلاطِفُهُ[2] حتَّى انصَرَفَ. بعدَ أنْ حلَفَ أنْ لا أورَدتُ منْ أساءَ عِشرَتَهُ[3]. فوَهبتُ لهُ حُرمَتَهُ[4].

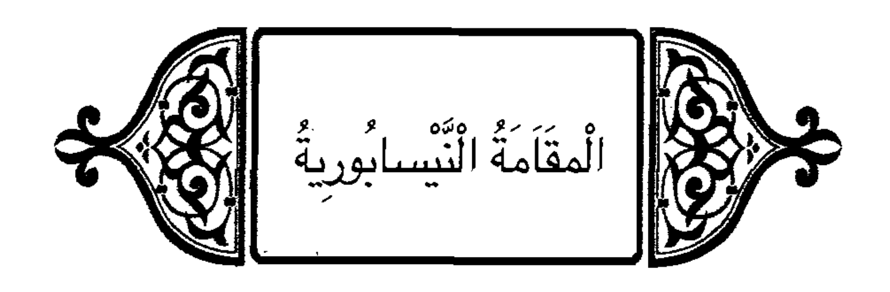
---

(١) أعرض : المراد منه سار معرضا ، واستعطفه : أطلب منه العطف وهو الميل والشفقة ، والمعنى : أنه تركنى ومضى متألما مما حدث له مظهرا الاعراض عنى فلم أستطع أن أتركه بل سرت إليه ومازلت به أطلب منه ألا يحمل فى نفسه شيئا و ألا يكون خطأ الخادم معه مدعاة إلى التقاطيع والنفور .

(٢) ألاطفه : استعمل فى استعطافه اللطف وهو الرفق ، واللين والهدوء .

(٣) انصرف : ذهب إلى قصده ، وحلف - بالتخفيف - : أقسم وأوردت : أحضرت ، والمعنى أنه تركنى سائرا فى طريقه بعد أن أقسم على ألا يبقى عندى ولا ينتظر بحضرتى ذلك الخادم الذى أهانه وأساء معاملته وكأنه أقسم عليه لثقته وكرم أخلاقه وشرف طباعه ومن كانت تلك سجاياه فإنه يبر الناس فى قسمهم ويجيبهم إلى طلبتهم .

(٤) حرمة الرجل : كرامته وكأن أصله حرمة الرجل لحرمة أهله لانهم موضع إهانته وكرامته . ومعنى وهبته حرمته : أعطيته كرامته ومنحتها له وكأنما كان مفقودها بسبب سوء المعاملة فأرجعها إليه بما صنع من طرد الخادم .



الْمقَامَةُ النَّيْسابُورِيَةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنتُ بِنَيسابُورَ[1] يومَ جُمعةٍ فَحضرتُ المفرُوضَةَ[2] ولَمَّا قضَيتُها اجتازَ بي رجلٌ قدْ لبِسَ دنِّيةً[3] وتحَنَّكَ سنِّيةً[4]. فقلتُ لمصَلٍّ بجِنَبي: منْ هذا؟ قالَ : هذا

(١) نيسابور : إحدى مدن مملكة إيران .

(٢) المفروضة: الصلاة وأراد بها صلاة الجمعة .

(٣) اجتاز : مر ، والدنية – بتشديد النون والياء جميعا: قلنسوة طويلة يلبسها القضاة وكأنها منسوبة إلى الدن ، وليست هذه اللفظة من كلام العرب وإنما هى من الالفاظ المستعملة فى العراق – حينذاك – وقد استعملها شعراؤهم كثيرا . قال ابن لنكك :

نفسى تقيك أبا الهندام يا أملى — أنى بكل الذى ترضاه لى راضى

ما كان . . . فقيها اذ ظفرت به — فكيف ألبسته دنية القاضى

وقال الصابى : وفوقه دنية — تذهب طورا وتجى

(٤) تحنك : جعل عمامته تدور من تحت حنكه ، والسنية المنسوبة إلى أهل السنة.

سُوس لا يقَعُ إلا فـى صُوفـِ الأيتـامِ[1]. وجـرَادٌ لا يسـقُط إلا علىَ الزَّرع الحَـرامِ[2] ولصٌّ لا ينقُبُ إلا خـزانَةَ الأوقـافِ[3]. وكُردِىٌّ لا

---

(١) السوس : نوع من الدود ، ونقول المشهور أن الذى يأكل الصوف ونحوه من الثياب دويبة تسمى : (الأرضة) وأن السوس يأكل الطعام ونحوه قال الشاعر:

فقد أطعمتنى دقلا حوليا   مسوسا مدودا حجريا

وحجريا : منسوبا إلى حجر قصبة اليمامة . وقال آخر :

آليت حب العراق الدهر أطعمه   والحب يأكله فى القرية السوس

غير أن القاموس فسره بأنه دود يقع فى الصوف . وقال : وأرض الخشب - : كعنى - أكلته الارضة لدويبة معروفة وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال : سوس وأرض لكل شـىء . والمعنى : أن هذا القاضى خبيث لئيم دنىء يقع فى الصوف - وأراد به الاموال - فيأكله ويفسده ولكنه لا يختار إلا صوف الايتام وأموالهم لأنه لا يوجد لليتيم من يدافع عنه ويحاسب له .

(٢) الجراد : معروف ويقال للذكر والانثى وهو ينزل بالزرع فيهلكه ومنه قيل : سرحة لم تجرد أى لم تصبها آفة تأكل ثمرتها ولا ورقها ، وقيل : جردت الأرض فهى مجرودة أى أصابها الجراد وأهلكها ، والمراد تشبيه ذلك القاضى به فى أكله الأموال وإهلاكها فهو يقول انه كالجراد الذى ينزل بالزرع فلا يترك فيه ثمرة نافعة ثم انه لا ينزل بالزرع المباح بل يختص الحرام منه زيادة فى تشنيع حاله .

(٣) اللص : السارق ، والمعنى أن هذا الرجل يشبه اللص فى أخذه أموال =

يغيرُ إلا علىَ الضِّعافِ[1]. وذئبٌ لا يفترسُ عبادَ اللهِ إلا بينَ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ[2]. ومحارِبٌ لا ينهَبُ مالَ اللهِ إلا بينَ العُهُودِ والشُّهُودِ[3]. وقدْ لبسَ دنِّيتهُ. وخلَعَ دينيَّتهُ[4]. وسوَّىَ طيلسَانَهُ.

= الناس واختلاسها ولكنه لا يسطو الا على ما اشتد الحظر عليه وزادت حرمة انتهابه كأموال الاوقاف المرصودة لمنافع الناس العامة .

(١) الاكراد : جيل من الناس فى طبعهم النذالة ، ودناءة النفس فهم أشد الناس ميلا إلى النهب وسلب الاموال . وهذا القاضى يشبههم فى ذلك غير أنه لا يسطو على جميع الناس بل يختص بنهبة الضعاف والعجزة الذين لا يقدرون على مغالبته ولا يجسرون على مجالدته . فأما الأقوياء والذين لهم شوكة فهو يمنحهم فوق حقوقهم ليتستروا عليه ، ويعاونوه على ظلمه .

(٢) ذئب : المراد به انسان يشبه الذئب فى الخبث ، والذئب أخبث الحيوانات وأردأها ومن ثم سمي صعاليك العرب وشطارهم بالذؤبان ، والمعنى : أنه يتظاهر بالصلاح والتقوى والخشية من الله والخوف من عذابه ولكنه يعمل عمل الذين ليس فى قلوبهم شيء من الشفقة ولا تداخلهم الرحمة بعباده فهو يسطو على الناس وهو راكع وساجد .

(٣) العهود : العقود والمواثيق ، والمعنى أنه يحتال على الناس بصور خداعة يوهمهم أنها شرعية ليقتنص أموالهم ويستفيدها لنفسه ، والحقيقة أن هذه الاشياء متصنعة صورية لا تتفق مع الشرع فى شيء .

(٤) دينيته : صفته الدينية، والمعنى : أنه قد ارتدى رداء القضاة ورجال الدين =

وحرَّفَ يدَهُ ولسِانَهُ[١]. وقصَّرَ سبِالَهُ وأطالَ حبالَهُ[٢]. وأبدى شقاشقِهُ وغطَّى مخارِقَهُ[٣].

= ولبس لبوسهم وتزيى بزيهم ولكنه قد ترك حقيقة صفاتهم ونبذ صالح أعمالهم التى لا يلائمها ما يفعله من ابتزاز الاموال ونهبها .

(١) الطيلسان : لباس أخضر يلبسه الخواص من النساك ، وتطلس : لبسه ، وسواه : وضعه كما ينبغى أن يوضع ، وحرف يده ولسانه : أى حددهما كناية عن تهيئته واستعداده للاختلاس وايقاع الناس فى شباكه .

(٢) السبال - بوزن صحاب - جمع السبلة بالتحريك وهى الشارب ، وتقصيره من سيما الصالحين ، وعلامات الوراع والاتقياء ، وقال الهروى : هى الشعرات التى تحت اللحى من الاسفل ، والسبلة عند العرب مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر، وليس ذلك مراداً هنا لأن تقصير هذا ليس من شارات الزهاد ، وأطال حباله : أى شباكه التى يصيد بها الناس .

(٣) الشقاشق : جمع شقشقة بكسر الشينين وأصلها النفاحة التى يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره ثم قيل للخطيب الذى فى لسانه ذرابة أنه لذو شقشقة تشبها بالفحل الكثير الهدير .

وقال الاخطل :

اذا هدرت شقاشقه ونشبت ... له الاظفار ترك له الهدار

(أراد نشبت وترك فخفف باسكان الشين والراء) ويقال : مخرق الرجل : أى أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافهما ، والمخرقة منه وجمعها مخارق =

وبيَّضَ لحيتَهُ. وسوَّدَ صحيفتَهُ[1]. وأظهَرَ ورعَهُ. وستَرَ طمعَهُ[2].
قلتُ : لعَنَ اللهُ هذا فمنْ أنتَ؟. قالَ : أنا رجُلٌ أعرَفُ بالإسكندَرِيِّ. فقلتُ: سَقى اللهُ أرضًا أنبتَتْ هذا الفضْلَ. وأبًا خلَّفَ هذا النَّسلَ. فأينَ تُريدُ؟ قالَ : الكعبَةَ. فقلتُ: بخٍ بخٍ باكلها ولَمَا تُطبَخ[3]. ونحنُ إذًا رفاقٌ[4]. فقالَ: كيفَ ذلكَ وأنا مصعِّدٌ

= قيل: وهي كلمة مولدة . والمعنى : أن هذا القاضي أظهر ذرابة لسانه ، وفصاحة منطقه وقوة بيانه لاستجلاب الناس والتفافهم حوله وأخفى كذبه وباطله في نفسه

(١) بيض لحيته : أي أنه عاش طويلا حتى ابيضت ولكنه لم يعمل عملا صالحا في حياته كلها بل كل أعماله شريرة فاسدة فهو قد لوث صحيفة ذكراه وتسويدها كناية عن ذلك .

(٢) المعنى : أنه أظهر للناس تعففه عن الدنيا وميله إلى ثواب الآخرة وأخفى عنهم أغراضه ونياته الخبيثة . (٣) بخ كقد أي عظم الأمر وفخم تقال وحدها وتكرر بخ بخ الأول منون والثاني مسكن وقل في الافراد بخ ساكنة وبخ مكسورة وبخ منونة وبخ منونة مضمومة ويقال بخ بخ مسكنين وبخ بخ منونين وبخ بخ مشددين : وهي كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو الفخر والمدح ، وقوله بأكلها ولم تطبخ معناه ، أن ثوابها وعظيم أجرها (والضمير للفعلة الصالحة المفهومة عند الكلام) يحصل لك قبل الفعل فكيف بك بعده .

(٤) رفاق : جمع رفيق بوزن كريم وكرام ، والرفيق : الصاحب ، والصديق ، =

وأنتَ مصوِّبٌ[1]؟! قلتُ: فكيفَ تصعِّدُ إلى الكعبَةِ :[2] ؟ قالَ : أما أنِّي أريدُ كعبَةَ المحتاجِ. لا كعبَةَ الحُجَّاجِ[3]. ومشعَرَ الكرَمِ. لا

= والذى يعاونك فى عملك مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب ، ولطافة الفعل ، ويقع الرفيق على الواحد والجمع تقول : وهو رفيقى ، وهم رفيقى كما تقول : هم رفقائى ، ورفاقى ، وفى التنزيل : (وحسن أولئك رفيقا). والمعنى : انك تقصد الكعبة وأنا أقصدها وقد شممت منك ريح النبل وكرم الخلق فهلا كنت رفيقى فى ذلك السفر .

(١) مصعد : أى ذاهب نحو الشمال من الصعود وهو الارتفاع ، ومصوب : سائر نحو الجنوب من قولهم صوب إذا تسفل ، وقال أبو النجم : تصوب الحسن عليها وارتقى ، والمعنى : أنه لا سبيل إلى مرافقتك ، والسير معك لان طريقنا غير واحدة .

(٢) المعنى : أنه عجيب جدا أن تقول انك مصعد فى حين أنك ذكرت لى أنك انما تقصد الكعبة والسائر إليها يكون مصوبا لا مصعدا .

(٣) كعبة المحتاج : أى مقصد العفاة والعائذين ، وطلاب المكارم ، ورائدى الجود ، والمعنى: أننى لم أقصد بالكعبة ذلك المعنى الذى يتبادر إلى ذهنك وهى التى يؤمها الحجاج لقضاء النسك ولكننى قصدت معنى آخر وهو المكان الذى يلجأ إليه نوو الحاجة والمعوزين.

مشعَرَ الحرَمِ[1]. وبيتَ السَّبي لا بيتَ الهدْى[2]. وقبلَةَ الصِّلاتِ. لا قبلةَ الصَّلاةِ[3]. ومنَى الضَّيفِ. لا منىَ الخيفِ[4].

---

(١) شعائر الحج : علاماته وآثاره ومعالمه التى ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها ومن الاخير سمى المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع تؤدى فيه وفى التنزيل : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه المقيدة (مكان النار التى يشعلونها للاستضاءة) والمعنى : اننى قصدت موضع الكرم والبذل والسخاء وإسداء المعروف وحسن العطاء ولم أقصد المعنى الذى يتبادر إلى ذاكرتك وهو موضع أداء بعض شعائر الحج .

(٢) السبى : السبايا التى يغنمها الجيش بانتصاره على عدوه ، والهدى : ما يساق إلى مكة من النعم لتنحر وواحده : هدية ، وجمعه : اهداء والمعنى : اننى اقصد بمسيرى بيتا تساق السبايا إليه لا بيتا تنحر البدن عنده .

(٣) الصلاة - بكسر أوله - : جمع صلة وهى المنحة ، والهبة ، والعطية ، والصلاة - بفتح الأول - : المفروضة التى هى إحدى فرائض الدين ، والقبلة : التى يتوجه إليها ، والمعنى : لا تظن اننى متوجه إلى ذلك المكان الذى يتوجه نحوه المصلى حين صلاته ولكنما أنا سائر إلى المكان الذى تكون فيه الهبات والعطايا .

(٤) منى - كالى وتصرف - : قرية بمكة سميت بذلك لما يمنى بها من الدماء =

قلتُ : وأينَ هذهِ المكارمُ؟ فأنشأَ يقولُ :

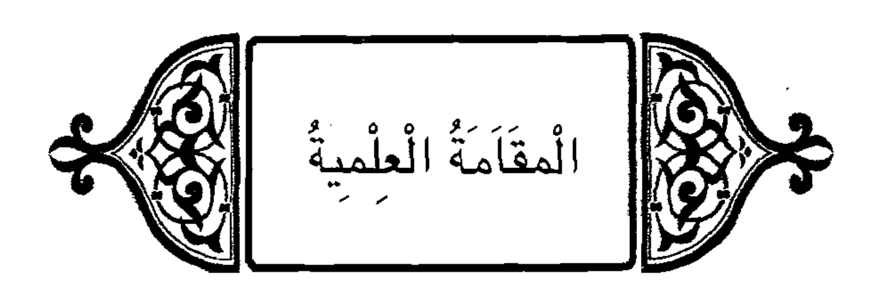
بحـيثُ الدِّينُ والملكُ المؤيَّد وخـدُّ المكرُمـات بهِ مُـوردّْ[1]

بأرضٍ تنبُتُ الآمالُ فيهَا لأنَّ سَحابَها خَلَفُ بنُ أحمَدْ[2]

= والخيف ناحية منها وهو غرة بيضاء فى الجبل الاسود الذى خلف أبى قيس ، وأصله ما ارتفع عن مجرى السيل عن غلظ الجبل وجمعه خيوف ، وهناك مسجد سمي بمسجد الخيف لوقوعه فى سفح الجبل عند ذلك المكان ، وأضاف منى إلى الضيف إشارة إلى كثرة عدد الواردين على حضرته ، والمعنى : اننى لا اقصد بما ذكرت لك أنى آخذ فى طريقى إلى منى التى يسير إليها من يقضى فريضة الحج ولكنى أردت منى التى يذهب إليها الضيفان ويسيرون نحوها .

(١) يروى والملك المؤيد - بالياء المثناه - أى المنصور ويروى الملك المؤبد - بالباء الموحدة - أى الدولة الباقية ، وقد شبه المكرمات بانسان يترقرق فى وجهه ماء الشباب وتجرى فيه الصحة والعافية ، ويتقلب فى أعطاف النعمة والرفاهية وكنى بتورد خده عن ذلك كله ، جعل سبب التورد فى خد المكرمات ممدوحه المقصود بالتوجه إليه فكأنه يقول : أنه حلية المكارم ، وأن بقاءها ودوامها بوجوده وبقائه .

(٢) السحاب : المطر ، والمعنى : أن هذه الارض التى أيممها منبت الآمال ، ومغرس الأمانى لان الذى يجودها ويتعهدها هو خلف بن احمد الذى لا يخيب عنده قاصد ، ولا يضل بساحته سالك ، ولا يضيع لديه رجاء .



حَدَّثَنَا عيسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : كُنتُ فى بعض مطارح الغربةِ مجتازًا فإذا برجلٍ يقولُ لآخرَ : بم أدركتَ العلمَ ؟ وهو يجيهُ[1] قالَ : طلبتهُ فوجدتهُ بعيدَ المرامِ[2] . لا يصطادُ بالسِّهامِ[3]. ولا

---

(١) مطارح : مواضع ، الغربة : البعد عن الأهل ، والنأى عن الوطن ، مجتارا مارا وسائرا ، والمعنى : أننى كنت أسير يوما فى بعض الأماكن التى رمانى بها الانتزاح عن ديار الاهل والاحباب ، وأدتنى اليها مفارقة الوطن فلقيت رجلين وقف أحدهما يسأل صاحبه وأخذ الثانى يجيبه.

(٢) المرام : المطلب ، وقد رام الشىء - من باب قال - : طلبه ورغب فيه ، والمعنى أن مطلبه عسير ، والرغبة فيه شاقة فكيف بنواله والحصول عليه .

(٣) المعنى : أن القوة ، وسلامة الاعضاء ، والقدرة على الرماية وغيرها اشياء لا تكفى ولا تنفع فى تحصيل العلم والوقوف على أسراره لأنه ليس كالطائر الذى يقع بمجرد تسديد السهم إليه وإصابته به .

يُقسَمُ بالأزلامِ[1]. يُرى فى المنامِ [2]. ولا يضْبطُ باللجامِ . ولا يورثُ عن الاعمامِ[3]. ولا يستعارُ من الكرامٍ . فتوسلتُ إليه

---

(١) الازلام : قداح الميسر أو القدح الذى كان العرب يستقسمون عند أصنامهم. وكان الرجل منهم يضعها فى وعاء له (وهى مكتوب عليها الامر والنهى : افعل ، ولا تفعل) فاذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مهما أدخل يده فاخرج منها زلما فان خرج الامر مضى لشأنه وان خرج النهى كف عنه ولم يفعله ، وقداح الميسر عشرة سبعة منها رابحة وأكثرها نصيبا المعلى ولذلك يقولون : أحرز فلان القدح المعلى إذا نال حظا وافرا وثلاثة لاحظ لها قال بعضهم يصف سوء حظه ونكد طالعه :

لى سهام ليس فيهن ربيح   هن وغد وسفيح ومنيح

وكانوا ينحرون جزورا ويقسمونه أقساما يجعلون لكل قدح من الرابحة قسما يختلف باختلافها ثم يجلسون إلى الشراب ويحيلون القداح فايهم خرج له واحد منها أخذ نصيبه ، والمعنى أن العلم ليس شيئا ينال بالمقامرة والحظ وسعادة الجد ولكنه يتوصل إليه بالدأب والجد فى العمل والسعى إليه .

(٢) أى أنه ليس خيالات أو رؤى وأطيافا تمر بك فى نومك وأنت مستريح هادىء بل لابد من متابعته السهر وادمان المطالعة وكثرة البحث .

(٣) التركات تصل إلى الوارثين من غير نصب ولا اجهاد ، وكذلك العاربة لا يتحمل المستعير فى الحصول عليها شيئا من المشقة ، وقد كنى بالجملتين عن عدم التمكن من العلم مع الراحة ونفى السعى والاجتهاد .

بافتراشِ المدرِ[1] . واستنادِ الحجرِ . وردِّ الضجرِ وركوبَ الخطرِ وإدمانِ السهرِ . واصطحابِ السفَر . وكثرةِ النظرِ . وإعمال الفكَر . فوجدتهُ شيئًا لا يصلحُ إلا للغرسِ . ولا يغرسُ إلا فى النفسِ[2] . وصيداً لا يقعُ إلا فى الندْرِ . ولا ينشبُ إلا فى الصدرِ[3] . وطائرًا لا يخدعهُ إلا قنصُ اللفظِ . ولا يعلقهُ إلا شركُ

---

(١) المدر : قطع الطين اليابس ، وبه سمى ذلك الرجل اللئيم البخيل وهو أحد بنى هلال بن مالك بن صعصعة (مادرا) لانه سقى أبله فبقى فى الحوض قليل من الماء فسلح فيه وجعل يرمى فيه المدر وبه يضرب المثل فى البخل ، والمعنى أنه لم يجد وسيلة أنجح للحصل على العلم من المشقة والجهد الطويل وعدم الدعة والكسل وقد كنى عن ذلك بما ذكره من اصطحاب السفر وكثرة النظر وغيرهما .

(٢) المعنى : أنه بعد أن عرف العلم وتذوقه أدرك أن الحصول عليه جملة واحدة أمر غير ممكن ولا يستطاع السبيل إليه وإنما الذى يتأتى هو أن يغرس ثماره ثم لا يزال يتعهدها بالسقى والنماء حتى تينع وتورق ثم تتهدل أغصانها وتثمر الثمر الطيب والجنى النافع المفيد وعلم فيما علمه أن مغرس هذه الثمار ومنبتها لا يكون الا النفس .

(٣) الندر ، والنادر : القليل ، والمعنى أنه وجد أيضا أن مسائل العلم ومشكلاته عويصه لا يتسنى الحصول عليها فى كل حين ولا تقع للباحث دائما ، وينشب : يعلق ، والمعنى : أنه لا يصيد العلم ويضبطه غير الصدور .

الحفظِ[١] . حملتهُ على الروح وحبستهُ على العينِ[٢] . وانفقتُ من العيشِ وخزنتُ فى القلبِ[٣] وحررتُ بالدرسِ[٤] . واسترحتُ من النظر إلى التحقيقِ . ومن التحقيقِ إلى التعليقِ[٥] . واستعنتُ فى

(١) القنص فى الاصل : الطائر والمراد به هنا : الفخ والشرك ، وقد قنصه - من باب ضرب - واقتنصه ، وتقنصه : صاده ، والقانص والقنيص والقناص : الصياد ، والمعنى : أن العلم كالطائر لكن لا سبيل لتصيده الا أشراك الالفاظ ولا طريق للتحفظ عليه وضبطه من الضياع غير الحفظ .

(٢) المعنى : أننى جعلت له مكانا لا زوال له ولا فناء ولا يصيبه ملل ولا إعياء وهو الروح وذلك أن أعضاء الجسم تتألم من الحمل ويثقل كاهلها طويل مدته فربما طرحت به وتركته ولكن الروح لا يعتريها مثل هذا وربما صح أن المعنى أنه لم يقتصر على العلوم العقلية واللسانية بل أنه ضرب بسهم فى العلوم التى تتغذى بها الروح وتتكمل كفلسفة الاخلاق مثلا .

(٣) المعنى : أننى انفقت مالى وصرفت الذى أدخره لقوتى ومعيشتى فى سبيل الحصول على غذاء العقل وقوام القلب وهو العلم فإن كنت قد أصبحت خالى اليد صفر الاناء من متاع الدنيا فقد امتلأ عقلى علوما ومعارف .

(٤) أى حررت المسائل ووقفت على دقائقها وتبينت أسرارها وعرفت خباياها بالمدارسة والمذاكرة وكثرة المعاودة .

(٥) المعنى أننى كنت أنتقل من النظر فى المسألة وبحثها إلى اكتشاف حقيقتها واتضاح كنهها على ما هى عليه ثم أتجاوز ذلك إلى تسطير رأيى فيها وتدوين عقيدتى والتعليق عليها بما رأيت .

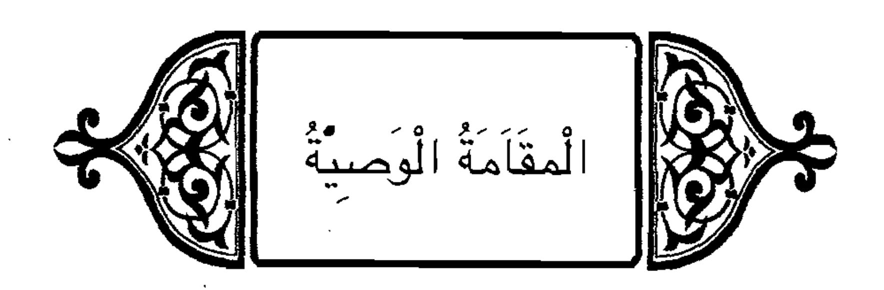
ذلك بالتوفيقِ . فسمعتُ من الكلامِ ما فتقَ السمْع ووصلَ إلى القلبِ وتغلغل فى الصدرِ . فقلتُ : يا فتىَ ومنْ أينَ مطلعُ هذهِ الشمسِ ؟ فجعلَ يقولُ :

إسكندريةُ دارِى لو قرَّ فيها قرارِى

لكنَّ بالشامِ ليلى وبالعراقِ نهارِى [1]

(١) المعنى : أن مطلعى ومكانى الذى منه نشأت وفيه درجت هو الاسكندرية ولكنى لا أطيل البقاء بها فانا متنقل دائما فساعة ترانى بالعراق وأخرى تجدنى بالشام والمراد مطلق التنقل إلى مطلق الجهات .





الْمقَامَةُ الْوَصِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا جهَّزَ أبو الفتْح الإسكنْدرِى ولدهُ للتجارةِ أقعدهُ يُوصِّيه فقالَ بعد ما حمدَ اللهَ وأثنى عليهِ وصلى على رسوله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : يا بُنَيَّ إنى وإنْ وثقْتُ بمتانةِ عقلِك وطهارةِ أصلكَ . فإنى شفيقٌ والشفيقُ سىء الظنِّ[1] ولستُ آمنُ عليكَ النفسَ وسلطانَها . والشهوةَ وشيطانَها[2]

(١) متانة العقل : حصافته ، وسداده ورجاحته ، وأصله من متن مشىء – من باب ظرف – فهو متين : أى صلب ، واشتد ، وقوى ، والشفيق : رقيق القلب ، والكثير العطف ، والمعنى : إننى متأكد من كمال عقلك ، ودقة نظرك ، عالم بأنك لا تفرط ولا تضيع ، آمن عليك من الذى يخشاه الآباء على ابنائهم ولكنى مع ذلك شديد الحنان عليك والرأفة بك ، وسوء الظن من شدة الحب ، فلابد لى أن أنصحك وأوجه إليك بعض الحكم لتسترشد بها إذا اعوزتك الحيلة وعدمت الوسيلة .

(٢) أى أن النفس أمارة بالسوء جلابة للمحن والبلايا وأن لها على الانسان لسلطانا نافذا وأمرا مطاعا ودعاء مستجابا ، وأن الطبيعة الانسانية داعية إلى=

فاستعنْ عليْهما نهارَكَ بالصومِ . وليلكَ بالنومِ . إنه لبُوسٌ ظهارَتُهُ الجوعُ . وبطانتهُ . الهجوعُ [1] . وما لبسُهما أسدٌّ إلا لانتْ سورتهُ [2] . أفهمتهُما يا ابنِ الخبيثةِ ؟ وكما أخشَى عليكَ ذاكَ فلا آمنُ عليكَ لصَّيْنِ : أحدهُما

= الشر سالكة بصاحبها طريق التهلكة ، وأن غوايتها امر لا يستطاع له رد ولا يملك معه حزم فاذا توفرت فيك الدواعى إلى المفاسد والآثام فاقمع ذلك بالصوم عامة نهارك والنوم ليلك فإن الصوم وكاء المعصية والنوم حاجز من التمادى فى الضلالة والسير مع الشيطان .

(١) أنه – أى الحال الذى ينبغى أن يكون عليه الشباب والطريق الذى لا محيص له من سلوكه – يشبه اللباس فى عمومه وشموله فيجب أن تتخذ ظهارته – أى وجهه الذى ينظره الناس ويبصرونه – من الجوع لانه يكسر القوة ويقلل من الداعية إلى الشهوات ويضعف البنية ويهد العزيمة وظهارته – أى وجهه المختفى الذى لا يطلع عليه الناس – من الهجوع وهو النوم لانه مدعاة الانصراف عن أماكن اللهو ومجامع الفسق ومواضع الفجور .

(٢) الاسد . من السداد وهو التوفيق للصواب والقصد من القول . والعمل ، والسورة : الشدة . والسطوة . والاعتداء ، والمعنى : أنه ما ارتدى أحد من القاصدين من أعمالهم برداء الجوع والنوم الا وجد مغبتهما حميدة وعقباهما نافعة مفيدة .

الكرمُ . واسمُ الآخرِ القَرَمُ[1]. فإياكَ وإياهما إن الكرمَ أسرعُ في
المالِ من السـوسِ[2] . وإنَّ القـرمَ أشـامُ منَ البـسُـوسِ[3]

(١) القرم : بفتحتين - شدة الشهوة إلى اللحم ، وفعله قرم من باب طرب ، والمراد به الرفه والدعه والتواني عن العمل والكسل من باب التكنية لأن أرباب اليسار والنعمة يكون الشأن فيهم ذلك ، والمعنى : أننى كما أخشى عليك عادية النفس وسطوة سلطانها وأخاف أن يضلك الشيطان فتتبع الشهوات وتميل إلى المخازى فانى لأشد خوفا عليك من أن تبذل مالك للناس وتعطيهم ، وأن تستهويك نفسك إلى طبيعة المترفين وذوى النعمة والجاه فتكثر من الأكل وتدع عملك وتترك شؤونك ، ومثل هذا في التنفير والعطاء قول أبى الطيب المتنبى : الجود يفقر والاقدام قتال .

(٢) المعنى أن السخاء والبذل يصيران بك إلى الاملاق والعدم لأنهما يتمشيان في المال كتمشى السوس في الطعام واللباس أو كتمشى النار في الحطب .

(٣) البسوس - ويقال لها البسوسة أيضًا - امرأة كانت سببًا في شبوب نار الحرب بين بكر وتغلب واندلاع لهيبها وتطاير شررها مدة لم يعهد لها نظير في تاريخ حروب العرب ، وقد اصطلى الفريقان لظاها وتحمل كل منهما من اعبائها وأحمالها ما ضاق بها ذرعا ، وسبب ذلك : أن كليبًا كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغيًا شديداً ، وكان هو الذى ينزلهم منازلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب فكان اذا نزل منزلا به كلأ قذف ذلك الجرو فيعوى فلا يرعى أحد ذلك الكلأ الا باذنه أو من أذن بحرب=

= فضرب به المثل في العزة فقيل : أعز من كليب وائل . وكان يحمى الصيد ويقول: صيد ناحية كذا وكذا فى جوارى . فلا يصيد أحد منه شيئًا ، وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جاس . ولا يحتبى أحد فى مجلسه غيره وكان لمرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت أختهم امرأة كليب (واسمها جليلة) : وخاله جساس هى البسوس المذكورة فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس فكانت جارة لبنى مرة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوارة اسمها سراب (وبها كتلك يضرب المثل فى الشؤم فيقال أشأم من سراب) من نعم بنى سعد ومعها فصيل . فبينا أخت جساس تغسل رأس كليب زوجها ذات يوم اذ قال : من أعز وائل ؟ فصمتت . فأعاد عليها . فلما أكثر عليها قالت : أخواى جساس وهمام . فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس (خالة جساس وجارة بنى مرة) فقتله ، فاغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لقى كليب ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم ؟ قال : قتلته وأخليت لنا لبن أمه ، فاغمضوا على هذه أيضًا . ثم أن كليبًا أعاد على امرأته فقال : من أعز وائل ؟ فقالت : أخواى ، فأضمرها ، وأسرها فى نفسه ، وسكت حتى مرت به إبل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال : ما هذه الناقة ؟ قالوا : لخالة جساس فقال : أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجبر على بغير اذنى ؟ أرم ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها ، وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالامر فقال : احلبوا لها مكيالى لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئًا ، ثم اغمضوا عليها أيضًا ، حتى أصابتهم سماء فغدا فى غبها =

= يتمطر وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحرث بن ذهل فمرت بكر بن وائل على نهى يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على نهى آخر يقال له الاحص فنفاهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب فمنعهم إياه ، فمضوا حتى نزلوا الذنائب وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون. فمضى جساس ، وقيل : بل ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتى ، فقال له : أو قد ذكرتها ؟ أما أنى لو وجدتها فى غير إبل مرة لاستحللت تلك الابل !! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فانفذ حضينه ، فلما تداعمه الموت قال : يا جساس اسقنى من الماء قال : تجاوزت شبيثًا والاحص . وتقول أخته حين رأته لابيها : أن هذا لجساس أتى خارجا ركبتاه ! فقال : والله ما خرجت ركبتاه إلا لامر عظيم ، فلما جاء قال : ما وراءك يا بنى؟ قال : ورائى إنى طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا . قال : أقتلت كليبًا؟ قال : نعم . قال : وددت أنك وأخوتك كنتم قبل هذا ، ما بى الا أن تتشاعم بى أبناء وائل . وزعموا أن جساساً قال لأخيه نضرة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار :

وانى قد جنيت عليك حربا	تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح عنها	فتى نشبت بآخر غير صاح
تنكل عن ذئاب الغى قوما	وتدعو آخرين إلى الصلاح =

= فأجابه نضلة :

فان تك قد جنيت حربا   فلا وان ولا رث السلاح

فلما بلغ الخبر مهلهلا أخا كليب غدا بالخيل وتحمل معه القوم . وقال المفضل : لما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعضهم : لا تعجلوا على أخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى مرة بن ذاهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا له : اختر منا خصالا أما أن تدفع إلينا جساسا ونقتله بصاحبنا فلم نظلم من قتل قاتله وأما أن تدفع إلينا هماما وأما أن تقيدنا من نفسك . فسكت وقد حضرته وجوه بنى بكر بن وائل فقالوا : تكلم غير مخذول ، فقال : أما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لى به . وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته اليكم لصيح بنوه فى وجهى وقالوا : دفعت أبانا للقتال بجريرة غيره . وأما أنا فلا أتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بنى فدونكم أحدهم فاقتلوه به . وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل، فغضبوا وقالوا : أنا نأتك لتؤدى لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن !! وتفرقوا ، ووقعت الحرب ، وتكلم فى ذلك عند الحرث بن عباد فقال : لا ناقة لى فى هذا ولا جمل ، وهو أول من قالها وأرسلها مثلا .

ودامت حربهم أربعين سنة فيها خمس وقعات مزاحفات، وكانت تكون بينهم مغاورات، وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا ، وكان أول تلك الأيام عنيزة – وهى عند فلجة – فتكافأوا : لا لبكر ولا لتغلب، وفيه يقول =

= مهلهل :

كأنا غدوة وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير

ولولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ، ثم غبروا زمانا ، ثم التقوا يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر ، وقتلوا بكرا أشد القتل ، وقتلوا بجيرا ، وفى ذلك يقول مهلهل :

فأنى تركت بواردات بجيرا فى دم مثل العبير

هتكت به بيوت بنى عباد وبعض الغشم أشفى للصدور

ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بنى ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحرث بن عباد فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب ، ثم التقوا يوم القضيبات لبنى تغلب على بكر حتى ظنت بكر أن سيقتلوا معا ، وقتلوا يومئذ همام بن مرة ، ثم التقوا يوم فضة – وهو يوم التحالق – ، ويوم الثنية ، ويوم فضة و يوم الفصيل ، كلها لبكر على تغلب وحدث أبو عبيده أن آخر من قتل فى حرب بكر وتغلب هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت أخته امرأة كليب وكان قد قتله جساس وهى حامل فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم صاروا إلى الموادعة بعدما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت أخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه خاله فكان لا يعرف أبا غيره . ثم زوجه ابنته ووقع بين هجرس وبين رجل من بنى بكر بن وائل كلام فقال له البكرى ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر،=

إنَّها خُدعةُ الصبيِّ عن اللبنِ [1] . بَلى إنَّ الله لكريمٌ ولكنَ كرمُ

= فلما أوى إلى فراشه ونام تنفس تنفسة أحست منها امرأته لهيب النار فقامت فزعة قد أقلقتها رعدة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : ثائر ورب الكعبة ، وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : انما انت ولدى ، ومنى بالمكان الذى قد علمت ، وقد زوجتك ابنتى، وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل الذى أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلى لا يأتى قومه إلا بلأمته وفرسه ، فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمه ودرعا ، وخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ثم قال : وهذا الفتى ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد فيما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال :

وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه .

ثم طعن جساسا فقتله ، ثم لحق بقومه ، فكان آخر قتيل فى بكر بن وائل .

(١) المعنى : لا تغتر بما يقوله بعض الناس من أن الله كريم يحب من عباده الكرماء وأنه سبحانه يخلف على عباده ويضاعف لهم الذى يبذلونه فإن هذا الكلام لا يقبله غير العقول الصغيرة التى تشبه عقول الصبيان ، وأن الذى =

اللهِ يزيدُنا ولا ينقصهُ وينفعُنا ولا يضرُّه[1] ومنْ كانتْ هذهِ حالهُ. فلتكرُمْ خصالهُ . فإما كرمٌ لا يزيدكَ حتى ينقصَنى ولا يريشكَ حتى يبرينى[2] . فخذلانٌ لا أقولُ عبقرِى . ولكنَّ بقرىٌّ[3]

= يقول مثل ذلك لا يقصد الا خداعك وخداع أمثالك من الناس كما تقصد الأمهات بمداعبة الاطفال ونحوها خداعهم عن طلب اللبن .

(١) نعم أن الله سبحانه كريم كما يقولون ولكن لا يصح أن نتشبه به ونكون مثله إذ أن كرمه لا ينتقص من ملكه ولا يضره ثم أنه يزيد من أموالنا وينميها ويعود علينا بالثراء والمنفعة فأما نحن فلا نعطى شيئا حتى يكون قدره نقصا من أموالنا فاذا اندفعنا فى هذا السبيل فالويل لنا من الفقر وضياع المال .

(٢) راش السهم يريشه وريشه - بالتضعيف - فهو مريش ومريش : لزق له الريش ، وبراه يبريه بريا، وابتراه : نحته والمعنى : أن العطاء الذى ينقص من واحد ليزيد الآخر ويضعف رجلا ليقوى بضعفه ثانيا خيبة وفقدان .

(٣) العبقرى : الذى بلغت حاله غاية الجودة والحذق ونحوهما ، والبقرى - بضم الباء الموحدة - : الكذب والداهية ومثله البقارى بالضم وبتشديد القاف وفتح الراء ، ويبقر كدحرج - : هلك وفسد وأعيا ومات وكأن أصل اشتقاقه من ذلك ، والمعنى : ليست الخيبة فى الانفاق بممدوحة ولا مشكورة ولكنها منتهى الشر وغاية الفساد فى الاعضاء فضلا على الماء ، فلمت نفسى أن لو كنت مكنت الاقتصاد فى أوائله ورغبت عن التهاون به فى ابتدائه لخرج آخره على كفاية=

= أوله، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر ؟ فعبتمونى بذلك وشنعتموه بجهدكم وقبحتوه ، وقد قال الحسن عند ذكر السرف : أنه ليكون فى الماعونين : الماء ، والكلأ ، فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلا ، وعتبتمونى حين ختمت على سد عظيم ، وفيه شىء ثمين من فاكهة نفيسه ، ومن رطبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبى جشع وأمه لكعاء ، وزوجة خرقاء ، وليس من أصله الادب ، ولا فى ترتيب الحكم ، ولا فى عادات القادة ، ولا فى تدبير السادة ، أن يستوى فى نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطيره المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل – التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس ، ومواقع أسمائهم ، فى العنوانات ، وما يستقبلون به من التحيات ، وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكترثون له اكتراث العارف ؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن ، وأعلف حماره السمسم المقشر ، فغبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق ، وختم على كيس فارغ ، وقال : طينه خير من طية فأمسكتم عمن ختم على لا شىء وعبتم من ختم على شىء ، وعبتمونى حين قلت للغلام ، اذا زدت فى المرق فزد فى الانضجاج ، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا طبختم لحما فزيدوا فى الماء فان لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا : وعبتمونى بخصف النعال، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى، وأوطأ، وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ،=

= وأن التفرق مع التضييع ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويلطع أصبعه ، ويقول : لو أتيت بذرا ع لاكلت ، ولو دعيت إلى كرا ع لأجبت ، ولقد لفقت سعدى بنت عوف أزار طلحة - وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض - وكان فى ثوب عمر رقا ع أدم وقال : من لم يستحى من الخلال خفت مؤنته وقل كبره ، وقالوا : لا جديد لمن يلبس الخلق ، وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط على الرائد أن يكون عاقلا مسددا فأتاه به موافقا . فقال : أكنت ذا معرفة به ؟ قال : لا ، ولا رأيته قبل ساعته . قال : أفناقلته الكلام ، وفاتحته الأمور قبل أن توصله إلى ؟ قال : لا قال : فلم اخترته على جميع من رأيته ؟ قال : يومنا يوم قائظ ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم فى مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جددا وثيابا لبسا (١) فظننت به الحزم ، وقد علمنا أن الجدد فى موضعه دون الخلق، وقد جعل الله لكل شىء قدرا ، وبوأ له موضعا ، كما جعل لكل دهر رجالا، ولكل مقام مقالا ، وقد أحيا بالسم ، وأمات بالغذاء ، وأغص بالماء ، وقتل بالدواء ، فترقيع الثوب يجمع مع الصلاح التواضع ، وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر، وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين، وقد جبر الاحنف يد عنز وأمر النعمان بذلك، =

(١) اللبس - بفتح اوله - نوع من الثياب والذى يظهر لنا ان اراد به القديم الخلق

الربحِ . وعليكَ

= وقال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، وقال رجل لبعض السادة : أهدى إليك دجاجة ؟ فقال : إن كان لابد فاجعلها بياضة ، وعبتمونى حين قلت : لا يغترن أحد بطول عمره ، وتقوس ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته أن يرى أكرومته ، ولا يحوجه ذلك إلى اخراج ماله فى يديه ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله أن يكون معمراً وهو لا يدرى وممدوداً له فى السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يرزق الولد على اليأس ، أو يحدث عليه بعض مخبآت الدهور مما لا يخطر على البال ، ولا تدركه العقول ، فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، فعبتمونى بذلك . وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً ، وعبتمونى حين زعمت أن التبذير إلى مال القمار ، ومال الميراث وإلى مال الالتقاط ، وحباء الملوك - أسرع ، وأن الحفظ إلى المال المكتسب والغنى المجتلب ، وإلى ما يعرض فيه لذهاب الدين ، واهتضام العرض، ونصب البدن واهتمام القلب ، - أسرع ، وأن من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الاصل ، وأن من لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفساً بالذل ، وزعمت أن كسب الحلال مضمن بالانفاق فى الحلال ، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وأن الطيب يدعو إلى الطيب ، وأن الانفاق فى الهوى حجاب دون الحقوق ، وأن الانفاق فى الحقوق حجاب دون الهوى ، فعبتم على هذا القول . وقد قال معاوية : لم أر تبذيراً قط إلا وإلى جانبه حق مضيع ، وقد قال الحسن : اذا اردتم أن تعرفوا =

= من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا فى أى شىء ينفقه فإن الخبيث ينفق فى السرف ، وقلت لكم بالشفقة منى عليكم ، وبحسن النظر لكم ، وبحفظكم لآبائكم، ولما يجب فى جواركم ، وفى ممالحتكم وملابستكم ، وأنتم فى دار الآفات والحوائج غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الامكنة ، فإن البنية لا تجرى فى الجميع الا مع موت الجميع ، وقد قال عمر رضى الله عنه فى العبد والأمة ، وفى ملك الشاة والبعير، وفى الشىء الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا ، وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قال : نفرقها فى السفن فإن عطب بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائننا فى البحر ، قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهى صناع ، وقلت لكم – عند اشفاقى عليكم – أن للغنى سكرًا ، وأن للمال لنزوة ، فمن لم يحفظ للغنى من سكر الغنى قد أضاعه، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر ، فقد أهمله ، فعبتمونى بذلك ، وقال زيد بن جبلة : ليس أحد أفقر من غنى أمن الفقر ، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر، وقلتم : قد لزم الحث على الحقوق ، والتزهيد فى الفضول ، حتى صار يستعمل ذلك فى أشعاره بعد رسائله . وفى خطبه بعد سائر كلامه ، فمن ذلك قوله فى يحيى بن خالد :

عدو تلاد المال فيما ينوبه ... منوع اذا ما منعه كان أحزما

ومن ذلك قوله فى محمد بن زياد :

وخليقتان : تقى وفضل تحرم ... وإهانة فى حقه للمال =

= وعبتمونى حين زعمت أن المال مقدم على العلم لأن المال به يغاث العالم ، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم ، وأن الاصل أحق بالتفضيل من الفرع، وإنى قلت وان كنا نستبين الامور بالنفوس فأنا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمى ، وقلتم : وكيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ، ومقدم الادباء : العلماء أفضل أما الاغنياء ؟ قال : بل العلماء : قيل : فما بال العلماء يأتون أبواب الاغنياء أكثر مما يأتى الاغنياء أبواب العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل الاغنياء بفضل العلم . فقلت : حالهما هى القاضية بينهما، وكيف يستوى شىء ترى حاجة الجميع إليه وشىء يغنى بعضهم فيه عن بعض وعبتمونى حين قلت : إن فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآله تكون فى الدار إن احتيج إليها استعملت ، وان استغنى عنها كانت عدة وقال الحصين بن المنذر : وددت لو أن مثل أحد ذاهبًا لا انتفع منه بشىء قيل : فما ينفعك من ذلك ، قال: لكثرة من يخدمنى عليه ، وقال أيضًا عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عز فى قلبك . وشبهه فى قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيما. والنفع فيه عظيما ، ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء . وتأديب الحكماء لأصحاب الاهواء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم . والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال : درهمك لمعاشك . ودينارك لمعادك . فقسم الامور كلها على الدين والدنيا . ثم جعل أحد قسمى الجميع الدرهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أنى لابغض أهل البيت ينفقون رزق الايام فى اليوم . وكان هشام يقول : ضع الدرهم يكون مالا، ونهى أبو =

مــا لم تذمَّـهـمـا[١] . ولم تجمـعْ بينـهُمـا[٢] . واللحــــمُ لحمكَ ومـا أراكَ تـأكلُـهُ[٣] والحلوُ طعــامُ من لا يبــالِي على أيِّ جنْبـــيْـــه

= الاسود الدؤلى وكان حكيما أديبا وداهيا أريبًا - عن جودكم هذا المولد . وعن كرمكم هذا المستحدث . فقال لابنه : اذا بسط الله لك فى الرزق فابسط . واذا قبض فاقبض . ولا تجاود الله فإن الله أجود منك . وقيل : درهم من حل يخرج فى حق خير من عشرة آلاف قبضًا . وتلقط عرندا من بريم فقال : تضيعون مثل هذا وهو قوت امرىء مسلم يوما إلى الليل ؟ وتلقط أبو الدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال : أن مرفقة المرء رفقه فى معيشته .

فلستم على تربون . ولا برأيى تقتدون . فقدموا النظر قبل العزم . وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا ما لكم . والسلام .

هذه رسالة سهل ، وهى آية فى البلاغة ، وقوة الاسترسال فى المخاصمة لولا أنها تمتدح خصلة أجمع الناس على مذمتها واتفقوا على نكرانها .

(١) يروى تذمهما - بالدال المعجمة - والمعنى : أن لك أن تأتدم بالخل والبصل ما رضيت بهما نفسك ، ولم تنزع عنهما ، والفعل أذمه أذماما أى وجده مذموما ، ويروى : تدمنهما - بالدال المهملة وبعد الميم والنون - أى ما لم تواظب عليها وتكثر من تناولهما . (٢) أى أنهما مرخصان لك ولكن كل واحد منهما بانفراده فلا تحدث نفسك بتناولهما معًا .

(٣) يريد أن ينهاه عن أكل اللحم فهو يقول له : أن كلمة اللحم لا معنى لها غير لحمك أنت وليس له وجود فى العالم إلا ذلك ولا أتوهم أن نفسك تقبل أن تأكله فهو نهاية فى التقزيز والتنفير .

يقعُ[١] . والوجباتُ عيشُ الصالحينَ[٢] . والأكلُ على الجُوع واقيةُ الفوتِ[٣] . وعلى الشبع داعيةُ الموتِ . ثم كنْ مع الناسِ كلاعبِ الشطرنجِ : خُذْ كلَّ ما معهمْ واحفظْ كلَّ ما معكَ[٤] . يابيَّ قدْ

(١) المعنى أنه لا يأكل الحلو إلا رجل قد وطن نفسه على الهلاك وأحب الموت فهو لا يبالى على أى جانب من جانبيه يخر على الارض ، والفقرة مأخوذة من قول الشاعر :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

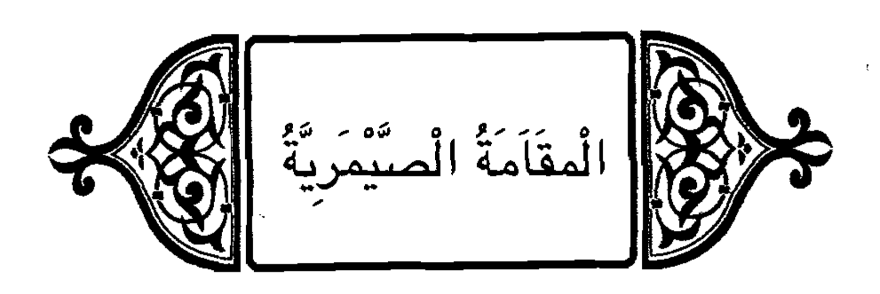
(٢) الوجبات : جمع وجبة وهى الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة ، والمعنى أن الاقلال من الأكل وتبعيد المسافة بين كل أكلتين من شأن الصالحين وعادات الكملة من الرجال فقلدهم وتشبه بهم .

(٣) الفوت : المراد به هنا الاعدام ، والفقر ، والمعنى : انك اذا لم تأكل الا جائعاً فقد أمنت على نفسك عادية السرف وسلطان الاعواز فأما اذا أكلت ممتلئا فانك تعرض نفسك للموت والهلاك ويقرب ذلك من الحديث : (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع).

(٤) الشطرنج : لعبة معروفة ، ومن عادة اللاعبين أن يهتم كل واحد منهما بغلبة الآخر والفوز عليه وأخذ قطعه دون أن يهمل فى التحفظ بكل ما معه فهو يقول له: لتكن حالتك فى الانفاق مع الناس كحال اللاعب : خذ منهم ولا تعطيهم .

أسـمـعتُ وأبلغتُ . فـإن قـبلتَ فـاللهُ حـسـبكَ . وإن أبيتَ فـالله حـسـيـبكَ[1]. وصلى اللهُ على سيدِنا مـحـمدٍ وعلى آلهِ وصـحـبـهِ أجمعينَ .

(١) حسبك : كافيك ، وحسيبك : محاسبك ، والمعنى : أننى نصحتك علما منى بحال الحياة وشؤونها وأبلغتك ما وصل علمى من تجاربها فإذا أنت عملت بما أعلمتك فان الله يكفيك فى مهامتك وان لم تفعل فما وعيت لابيك وحسابك على الله .



الْمَقَامَةُ الصَّيْمَرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : قالَ محمدُ بن إسحق المعروفُ بأبى العنْبسِ الصيمرِىُّ : إنَّ مما نزلَ بى من إخوانى الذين اصطفيتُهمْ وانتخبتهُم وادَّخرتهم للشدائدِ ما فيهِ عظةٌ وعبرةٌ وأدبٌ لمنْ اعتبرَ واتعظَ وتأدَّبَ(١) .

---

(١) المعنى : أن حادثا أليما نزل بى كان سببه الائتلاف بجماعة أسفرت الالفة عن عدم غنائهم . وقلة جدواهم وأن فى هذا الحادث لعظات بالغات ، وعبرة زاجرة ، وأدبا جما ، وقديما كان الاخوان غصة وألما . وفيهم يقول الشاعر :

وأخوان تخذتهم دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات ... فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا : قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادى =

وذلك أنّى قدمتُ من الصيمرةِ

= وقال :

تخذتكم درعا حصيناً لتدفعوا نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وقال عبدالله بن معاوية :

العهد عهدان : عهد امرىء يأنـف أن يغـدر أو ينقضا

وعهـد ذى لونـين مـلالة يوشـك إن ودك أن يبغضـا

إن لم تزره قال : قد ملنـى وبالحرى إن زرت أن يعرضـا

شيمته مثل الخضاب الذى بينا تـراه قانـيا اذ نضـا

ولآخر :

اذا افتقرت نأى واستد جانبـه وإن رآك غنياً لان واقتـربا

وإن أتـاك لمـال أو لتنصـره أثنى عليـك الذى يهون وإن كذبا

مدلى القرابة عند النيل يطلبـه وهو البعيـد اذا نال الذى طلبا

حلو اللسان بعيد القلب مشتمل على العداوة لابن العم ما اصطحبا

وقال سفيان بن عيينه : صحبت الناس خمسين سنة ما سـتر لى أحد عورة ، ولا رد عنى غيبه ، ولا غفا لى عن مظلمة ، ولا قطعته فوصلنى ، وأخص أخوانى لو خالفته فى رمانة فقلت هى حامضة وقال هى حلوة لسعى بى حتى يشيط دمى .

إلى مدينةَ السلامِ [١] . ومعى جرابُ دنانيرِ ومَنَ الخرثى والآلة وغير ذلك ما لا أحتاجُ معه إلى أحدٍ [٢] . فصحبتُ من أهل البيوتات والكتاب والتجار ووجوه الثناء من أهل الثروةِ واليسارِ [٣] والجدةِ والعقارِ [٤] جماعةً اخترتهمْ للصحبةِ : وادخرتهمُ للنكبةِ [٥] فلم نزلْ فى صبُوح وغبوقٍ [٦] نتغذى بالجَدايا

(١) قال فى المشترك : الصيمرة – بالصاد المهملة مفتوحة ، وياء ساكنة ، وميم مفتوحة ، وراء مهملة ، وهاء – اسم يقع على موضعين : أحدهما ناحية بالبصرة على فم نهر معقل ، فيها عدة قرى يشملها هذا الاسم وهم جهال يعبدون رجلا يقال له عاصم بن شباش وولده من بعده ، وإليها ينسب أبو العنبس محمد بن اسحق بن ابراهيم الصيمرى صاحب الكتب فى الهزل مات سنة ٢٧٥ ، والثانى بلدة من نواحى خوزستان وهى المسماة بمهرجان قذق ، وإليها ينسب أبو تمام ابراهيم بن احمد بن الحسين بن احمد بن حمدان الهمذانى الصيمرى من أهل بروجرد وأصله من الصيمرة ، ومدينة السلام : هى بغداد .

(٢) الخرثى: الاثاث، والآلة : كل ما يحتاج إلى الارتفاق به فى الاعمال المنزلية.

(٣) وجوه الثناء : أى الجماعة الذين لهم وجاهة ذكر ، ونباهة صيت ، وارتفاع شهرة . (٤) الجدة الغنى ، وبساطة المال ، وسعة الرزق ، ورفاهة العيش .

(٥) ادخرته : خزنته لانتفع به وقت الشدة مغالاة به، والمعنى : أننى اخترت هذه الجماعة من بين المياسير والوجوه وجعلتهم عدة للنوائب . وترسا أتقى به الخطوب ودرعا يقينى من العاديات والشدائد . (٦) الصبوح : ما حلب من اللبن صباحا أو ما أصبح عندك من الشراب . والغبوق : ما كان كذلك فى المساء ، ويستعملون هذين اللفظين فى معنى الشرب صباحا ومساء .

الرُّضعِ والطباهِجاتِ . الفارسيةِ والمُدقَقاتِ الابراهيميةِ[1] والقلايا المحرقةِ والكبابِ الرشيدى والحملانِ[2] وشرابُنا نبيذُ العسلِ وسماعُنا من المحسناتِ الحذاقِ . الموصوفاتِ فى الآفاقِ[3]. ونقلنا اللوزُ المقشرُ والسكرُ والطبرزدُ[4] وريحاننا

(١) الجدايا : جمع جدى - وهو جمع غير معروف ، والمذكور له من الجموع جداء وأجد وجديان - وهو الذكر من أولاد المعز فى سنته الأولى والرضع : كناية عن طراءة اللحم ، والطباهجات جمع طباهجه : وهى ضرب من اللحم المشرح يصنع من البيض والبصل ، والمدققات : اللحم يقطع قطعا صغارا ثم يستوى بعد تكتيله كتلا ، وهى أشبه بما يسمونه اليوم بمصر (كفته) والابراهيمية : المنسوبة لابراهيم بن المهدى لانه كان يتأنق فيها .

(٢) القلايا : ما يقلى من اللحم وغيره ويضاف إليه ما يطيبه ، والمحرقة التى تزيد فى العطش خرافتها ، والكباب : اللحم المشوى ، والرشيدى : المنسوب إلى هارون الرشيد الخليفة العباسى لانه كان يستجيده ، والحملان : جمع حمل وهو الخروف .

(٣) المحسنات الحذاق : المغنيات اللاتى أجدن الصناعة وبرعن فيها ، والموصوفات فى الآفاق : اللائى طار ذكرهن وارتفع صيتهن .

(٤) النقل - بفتح أوله فى الصحيح وضمه فى المشهور - : كل ما يتنقل من الخمر إليه ومنه إليها ويسمى الآن : مزه والطبرزد نوع من السكر صلب أبيض ويعرف اليوم باسم السكر النبات .

الوردُ . وبخورُنا الندُّ[1] . وكنتُ عندهمْ . أعقلَ منْ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ [2] .

---

(١) الورد : معروف ، والند : عود يتبخر به ، وقيل هو العنبر ، والمعنى المقصود بكل ما ذكر أنهم كانوا على حالة من اليسرة ونعومة العيش وطيب الحياة وأنهم قد جمعوا فيها كل أنواع المسرة وكل مجلب للانس وطمأنينة الخاطر .

(٢) ابن العباس : هو أبو العباس عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى عليه وسلم ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والأول اثبت ، وهو حبر العرب وأوفاهم عقلا وحشما وعلما وجمالا وكمالا ، وترجمان القرآن ولسانه ، وكان أبيض طويلا مشربا صفرة ، جسيما ، وسيما ، صبيح الوجه ، له وفرة ، يخضب بالحناء ، اذا قعد أخذ مقعد رجلين ، متفقها فى الدين ، عالما بالتأويل ، حكيما ، وكان لا يسأل عن شىء الا وجد له عنده جوابا لسعة حفظه ورجاحة عقله وكمال استعداده : فإن كان فى القرآن أخبر به ، فإن لم يكن وكان عن أبى بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يجده فى شىء منها قال برأيه ، ويروى عن عبدالله بن يزيد قال : شتم رجل ابن عباس فقال : انك لتشتمنى وفى ثلاث خصال : أنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأحبه ولعلى لا أقاضى إليه أبداً ، وأنى لأسمع بالغيث يصيب بلاد المسلمين فأفرح به ومالى بها سائمه ولا راعية ، وأنى لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم . وقد ولاه على كرم =

وأظرفَ منْ أبى نُواسٍ .

= الله وجهه البصرة ، وكان قائد الميسرة يوم صفين ولم يزل والى البصرة حتى قتل علي ، ويروى أنه كان يفسر الناس فى رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضى الشهر حتى يفقههم ، وسعى إليه ساع برجل فقال : إن شئت نظرنا فإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن كنت صادقا نفيناك ، وإن شئت أقلتك . قال : هذه . ونظر الحطيئة إليه فى مجلس عمر - وقد قرع بكلامه - فقال : من هذا الذى نزل على القوم بسنه ، وعلاهم فى قوله ؟ قالوا : هذا ابن عباس فأنشأ يقول :

انــى وجدت بيـان المرء نافلة ... يهدى له ووجدت العى كالصمم

المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة ... وقـــد يـلام الفتى يوما ولم يلم

ويروى عن النعمان حسان بن ثابت قال : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الامراء حاجة فطلبناها إليه لجماعة من الصحابة منهم ابن عباس وكانت حاجة صعبة شديدة فاعتل علينا فراجعوه إلى أن عذروه وقاموا الا ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حجة فلم ير بداً من أن يقضى حاجتنا فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس فمررنا على أولئك الذين كانوا اعذروا وضعفوا فقلت : كان عبدالله أولاكم بهم . قال : أجل . فقلت أمدحه :

اذا قال لم يتـــرك مقـــــالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصـــــلا

كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع ... لذى أربة فى القول جداً ولا هزلا

سمـــوت إلى العليـــا بغير مشقة ... فنلـــت ذراهـــا لا دنيئا ولا وغلا

واتفقوا على أنه رضى الله عنه مات بالطائف سنة ٦٨ هـ واختلفوا فى سنه =

وأسخَى مِن حاتمٍ (١) .

= فقيل ابن احدى وسبعين وقيل ابن اثنتين وقيل ابن أربع والاول هو الاقوى .

(١) حاتم : هو أبو سفانة وأبو عدى مجد العرب ، وفخارهم ، وحديث سؤددهم، وعنوان مروءتهم ، وثالث الثلاثة الذين سارت الركبان بأخبار كرمهم ، وملأ الخافقين ذكر جودهم (هو، وكعب بن مامة ، وهرم بن سنان) وهو أعلاهم كعبا ، وأنبههم ذكرًا ، وأكثرهم أخبارًا حاتم بن عبدالله بن سعد الطائى ، أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه ، وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال يوما : سبحانه الله ! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير ! عجبًا لرجل يأتيه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ! فلو أنه كان لا يرجو ثوابا ، ولا يخاف عقابا - لكان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعته من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، لما أتى بسبايا طى وقفت جارية لعساء عيطاء ، فلما رأيتها أعجبت بها ، وقلت لأطلبنها من النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت : يا محمد ، إن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى ، وإن أبى كان يفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن، ولو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان =

= يحب مكارم الاخلاق . وقال عدى بن حاتم : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : إن أبى كان يطعم المساكين ، ويعتق الرقاب ، ويصل الرحم ، فهل له فى ذلك أجر ؟ قال: إن أباك رام أمرًا فأدركه (يريد ارتفاع الذكر) . وأول ما ظهر من أمر حاتم أن أباه خلفه فى إبله - وهو غلام - فمر به جماعة من الشعراء - فيهم عبيد بن الابرص ، وبشر بن أبى حازم ، والنابغة الذبيانى - يريدون النعمان فقالوا لحاتم : هل من قرى ؟ فقال - ولم يعرفهم - تسألوننى القرى وقد رأيتم الأبل والغنم ، انزعوا، فنزلوا، فنحر لكل واحد منهم، وسألهم أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الإبل والغنم ، وجاء أبوه فقال : ما فعلت ؟ قال : طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة ، وأخبره فقال أبوه : إذن لا أبالى . وحدثت زوجة النوار قالت : أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض ، وضنت المراضع على أولادها، فوالله أنى لفى ليلة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى : أولادنا : عبدالله، وعدى ، وسفانة ، فقام إلى الصبيين وقمت إلى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ، ثم ناموا ، ونمت أنا وإياه ، فأقبل على يعللنى بالحديث ، فعرفت ما يريد، فتناومت وما يأتينى نوم ، فقال : ما لها ؟ أنامت ؟ فسكت ، ثم تهورت النجوم ، واذا شيء قد رفع كسر البيت فقال : ما هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، قال : مالك؟ قلت : الشر ، أتيتك من عند الصبية يتعاوون عوى الذئاب من الجوع ، قال: أعجليهم ، فهببت إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم ! فقال : اسكتى ، وأقبلت المرأة تحمل اثنين =

= ويمشى بجانبيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام إلى فرسه جلاب ، فنحره وكشط عن جلده ودفع الدبة إلى المرأة ثم قال لى : ابعثى صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال : تأكلون دون أهل الصوم ؟ ثم جعل يأتى بيتا بيتا ويقول: دونكم النار ، فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر إلينا ، فوالله ما ذاق منها مزعة وأنه لأحوجهم ، وأصبحنا وما على الأرض إلا عظم أو حافز. وحكى ابن الاعرابى قال : أسر حاتم فى عنزة فقالت له امرأة يوما : قم فافصد لنا هذه الناقة – وكان الفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل – فقام حاتم إلى الناقة فعقرها ، فلطمته المرأة ، فقال : لو ذات سوار لطمتنى ! فذهبت مثلا . ثم قال له النسوة . إنما قلنا افصدها ، قال: هذا فزدى ، يعنى أنه فصدى وهى لغة طىء ، وقال ابن الاعرابى وابن السكيت وجماعة من الرواة : خرج الحكم ابن العاصى ومعه عطره يريد الحيرة – وكان بالحيرة سوق يجتمع اليه كل الناس كل سنة ، وكان النعمان قد جعل لبنى لأم بن عمرو ربع إلى الحيرة فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور بن سعد فنحرت وأكلوا منها ومع الحاتم – غير الحكم – ابن عمه ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبة ذلك ، فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بنى عمه غير ملحان، وحاتم على راحلته، وفرسه تقاد، فأتاه بنو لام فوضع حاتم سفرته، وقال اطعموا حياكم الله، فقالوا : من هؤلاء =

= معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيرانى ، قال له سعد : فأنت تجير علينا فى بلادنا ؟ قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته ، فقالوا : لست هذاك ، وأرادوا أن يفضحوه فوثبوا اليه فتناول سعد (وقيل كندى، وربما كان أصح لما ستقرأه فى شعر حاتم آخر القصة) ابن حارثة ابن لام حاتما، فأهوى له حاتم بالسيف ، فأطار أرنبة أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم :

وددت – وبيت الله – لو أن أنفه هواء فما مت المخاط عن العظم

ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فآبى ومر السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ، ونضع الرهن، ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس ووضع حاتم فرسه ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع ذلك أياس بين قبيصه الطائى فخاف أن يعين النعمان بن لام للصهر الذى بينهم وبينه ، ويقويهم بماله وسلطانه فجمع أياس رهطه من بنى حية وقال : يا بنى حية إن هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم فى مجادة، فقال رجل من بنى حية : عندى مائة ناقة سوداء ، ومائة حمراء أدماء ، وقام آخر فقال : عندى عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبى قد مات وترك كلأ كثيراً فعلى كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا فى سوق الحيرة ، ثم قام أياس فقال : على مثل جميع ما أعطيتم كلكم – وحاتم لا يعلم بشىء مما فعلوا – وذهب حاتم إلى ابن عمه مالك بن جبار وكان كثير المال فقال : يا بن عم أعنى على مخايلتى ثم =

= أنشد:

يا مال إحدى خطوب الدهر قد طرقت يا مـــال ما أنتم عنها بزحزاح

يا مال جـــاءت حيــاض الموت واردة من بين غمر فخضناه وضحضـــاح

فقال له مالك : ما كنت لأحرب نفسى ولا عيالى وأعطيك مالى . فانصرف عنه وقال مالك فى ذلك :

أنا بنى عمكم ما أن بنا علكم ولا نـجاوركم إلا على ناح

وقد بلوتك اذ نلت الثراء فلـم ألفك بالمال الا غير مرتاح

ثم أتى حاتم ابن عمه وهم بن عمرو - وكان يومئذ مصارما لا يكلمه - فقالت له امرأته : أى وهم ، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع ، فقال : ما لنا ولحاتم ، أثبتى النظر ، فقالت : ها هو ، فقال : ويحك ، هو لا يكلمنى فما جاء به إلى ؟ فنزل حتى سلم عليه ، فرد سلامه وحياه ثم قال له : ما جاء بك يا حاتم ؟ قال : خاطرت على حسبك وحسبى ، قال : فى الرحب والسعة ، هذا مالى - وعدته يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل أو تصيب ما تريد ، فقالت امرأته : يا حاتم أنت تخرجنا عن مالنا أو تفضح صاحبنا (تعنى زوجها) فقال : اذهبى عنى فوالله ما كان الذى غمك ليردنى عما قبلى ، وقال حاتم :

الا ابلغا وهم بن عمر رسالة فانك أنت المرء بالخيــر أجــدر

رأيتك أدنى الناس منا قرابة وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر =

= اذا ما أتـــى يوم يفرق بيننا بموت فكن يا وهـــم ذو يتأخر

ثم قال أيأس بن قبيصة : احملونى إلى الملك - وكان به النقرس - فحمل حتى أدخل عليه فقال : انعم صباحا أبيت اللعن، فقال النعمان : وحياك الهك ، فقال أيأس : أتمد أختانك بالمال والخيل ، وجعلت بنى ثعل فى قعر الكنانة ؟ أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بنى حية بالبلد ؟ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادى دما، فليحضروا مجادهم غدا بمجمع العرب ، فعرف النعمان الغضب فى وجهه وكلامه ، فقال له : يا أحلمنا لا تغضب فانى سأكفيك ، وأرسل إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه : انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه فوالله ما أنا بالذى أعطيكم مالى تبذرونه وما أطيق بنى حية ، فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا : أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا ، قال : لا والله حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم ، فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها فإنما هى مقارف، فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم فى ذلك :

أبلـــــغ بنى لام بأن خيولهم عقرى وأن مجــــادهم لم يمجد

ها انمـــا مطرت سماؤكم دما ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد

ليكـــون جيرانى كأنى بينكم نحلا لكنـــدى وسـبى مزنـــــد

وابن النجود اذا غدا متلاطما وابن العذور ذى العجان الازبـد =

= أبلـــغ بنى ثعل بأنى لم أكن　　أبــــداً لأفعلهـــا طوال المسند

لا جئتهـم فلا وأترك صحبتى　　نهباً ولم تقــدر بقائمـــة يــدى

وحاتم شاعر فحل ولكن شهرته بالجود والكرم غطت على شعره فأصبح لا يعد في الشعراء الا عند قصد الإطالة والاستقصاء ، ولقد فضلته ماوية بنت عفزر – وكانت ملكة – على النابغة وحكمت له حين أنشدها :

أماوى قد طال التجنب والهجر　　وقد عذرتنى من طلابكم العذر

فى قصة طويلة :

ومن شعره الرائع قوله :

وعاذلـــة هبت بلــيل تلومــنى　　وقد غاب عيــــون الثريا فعـردا

تلوم على أعطـــائى المال ضلــة　　اذا ضــــن بالمال البخيل وصـردا

تقول : ألا أمســك عليك فإننـــى　　أرى المال عند المســـكين معبـدا

ذريــنى وحــــالى إن مـالك وافـر　　وكل امــــرىء جـار على مـا تعـودا

أرينى جـواداً مـات هــزلا لعلنى　　أرى ما تــــرين أو بخيـلا مـخلــدا

وإلا فكفى بعض لومــك واجـعلى　　إلى رأى من تلحــين رأيـك مـســندا

ألم تعلمى انى اذ الضيف نابنـــى　　وعز القرى أقرى السديف المسرهدا

أسود ســـادات العشيرة عارفا　　ومن دون قومى فى الـشدائد مذودا =

عمْرو (١) .

= وألفى لأعراض العشيرة حافظا – وحقهم – حتى أكون المسودا

وقوله :

أما والذى لا يعلم الغيب غيره ويحي العظام البيض وهى رميم

لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهى مخافة يوما أن يقال لئيم

وما كان بى ما كان والليل ملبس رواق له فوق الأكام بهيم

ألف بحلسى الزاد من دون صحبتى وقد آب نجم واستقل نجوم

(١) عمرو : هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب بن عبدالله الزبيدى ، أحد فرسان العرب وأبطالهم وصاحب الغارات والوقائع فى الجاهلية والاسلام ورد على رسول الله صلى عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة وأسلم وأبلى فى وقائع الاسلام بلاء حسنا ، وله فى معركة القادسية موقف مشهود كان سبب الفتح كما كان فى موقعة اليرموك وغيرها مغوارا فارسا شجاعا هماما . حدث عن نفسه قال : قدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك فأردت أن أدنو إليه فمنعنى من حوله فقال : دعوه ، فدنوت منه فقلت : أنعم صبحا أبيت اللعن ، فقال : يا عمرو أسلم تسلم ، ويؤمنك الله من الفزع الأكبر . فأسلمت ، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأله يوما : ما تقول فى الحرب ؟ قال : مرة المذاق ، اذا كشفت عن ساق ، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف ، قال : فما تقول فى الرمح ؟ قال : خليلك ، وربما خانك، قال : =

= فالنبل ؟ قال : منايا تحظى وتصيب ، قال : فالترس ؟ قال : عليه تدور الدوائر ، قال فالسيف؟ قال : عبدك ثكلتك أمك ، قال عمر : بل أمك ، فقال : الحمى أصرعتنى، فأغلظ له عمر فى الكلام فقال :

أتوعــــدنى كأنك ذو رعـين　　　بأنقم عيشة أو ذو نواس

فلا تفخر بملكك ، كل ملك　　　يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر : صدقت فاقتص منى ، قال : بل أعفو يا أمير المؤمنين ، لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك ! قال : وما هى ؟ قال : سمعتك تقرأ : (أنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) والله لو علمت أننى اذا دخلتها مت لفعلت .

وهو شاعر مطبوع ، ومن جيد شعره :

ولما رأيـــت الخيل زورا كأنها　　　جداول ماء أرسلت فاسبطرت

وجاشت إلى النفس أول فكرة　　　فزدت على مكروهها فاسبطرت

ظللـــت كأنى للرمــــاح رديئة　　　أقاتــل عن أحساب قوم وفرت

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم　　　نطقــت ولكــن للرمـــاح أجرت

وقوله :

وقد عجبتْ أمامة أن رأتنى　　　تفرع لمتى شيـب فظيـع

أشــــاب الرأس أيام طوال　　　وهم ما تبلـغه الضلوع =

= وزحفت كتيبة للقاء أخرى   كان زهاءها رأس صليع
وأسناد الأسنة نحو نحرى   وهز المشرفية والوقوع

وقوله :

اذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع
وصله بالنزوع ، فكل شيء   سمالك ، أو سموت له نزوع

وقوله :

ليس الجمال بمئزر   فاعلم وأن رديت بردا   ان الجمال معادن
ومناقب أورثن مجدا   اعددت للحدثان سا   بغة وعداء علندى
وحسام ذا شطب يقد   البيض والابدان قدا   كل امرىء يجرى إلى
يوم الهياج بما استعدا   لما رأيت نساءنا   يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التى   تخفى وعاد الأمر جدا   وبدت لميس كأنها
بدر السماء اذا تبدى   نازلت كبشهم ولم   أر من نزال الكبش ابدا
كم ينذرون دمى وأنـ   ـذرآ إن لقيت بان أشدا   كم من أخ لى صالح
بوأته بيدى لحدا   ذهب الذين أحبهم   وبقيت مثل السيف فردا

ووفد على كسرى مع النعمان بن المنذر ليدافع عن العرب ويبطل ما كان كسرى قد نسبه إليهم فقال :

انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجدة الارتياد،=

سحبانِ وائلٍ [1] .

= وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فاجتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا، فأنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما .

(١) سحبان وائل : هو سحبان بن زفر بن أباد الوائلى (نسبة لوائل باهلة) الخطيب المصقع ، المضروب به المثل فى البلاغة والبيان ، وفيه قال الاصمعى كان إذا خطب يتصبب عرقا ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ ، ونشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل (إحدى قبائل ربيعة) ولما ظهر الاسلام أسلم ، وتقلبت به الاحوال حتى التحق بمعاوية رضى الله عنه فكان يعده للملمات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوة عارضته ، وسرعة خاطره ، وقدم على معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان فطلب سحبان فلم يجده فى منزله ، فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال له معاوية : تكلم ، فقال : احضروا لى عصا ، قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه فضحك معاوية وأمر له باحضارها فلما وصلت إليه ركلها (خبرها) فلم ترق فى نظره فطلب عصاه فأخذها ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا تلكأ ، ولا ابتدأ فى معنى وخرج منه وقد بقى منه شىء . فمازالت=

= تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون فأشار إليه معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان لا تقطع على كلامى ، فقال معاوية الصلاة ، قال . هى أمامك ، نحن فى صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال سحبان : والعجم ، والجن والانس ، وينسب إليه:

لقد علم أخى اليمانون أننى   اذا قلت اما بعد انى خطيبها

ومن خطبة له فى الوعظ

أما بعد فان الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر ، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك ، وقال الملائكة ما قدم ، فقدموا بعضا ، ليكون لكم قرضا ، ولا تتركوا كلا ، يكون عليكم كلا

ومن جيد شعره فى مدح طلحة الطلحات الخزاعى

يا طلح أكرم من مشى   حسبـــا وأعطاهم لتالد

منـــك العطاء فأعطنى   وعلى مدحك فى المشاهد

والمروى له كلام يسير جدا ، بل والذى روى على ندرته قد نسبه إلى غيره بعض الرواة الموثوق بهم ، ومن هذا القطعة التى ذكرناها فقد نسبها أبو على القالى فى أماليه إلى بعض الاعراب فى صدر العصر العباسى ، ولعل السر فى عدم =

وأدهَى منْ قصيرٍ [1] . وأشعرَ من جريرٍ . وأعذبَ من ماءِ الفراتِ وأطيبَ منَ العافيةِ . لبذْلى ومروُءتى [2] . وإتلافِ ذخيرَتى . فلمَّا

= تدوين خطبه أنه كان يميل إلى الاطالة التى يعجز الرواة معها على الحفظ على أنها لم تكن من السياسة فى شىء والقوم إذ ذلك لا يشغلهم غيرها .

(١) قصير : هو أحد أرباب الحجا والرأى من ثقاة جذيمة الابرش الذين جمعهم جذيمة حين استدعته الزباء إليها وعرضت عليه ملكها وزواجها فاستخفه ما دعته إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه فعرض على خاصته الامر فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولى على ملكها ما عدا قصيرا - وكان أديبا حازما أثيرا عند جذيمة - فخالفهم فيما أشاروا به وقال : رأى فاتر ، وغدر حاضر فذهبت كلمته مثلا ثم قال : الرأى أن تكتب إليها فإن كانت صادقة فى قولها فلتقبل إليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع فى حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير فقال قصير :

إنى امرؤ لا يميل العجز ترويتى ... اذا اتــت دون شـــأنى مرة الرزم

فقال جذيمــة : لا، ولكنك امرو ... رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت

كلمته مثلا . ثم سار إليها فقتل ، والحادث مشهور عرفه الصبيان فلا حاجة بنا إلى ذكره .

(٢) المعنى أننى كنت فى نظرهم جامعا لفضائل الصفات ، وكريم الخصال ، وشريف السجايا لما كان يعود عليهم من النفع وما كنت أمنحهم من المعروف ، وكذلك الموسر موقر فى نظر الناس مغبوط منهم فلا يحاسب على هفواته، ولا تعد له زلاته ، ولا تساء معاملته ، فإذا املق رجع كل شىء إلى ضده وانقلب =

خفَّ المتاعُ . وانحطَّ الشراعُ [1] وفرغَ الجرابُ [2] . تبادرَ القومُ البابَ [3] . لما أحسوُّا باالقصَّةِ . وصارتْ فى قلوبِهمْ غُصَّةً [4] .

= الحال ، وتغيرت الشؤون . وجرير ، وأبو نواس : تقدمت ترجمتها .

(١) الشراع : كل شيء ارتفع وتصوب ، ومعنى انحطاطه تهاويه إلى أسفل وذلك كناية عن تغير حاله وانقلاب دهره أو هو شراع السفينة ومعنى انحطاطه حينئذ ركود الريح وتعطل السفينة عن السير وفيه من الكناية نفس الذى فى المعنى الأول. (٢) الجراب – بكسر أوله ولا يفتح أو الفتح فيه لغة ضعيفة – : المزود والوعاء ، والجمع جرب بضمتين أو جرب بضم فسكون وأجربة ، ومعنى فراغه خلوة من المتاع ، وهذا كناية عن املاقه وبؤسه وخلو ذات يده .

(٣) تبادر القوم الباب : أسرعوا فى الهرب وتوجه كل واحد منهم معرضا عنى موليا بوجهه نحو الباب فراراً منى ، والمعنى : أنهم مازالوا يفدون على ، ويتقربون إلى . ويحاولون بكل ما فيهم من جهد أن يتصلوا بى إلى أن نضب معين ثروتى ، وعاض المال عندى وظهرت المتربة ، وبدا لهم سوء حالى . فلما عرفوا عنى ذلك ، وشعروا بأنه لم يعد لهم لدى رفد نفروا ، منى وفروا ، واستثقلوا ظلى .

(٤) الغصة – بضم أوله – الشجا وما اعترض فى الحلق فأشرق وجمعه غصص ،تقول منه غصصت بالطعام بالكسر أغص غصصا (بوزان طرب) فأنا غاص به وغصان ، وقال الشاعر :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء

ودعــونى برْصــةً [1] . وانبـعـثـوا للفـرارِ . كـرمـيـةِ الشـرَارِ [2] .
وأخـــذتْهـمُ الضـجـرةُ [3] فـانسـلُّوا قطرةً قطـــرةً [4] . وتفرَّقُوا

وقال آخر :

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصار

والمراد هنا لازمه وهو الضيق ، والحزن ، وانقباض النفس ، وذلك لما فاتهم من مجامع الانس ، ومحافل السرور ، ومجالس البهجة والطرب.

(١) البرصة - بفتح أوله - : دويبة صغيرة معروفة ، ودعونى : لقبونى وأطلقوا على هذه الكلمة تحقيرا لشأنى ، واستهانة بى ، وتقليلا لفائدتى وغنائى وقد يكون بالضم وهو جمع مفرده البراص - بوزن سحاب - وهو البقعة التى لا تنبت أو منازل الجن ، ويكون المعنى إذ ذاك أنهم سموه بذلك لفقره ، وانتزاف ماله ، وذهاب ثروته ، وضياع ما كان حوله من الفائدة والمنفعة .

(٢) الشرار : ما انفصل وتطاير من النار ، ومن طبيعة الشرار أن ينطلق فى الهواء بسرعة زائدة .

(٣) الضجرة - بضم أوله - : الضجر ، وهو ضيق النفس والقلق والغم والتململ.

(٤) إذا بلغ الماء درجة مخصوصة كان لابد له من مزايلة مكانه فيتساقط ويتقاطر فاذا حصل ذلك لم يكن أسرع منه فهو يكنى بانسلالهم قطرة قطرة عن تسارعهم إلى الهرب منه ، واشتدادهم فى الفرار من وجهه .

يمنـةً ويسـرةً [١] . وبقـيتُ علـى الآجُـرَّةِ [٢] . قـدْ أورثُونى الحسْرَةَ . واشتملتْ منهُم علىَّ العبرةُ لا أُساوِى بعرَةً[٣]. وحيداً فريداً كالبُومِ. الموسُومِ بالشُّومِ[٤] أقعُ وأقومُ كأنَّ الذَّى كنتُ فيهِ لم يكُن. وندمتُ حينَ لم تنفعنى النَّدامةُ[٥]. فبدِّلتُ بالجمالِ وحشةً.

(١) يمنة ويسرة – بفتح أولهما – : أى يمينا وشمالا ، والمراد أنهم فارقوه كل واحد منهم إلى جهة إذ لم يكن لهم ما يجمعهم سوى مجلسه .

(٢) المراد بقيت على الارض منفردا ، والآجرة فى الاصل واحد الآجر وهو الطوب المحروق الذى يتخذ فى البناء .

(٣) أورثونى حسرة : مثله قول أبى ذؤيب .

أودى بنى وأعقبونى فى حسرة   فتخرموا ولكل جنب مصرع

والعبرة – بفتح أوله – : الدمعة ، والبكاء . وبعرة الجمل ونحوه معروفة والمعنى : أن ابتعادهم عنى وتركهم لى فريدا لا أنيس لى قد أعقبنى الندم والتحسر على سابق أمرى معهم وجعلنى أقضى جميع أوقاتى فى البكاء والنحيب وتركنى بائسا مسكينا لا قيمة لى ولا عضد . (٤) البوم والبومة : طائر يقال للذكر والانثى بوم وبومة، والموسوم : المعروف واصل الوسم والسمة – كالوعد والعدة – : العلامة والبوم مما يتشاءم به ويتطير من صوته .

(٥) المعنى أننى أسفت وزاد بى الغم ولكن بعد فوات الوقت ولم يعد الندم ينفعنى ولا الأسف يفيدنى .

وصــارَت بــى طُرشــةٌ(١). أقــبَحُ منْ رهطَةَ المُنَــادِى. كــانِّى راهــبٌ عُبَادِىٌّ(٢). وقــدْ ذهَبَ المالُ وَبَقِى الطنزُ(٣) . وحصلَ بيدِى ذَنَبُ العنْز (٤) وحصلتُ فى بيتِى وحْدى مُتفتتَّة كبدِى . لتعْـس جدِّى. قـدْ قــرَّحتْ دمُـوعِى خـدى(٥) . أعـمــرُ منـزلاً دَرَستْ

---

(١) المراد من الوحشة قبح الهيئة وتغييرها لأن ذلك هو الذى يقابل الجمال ، والطرشة فى الاصل : الخفيف من الصمم ، وأراد منه هنا ما اشتد منه وزاد بدليل تعقيبه بقوله : أقبح من رهطه وهو رجل عرف عنه الصمم الشديد .

(٢) العباد : جمع عابد والنسبة هنا غير قياسية إذ الاصل أن ينسب إلى المفرد. اللهم إلا اذا كان بالتأويل التسمية بلفظ الجمع واطلاقه على هذه الجماعة كعلم لهم . وصفات الراهب العزلة والابتعاد عن الناس وأراد من تشبيه نفسه به ذلك.

(٣) طنز يطنز طنزا : سخر وتهزأ واستهان ، والمعنى : أنه قد ذهب عنى جمال الغنى ، وأبهة اليسار وحالفتنى سخرية الفقر واستهانته .

(٤) ذنب العنز كناية عن عدم وجود شىء عنده لان ذنب العنز قصير جاف لا نفع فيه ولا فائدة به فوجوده والعدم سواء .

(٥) المعنى : أننى بقيت فى دارى وحيدا حزينا آسفا باكيًا متوجعًا لما نالنى متألما مما نزل بى ، وتعجبنى أبيات قلتها فى مثل هذا الحال وهى :

بلوت الناس فى عسر ويسر ... وفى الحالين من فرج وضيق

ولما لم أجد من يصطفيـنى ... لغير المال والحسـب العريق

نفضت يدى وما علقت بشىء ... سوى الآلام والحـزن العميق

إذا لم تلق فى القرناء خيرا ... فأولــى أن تعيــش بلا رفيق

طلولهُ[1] . وعفتْ معالمهُ سيولهُ[2] . فأضحَى وأمْسى بربعهِ الوحوُش . تجولُ وتنوشُ[3] . وقد ذهبَ جَاهى ونَفَدت صحاحِى[4]. وقلَّ مراحِى . وسلحتُ فى رَاحِى[5] . ورفضَنى

---

(١) الطلل : ما بقى من آثار الديار أو الشخوص من كل شىء ، وجمعه طلول أطلال ، ودرست : انمحت ، والمراد خلوها من القطين والسكان ، والمعنى أننى صرت وحدى أعمر هذه الأماكن التى خلت بذهابهم .(٢) عفت : درست يقال : عفا المنزل ، وعفته الريح ، يتعدى ويلزم - وبابهما عدا - وعفته الريح بالتضعيف - أيضا ، وشدد للمبالغة ، والسيول : جمع سيل وهو ما انحدر من المطر وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها هطل أجش وبارح ترب

والمعنى : أن السيل بطول مروره بهذه الديار قد محا معالمها وعفا آثارها .

(٣) تجول وتنوش معناهما واحد ، والمراد أنه أصبح مسكنا للوحوش تذهب فيه طورا وتجيء وتروح وتغدو . (٤) نفدت : فنيت وفى التنزيل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) ، والصحاح : جمع صحيح وهو كل ما يعتمد عليه والمراد ما كان بيده من المال . (٥) مراحى : خفتى لإسداء المعروف ، وهو من قولهم راح للمعروف يراح راحة اذا أخذته له خفة وأريحية ومنه الحديث (ومن راح فى الساعة الثانية الخ) لم يرد رواح النهار بل المراد خف إليها وساحت فى راحى : الراح: الراحة والارتياح ، وسلح فيها أفسدها على نفسه والمعنى : أن قلة المال وخلو اليد جعلانى لا أبادر للبذل ولا أخف إلى الاعطاء كما كنت أولا وأن الاملاق تركنى فاقد الراحة مسلوب الطمأنينة .

النُّدمان والإخوانُ القدماءُ لا يرفعُ لى راسٌ . ولا أعدُّ من الناسِ. أوتحُ من بزِيعِ الهــراسِ . ورزِينِ المراسِ[١] . أتــرددُ علـــى الشطِّ. كأَنِّى رَاعى البطِّ[٢]. أمشى وأنَا حافى . وأتبعُ الفيافى[٣]. عيْنى سخينةٌ . ونفْسى رهينةٌ[٤] . كأنى مجنونٌ قد أفلتَ من ديْرٍ. أو عيْر يدورُ فى الحيِر[٥] . أشدُّ حزنًا من الخنساءِ على

(١) أوتح : أخس وأضعف شأنا وأحط قيمة وأنزل قدرا ، والهراس : صانع الهريسة والمراس : صانع الامراس وهى الحبال ، وبزيع ورزين اسما رجلين ، وقد ضرب بهما مثلا فى خسة القدر وضعف الجاه لأن صناعتهما فى زمانه كانت أحط الصناعات وأقلها قدرا .

(٢) الشط . هو شاطىء النهر ، والبط : من نوع الأوز وهما يألفان الماء واذا كان لهما راع فهو دائما ملازم لشاطىء الماء . (٣) الفيافى الاراضى التى لا ماء بها ولا نبات ، وأراد من ذلك الكناية عن الاماكن التى لا يوجد بها من الناس أحد لانه كان يخجل أن يروه وهو على هذه الحال السيئة . (٤) يقال فى الدعاء على الرجل بالحزن : أسخن الله عينه ، وسخنت عينه كما يقال فى الدعاء له بالمسرة : أقر الله عينه وفى التنزيل (قرة عين لى ولك) ونفسى رهينة : محبوسة ، والمعنى : ضيقة متألمة .

(٥) العير – بفتح أوله – الحمار ، قال الشاعر :

ولا يقيم على ضعف يراد به   ألا الاذلان عير الحى والوتد

والحير : الحظيرة التى تعمل للماشية وقاية لها من الحر والبرد

صخرٍ[1] ومنْ هندٍ

(١) الخنساء هى : السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرقى شواعر العرب ، وأحزن من بكى وندب .

كان أبوها عمرو وأخواها صخر ومعاوية سادات بنى سليم من مضر ، وكانت هى من أجمل نساء عصرها ، فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه وآثرت التزوج فى قومها فتزوجت منهم .

وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر جزعت عليهما جزعًا شديدًا وبكتهما بكاء مرا ، وكان أشد وجدها على صخر لأنه كان شاطرها هى وزوجها أمواله مرارا ، فهاج حزنها الشعر فى نفسها فقالت المراثى المطولات وفاقت النساء والرجال فيها ، وأطالت عليهما البكاء والعويل حتى تقرحت مآقيها وحتى ضرب بها المثل فى الحزن والبكاء وكثرة الرثاء ، وجاء الاسلام فوفدت مع قومها على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ، ويقول : هيه يا خناس ويومىء بيده وما فتئت تبكى صخرا قبل الاسلام ، وبعده حتى عميت ، وبقيت إلى أن شهدت وقعة القادسية فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة مع أولادها الاربعة فأوصتهم وحصنتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعا ، فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ! ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية فى خلافة معاوية . =

= فأما شعرها فقد أجمع أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية لم ينكر أنها أرثى النساء ، وكان بشار بن برد يقول : لم تقل امرأة الشعر إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له : وكذلك الخنساء ؟ فقال : تلك غلبت الفحول !

ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابغة الذبيانى يقول لها - وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التى مطلعها :

قذى بعينك أم بالعين عوار　　أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار ؟؟

لولا أن أبا بصير (يريد الأعشى) أنشدنى قبلك لقلت أنك أشعر من بالسوق

ولشعر الخنساء رنين فى السمع ، وهزة فى القلب ، ووقع فى النفس ، لانه صادر عن فؤاد محزون ، وما خرج من القلب حل فى القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ ، سهل الاسلوب ، حسن الديباجة .

وسئل جرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء ، قيل : فيم فضلتك ؟ قال : بقولها :

إن الزمان - وما يفنى له عجب　　أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس

إن الجديدين فى طول اختلافهما　　لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن جيد شعرها قولها ترثى أخاها صخرا :

أعينى جودا ولا تجمدا　　ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرىء الجميل　　ألا تبكيان الفتى السيدا

رفيع العماد ، طويل النجا　　د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم　　إلى المجد مد إليه يدا

عَلَى عمْرو[1] .

فنـــال الذى فوق أيديهم من المجد ثم انتمى مصعدا
يحمـله القــوم ما عالهم وان كان أصغــرهم مولدا
وان ذكــر المجـد ألفيتـه تأزر بالمجــد ثم ارتــدى

ومن قصيدتها التى تقدم مطلعها :

وأن صخـرا لمولانا وسيدنا وأن صخـرا اذا نشتو لنحار
وأن صخـر لتأتم الهداة به كأنــه علــم فى رأســه نار
حمـــال ألوية ، هباط أودية شهـــاد أندية ، للجيش جرار

ومن قولها ترثيه :

ألا يا صـخر إن أبكيت عينى فقد أضحكتنــى زمنـــا طويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حى فمن ذا يدافع الخطب الجليلا ؟
إذا قبـــح البكـــاء على قتيل رأيـــت بكاءك الحسن الجميلا

(١) عمرو : هو ابن المنذر بن ماء السماء ، وهند أمه ، وكان قد قتله عمرو بن كلثوم فى قصة ذكرناها عند ترجمته فى المقامة العراقية وفى مقتله يقول : أفنون ابن صريم التغلبى مفتخرًا بفعل عمرو بن كلثوم من قصيدة له :

لعمرك ما عمــرو بن هند وقد دعا لتخـــــدم أمـــى أمــه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا فأمســك من ندمــانه بالمخنــق
وجللــه عمــرو على الرأس ضربة بذى شطب صافى الحديدة رونق

وكان لعمرو أخ يقال له مرة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه ، وإياه عنى الاخطل بقوله :

ابنى كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

وقدْ تاهَ عقلِي وتلاشتْ صحتِي . وفرغتْ صرَّتِى[1] . وفرَّ غُلامِي وكثرتْ أحلامِي وجزتُ فى الوسواسِ المقدارَ . وصرتُ بمنزلةِ العمارِ . وشيطانِ الدارِ . أظهرُ بالليلِ وأخفَى بالنهارِ . أشأَمُ من حفارٍ . وأثقلُ منْ كراءِ الدارِ . وأرعنُ منْ طيطىء القصارِ[2]. وأحمقُ من داودَ العصارِ . قدْ حالفتْنى القلةِ . وشملتْنى الذلةُ. وخرجتُ من الملةِ . وأبغضتُ فى اللهِ[3] . وكنتُ أبا الغنبس . فصرتُ أبا عملسِ[4] .

---

(١) الصرة : وعاء الدراهم الذى توضع فيه .(٢) العمار : الجن الذين يسكنون البيوت ، وشيطان الدار بيان له والحفار : الذى ينبش القبور ، وكراء الدار ثقيل جداً على من يسكنها بحيث لا يطيقه الا متضرراً متأففا فلعمرك إن من كان أثقل منه لا طاقة لمخلوق على احتماله ، وأرعن : صيغة ، تدل على زيادة الرعونة وهى الحمق ، والقار الذى صنعته تقصير الثياب ، وطيطىء اسم رجل .

(٣) أبغضت في الله : أى كرهنى الناس وابغضونى لأجل الله وابتغاء مرضاته وذلك لانه خرج عن الملة . (٤) العنبس فى الاصل : الاسد ، والعملس : الذئب قال الشنفرى :

ولى دونكم أهلون سيد عملس وأرقط ذهلول وعرفاء جيأل

فهو يشير إلى المعنى الاصلى للفظين ويروى بدل عملس (عفلس ، وأبافقعس) وليست بشىء ، والمعنى أننى كنت عظيمًا مهاباً منظوراً إلى نظرة الاحترام فأصبحت محتقرا مرذولا ينظرنى الناس بعين المقت والازدراء .

قد ضللتُ المحجَّةَ . وصارتْ عليَّ الحجْةُ[١] . لا أجدُ لي ناصراً،
والافلاسُ عنْدي أراهُ حاضراً[٢] . فلما رأيتُ الأمْرَ قد صعبَ
والزمانَ قد كلب[٣] . التمستُ الدرهمَ فإذَا هوَ معَ النسْرينِ[٤]
وعندَ مُنقطعِ البحرينِ[٥] . وأبعدُ منَ الفرقدَينِ[٦].

---

(١) المحجة : نهج الطريق ، والسبيل الواضح البين ، والحجة : البرهان ، والدليل ، والمعنى أنني لم أتدبر الأمر ولم أنهج أعدل السبل وأقومها وأكثرها هداية وأبينها فقام الدليل بما وصلت حالي إليه على أنني أستحق ذلك ولم أجد إلا جزاء ما صنعت يدي .(٢) المعنى : أنه لم ينصرني على بلواء الزمان وكيده أحد بل خذلني الناس جميعا ، وكنت أجدني دائمًا مفلسا معدما .(٣) كلب : يصح أن يكون قولهم : كلب – كفرح – : إذا عضه الكلب المصاب بداء الكلب وهو إذا عض إنسانا لم يبرأ منه إلا مع الجهد والمشقة ويصح أن يكون من الكلبة بضم أوله وهي الشدة والضيق والقحط ويصح أن يكون من قولهم : كلب الشجر اذا لم يجد ريه فخشن ورقه وعلق به ثوب من يمر به . (٤) النسران : هما الكوكبان اللذان يسمى أحدهما النسر الطائر والآخر النسر الواقع ، ومن ذا الذي يمكنه الوصول إليهما ليستخلص الدينار أو الدرهم ؟!

(٥) البحرين : المراد بهما المحيط الغربي والمحيط الشرقي ولم يتيسر الوصول إليهما حينذاك. (٦) الفرقدان : هما نجمان يقعان بالقرب من القطب الشمالي ويهتدي بهما وأحدهما أكثر وضوحاً من الثاني .

فخرجتُ أسيحُ . كأنِّى المسيحُ [١] . فجلتُ خراسانَ . الخرابَ منها والعمرانَ . إلى كرمانَ وسجستانَ وجيلانَ إلى طبرستانَ وإلى عمانَ إلى السندِ والهندِ والنوبةِ والقبطِ واليمنِ والحجازِ ومكةَ والطائفِ أجولُ البراريَّ والقفارِ . وأصطلي بالنارِ . وآوِى معَ الحمارِ [٢] . حتى اسودتْ وجنتاىَ . وتقلصتْ خصيتاىَ . فجمعتُ من النوادرِ والأخبارِ والأسمارِ [٣] . والفوائدِ والآثارِ . وأشْعارِ المتطرِّفينَ وسخفِ الملهينَ . وأسمارِ المتيمينَ [٤] . وأحكامِ المتفلسفين . وحيلِ المشعوذينَ ونواميسَ المتمخرقينَ [٥] .

---

(١) المسيح : هو عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام .

(٢) أوى المنزل وأوى إليه أويا - بضم فكسر فياء مشددة - وربما كسر أوله أيضًا : سكنه ونزل فيه ، والمراد أنه بلغ من الاعواز مبلغًا لم يكن يجد لنفسه مأوى ينزله ولا مبيتًا يستريح إليه غير مكان الحمار .

(٣) الاسمار : أحاديث الليل التى يجتمع عليها الناس ويروونها .

(٤) المتيمون : هم العشاق وأرباب الغرام ، وأهل الهوى .

(٥) مخرق - بوزن دحرج - : كذب ، وموه . وقال الباطل ، وافترى ، وأراد بنواميسهم طرقهم التى يتخذونها لخداع الناس وغرورهم ، وحيلهم التى يستعملونها لادخال الغفلة على المنصتين إليهم ، وأساليبهم فى تحذير الافكار وتسميم العقول .

ونوادرِ المنادمينَ . ورزقِ المنجمينَ (١) . ولطفِ المتطببينَ . وكيادِ المخنثينَ (٢) .

---

(١) المنجمون : هم الجماعة التى تدعى معرفة أحكام النجوم وتأثيرها فى عالم العناصر ورزقهم : التكهين والاخبار بالغيب وذكر المجهولات وغيرها من الوسائل التى يحتالون بها على الناس لاستدرار الاكف واستنباط الاموال وابتزازها .

(٢) المخنثون : جماعة من الرجال يتشبهون بالنساء ، ومن حوادثهم ما ذكره صاحب الاغانى قال : خرج يحيى بن الحكم - وهو أمير على المدينة - فبصر بشخص بالسبخة مما يلى مسجد الاحزاب فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس، فاستراب به ، فوجه أعوانه فى طلبه ، فأتوا به كأنه امرأة فى ثياب مصبغة مصقولة وهو متمشط مختضب . فقال له أعوانه : هذا ابن نغاش المخنث فقال له: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئا ! أتقرأ أم القرآن ؟ فقال : يا أبانا، لو عرفت أمهن عرفت البنات ، فقال له : أتهزأ بالقرآن لا أم لك ؟ وأمر به فضربت عنقه ، وصاح فى المخنثين من جاء بواحد منهم فله ثلاثمائة درهم . قال زرجون المخنث : فخرجت بعد ذلك أريد العالية فاذا بصوت دف أعجبنى فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آنس بهم (؟!) ففتحته ودخلت فإذا بطويس (أحد مخنثى المدينة) قائم فى يده الدف يتغنى فلما رآنى قال لى : ايه يا زرجون، قتل يحيى بن الحكم بن نغاش ؟ قلت : نعم . قال : وجعل فى =

= المخنثين ثلاثمائة درهم ؟ قلت : نعم ، فاندفع يغنى :

ما بال أهلك يا رباب   خــزرا كانهم غضاب

ارزرت أهلك أوعـدوا   وتهـر دونهم الكــلاب

ثم قال لى : ويحك ! أفما جعل فى زيادة ولا فضلنى عليهم فى الجعل بفضلى ؟!
ومن أشهر المخنثين أبو عبد النعيم عيسى بن عبدالله مولى بنى مخزوم الشهير بطويس وكان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية وله أخبار تدل على مكره وفطنته . قيل : كان عبدالله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جودى أسال كل شىء ، فقال عبدالله : هو لكم فى العقيق ؟ - وهو متنزه أهل المدينة فى الربيع والمطر - فركبوا ، ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبدالله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها ، وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا - وطويس فى النظارة يسمع كلام عبدالله بن جعفر مع أصحابه ، ولم يروه - فقال عبد الرحمن بن حسان : جعلت فداك ، وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله هو مخنث شائن لمن عرفه ، فقال عبدالله : لا تقل ذلك فانه خفيف لنا فيه أنس ، لما استوفى طويس الكلام تعجل إلى منزله فقال لامرأته : ويحك ، قد جاءك سيد الناس عبدالله بن جعفر فما عندك ؟ قالت : تذبح هذه العناق وكانت قد ربتها للبن ، واختبزت رقاقا ، فبادر بذبحها ، وعجنت هى . وخرج وتلقاه مقبلا إليه ، فقال له طويس : بأبى أنت =

ودخمسةِ الجرابزةِ (١) وشيطنةِ الأبالسةِ ما قصَّرَ عنهُ فتيَا الشعبيِّ وحفظُ الضبيِ (٢) .

= وأمى ، هذا المطر هل لك فى المنزل فتسكن به إلى أن تكف السماء ؟ قال : إياك أريد ، قال : فامض يا سيدى على بركة الله ، وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا إلى أن أدرك الطعام فاستأذن عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل معه القوم وأعجبه طعامه ثم قال طويس : بأبى أنت وأمى أما أغنيك، قال . بلى ، فأخذ الدف وانطلق يغنى :

يا خليلي يا بني سهدى　　　لم تنم عيني ولم تكد

كيف تلحونى على رجلٍ　　　أنـــس ، تلتذه كبدى

فطرب القوم ، وقالوا : والله أحسنت ، فقال : يا سيدى . أتدرى لمن هذا الشعر؟ قال : لا ، قال هذا لفارعة بنت حسان وهى تعشق عبد الرحمن ابن الحرث المخزومى وتقول فيه ، فسكت القوم ، وضرب عبد الرحمن برأسه فلو ثقبت له الارض لذهب فيها ، وعلم عبدالله أنه اقتص من عبد الرحمن .

(١) الدخمسة مأخوذة من قولهم : دخمسة إذا خدعه ، والجرابذة : جمع جربذ وهو الخبيث المخاتل الخداع .

(٢) الضبى : هو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبي الثقة ، أحد أكابر الكوفيين ، وعنه أخذ أبو زيد الانصارى لثقته وحفظه وروايته ، وللمهدى جمع الأشعار المختارة المسماة (بالمفضليات) وهى تزيد وتنقص بحسب الرواة الذين نقلوا عنه وأصح رواياتها رواية أبى عبدالله بن الاعرابى عنه ، وله من الكتب سواها كتاب الأمثال وكتاب معانى الشعر وكتاب العروض ، قال خلف الأحمر:=

وعلْمُ الكلبِّى[1] .

= أخذت على المفضل الضبى وقد أنشد لامرىء القيس :

نمس بأطراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مهضب

فقلت : إنما هو نمش لأن المش مسح اليد بالشىء الخشن ومنه سمى منديل الغمر مشوشا ، ويروى أن سليمان بن على الهاشمى بالبصرة جمع بين المفضل الضبى والاصمعى فأنشد المفضل قول أوس بن حجر :

وذات هدم عار نواشـــرها تصمـــت بالمـــاء تولبـــا جذعا

وروى جذعا بفتح الذال فنظر الاصمعى إليه - وكان أحدث سنا منه - فقال : إنما هو تولبا جذعا ، وأراد تقريره على الخطأ فلم ينظر المفضل إليه فقال : كذلك أنشدته ، فقال الاصمعى : أخطأت انما هو تولبا جذعا (بكسر الذال) فقال المفضل : جذعا ، جذعا ورفع صوته ، فقال سليمان بن على : من تحبان أن يحكم بينكما ؟ فاتفقا على غلام من بنى أسد حافظ للشعر ، فأحضر ، فعرضا عليه ما اختلفا فيه ، فقال بقول الاصمعى وصوب رأيه ، فقال المفضل وما الجذع؟ قال : السىء الغذاء ، وهكذا هو فى كلامهم ، ومنه قولهم أجذعته أمه إذا أساءت غذاءه .

وقد أخذ كتابه المفضليات عن ألسنة النقلة والرواة ، فأما أبو تمام فقد أخذ حماسته عن كتب مدونة .

وتوفى المفضل سنة ١٦٨ هـ

(١) الكلبى : هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ، نشأ =

فاسترفدتُ واجتديتُ .

= بالكوفة وكان نسابة عالما بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن أبيه محمد بن السائب ، وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وأيام الناس معدودا بين المفسرين والنسابين توفى بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف إلا كتابا فى تفسير القرآن، أما هشام ابنه فخلف نحو مائة كتاب بعضها فى الاحلاف والبعض الآخر فى المآثر والبيوتات، والمنافرات، والموءودات، وبعضها فى أخبار الأوائل . وبعضها فى ما قارب الاسلام من أمر الجاهلية ، وغيرها فى أخبار الاسلام ، وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب والاسمار والانساب وأهم ما كتبه فى الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوى على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلا عن الانساب المفردة لأشهر القبائل على حدة ، وله كتاب فى نسب فحول الخيل فى الجاهلية والاسلام ، وكتاب تنكيس الاصنام .

وروى عن هشام ابنه العباس وغيره ، وكان من أحفظ الناس ، قال محمد بن السرى : قال لى هشام الكلبى : حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد ، كان لى عم يعاقبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام (؟)

وتوفى هشام سنة ٢٠٤ فى خلافة المأمون العباسى وقيل سنة ٢٠٦ فى خلافته أيضًا .

وتوسلتُ وتكدَّيتُ[1] . ومدحتُ وهاجيتُ . حتى كسبتُ ثروةً من المالِ واتخذتُ من الصفائحِ الهنديَّة[2] . والقصبِ اليمانيَّة[3] . والدروعِ السابريَّة[4] .

---

(١) استرفد : طلب الرفد ، وهو العطاء ، واجدى الناس ومثله جداهم : طلب جدواهم ، وهى العطاء أيضًا ، وتكدى قريب من ذلك ، ويروى بدل تكديت تحريت ومعناه ما هو بى أحرى وأولى .

(٢) الصفائح : جمع صحيفة وهى السيف ، والهندية : المنسوبة إلى الهند وكانت قديما مشهورة بصنع السيف قال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٣) القضب : جمع قضيب وهو السيف القاطع ، واليمانية : المنسوبة إلى اليمن وقال عنترة أيضًا :

وما لبيته إلا وسيفى   ورمحى فى الوغى فرسا رهان

وكان إجابتى إياه أنى   عطفت عليه موار العنان

بأسمر من رماح الخط لدن   وأبيض صارم ذكر يمان

(٤) السابرية : درع دقيق النسج فى إحكام ولعل أصل نسبتها إلى سابور أحد مدائن الفرس أو ملك من ملوكها وإليها تنسب الثياب السابرية وهى ثياب =

والدرقِ التبتيةِ [١] . والرماحِ الخطيةِ [٢] . والحِرابِ البربريةِ والخيلِ العتاقِ الجرديةِ [٣] .

= بيض رقاق قال عنترة

وبطن كطـــى السابــرية لين أقب لطيف ضامر الكشح أنعج

(١) الدرق : جمع درقة وهى ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب ، والتبتبة : نسبة إلى بلاد تبت (بوزن السكر) قال فى القاموس : هى بلاد بالمشرق أهى وهى البلاد التى فى شرقي كشمير وشمال الهند ونيبال وجنوب تركستان وأهلها مجيدون لصناعة الدرق.

(٢) الرماح ، ومثله الارماح : جمع رمح والخطبة المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ سفن بالبحرين لانها تباع فيه أو تصنع ، وقد ذكرنا فى شعر عنترة السابق شاهدا لذلك وقال أيضاً :

وأنى أعشق السمر العوالى وغيرى يعشق البيض الرقاقا

وكاسات الاسنة لى شراب ألذ به اصطباحـــا واغتباقا

وأطـراف القنا الخطى نقلى وريحانى إذا المضمار ضاقا

(٣) العتاق : جمع عتيق وهو النحيب من الخيل ، قال الشاعر :

جزى الله الجواد اليـوم عنى بمـا يجـزى به الخيل العتاقا

والجردية : نسبة إلى الارض الجردة المستوية المنجردة وخيلها أصلب الخيول وأجودها .

والبغالِ الأرمنيةِ[١] . والحمرِ المريسيةِ[٢]. والديابيجِ الروميةِ[٣]. والخزوزِ السوسيةِ[٤] . وأنْواع الطرب واللطف[٥]. والهدَايا والتحفِ . مع حسنِ الحالِ . وكثرةِ المالِ . فلمَّا قدمتُ بغدادَ وجدَ القومُ خبرِى . وما رزقتُهُ فى سفرِى . سرُّوا بمقدمى . وصاروا باجمعهم إلىَّ[٦] يشكونَ ما عندهم منَ الوحشةِ لفقْدى . وما نالهُم

(١) الارمينية : نسبة إلى أرمينية وهى - بهمزة مكسورة فراء ساكنة وفى الآخر ياء مفتوحة أو مشدودة - كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربعة كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينية والنسبة إليها أرمنى بالفتح .

(٢) المريسية : نسبة إلى مريسة - بوزن سكينة - بلدة منها بشر بن غياث المريسى أحد روءساء المعتزلة وله فى دعوى خلق القرآن مناظرات طويلة حضرها المأمون الخليفة العباسى وكان على رأيه .

(٣) الديابيج : جمع ديباجة وهو ثوب سداه ولحمته من حرير.

(٤) الخزوز : جمع خز وهو الثوب المنسوج من صوف وحرير والسوسية : نسبة إلى سوس وهى كورة من كور الاهواز .

(٥) الطرف : جمع طرفة - بوزن غرفة وغرف - وهى البديع المستملح والغريب المستحسن ، ومثلها اللطف .

(٦) المعنى : أننى عدت بغداد وقد عادت إلى الثروة ، وصحبتنى الميسرة فجمعت أنواع الأموال وضروبها وحصلت على صنوف الأحاديث وأفانينها من كل ما يزيد الرغبة فى ويحبب لهم القرب منى فلما علموا بذلك نهضوا إلى باشين مسرورين وجاءونى فرحين مستبشرين .

لبُعدى . وشكوْا شِدَّةَ الشوقِ . ورزءَ التوقِ [1] .

وجعلَ كلٌّ واحدٍ منهمْ يعتذرُ مما فعلَ ويُظهرُ الندمَ على ما صنعَ . فأوْهمتهمْ أنِّى قدْ صفحتُ عنهمْ ولمْ أظهرْ لهمْ أثرَ الموجدةِ عليهمْ [2] بما تقدمَ فطابتْ نفوسهمْ . وسكنتْ جوارحهمْ وانصرفُوا على ذلك وعادُوا إلىَّ فى اليومِ الثانِّى فحبستهمْ عندَى[3] ووجهتُ وكيلِى إلى السُّوقِ فلم يدعْ شيئًا تقدمتُ إليهِ بشرائهِ إلا أتى به وكانتْ لنا طباخةٌ حاذقةٌ فاتخذتُ عشرينَ لونًا

(١) التوق : شدة الحب مع شدة الشوق ، ورزؤه : الألم الذى يجده المحب عند فراقه حبيبه، وربما كان الشوق هو الجواد بالنفس ورزؤه شدته وبليته وكأنهم ماتوا ثم بعثوا بمقدمه ونشروا بعودته لأنه كان حياتهم ، أو هو خروج الدموع من الشجون ، ومعناه : أنهم جاؤوه يشكون له صعوبة الفراق وآلامه ، ويبثون شدة الوجد إليه ، وما ذرفوه من الدموع بعده .

(٢) الموجدة : الحقد ، والضغينة ، وألم النفس ، والمعنى : أننى أظهرت لهم ارتياحى لملاقاتهم وبششت فى وجوههم وأبديت الانس بهم ، وأبنت لهم أننى لا أحمل فى نفسى ألما ، ولا أجد فى صدرى حرجا مما فعلوا معى قديما .

(٣) حبستهم : منعتهم من الانطلاق إلى منازلهم وطلبت منهم البقاء لدى لينالوا من الطعام و الشراب وأنوا ع الملذات ما يليق بقديم ألفتهم وسابق ودادهم .

منْ قلايا مُحرقاتٍ . وألوانًا منْ طباهِجاتٍ . ونوادرَ مُعداتٍ[1] . وأكلنا وانْتقلنا إلى مجلسِ الشرابِ فاحضرتْ لهمْ زهراءُ خندريسيةٌ [2] ومغنياتٌ حسانٌ محسناتٌ . فأخذُوا فى شأنهمْ وشربنَا . فمضى لنا أحسنُ يومٍ يكونُ وقد كنتُ استعددتُ لهمْ بعددهمْ خمسةَ عشرَ صنًّا منْ صنانِ الباذنجانِ . كُلُّ سنٍّ بأربعةِ آذانٍ[3] . واستأجرَ غُلامى لكلِّ واحدٍ منهمْ حمالاً كلُّ حمالٍ

---

(١) الطباهجات جمع طباهجه وهى نوع من اللحم يقلى وقد تقدم فى أول المقامة ذلك وقد قال الشاعر :

فنضحى سكارى والمدام مصفف   يدار علينا والطعام المطبهج

ونوادر : أصناف نادرة أى قليلة الوجود ومعدات - بزنة اسم المفعول - : مهيئات، ويروى مستبعدات ومعناه عزيزة الوجود فيكون كالتأكيد لقوله نوادر .

(٢) زهراء : مشرقة متلالئة ، والخندريس - من أسماء الخمر - القديمة قال :

تطوف عليهم خندريس مدامة   ترى حببا من فوقها حين تمزج

وإنما أتى بها على صيغة النسب لان الشيء إذ نسب لنفسه كان أبلغ فى الدلالة على معناه وأوضح فى إفادة الشهرة .

(٣) الصن - بالكسر - : شبه السلة المطبقة يجعل فيها الخبز ونحوه ، وخصه بأن يكون من أصنان الباذجان لكبره ولذلك تراه قال بأربعة آذان ، والآذان ما يحمل منه تشبه العرى فى أطرافه .

بدرهمينِ وعرَّفَ الحمالينَ منازلَ القومِ وتقدَّمَ إليهمْ بالموافاةِ بعشاءِ الآخرةِ . وتقدمتُ إلى غلامى وكانَ داهيةً أنْ يدفعَ إلى القومِ بالمنِّ والرطْلِ[1] ويصرفَ لهمْ وأنا أبخرُ بين أيديهمْ الندَّ والعودَ والعنبرَ . فما مضتْ ساعةٌ إلا وهمْ منَ السكرِ أمواتٌ لا يعقلونَ[2] . ووافانَا غلمانهمْ عند غروبِ الشمسِ كلٌّ واحدٍ منهمْ بدابةٍ أو حمارٍ أو بغلةٍ . فعرفتهمْ أنهمْ عنْدِى الليلةَ بائتُونَ

والمعنى أننى حين وردوا على أكرمت مثواهم وطمأنت خاطرهم فأحضرت لهم أطاليب المأكول ولذيذ المشروب ، وأردت أن أنتقم منهم وأثأر لنفسى فكلفت خادمى بشراء خمسة عشر صنا واستئجار الحمالين وتعريفهم منازل القوم كما سيذكره من بعد .

(١) الداهية : الاريب الفطن والمجرب الخبير، والرطل معروف ، والمن مكيال يسع قريبا من رطلين ، أو هو ميزان وقال الشاعر :

عصا فى رأسها منوا حديد والمراد حينئذ مقداره كيلا ، وجمعه أمنان

(٢) الند : نوع من أنواع الطيب ، والتبخير به : إذاعة رائحته ، أو هو العنبر وعطفه عليه لتفخيم الامر وتعظيمه ، والعود والعنبر : معروفان والمعنى : أننى أمرت الخادم أن يسقيهم الخمر بمقدار كبير حتى تعمل فى رؤوسهم عملا عظيما فلا يستطيعون أن يعرفوا ما نصنع بهم بعد ولا يمكنهم أن يدفعوا عن أنفسهم .

فانصرَفُوا ووجهتُ إلى بلالِ المزينِ فأحضرتهُ وقدمتُ إليهِ طعاماً فأكلَ وسقيتهُ من الشرابِ القطرُبلّى[1] فشربَ حتى ثملَ[2]. وجعلتُ فيه دينارينِ أحمرينِ[3]. وقلتُ : شأنكَ والقومَ. فحلقَ فى ساعةٍ. واحدةٍ خمسَ عشرةَ لحيةً فصارَ القوم جرداً مرداً كأهْل الجنةِ. وجعلتُ لحيةَ كلِّ واحدٍ منهمْ مصررةً فى ثوْبه ومعها رُقعةٌ مكتوبُ فيها: "منْ أضمرَ بصديقهِ الغدرَ وتركَ الوفاءِ كانَ هذا مكافأتُه والجزاءَ". وجعلتُها فى جيبِه وشددناهُمْ. فى الصنانِ ووافى الحمالوَن عشاءَ الآخرةِ. فحملوهمْ بكرةٍ خاسرةٍ[4].

---

(١) القطربلى : نسبة إلى قطربل وهى قرية بالعراق شهيرة بصناعة الخمر وإجادتها قال :

قطربلى مربعى ولى بقرى الـ ـكرخ مصيف وأمى العنب

(٢) ثمل : سكر . وترنح وتمايل .

(٣) جعلت فى فيه : أعطيته ليسكت على ما يرى ويستر ما ينظر ويفعل ما آمره دون امتناع كرشوة مثلا .

(٤) الكرة : الرجعة ، والعودة ، والأوبة ، والخاسرة التى شملت الخزى والعار واصطحبت بالفضيحة والخجل ، وفى التنزيل (تلك إذن كرة خاسرة) .

فحصلوا فى منازلهِمْ [1] . فلما أصبحُوا رأوْا فى نفوسهمْ همًّا عظيمًا . لا يخرجُ منهمْ تاجرٌ إلى دكانِه ولا كاتبٌ إلى ديوانِه . ولا يظهرُ لإخوانِه [2] . فكانَ كلَّ يومٍ يأتى خلقٌ كثيرٌ من خولهمْ [3] . من نساءٍ وغلمانٍ ورجالٍ يشتمونَنى ويزنونَنى . ويستحكمونَ الله علىَّ [4] وأنا ساكتٌ لا أردُّ عليهمْ جوابًا ولا أعبأُ بمقالهمْ . وشاعَ الخبرُ بمدينةَ السلام بفعْلى معهمْ ولمْ يزلِ الأمرْ حتى بلغَ الوزيرَ القاسمَ بنَ عبيداللهِ [5] .

---

(١) حصلوا : صاروا ، ووجدوا .

(٢) رأواهما عظيما : أى اشتملت نفسوهم على الهم وغمها الالم لما وجوده من سوء حالهم وتغيير هندامهم فقبعوا فى بيوتهم ، ولزموا منازلهم ، ولم يجسروا على مزاولة عملهم لئلا يكونوا عرضة لسخرية الناس واستهزائهم .

(٣) خولهم : عبيدهم وحاشيتهم . (٤) يطلبون من الله حكمه وتنفيذ عقوبته فى .

(٥) قال الاستاذ الامام : القاسم بن عبيد الله هو والد أبى جعفر محمد بن القاسم الذى استوزره الخليفة العباسى القاهر بعد عزل على بن مقلة واستوزر أبوه عبيد الله للخليفة المعتضد كما استوزر هو له أيضًا سنة ٢٧٨ هـ ولعله كان استوزر للموفق قبل هذا التاريخ حتى يمكن لابى العنبس أن يحكى عنه فى وزارته قبل موته فقد مات أبو العنبس سنة ٢٧٥ هـ ثم قال : ويمكن أن يكون =

= المصنف وهم فى رواية القصة عن أبى العنبس ونقول لم يستوزر القاسم للموفق وإنما استوزر للمعتضد المكتفى واستورز أبوه عبد الله للمعتضد واستورز جده سليمان بن وهب للمهتدى ، والقاسم ابناه الحسين بن القاسم وأبو جعفر محمد بن القاسم ، واستوزر الحسين بن القاسم للمقتدر ولذلك كان يقال الحسين هو أعرف الناس بالوزارة لتوارثه لها عن آبائه وفى الحسين يقول الشاعر :

يا وزير بن وزير بن وزيـــــر بن وزيـــــر
نسقا كالدر إذ نظـ ـم فى عقد النحـــور

وكان القاسم بن عبيدالله من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء ، وكان شهما ، فاضلا ، لبيبا ، محصلا ، كريما ، مهيبا ، جبارا ، وكان يطعن فى دينه ، وهو الذى قتل ابن الرومى بالسم (كما أسلفنا فى ترجمته بالمقامة العراقية) وكان ابن الرومى منقطعا اليهم يمدحهم ، وكانوا يقصرون فى حقه فى بعض الأحايين، فهجاهم - وكان هجاء لم يسلم من لسانه أحد .. وفى بنى وهب يقول ابن المعتز :

لآل سليمـــان بن وهـب صنائع لـــدى ومعـــــروف إلى تقدمــــا
هم ذللوا إلى الدهر بعد شماسه وهم غسلوا من ثوب والدى الدما

وفى هجائهم يقول بعض الشعراء :

إذا رأيت بنى وهب بمنـزلة لم تـدر أيهـم الانثى من الذكر
قميص أنثاهم ينقد من قبل وقمص ذكرانهما ينقد من دبر =

وذلكَ أنَّهُ طَلبَ كاتبًا له فافتقدَهُ[1] . فقيلَ : إنهُ فى منزلهِ لا يقدرُ على الخروج . قالَ : ولمَ ؟ . قيلَ : منْ أجْل ما صنعَ أبُو العنبَس لأنه كانَ امتُحنَ بعشْرتهِ ومنادمتهِ . فضحكَ حتى كادَ يبولُ فى سراويلهِ أوْ بالَ . واللهُ أعلمُ . ثمَّ قالَ : والله لقدْ أصابَ ومَا أخطأَ فيما فعلَ . ذرُوهُ فإنهُ منْ أعلمِ الناس بهمْ . ثمَّ وجَّه إلىَّ خلعةً سنيَّة[2] . وقادَ فرَسا بمرْكبٍ وحملَ إلىَّ خمسينَ ألفَ

= ولما مات المعتضد كان المكتفى بالرقة فقام القاسم بأخذ البيعة للمكتفى القيام المرضى وجهد فى ذلك ، ووجه إليه بالبردة والقضيب فجاء المكتفى إلى بغداد وأقره على الوزارة ، ولقبه ألقابا عدة ، وفى أيام المكتفى جل أمر القاسم ، وارتفع ذكره ، وعظم شأنه ، ونبه أمره ، وعلا جده ، فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره : وقال الصولى : من أغرب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الامور أننى رأيت العباس بن الحسن فى أول الاربعاء - قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيدالله - حضر إلى داره وقبل يد والده ثم فى آخر اليوم نفسه مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيدالله فقبل يده .

(١) افتقد : لم يجده

(٢) خلعه سنية : رفيعة القدر غالية القيمة ، والمعنى : أنه حينما علم بما فعلت معهم وأخبروه بما حملنى عليه عذرنى وزاد على ذلك أنه خلع على وكافأنى .

درهَمٍ لاستحسانِهِ فعْلِي . ومكثتُ فى منزلى شهرينِ أنفقُ وآكلُ وأشربُ . ثمَّ ظهرتُ بعدَ الاستتارِ فصالحَنى . بعْضهمْ لعلمهِ بما صنعَ الوزيرُ . وحلفَ بعضهمْ بالطلاقِ الثلاثِ وبعتقِ غلمانهِ وجواريهِ أنهُ لا يكلمُنى . منْ رأسهِ أبدًا [1] . فلا واللهِ العظيمِ شأنهُ . العلِّى برهانهُ . ما اكترثتُ بذلكَ ولا باليتُ ولا حُكَّ أصلُ أذُنى . ولا أوجعَ بطْنى . ولا ضرَّنى بلْ سرَّنى . وإنَّما كانَتْ حاجةٌ فى نفْسِ يعقوبَ قضَاها [2] . وإنَّما ذكرتُ هذا ونبَّهت عليهِ ليؤخذَ الحذرُ من أبناءِ الزمَن ويترَك الثقةُ بالإخوانِ الأندَال

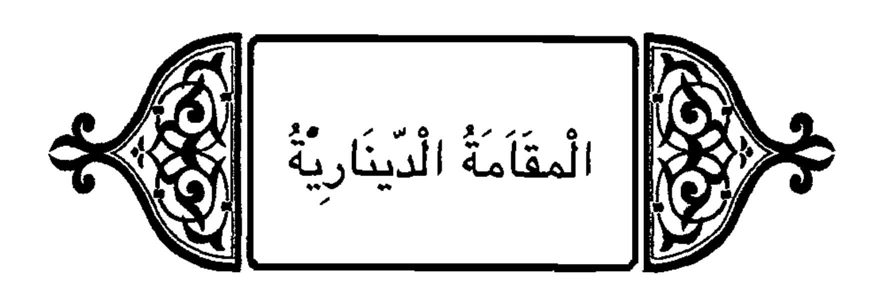
---

(١) لا يكلمنى من رأسه : لا يوجه الخطاب إلى بنفسه طول الابد .

(٢) المعنى : أننى ولم تبد على علائم التألم ولا عرضت لى خيالات الحزن على ما فقدت من عشرتهم ، وعدمت من ألافهم ومودتهم ، بل كان بعكس ذلك فقد سرنى انقطاع صلتهم ، وجذلت بانتهاء صحبتهم ، وكذلك صحبة أمثال هؤلاء سريعة الانقطاع وشيكة الضياع ثم لا جبر لها ولاصلاح كالزجاجة كسرها قريب وتلافها سريع فأما جبرها فبعيد وأما اصلاحها فقريب من المستحيل .

إن القلوب اذا تنافر ودها　　　مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

السفلِ ، وبفلانٍ الورَّاقِ النمامِ الزرافِ الذى ينكرُ الأدباءِ ويستخفُّ بهمْ . ويستعيرُ كتبهمْ لا يردُّها عليهمْ . والله المستعانُ وعليه التُّكلانُ .



الْمقَامَةُ الْدّينَارِيَّةُ

حَدَّثَنَا عيِسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : اتفقَ لى نذرٌ نذرتهُ فى دينار أتصدقُ به على اشحذِ رجلٍ ببغدادَ . وسألتُ عنهُ فدُلِلتُ على أبى الفتح الإسكندرىِّ . فمضيتُ إليهِ . لأتصدقَ به عليهِ . فوجدتُهُ فى رفقةٍ . قد اجتمعتْ فى حلقةٍ . فقلتْ : يا بنى ساسانٍ أيكمْ أعرفُ بسلعتهِ [1] . وأشحذُ فى صنعتهِ . فأعطيهُ هذا الدينارَ ؟ فقالَ :

(١) بنو ساسان : الشحانون ، وأهل الاستجداء والمسألة ، ويزعمون أن ساسان كان رجلا فقيرا حاذقا فى الاستعطاء قال الفنجديهى : ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم ، وقال أبو الفتح اسماعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج المكدى فى كتابه : حدثنا أبو بكر البطايرنى المكدى حدثنا محمد بن على بن أحمد الفقيه المكدى حدثنا ملك بن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان : ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ قلت : بلى ، قال : هى الكدية اهـ فأنت تراهم يؤيدون مزاعمهم بروايات =

الإسكندريُّ : أنا [1] . قالَ أخرُ منْ الجماعةِ : لا بل أنا . ثم تناقشا وتهارشا [2] حتَّى قلتُ : ليشتمْ كلٌّ منكُما صاحبهُ . فمنْ

= وأسانيد حتي ليخيل اليك صدق ما ذهبوا إليه وزعموه ، ولكن الذى يتراءى لنا هو أن هذا اللقب أعطى للمكدين والشحاذين بعد سقوط دولة الساسانية بالفرس على أيدى المسلمين وتمزيقهم وتشتيت شملهم هزءًا بهم وسخرية عليهم لأن المغلوب محتقر مهان ذليل فى نظر الغالب دائمًا ، وقال بعض الرواة ما نصه : ومن بقايا آل ساسان من الفرس انشأت هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون إلى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال المملكة إلى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر الناس بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا : ساسانى .. والسلعة : ما يتجر به من المتاع .

ليس للشحاذ متاع يتجر فيه ويستفيد من ربحه اللهم الا تزوير الكلا وتزييف الالفاظ الخلابة فى استدرار الاكف واسترحام القلوب ونحو هذا وتلك هى سلعتهم التى يسألهم عن أعرفهم فيها وأطولهم باعا

(١) المعنى : انهما اختلفا فى الاعرف منهما وادعى كل واحد أنه أقدر من صاحبه وأفضل فى هذه الصناعة .

(٢) تناقشا وتهارشا : تخاصما وتواثبا ، وقام كل واحد منهما يبطل دعوى الثانى ويعزره عليها ويثبت أحقيته عنه .

غلبَ سلبَ ومنْ عزَّ بزَّ[١]. فقالَ الإسكندريُّ : يا بردَ العجوزِ[٢]. يا كربةَ تموزَ[٣] . يا وسخَ الكوزِ[٤] . يا درهمًا لا يجوزُ[٥] . يا حديثَ

---

(١) غلب : ظهر على صاحبه وقهره وأبطل دعواه ، وسلب : أخذ الدينار دون أن يكون لصاحبه فيه حظ .

(٢) برد العجوز : أيام سبعة فى آخر الشتاء أربعة من آخر شهر شباط الرومى وثلاثة من أول آذار وهى تسمى هكذا مرتبة (صن - بوزن حمل وصنبر - بوزن جردحل - ووبر - بوزن تمر - والآمر والمؤتمر والمعلم ، ومطفىء الجمر ، أو مكفىء الظعن) وهذه أشد الايام بردًا لانها تجىء حين يكون الناس على استعداد لملاقاة هواء الربيع الجميل ، ويقول الحطيئة - قبحه الله - يهجو أمه .

لحاك الله ثم لحاك حقا ولقاك العقوق من البنينا

أغربالا اذا استودعت سرًا وكانونا لدى المتحدثينا

(٣) الكربة : الشدة والضيق ، وتموز : أحد الشهور الرومية يجىء حين يشتد القيظ ويتعرض الناس فيه للهلاك .

(٤) وسخ الكوز : صدأه أو ما يبقى فيه من قذر الماء ووساخته وذلك مما تتقزز منه النفس وتشمئز .

(٥) لا يجوز : أى لا يتعامل الناس به لردائته وغشه فإذا دفعه مالكه ثمنا لشىء رده البائع عليه فينعكس أمله ويخيب رجاؤه ويجد ما لم يكن ينتظره من الخسارة .

المغنينَ(١) . يا سنةَ البُـوس . يا كـوكبَ النحــوس(٢) . يا وطأَ الكابُـوس(٣) . يا تخْمـةَ الـــروُّس(٤) . يا أمَّ حـبَين(٥) . يا رمـدَ

---

(١) حديث المغنين : كلامهم أثناء الغناء ومن عادة الذى يسمعهم أن يود ألا ينقطع غناؤهم وأن يستمروا فيه فهو يجد من حديثهم ضيقا فى نفسه وألما ويحس بانقباض صدره لسكوتهم .

(٢) البوس : البؤس ، والشدة ، والجدب ، والقحط ، والغلاء ، والناس يلقون فى الايام المجدبة شراً مستطيراً وألما عظيماً ، وكوكب النحوس : النجم الذى يظهر فتظهر معه علائم النحس وسوء الطالع مثل زحل فى الكواكب .

(٣) الكابوس : الذى يقع على الإنسان حال نومه بالليل فلا يطيق معه حركة ولا يستطيع أن يجد لنفسه خلاصاً .

(٤) إذا أكل الانسان طعاما فاسداً أو كثيراً أو على طعام تعبت معدته ووجد آثار ذلك فى رأسه فيحس بدوار وتعب شديدين ، وهذا هو المراد بتخمة الرءوس.

(٥) أم حبين : هى دويبة أكبر من الوزغة ، وقيل : هى دويبة قلساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الارض أو شحمة الرمل وهى على كل حال كريهة المنظر بشيعة .

العينِ[1] . يا غـداةَ البينِ[2] . يا فـراقَ المحـبينَ [3] . يا ســـاعـةَ الحينِ [4] .

(١) رمد العين : قذاها الذى يسيل منه دمعها .

(٢) غداة البين الساعة التى يبتعد المحب فيها عن حبيبه ويغادره وهى أشأم الساعات وأقساها وأصعبها قال امرؤ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا   لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وفى ذمها يقول النابغة :

نعب الغداف بأن رحلتنا غداً   وبذاك تنعاب الغداف الاسود

لا مرحبـا بغـد ولا أهــلا به   ان كان تفريق الاحبة فـى غد

وقال صاعد :

قلت له والرقيب يعجله   مستعجلا للفراق : أين أنا ؟

فمـــد كفا إلى ترائبه   وقال : سـر آمـنا فأنت هنـا

ولبعضهم :

لا كان يوم الفراق يوما   لـم يبــق للمقلتـين نومـا

شتـت مني ومنك شملا   فســـر قومـا وساء قومـا

يا قوم من لى بفقد خل   يسومنى فى العذاب سومـا

ما لامنى الناس فيه الا   بكيـــت كيمـــا أزاد لوما

(٣) فراق المحبين : منآهم وتباعد ما بينهم ، وفيما ذكرناه فى غداة البين ما يكفى عن الافاضة فى هذا .

(٤) الحين – بفتح أوله – : الهلاك والموت وساعته من أشد الساعات ألما لأهل الميت وللميت نفسه بخروج روحه .

يا مقتلَ الحسينِ(١) . يا ثقلَ الدينِ(٢) . يا سمةَ الشينِ(٣) . يا بريدَ الشُّومِ(٤) . يا طريدَ اللومِ(٥) . يا ثريدَ الثُّومِ(٦) . يا بادية

---

(١) الحسين : هو سيدنا أبو محمد الحسين بن على أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وقتل بكربلاء فى معركة سالت فيها دماء أهل بيت النبوة ظلما وعدوانا وبغيا فكان ذلك اليوم من أشأم الايام التى لقيها الاسلام فى نضارة شبابه وريعان عمره وميعة حياته .

(٢) الدين هم بالليل ومذلة بالنهار ووطأته أشد على النفس من وطأة الحمى والمرض الناجس وثقله مما لا قبل لإنسان ذى مروؤة وعقل على احتماله .

(٣) السمة : العلامة ، والشين : العيب ، وما يستحى المرء من الانتساب إليه ، ولو كان لإنسان علامة كلما نظرها أحد عرف أنه متصف بالمعايب والمقابح لكان خليقا بأن يذوب خجلا ويموت حياء كلما توجه نحوه نظر إنسان ما .

(٤) البريد : الرسول ، والشوم ، الشؤم والنحس ، والمعنى أنه اذا كان قد تهيأ لامرىء أن يحل به نحس أو ينزل عليه بلاء لكان المخاطب رسول النحس ونذير البلاء الذى يخبره بوقوعه ويحدثه بنزوله عليه .

(٥) طريد اللؤم : المطرود من مجامع الناس ومحافلهم للؤمه ودناءته .

(٦) ثريد الثوم : أشد ما يكون رائحة كريهة .

الزقـومِ[1] . يا منعَ الماعـونِ[2] . يا سنةَ الطاعـونِ[3] . يا بغىَ العبـيدِ[4] يا آية الوعـيدِ [5] يا كلامَ المعـيدِ [6] . يـا أقبـحَ مـن

---

(١) البادية : الصحراء ، أو هى خلاف الحاضرة ، والزقوم : شجر مر كريه يخرج بأراضى تهامة ، والمغنى أن المخاطب لما فيه من دناءة النفس ولؤم الخصال ومعيب السجايا كأنه بادية كل ما فيها من شجر ذلك النوع الكريه الممقوت .

(٢) الماعون : كل ما يستعار من قدر وفأس وقدوم ومكنسة ونحوها من منافع البيت ، وقيل هو الزكاة ، وفى التنزيل من صفات الذين يكذبون بيوم الدين : (الذى هم يراءون ويمنعون الماعون) .

(٣) الطاعون : داء يستأصل شأفه البلد التى يحلها ويقفر الارض من سكانها فهو مشؤوم بغيض إلى الناس .

(٤) يقول حاتم الطائى وقد لطمته جارية : (لو ذات سوار لطمتنى) أى لو أن التى بغت على حرة لما تألمت نفسى ، والعبد اذا ملك أمراً فبغى على الناس كان أشد على نفوسهم من وقع الصواعق وهطال النبال .

(٥) الوعيد : الوعد بالشرر والعقوبة والتنكيل وسماع ما يدل عليه مما يؤلم نفس السامع ويحزنها .

(٦) المعيد : الذى يقول لك الحادثة أو الخبر مرة بعد الأخرى وكلامه على نفسك من أسمج الاحاديث وأقبحها ، اللهم ألا يكون المتكلم حبيبا إليك فقد حسن فى=

حَّى. فى مــواضـعَ شــتَّى[1] . يا دودةَ الكنيفِ . يا فــروةً فى المصيفِ[2]، يا تنحنحَ المضيفِ إذَا كسرَ الرغيفُ . يا جشاءَ المخمورِ[3] . يا نكهةَ الصُقُورِ[4] . يا وتدَ الدورِ[5] . يا خذروفَةَ

= عينك كلامه كالتى يقول فيها :

من الخفرات البيض ود جليسها   اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

(١) قال الفراء أحد أساطين النحاة : أموت وفى نفسى شىء من حتى أهـ وحتى هى حرف الجر وفيه مسائل من عويص النحو ومشكلاته .

(٢) المصيف : هو الصيف نفسه أو المكان الذى تقضى فيه مدة الصيف ، وأنت إنما تطلب إذ ذاك هواء لطيفا ونسيما بليلا وريحا هادئا فما أسمج الفروة وألعنها حينئذ . (٣) الجشاء - بوزن عراب - ومثله الجشأة - بوزان الهمزة - وجشأة كمدة - : الاسم من تجشأت المعدة تجشؤا وتجشئه اذا تنفست والمخمور شارب الخمر المكثر منها المفرط فى تعاطيها ، وجشاؤه خبيث منتن كريه . (٤) النكهة : رائحة الفم ، وقد نكه له وعليه - بوزنى ضرب ومنع - اذا تنفس على أنفه أو أخرج نفسه إلى أنف آخر ، والصقور : جمع صقر وهو ما يصطاد من البزاة والشواهين ، ولانها لا تأكل الا اللحم ولا يكون غالبا الا منتنا - فهى أنتن الحيوانات نكهة وأخبثها ريحا .

(٥) الوتد : ما يدق فى الحائط أو الارض من الخشب ، ويضرب به المثل فى تحمل الضيم ، والرضا بالاذى ، والاقامة على الذل ، وقال الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الاذلان عير الحى والوتد

الفـدُورِ . يا أربعـاءَ لا تدورُ [١] يا طمعَ المقـمـورِ [٢] . يا ضـجـرَ اللســـانِ [٣] . يا بـولَ الخـصـــيانِ [٤] . يا مؤاكـلـةَ العميانِ [٥].

---

(١) الاربعاء : اليوم المعروف ، وباؤه مثلثة ، ومعنى عدم دورانها أنها الاربعاء التى فى آخر كل شهر إذ هى لا تعود ، وربما كان المراد آخر شهر صفر فقط اذ هى مشهورة عند العامة بنحس طالعها وشؤمه فلا ينجح فيها عمل البتة ، ولا يفلح فيها تدبير ، ومعنى عدم دورانها حينذاك أنها لا تحول عما عهد فيها و لا تتغير عما عرفه الناس عنها .

(٢) المقمور : الذى تسلطت عليه الغلبة فى القمار ، وطمعه شائن قبيح مرذول لانه لا يستند إلى علة معقولة ولانه لا يزال يهوى به الى الافلاس والعدم حتى يفقد آخر قرش معه .

(٣) ضجر اللسان : تعبه وعيه وانحباسه ، وهو إذا بلغ هذه الحالة لم يأمن صاحبه العثرة والزلل ، فاذا عثر أورده موارد التهلكة ، وأرداه ، وهوى إلى الهوان والحطة قال :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(٤) الخصيان : المجبوبى الخصيتين ، وبول أمثال هؤلاء ينتشر فيلوث البدن جدا وهو مع هذا سريع متواصل لا يقدرون على حبسه ولا يستطيعون الابقاء عليه حتى يستعدوا لازالته .

(٥) العميان حين أكلهم لا يبالون أى موضع نزلت يدهم عليه ولا يتحرجون من=

يا شفاعةَ العريانِ (١) .

= كثرة ما يعلو أيديهم من الطعام ولهم في تناوله شراهة ولا يخلو من يجلس معهم من تقزز النفس واشمئزازها ونفرتها ويروى (يا دفع العيان) والعيان - بكسر أوله - المشاهدة وهي مما لا يعتور الشك فيها أحدا فإنكارها من أشنع المنكرات وأفظعها.

(١) المراد بالعريان الذى لا يجد ما يستتر به من الفقر والعوز وسوء الحل ومثل هذا لا يعرض نفسه للشفاعة وإذا تعرض كان ثقيلا مستقبحا ثم لا يقبل أحد شفاعته ولا يعتمدها ، ومما نذكره بمناسبة شفاعة العريان ما حدثوا عن الفرزدق أن النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي خطبها رجل من قريش بعد مقتل أبيها فبعثت إلى الفرزدق تقول : أنت ابن عمي ، وأولى الناس بي (تريد أن يقبل خطبتها) فأجابها : إن بالشام من هو أقرب اليك مني ، ولا آمن من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك ، فإن كان ما تقولينه حقًا فاشهدي على نفسك أنك جعلت أمرك إلي ، ففعلت ، فخرج بالشهود من عندها إلى مجمع كبار قومها فقال : إن نوار بنت أعين قد جعلت أمرها إلي وأني أشهدكم أني تزوجتها على مهر مائة ناقة حمراء الوبر ، سوداء الحدق ، فاشمأزت من ذلك ، واستعرت عليه غيظا فخرجت إلى ابن الزبير (والحجاز والعراق يومئذ بيده) وسار الفرزدق خلفها فنزل على حمزة بن عبدالله بن الزبير ونزلت النوار على خولة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري أم حمزة وامرأة عبدالله ، فقال الفرزدق في حمزة :

يا سـبتَ الصبيانِ [1] . يا كـتابَ التعازِى [2] .

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى أن المنـوه باسمـه الموثوق

بأبى عمار خير من وطىء الحصا ذخرت له فى الصالحين عروق

بين الحـوارى الاغـر وهاشـم ثم الخليفـة بعـد والصديق

فوعده الشفاعة إلى أبيه ثم أعلم أمه خولة بذلك وكلفها بأن تعطف نوارا على الفرزدق ففعلت ورققت قلبها عليه ثم شفعت به عند بعلها عبدالله بن الزبير فنجحت شفاعتها فأمره عبدالله بأخذ النوار وألا يقربها حتى يصير إلى البصرة فيصححا أمره عند عامله عليها فخرج الفرزدق بنوار إلى البصرة ، وفى ذلك يقول :

أما بنـوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظـور بن زبانا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وليس معنى البيت مما نحن فيه ولا يتفق مع ما فى المقامة فى شىء .

(١) يوم السبت يأتى دائما بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة ولذلك يستثقله الصبيان لأنه يذهبون فيه إلى دور التعليم .

(٢) ما أشنع ذلك الكتاب الذى يجيئك حاملا خبر فقد عزيز لديك ، وما أثقل ظله، وما أكثر ما يجلبه عليك من ألم النفس والحزن العميق وربما كان المراد بكتاب التعزيه الكتاب الذى تسطره لأحد ألافك تسلية لخاطره من غير أن يكون=

يا قــرارةَ المخــازِى[1] . يا بخلَ الأهوازى[2] . يا فــضــولَ الرازى[3]. واللهِ لو وضــعتَ إحــدَى رجليكَ على أروندَ[4] .

= لك شعور بالحزن والالم وكم تجد فى هذا من ثقل الوطأة وعسر التأدية وصعوبة التكلف وشدة العناء .

(١) القرارة : القاع المستدير الذى يجتمع فيه المطر والسيل ونحوهما ، والمخازى جمع واحده مخزاة الامر الذى إذا فعلته جلب عليك الخزى والعار والهوان من النقائص العملية والنفسية ، والمعنى: أن المخاطب قد اجتمعت النقائص فيه ، وألقت المعايب عصاها لديه ، وأرست الشرور سفينتها عنده فهو حافل بكل مايشين جامع لكل مقت ودناءة .

(٢) الاهوازى : نسبة إلى الاهواز ، وقد تقدم انها بلاد واقعة بين البصرة وفارس وهى تسع كور لكل كورة منها اسم والاهواز يجمعهن ، ولأهلها شهرة بالبخل الشديد والامساك القبيح .

(٣) الرازى : المنسوب إلى الرى – وهى إحدى مدن الديلم ، والفضول : المراد به الزيادة من الكلام الذى لا خير فيه ولأهل الرى شهرة بالثرثرة ، وكثرة القول بلا جدوى .

(٤) أروند : جبل نزه أخضر ناضر مطل على همذان ومعدود من محاسنها ولشعرائها ولع بذكره والإشارة به ومنهم ذلك الذى يقول :

ألا ليت شعرى هل ترى العين مرة ذرى قلتى أروند من همذان

بلاد بها نيطت على تمائمى وأرضعت من عقانها بلبان

والأخْرى على دُنباوند[١] . وأخذت بيدكَ قوسَ قُزح [٢].
وندفتَ الغيمَ فى جبابِ الملائكةِ [٣] . ما كنتَ إلا حلاجًا [٤]

---

(١) دنا وند : جبل شهير بناحيه الرى قال عنه القزوينى : يناطح النجوم ارتفاعا ويحاكيها امتناعا ، لا يعلوه الغيم فى ارتفاعه ، ولا الطير فى تحليقه ، وكان فيه بركان يقذف النار ، ومنابع كثيرة للمياه الكبريتية .

(٢) قوس قزح : هو نو الالوان الذى يظهر فى السحاب غب المطر ، وفى وصفه يقول بعض الملوك :

وساق صبيـــــح للصبوح دعوته   فقـــام وفـى أجفـــانه ســنة الغمض
يطوف بكاســـات العقار كأنجم   فمــن بين منقــض علينـــا ومنفـــض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارقا   على الجود كنا والحواشـى علـى الارض
يطرزها فـــوق السحاب بأصفر   على أحمـــر فـى أخضر تحــت مبيض
كأذيـــال خود أقبلت فى غلائل   مصبغة والبعـــض أقصـــر مـن بعض

قيل : وهو من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة

(٣) ندف القطن يندفه – ومن باب ضرب – : ضربة بالمندف (والمندفة كذلك) أى خشبته التى يطرق بها الوتر ليرق القطن وهو مندوف ونديف ، وفى جباب الملائكة : يعنى جعلت فراشتك التى تضع القطن أو تلتقيه جباب الملائكة (جمع جبه وهى معروفة) .

(٤) المعنى : انك مهما بلغت فى التعاظيم والدعاوى ، ومهما فعلت فى سبيل ذلك، ومهما بذلت من قوة ، واستنفدت من عظمة وكبرياء ، حتى لو جعلت =

وقالَ الآخرُ .: يا قرادَ القرودِ[١] . يا لبودَ اليهودِ[٢] . يا نكهةَ الأسودِ[٣] . يا عدمًا فى وجودٍ يا كلبًا فى الهراشِ[٤] . يا قردًا

= إحدى رجليك على دنبا وند وجعلت الثانية على أروند مع ما بينهما من بعد المسافة وطويل الشقة ولو خرقت لك العادات وجاز من أجلك ما لم يكن يجوز فأمكنك أن تتخذ السحاب نديفا وأن تلتقيه بجباب الملائكة – لو حصل لك كل هذا وتمكنت من جميعه لما دعاك الناس الا حلاجا ولما جهلوا أمرك ولا خفيت عليهم حقيقتك ، ولا كنت إلا ذاك ، ولا سترت أباك .

(١) القرود : ومثلها القردة – بفتح القاف وكسر الراء أو العكس – وأقراد وقرد: جمع قرد وهو حيوان معروف ، والقراد : سائسه ، وهى صناعة من أحط الصناعات وأرذلها ، وحرفة دنيئة خسيسة .

(٢) اللبود – بفتح أوله – ومثله القراد – بوزن غراب : دويبة تنشأ من الوساخة تشبه القمل ومنه قيل بعير قرد – بوزن كتف – اذا كان فيه ذلك ولليهود شهرة بالوساخة والنتن ومنها يتولد القراد .

(٣) مضى أن النكهة : ريح الفم ، ولكون الاسود لا تتغذى بغير اللحوم تجدها أردأ الحيوانات نكهة .

(٤) الهراش : تحرش الكلاب بعضها ببعض ، ومواثبتها .

فى الفراش[1] يا قرعيةً بماشٍ[2] يا أقلَّ منْ لاشٍ[3] . يا دخانَ النفطِ [4] . يا صنانَ الإبطِ [5] . يا زوالَ الملك [6] .

يا هلالَ الهُلكِ [7] . يا أخبثَ ممن باءَ بذلِّ الطلاقِ . ومنْعِ

---

(۱) اذا حل قرد بالفراش لم يسكن من الحركة ولم يترك الفساد والتمزيق لكل ما يقع إليه وفى ذلك من إقلاق الراحة وضياع السكينة ما فيه .

(۲) القرعية : طعام يتخذ من القرع ، والماش : حب أشبه بحب الباقلاء ومذاقه قريب من العدس واذا طبخ هذا بذاك فما أكرهه .

(۳) لاش : أى لا شىء ، واذا كان أقل من لا شىء فماذا يكون ؟ !!

(٤) النفط - بالكسر . وربما بالفتح - : دهن معدنى على نوعين منه أبيض ومنه أسود وهو خبيث الرائحة كريه الدخان مضر مؤذ .

(٥) صنان الابط - بالضم - ومثله الصنة - بكسر أوله - : ذفره ورائحة عرقه، وهو ردىء خبيث الرائحة .

(٦) لا أصعب على النفس ، ولا أفتك بها من ضياع الملك وفقدان العزة وذهاب العظمة ، وأنها لتجد فى ذلك ضيقا وألما فهو يرمى مخاطبه بأنه أمر على النفس من زوال الملك، وأشأم من فوات الجبروت والمجد .

(۷) الهلك - بوزن قفل - : الهلاك ، والموت ، والحين ، والمعنى : أن مطلعه مشئوم نحس كمطلع الموت .

الصداقِ[١] يا وحلَ الطريقِ[٢] . يا ماءً على الريقِ[٣] . يا محرِّكَ العظمِ[٤] . يا معجلَ الهضمِ[٥] . يا قلحَ الأسنانِ[٦] . يا وسخَ

---

(١) باء فلان بكذا : حق عليه واستوجبه والطلاق : انقضاء ما بين الرجل والمرأة من اتصال الحبل وتماسك عرى الوفاق وإنما يكون ذلك لعدم رضائه عن معاشرتها وغضبه عليها وفي ذلك من سوء سمعتها وتحقيرها ما فيه لطلاق على ذلك ذل وإهانة وانها لتنقلب إلى أهلها خجلة محزونة لا سيما اذا كان الزوج قد حرمها ما تأجل في ذمته من صداقتها .

(٢) كم في أوحال الطريق من أذى المارة وتعطيل شأنهم .

(٣) يقول علماء الطب الحديث : أن الماء وخاصة البارد على الريق نافع مفيد مجدد للنشاط فلعل الطب القديم كان على غير هذا ، أو لعل المعنى أنه يشبه الماء في هذه الحال لانه لا يشربه كذلك إلا من لا يجد طعاما يبدأ به غالبا .

(٤) اذا اشتد بالمرء عرض الحمى اقشعر بدنه واضطربت أعضاؤه فلعله أراد من محرك العظم صلابة الحمى وشدتها .

(٥) معجل الهضم : المسهل . والإنسان يناله من تعاطي المسهلات استرخاء في أعصابه ، وفتور في قواه ، وتخاذل في همته.

(٦) قلح الاسنان : وسخها ، ودرنها ما يعلوها من صفرة أو اخضرار وذلك من سوء الطعام أو سوء الهضم .

الآذانِ[١] . يا أجرَّ منْ قلْسٍ[٢] .

يـا أقـلَّ مـن فلـس [٣] . يا أفـضـحَ مـن عـبـرةٍ [٤] . يا أبغَى منْ إبـرةٍ [٥] يا من مـهَـبٍّ الخفّ [٦] . يا مـدرجـةَ

---

(١) وسخ الآذان ربما أدى إلى إضعاف السمع .

(٢) القلس - بفتح أوله - حبل يتخذ من ليف أو نحوه لتربط به السفن أو تجر منه فهو دائما على الارض لكثرة ما يجذب به ، والمعنى : أنه بلغ من الحطة والهوان درجة فوق درجة الحبل الذى لا يزال مطروحا ولا يفتأ مستعملا للجذب منه .

(٣) الفلس : معروف ، والمعنى : أن قيمته وضيعة جدا .

(٤) العبرة - بفتح أوله - دمعة العين ولا يزال المحب مستورا خافى الامر حتى يبكى فاذا فعل افتضح أمره ، وظهر للناس سره .

لا جزى الله دمع عينى خيرا وجزى الله كل خير لسانى

كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنـوان

(٥) الابرة تتخذ للوخز فمن كان يخز الناس مثلها فهو ظالم با غ عات .

(٦) يقال فلان فى مهب الريح أى من الناحية التى تجيء الريح منها فمعنى أنه فى مهب الخف أن الخف لطول ملازمة قفاه للصفع والأذى إذا طلب لا يوجد الا عنده ، ويقال أيضاً : هب فلان من نومه اذا انبعث نشطا والمعنى حينئذ أن قفاه هو المكان الذى يهب له الخف وينشط إليه لطول ما تردد عليه وعرفه ، ويقال : هبت الريح اذا انطلقت ، والمعنى عليه أن ريحه تشبه ريح الخف نتنا وكراهة.

الأكُفّ [١] . يا لكلمةَ ليتَ [٢] .

يا وكفَ البيتِ [٣] . يا كيتَ وكيتَ . واللهِ لو وضعتَ أستَكَ على النجومِ . ودَلّيْتَ رجلكَ فى التخومِ [٤] . واتخذتَ الشعرى خفًّا والثريًّا رفًّا [٥] . وجلعتَ السماءَ منوالاً [٦] . وحكتَ الهواءَ

---

(١) يقال : درج الصبى اذا ابتدأ يمشى ، والمدرجة مكان الدروج ، ومعنى كونه مدرجة الاكف : أنه مكان سيرها ، كناية عن اهانته وتحقيره لكثرة تردد الناس على ضربه .

(٢) ليت حرف وضع للتمنى وهو طلب المستحيل أو ما فيه عسر وهى - الكلمة لو - لا تقال الا عند الحسرة على فائت ، قال :

ألام على لو ولو كنت عالما بأذناب لو لم تفتنى أوائله .

وقال : أن ليتا وأن لوا عناء .

(٣) وكف البيت : تقاطر الماء من سقوفه عند المطر ، ولعمرك أى أذى يلحق الانسان حينئذ .

(٤) التخوم ومثله التخم بضمتين - : جمع تخم - بوزن فلس - وهو كل قرية أو أرض .

(٥) الشعرى كوكب ، والثريا : مجموعة كواكب متضامة ، والرف : الثوب .

(٦) المنوال : آلة النسيج والحياكة .

سرْبالا[1] . فسديتهُ بالنسرِ الطائرِ [2] . وألحمتُهُ بالفلكِ الدائرِ[3].
ما كنتَ إلا حائكًا . قال عيسى بن هشامٍ : فوالله ما علمتُ أىُّ
الرجلين أوثرُ ؟ ومَا منهما إلا بديع الكلامِ . عجيبُ المقامِ . ألدُّ
الخصامِ . فتركتُهما . والدينارُ مشاعٌ بينهُما . وانصرفتُ وما
أدْرى ما صنعَ الدهرُ بهما [4] .

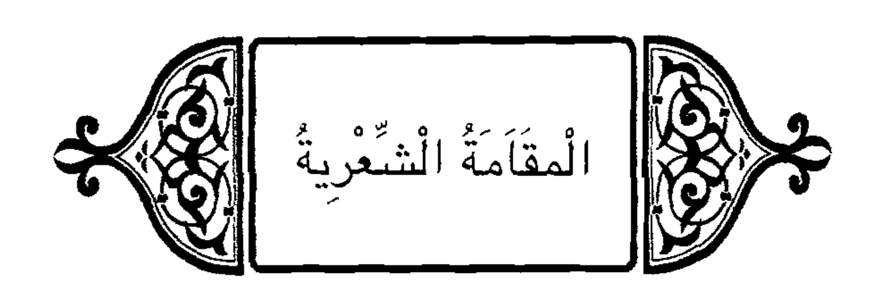
(١) السربال : الثوب .

(٢) سدى الثوب - بضم أوله - : ما امتد من خيوطه وسداه بالتضعيف : اتخذ سداه .

(٣) لحمة الثوب - بالضم وبالفتح - : ما كان من خيوطه عرضا .

(٤) المعنى : اننى لم أستطع التفضيل بينهما فتركت لهما الدينار ولم أدر ما كان منهما بعد .





الْمقَامَةُ الْشِّعْرِيةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنتُ ببلادِ الشامِ وانضمَّ إلى رفقةٌ . فاجتمعْنا ذاتَ يومٍ فى حلقةٍ . فجعلْنا نتذاكرُ الشعرَ فنوردُ أبياتَ معانيه . ونتحاجى بمعاميهِ[1] . وقد وقفَ علينا فتًى يسمعُ وكأنهُ يفهمُ . ويسكتُ وكأنهُ يندمُ . فقلتُ: يا فتَى قد آذانا وقوفكَ فإمَا أن تقعدَ . وإمَّا أن تبعدَ . فقالَ : لا يمكننى القعودُ . ولكنْ أذهبُ فأعودُ . فالزمُوا مكانكُمْ هذا . قلنا : نفعلُ وكرامةً . ثمَّ غابَ بشخصهِ وما لبثَ أنْ عادَ لوقتهِ وقالَ : أينَ أنتمْ منْ تلكَ الأبياتِ وما فعلتمْ بالمعمياتِ . سلونى عنْها فما سألناهُ عنْ بيتٍ

(١) نتذاكر يروى : نتذكر ، ونتحاجى يمتحن كل منا حجا صاحبه أى عقله بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفى معناه على من لا روية له فى رويته ولا نفوذ لقريحته فى فهم دقائقه فاذا أصاب المعنى المراد دل على أنه من فرسانه والمجلين فى ميدانه .

إلا أجابَ . ولا عن معنًى إلا أصابَ ولما نفضنا الكنائنَ [1] .
وأفنينا الخزائنَ عطفَ علينْا سائلاً . وكرَّ مباحثًا فقال : عرفونى
أىُّ بيتٍ شطرهُ يرفعُ وشطرهُ يدفعُ [2] . وأىُّ بيتٍ كلهُ يصفعُ .
وأىُّ بيتٍ نصفهُ يغضبُ . ونصفهُ يلعبُ . وأىُّ بيتٍ كلهُ أجربُ ،
وأىُّ بيتٍ عروضهُ يحاربُ . وضربهُ يقاربُ ؟ وأىُّ بيتٍ كلهُ
عقاربُ؟ وأىُّ بيتٍ سمُجَ وضعهُ وحسنَ قطعهُ ؟ وأىُّ بيتٍ لا يرقأُ

---

(١) الكنائن : جمع كنانة وهى وعاء السهام ، ونفضوها : أفرغوها يمثل بذلك نفاد ما عندهم من الاحاجى والمعميات وانتهاؤهم فى المذاكرة إلى حد أن لم يبق عندهم شىء يتذاكرونه ، ومثل ذلك قوله : أفنينا الخزائن .

(٢) هذه الاوصاف التى يذكرها للابيات ويحاجى بها انما هى اعتبارات يصورها الذهن من جوامع البيت والالفاظ التى يؤلف منها والمعانى التى يشير إليها وترد إلى المخيلة عند سماعه وذلك يختلف باختلاف أهل الذوق فى القريض ويمكن لقارىء ديوان واحد من شعر أى شاعر : أن يجد جميع ما جاء به ولهذا لا نصرف الوقت فى الاتيان بجميع ما عمى به ولكنا نذكر لك طرفا تقيس عليه أمثاله كما جاء المصنف بمثل ذلك مثلا البيت الذى نصفه يرفع ونصفه يدفع بصيغة الفاعل فى الفعلين يدفع ويرفع كقول بعضهم :

دمعهُ ؟ وأيُّ بيتٍ يأبقُ كلهُ ؟ إلا رجلهُ ؟ وأيُّ بيتٍ لا يعرف أهلهُ؟:
وأيُّ بيتٍ هو أطولُ منْ مثلهِ ؟ كأنهُ ليسَ من أهلهِ ؟ وأيُّ بيت لا
يمكنُ نقضهُ ؟ ولا تحتقرُ أرضهُ ؟ وأيُّ بيتٍ نصفهُ كاملُ؟ ونصفه
سرابلُ ؟ وأيُّ بيتٍ لا تحصى عدتُهُ ؟ وأيُّ بيتٍ يُريكَ ما يسر بهِ ؟
وأيُّ بيتٍ لا يسعهُ.

العالمُ ؟ وأيُّ بيتٍ نصفه يضحك ونصفه يألم؟ وأى بيت إنْ

وللّه عندى جانب لا أضيعه وللهو عندى والخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه إلى منزلة الكرامة التى يختص بها أهل التقوى والنصف الثانى يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقى إليها ، والبيت الذى نصفه يغضب ونصفه يلعب كقول طرفه المتقدم :

كأن سيوفهم منا ومنهم مخاريق بايدى لاعبينا

والبيت الذى أوله يهب وآخره ينهب كقول بعضهم :

قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرادة طحونا

فان الشطر الاول قرى واحسان والشطر الثانى ردى وطحن أجساد تنهب منها الارواح وتسلب معها الاموال . والبيت الذى لا يمكن نقضه كقوله :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيــتًا دعائمــه أعــز وأطول

حـرَّك غـصـنهُ . ذهبَ حـسنهُ ؟ وأىُّ بيتٍ إن أفلتناهُ . أضللناهُ ؟ وأىُّ بيتٍ شـهـدهُ سمٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ مـدحـُهُ ذمٌّ؟ وأىُّ بيتٍ لفظهُ حلوٌ وتحتهُ غمٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ حلهُ عقدٌ وكله نقدٌ؟ وأىُّ بيتٍ نصـفهُ مـدٌّ . ونصـفـه ردٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ نصـفـه رفعٌ . ورفـعـهُ صـفـعٌ ؟ وأىُّ بيتٍ طردهُ مـدحٌ ؟ وعكسـهُ قـدحٌ ؟ وأىُّ بيتٍ هـو فى طوفٍ صـلاة الخـوفِ ؟ وأىُّ بيتٍ يـأكلهُ الشـاءُ . مـتى شـاءَ ؟ وأىُّ بيتٍ اذا أصـابَ الراسَ . هشمَ الاضـراسَ ؟ وأىُّ بيتٍ طالَ . حـتى بلغَ ستةَ أرطالٍ ؟ وأىُّ بيتٍ قامَ . ثم سقطَ ونامَ ؟ وأىُّ بيتٍ أرادَ أنْ

والبيت الذى اذا أفلتناه أضللناه كقوله :

ألا أننى بال على جمل بال   يقود بنا بال ويتبعنا بال

والبيت الذى قام ثم سقط ونام كقوله :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

والبيت الذى اذا حرك غصنه ذهب حسنه كقوله :

لك قد لولا جوارح عينيــــ   ـك لغنت عليه ورق الحمــــام

فلو حركت القد لطارت الجوارح بمعناها المشهور وهو جوارح الطير .

والجوارح فى البيت عيناه فإذا طارت عينه ذهب حسنه البتة ، والبيت الذى أوله

ينقصَ فزادَ ؟ وأىُّ بيتٍ كادَ يذهبُ فعادَ ؟

وأىُّ بيتٍ حربُ العراقِ ؟ وأىُّ بيتٍ فتحَ البصرةَ ؟ وأىُّ بيتٍ ذابَ . تحت العذابِ ؟ وأىُّ بيتِ شابَ . قبل الشبابِ ؟ وأىُّ بيتٍ عادَ . قبلَ الميعادِ ؟ وأىُّ بيتٍ حلَّ . ثم اضمحلّ ؟ وأىُّ بيتٍ أمرَّ . ثمَّ استمرَّ ؟ وأىُّ بيت أصلحَ . حتى صلحَ ؟ وأىُّ بيتٍ أسبقُ من سهمِ الطِّرماحِ ؟ وأىُّ بيتٍ خرجَ من عينهمْ ؟ وأىُّ بيتٍ ضاقَ . ووسعَ الآفاق ؟ وأىُّ بيتٍ رجعَ . فهاجَ الوجعَ ؟ وأى بيتٍ نصفه ذهبُ . وباقية ذنبُ ؟ وأىُّ بيتٍ بعضهُ ظلامٌ وبعضهُ مدامٌ ؟ وأىُّ بيتٍ جعل فاعلهُ مفعولاً . وعاقلهُ معقولاً ؟ وأىُّ بيتٍ كله حرمةٌ ؟ وأىُّ بيتينِ هما كقطارِ الإبلِ ؟ وأىُّ بيتٍ ينزلُ منْ عالٍ ؟ وأىُّ بيتٍ آخرهُ . طيرته فى الفال؟ وأى بيت آخره يهربُ .

يطلب وآخره يهرب كقوله :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

والبيت الذى مدحه ذم كقوله :

فان قومى وان كانوا نوى عدد ... ليسوا من الشر فى شىء وان هانا

والبيت الذى ضاق ووسع الآفاق كقوله :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

وأولهُ يطلبُ ؟ وأيُّ بيتٍ أولهُ يهبُ . وآخرهُ ينهبُ قال عيسى بن هشامٍ : فسمعنا شيئًا لم نكنْ سمعناهُ . وسألناهُ التفسير فمنعناهُ . وحسبناها ألفاظًا قد جوَّد نحتها . ولا معانى تحتها فقالَ : اختاروا من هذه المسائل خمسًا لأفسِّرها واجتهدوا فى الباقى أيامًا فلعلَّ إناءكمْ يرشحُ . ولعلَّ خاطركم يسمحُ . ثمَّ إن عجزتم فاستأنفوا التلاقى . لأفسر الباقى . وكان ممَّا اخترْنا البيتُ الذى سمُج وضعهُ وحسنُ قطعهُ . فسألناهُ عنه فقالَ : هو قوْلُ أبى نواسٍ :

فبتنا يرانا اللهُ عصابةٍ   تجرُّرُ أذيالَ الفسُوقِ ولا فخرُ

قُلنا : ماالبيتُ الذى حلهُ عقدُ . وكلهُ نقدٌ [١] . فقالَ : قولُ الأعشى :

والبيت الذى أصلح حتى صلح كقوله :

لا تقل بشرى ولكن بشريان   غرة الداعى ويوم المهرجان

فانه اصلح وحول عن مطلعه الشؤم إلى قوله : غرة الداعى ويوم المهرجان لا تقل بشرى ولكن بشريان. وعلى هذا النمط يمكنك ان تحقق جميع الاعتبارات بذوقك. ولكن من هذه الاعتبارات ما لا يعد من الابيات فلا حاجة بنا إلى الاطالة والله أعلم :

(١) كله نقد يريد دراهم وما يتعلق بنقدها، والنقد : الذهب والفضة المسكوكات سميا به لما يغلب فيهما من نقد الجيد من الردى .

دراهمُنا كلُّها جيدُ فلا تحبسنَّا بتنقادها

وحلهُ أنْ يقالَ: دراهمنا جيدُ كلها. ولا يخرجُ بهذا الحلِّ عن وزنهِ قلْنا: فالبيتُ الذى نصفهُ مدٌّ. ونصفهُ ردٌّ قال: قولُ البكرى:

أتاكَ ديـــنارُ صدقٍ ينقصُ ستينَ فلْسا [١]

من أكرمِ الناس إلا أصــلاً وفرعًا ونفســا

قلنا : فالبيت الذى يأكله الشاءُ . متى شاء . قالَ : بيتُ القائلِ :

فما للنـــوى جــدُّ النَّوَى قطع النوى رأيتُ النوَى قطاعةً للقرائنِ [٢]

---

(١) فانه لما قال " دينار صدق " حصل فى الذهن جميع ما احتوى عليه من الفلوس وامتد إلى نهايتها وهى ستون ، فلما قال " الا ستون فلسا " رد الذى مده أولا ، وفى قوله " من أكرم الناس " مد فضله حتى تجاوز الكرم ما وراء كل كرم ولما نفى الكرم من أصله وفرعه ونفسه استرد جميع أفراد النوع حتى لم يبق له شيئا من الكرم .

(٢) النوى : البعد ينكر الشاعر الحاح البعد عليه بمفارقة أحبته فيقول . ما للنوى وأى غرض لها فى ملازمتى ، ثم يدعو عليها فيقول : جذ النوى أى قطع ومحق ، وقوله " قطاعة للقرائن " أما أن يريد من القرائن والارواح وقطاعتها المهلكة لها ، وأما أن يريد منها الصلاة بين الاحبة التى لا تفرق بينهم بالميل =

قلنا : فالبيتُ الذى طالَ ، حتى بلغَ ستةَ أرطالٍ . قالَ : بيتُ ابنِ الرومىّ [1] .

إذا منَّ لم يمننْ بمنٍ يمنهُ　　وقالَ لنفْسى أيها النفسُ أمهلِى

قال عيسى بنُ هشامٍ : فعلمنا أن المسائلَ . ليستْ عواطلَ واجتهدنا فبعضَها وجدْنا . وبعضها استفدْنا . فقلتُ على إثْره وهوُ عادٍ :

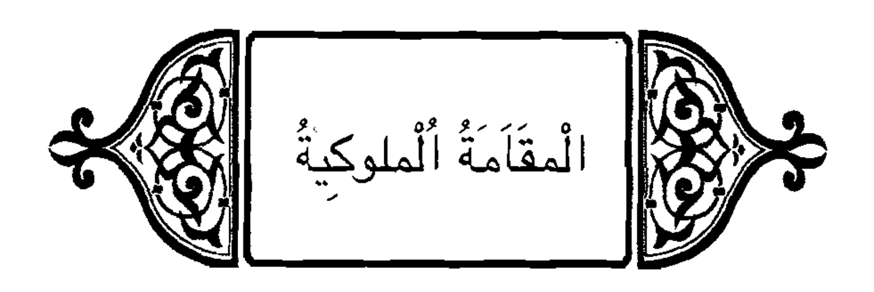
تفاوتَ الناسُ فضلاً　　وأشــــبه البعضُ بعْضا

لولاه كنتُ كرضوى　　طولاً وعمقًا وعرضا [2]

والوداد ، وهذا البيت بما فيه من تكرار ذكر النوى أحضر فى المخيلة نوى التمر والبلح وهو مما تأكله الشاء .

(١) تقدم هذا البيت فى المقامة العراقية فليرجع هناك .

(٢) لولا هذا الفتى وما أظهره من البراعة وسعة الاطلاع وحسن الانتقاد لكان عيسى بن هشام يعد نفسه فى العظم المعنوى كجبل رضوى فى عظمه الحسى وهو جبل فى بلاد العرب مشهور يتمثل به فى أشعارهم ، قال المعرى ويثقل رضوى دون ما أنا حامل .



الْمقَامَةُ الْملوكيةُ

حَدَّثَنَا عيسَى بْنْ هشَامٍ قَالَ : كُنتُ في منصرفي من اليمنِ وتوجهي إلى نحوِ الوطن . أسرى ذاتَ ليلةٍ لا سانحَ بها إلا الضبعُ [1] ولا بارحَ إلا السبعُ. فلمَّا انتضَى نصلُ الصباحِ [2] .

---

(١) السوانح من الطير والظباء وغيرها التى تجىء من مياسرك فتوليك ميامنها وأهل نجد يتشاءمون بها ، وأهل الحجاز يتشاءمون بالسوانح وهى عندهم فى صفة البوارح عند أهل نجد .

قال أبو نؤيب :

وجرت بها طير السنيح فان يكن   هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها

وقال النابغة الذبيانى :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا   وبذاك تنعاب الغراب الاسود

والمعنى أنه كان يسير وحيداً لا رفيق له غير الوحوش من السباع والضباع .

(٢) شبه الصباح بسيف استل من غمده وهو الليل .

وبرز جـبـينُ المصــبــاحِ [١]. عنَّ لى فى البــراحِ[٢]. الســلاحِ [٣] فـأخـذنـى منهُ مـا يأخـذُ الاعـزلَ . من مـثلهِ إذا أقـبلَ[٤] . لكنى تجلدتُ [٥] فـوقـفتُ وقلتُ : أرضـكَ لا أمَّ لكَ[٦] . فـدونـى شـرطُ الحــدادِ[٧] وخـــرْط القتــادِ[٨] . وحـميةِ أزديــةٌ[٩] . وأنا ســلمٌ إنْ كنتَ[١٠]. فـمنْ أنتَ . فـقـالَ : سلمًـا أصـبتَ . ورفـيـقًـا كـمـا

---

(١) المصباح : الشمس ، وجبينها : حاجبها الاعلى .

(٢) عن : ظهر ، والبراح : الواسع من الارض .

(٣) شاكى السلاح : حديده تامه .

(٤) الاعـزل : الذى لاسـلاح له وهو يرتجف ويـأخـذه الرعب اذا لقى من شكا سلاحه وحدده .

(٥) تجلدت : تصبرت وقويت نفسى وسددت عزيمتى .

(٦) أرضك لا أم لك : أى قف مكانك ثكلت أمك .

(٧) شرط الحداد : جراح السيوف وأعمالها .

(٨) القتـاد شـجر له شوك كـأصلب مـا يكون وقطعـه من أشـد مـا يؤلم الانسـان ويـتـعبـه ، والمعنى : أن السـبيل إلى لا يتـأتى لك ولا تسـتطيـع الوصـول إليـه لانه محفوف بالمخاطر محاط بالاهوال والشدائد .

(٩) الحمية : الانفة والعزة والازدية : المنسوبة إلى الازد الذين انتسب اليهم .

(١٠) سلم : أى مـسـالم لك لا اعتـدى عليك ، والمعنـى إنك إن نـهجت مـعى طريق الموادعة فسأكون مثلك لا انتهك حرمتك .

أحببتَ[1]. فقلتُ : خيْر أحببتَ . وسرنا فلما تخاليَنا [2] . وحينَ تجالينا [3] . أجلتِ القصة عن أبى الفتح الاسكندرى[4] . وسألنى عن أكرمِ من لقيتهُ منَ الملوكِ فذكرتُ ملوك الشامِ . ومنْ بها من الكرامِ . وملوكُ العراقِ ومنْ بها منَ الاشرافِ . وأمراءِ الاطرافِ . وسقتُ الذكرَ . إلى ملوك مصرَ . فرويتُ ما رأيتُ وحدثتُه بعوارفِ ملوك اليمنِ [5] . ولطائف ملوكِ الطائف . وختمتُ مدْح الجملةِ . بذكر سيف الدولة . فأنشأَ يقولُ : [6]

---

(١) المعنى : أننى عند ظنك وستحمدنى وتجدنى رفيقك ومؤنسك .

(٢) تخالينا : خلا كل منا بأخيه وانفرد به .

(٣) تجالينا: أى كشف كل واحد سره وأفشى أمره وعرف الثانى بنفسه .

(٤) أجلت : أى انكشفت ووضحت ، والمعنى أننى وجدت ذلك الفارس أبا الفتح الاسكندرى .

(٥) العوارف : جمع عارفة وهى الاحسان والمروءة والمعروف والنجدة والشهامة .

(٦) سيف الدولة على بن حمدان : تقدمت ترجمته .

يا ســـاريًا بنجـــومِ الليـــلِ يمدحُها

ولو رأى الشمس لم يعرفْ لها خطرا[1]

وواصفًا للســـواقيِ هبك لـــم تُـــزر الـــ بحرَ المحيطَ ألم تعرفْ له خبـرا[2]

من أبصـــرَ الدر لم يعـــدلْ به حجـراً ومنْ رأى خلفًـا لم يذكرُ البشرا[3]

---

(١) السارى : الذاهب فى الارض ليلا ، والخطر : القيمة والقدر ، والمعنى : أن من مشى فى الارض يتمدح بضوء النجوم ولألائها لو بزغ له قرن الشمس وأبصر شعاعها ونظر إلى ضوئها لصغرت النجوم فى عينه ولم تعد لها قيمة فى نظره

وأين الثريا وأين الثرى أين معاوية من على

(٢) السواقى : جمع ساقية وهى الصغيرة من القنوات وهى فوق الجدول ودون النهر . والمعنى أيهذا الذى انطلق لسانك فى مديح السواقى ووصفها أفرض انك لم تسعد برؤية البحر المحيط فهل خفى عليك حتى ذكره فاشتغلت بالسواقى ونعتها .

(٣) خلف : هو خلف بن أحمد أحد الامراء الذين مدحهم البديع وجرت عليه منحهم وعطاياهم وقد أسلفنا لك شيئا من كلامه فيه ، والمعنى : أن الذى يسعفه الدهر برؤيا ذلك الممدوح ينسى الانام جميعهم بفضل الذى يجده فيه فلم يعد للناس أدنى قيمة عنده ومثل ذلك مثل الذى يجد حبة من اللؤلؤ فانه يغنى بالنظر إليها عن جميع الاحجار .

زرهُ تـــزرْ ملكًـا يعطِـى بأربعـــةٍ   لم يحْوهـا أحدٌ وانْظرْ إليه ترى[1]
أيامــهُ غـــررًا ووجهـــهُ قمـــرًا   وعـزمهُ قدرًا وسيبـــهُ مطـــرًا[2]
مازلتُ أمـدحُ أقـــوامًا أظنهــمُ   صفو الزمان فكانوا عندهُ كدرَا[3]
(قال عيسى بن هشامٍ) فقلتُ : من هذا الملكُ الرحيمُ الكرَيمُ

(١) يعطى باربعة : مفسر فى البيت الذى بعده .

(٢) ايامه مفعول لترى فى البيت الذى قبل هذا ، وغرر : جمع غرة وأصلها البياض فى جبهة الفرس ثم استعمل فى كل ظاهر نابه الشأن مرفوع القيمة ومنه الحديث : (أنا قائد الغر المحجلين) ووجهه قمرًا : أى شبيه به فى وسامة الطلعة وهداية الحائر إلى سبيله ، وعزمه قدرا : أى يشبهه فى المضاء والنفاذ ، وتشبيه العزم بالقدر أكثر مبالغة من تشبيهه بثواقب النجوم وإن كان أبلغ من تشبيه البديع ومنه قوله :

عزماته النجوم ثواقبا   لو لم يكن للثاقبات أفول

والسيب : الغطاء والمنحة ، ومطرًا : أى مثله فى الغزارة والشمول .

(٣) المعنى أننى مدحت كثيرًا من الناس قبل ذلك الامير وكنت أظنهم حين مديحى لهم صفو الزمان فلما وصلت إلى دراه وتشرفت بالمثول بين يديه ومديحه عرفت أننى كنت مخطئا فى ظنى أنهم لو قيسوا إليه لكانوا كدرا .

فقالَ : كيف يكونُ . ما لم تبلغهُ الظنونُ [١] ، وكيفَ أقولُ . ما لم تقبلهُ العقولُ [٢] ؟ ومتى كانَ ملكٌ يأنفُ الأكارمَ . إن بعثتْ بالدراهمِ[٣] ؟ والذهبُ ، أيسرُ ما يهبُّ[٤] . والألفُ لا يعمهُ إلا الخلفُ[٥] ، وهذا جبلُ الكحلِ قد أضرَّ به الميلُ . فيكفَ لا يؤثرُ

---

(١) المعنى : ما الذى أقوله لك وأحدثك به من صفاته وبديع سجاياه وهى فوق متناول الظن وأعلى من المدارك ومما لا يمكن أن يسمو إليه فكر وأنا إن انبأتك لم آمن ألا تتوهم صحة كلامى وصدق حديثى .

(٢) هذا كالايضاح لما قبله .

(٣) يقال : أنفه يأنفه اذا ضرب أنفه ، والاكارم : جمع أكرم وهو البالغ من الكرم حدا عظيما ، والمعنى : أن هذا الامير الذى حدثتك بشأنه يسترزى الكرماء ويحط من شأنهم ويزجرهم إذا منحوا الدراهم لانها خسيسة لا تليق بالعطاء ولا تجمل بالمنحة .

(٤) المعنى : أنه يعطى الثمين الغالى وأهون ما يعطيه وأيسره وأقله قيمة وأزهده قدرا هو الذهب ولذلك فهو يردع المانحين ويرغمهم .

(٥) الخلف : الفأس العظيمة ، والمعنى : أنه متلاف لامواله مضيع لها بسبب ما يعطى العطايا الغالية ويهب الهبات النفيسة فمثل أمواله كمثل الحائط لا يأتى على جميعها غير الفأس وهو كذلك لا يأتى على ماله غير الكرم .

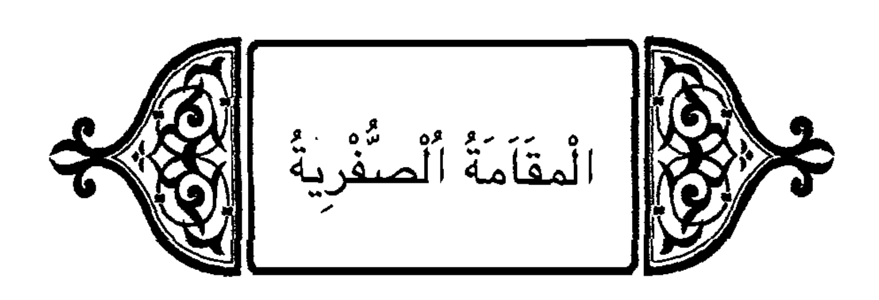
ذلك العطاءُ الجزيلُ[1] . وهل يجوزُ أنْ يكون ملكُ يرجعُ من البذلِ إلى سرفهِ[2] . ومن الخلق إلى شرفهِ[3] . ومنَ الدين إلى كلفه[4] . ومَن الملكِ إلى كنفـهِ[5] . ومنْ الاصلْ إلى سلفـهِ[6] . ومنَ النسلِ إلى خلفهِ

فليْـــتَ شـعْرى من هـذى مـآثرهُ   مـاذا الذى ببلوغ النـجم ينتظرُ[7] ؟!

---

(١) الكحل : مـعروف والميل ما يكتحـل به وأخف شيء حمـلا هو الميل ولكنه اذا استمـر أفنى من الكحل جبـالا ، والمعنى : أن الميـل لا يأخذ من الكحل الا قليلا جدا ولكنه لو تسلط على جبل لأفناه وأضاعه فقل لى بربك كيف لا تؤثر على ماله هذه الهبـات المتـواترة العظيمـة . (٢) المعنى : أنه لا يعقل أن أحدا من الملوك تكون خصلة العطاء عنده واصلة غاية حد السرف والتضييع مثل ما وصل بها ذلك الامـيـر. (٣) أى أنه ليس يتـأتى أن يتـصف واحـد من الناس من الاخـلاق بشريفـها ومن الخصـال بكريمـها مثل الذى اتصـف به . (٤) كلفه : أيِ حبـه ذلك الحب الشـديد أو هو بمعنى احـتمـال تكاليـفه ومشـقـاته . (٥) كنفه حـصنه وهو الصـدر والعـضـدان . (٦) السلـف : الإبـاء ، والمعنى : أترى أن أحـدا بلـغ فى الانتسـاب إلى أفاضل الناس وأكرمهم وأحسنهم خلقا مثلما بلغ الممدوح .

(٧) ليت شعرى : كلمة تدل على التعجب ، والمعنى : أن الأمر غريب جدا لان من كانت تلك سجـايا ه وهذه أوصـافه ونعوته فـأى شىء يرتجى من وصـوله إلى النجم وارتقائه فوق مناط والثريا ، أى بلغ غاية الكمال التى لا يمكن المزيد عليها قط .



الْمقَامَةُ الْصُّفْرِيةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لما أردتُ القفولُ من الحجِّ[1] دخلَ إلىَّ فتًى فقالَ : عندى رجلٌ من نجارِ الصفْرِ[2]. يدعوُ إلى الكفر[3]. ويرقصُ على الظفر[4]. وقد أدبتهُ الغربةُ[5]. وأدتنى الحسبة إليك. لأمثل حاله لديكَ[6]. وقد خطبَ

(١) قفل - من باب دخل - رجع ، والقفول من السفر ، العود منه ومنه سميت القافلة وهى الجماعة التى تتألف على السفر سموها بذلك تفاؤلا لها بالرجوع .
(٢) النجار - بكسر أوله وضمه - ومثلها النجر - بوزن فلس : الاصل ومنه المثل : كل نجار ابل نجارها يضرب لمن يتلون أى فيه كل لون من الاخلاق ولا يثبت على رأى ، والصفر : جمع أصفر وقد صار لقبا للدنانير والمعنى : أى عندى دينارا . (٣) الكفر فى الاصل الستر ، والمعنى : أنه يحمل صاحبه على ستره واخفائه ضنا به وخوفا عليه ويصح أن يراد منه الكفر بالمعنى الشائع المعروف ومعنى أن الدينار دا ع إليه أن صاحبه لا يأمن على نفسه الوقوع فى مهاوى الزيغ والضلال. (٤) من عادة الصيارفة ونقدة الاموال أن ينقروها على أظفارهم ليتبينوا جيدها من رديئها وذلك المراد بكونه يرقص على الظفر .
(٥) المعنى أنه فى يد غير صاحبه . (٦) الحسبة فعل الامر غير منظور عند عمله غير وجه الله ، وأمثل حاله : أصورها لك وأعلمك حقيقتها ، والمعنى أن شفقتى بذلك الفتى جعلتنى أتقدم إليك واصفا حاله محتسبا فى ذلك الاجر عند الله .

منكَ جاريَةٌ صفراءَ تعجبُ الحاضرينَ . وتسرُّ الناظرينَ[١]. فإن أجبتَ ينجُبُ منهما ولدٌ يعمُّ البقاعَ والاسماع[٢] . فإذا طويتَ هذا الريطَ[٣] وثنيتَ هذا الخيط . يكونُ قد سبقكَ إلى بلدكَ[٤]. فرأيك فى نشر ما فى يدكَ[٥] . قال عيسى بن هشامٍ : فعجبتُ من إيرادهِ . ولطفهِ فى سؤالهِ[٦]. وأجبتهُ فى مرادهِ فأنشأَ يقولُ :

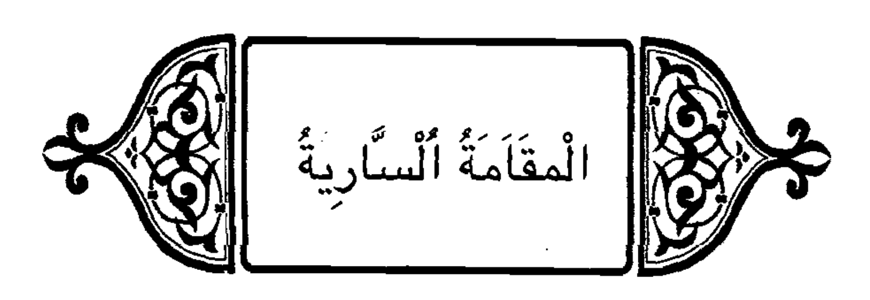
المجدُ يخدعُ باليدِ السفلى ويدُ الكريمِ ورأيهُ أعْلَى[٧]

---

(١) جارية : أى قطعة منطلقة ، وأراد بكونها صفراء تعيين أنها من نوع الذهب . (٢) ينجب منهما ولد : أى يجىء له من هذه الجارية ولد نجيب وأراد منه الثناء عليه وإطراءه ومديحه ولذلك قال يعم الاسماع والبقاع أى أنه ينتشر انتشارا عظيما حتى لا يبقى سمع إلا وصله ولا بقعة إلا دخلها .

(٣) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، والمعنى : اذا قطعت أيام الفراق ووصلت وطنك وحللت بناديك . (٤) أىّ أن ذلك الولد ستجده حل وطنك قبلك ووصل الدار قبل وصولك . (٥) أى : لك أن ترى بعدما ذكرت لك من الكلام رأيك فى أن تجيبنى إلى ما أملت أو تردنى خائبا . (٦) ايراده : أى طريق حكايته لى وتحديثه اياى بحاجته والمعنى أننى قد أخذنى العجب من حديثه ولطافته مع جميل سؤاله فلم أخيب ظنه ولم أضع رجاءه .

(٧) اليد السفلى : التى تطلب العطاء وتستجدى أكف الناس ، واليد العليا المعطية والمانحة وفى الحديث : لا (اليد العليا خير من اليد السفلى)، والمعنى ان المستمنح يخدع المانحين ويختلسهم بما يلقيه إليهم من الحديث وما يمده نحوهم من شراك الاسترفاد ولكن ليس ذلك دليلا على ضعف المعطى ولا حجة على خابله لانه لا يزال صاحب اليد العليا والرأى الناضج والفكر السديد .



حَـدَّثَنَا عيسَـى بْنْ هِشَـامٍ قَالَ : بينا نحنُ بسارية(١) عنْدَ واليـها إذ دخلَ عليهِ فتًى بهِ ردعُ صفَار(٢) فانتفضَ المجلسُ لهُ قيامًا وأجلسَ فى صدرهِ اعظامًا(٣) . ومنعتنى الحشمة لهُ من مسألتى إياهُ عن اسمه(٤) وابتدأ فقالَ للوالى: ما فعلتَ فى الحديثِ الامسىِّ لعلكَ جعلتهُ فى المنسىَ(٥) ؟! فقالَ: معاذَ الله ولكنْ عاقَنى عنْ بُلوغهِ عذرٌ لا يمكنُ شرحهُ (٦) ولا يؤسى

(١) سارية : إحدى بلاد طبرستان . (٢) الردع : أثر الطيب ، والصفار بضم أوله وبفاء - : أراد منه اللون الاصفر والمعنى أن ذلك الفتى كان بجسده آثار الطيب أصفر كالزعفران مثلا . (٣) المعنى أن جميع من كان بالمجلس قد تحرك مسرعا للقيام ثم انهم أجلسوه فى صدر المكان تعظيما له وتوقيرا . (٤) الحشمة له : الاجلال والتباعد عما يثير غضبه أو يعنته . (٥) الامسى : نسبة إلى الامس وهو اليوم الذى قبل يومك والمعنى : ماذا صنعت بشأن ذلك الحديث الذى جرى بيننا بالامس ثم عطف إليه قائلا : أننى أشفق من أن تكون نسيت . (٦) المعنى: أننى لم انس ذلك الحديث لان النسيان علامة عدم الاكتراث وأنت ممن يخطر بالبال دائما ولكنى لم أستطع قضاءه لأعذار طويلة لا أتمكن من بسطها لك .

جرحهُ[1]. فقالَ : الداخلُ : يا هذا قدْ طالَ مطالُ هذا الوعد[2] فما أجدُ غدكَ فيهِ إلا كيومكَ. ولا يومكَ فيهِ إلا كأمسكَ[3] . فما أشبهكَ فى الإخلافِ . إلا بشجرِ الخلافِ[4]. زهرهُ يملأُ العينَ . ولا ثمرَ فى البينِ[5] . قالَ عيسى بن هشامٍ : فلمَّا بلغَ هذا المكانَ قطعتُ عليهِ فقلتُ : حرسكَ الله ألستَ الاسكندريَّ . فقالَ: وأدامَ حراستكَ . ما أحسنَ فراستكَ[6]. فقلتُ : مرحبًا بأميرِ الكلامِ . وأهلا بضالّة الكرامِ[7] . لقد نشدتُها . حتى وجدتُها، وطلبتُها. حتى أصبتُها[8] .

---

(١) يؤسى : يطبب ويعالج ، والمعنى : أن الذى نالنى من عدم الانجاز بما وعدتك أشد على نفسى من الجرح الذى لا يعالج ولا يلتئم . (٢) المطال ومثله المطل - : التسويف وإرجاء الوفاء من يوم إلى آخر والمعنى : أنه طال تسويفك وأرجاؤك وأنا انتظر وفاءك ولكنك لا تفعل فمتى يكون . (٣) أى : أن حالك معى لا يتغير فالذى تقوله اليوم هو ما ستقوله غدا وهو بعينه الذى ذكرته أمس .

(٤) شجر الخلاف : هو شجر الصفصاف أو هو نوع منه . (٥) ولا ثمر فى البين : أى بين أغصان ذلك الشجر أو هى كلمة مستعملة فى معنى هناك وهو استعمال مولد ، وهذا هو وجه التماثل بين الوالى وشجر الخلاف ، والمعنى أنه يخدعك منظره وتغرك رؤيته ولكنك اذا فتشت فى أثنائه وجهدت نفسك أن تجد ثمرة فلن تلقى السبيل إلى ذلك . (٦) فراستك : تفرسك لاستطلاع حقيقتى ، والمعنى : أن ظنك لم يخب فأنا هو . (٧) الضالة ما شرد منه فأنت تبحث عنه أو هو أكرم مالك عليك وآثره لديك ، ومعنى هذا أن الاسكندرى رجل يطلبه كرام الناس ليتعرفوا أدبه الجم ويستفيدوا من حسن بيانه وجميل خطابه وفصيح مقاله . (٨) نشد الضالة : طلبها وجد فى البحث عنها ، والمعنى أنه طال بى الأمد وأنا أتلمس لقياك وأرجو الوصول إليك حتى أسعفنى الدهر بما رجوت.

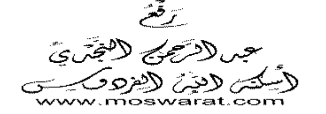
ثمَّ ترافقْنا حتَّى اجتذبنى نجدٌ [١] . ولقمهُ وهدٌ [٢] . وصعدتُ وصوَّبَ [٣] . وشرقتُ وغرَّب . فقلتُ على أثره :

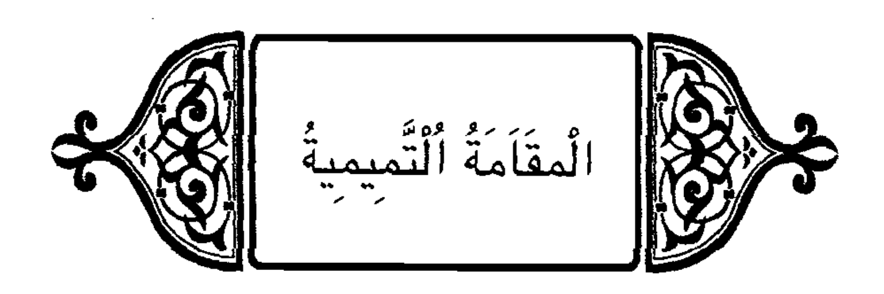
يا ليتَ شعْرى عنْ أخٍ ضاقتْ يداهُ وطالَ صيتهُ [٤]
قد باتَ بارحةً لدَىَّ فأينَ ليلتنا مبيتهُ [٥]
لا دَرّ درُّ الفقرِ فْه وطريدهُ وبه رُزيتُهُ [٦]
لأسلطنَّ عليهِ منْ خلفِ بنِ أحمدَ منْ يميتُه [٧]

---

(١) النجد: ما ارتفع وعلا من الارض، وجذبه رفعه إليه . (٢) الوهد: ما تطامن وانخفض من الارض: ولقمه - من باب فهم ابتلعه، والمعنى: أنهما مازالا رفيقين حتى وصلا إلى مكان افتراقهما فسار عيسى نحو سجستان يؤم خلف بن أحمد فعلا فى نجاد الارض وسار الاسكندرى نحو العراق فهبط فى وهادها.

(٣) صعدت: سرت مرتفعا بما يناسب النجد وصوب: سار منخفضا بما يتفق مع الوهد . (٤) ليت شعرى عنه: أى ليت خبرى عنه حاصل عندى، وأصل الشعر فى مثل هذا التركيب العلم فاستعمل فى الخبر هنا لانه سبب من اسبابه، والمعنى ليتنى أعلم شيئا عن ذلك الاخ الذى قصرت يده وضاقت عن الانفاق ولم تقدر على البسطة ووفر الغنى مع علو كعبه وارتفاع ذكره وطول شهرته وامتداد صيته وبعد مداه . (٥) بارحة : أراد منها الليلة الماضية، وليلتنا: أى هذه الليلة، والمعنى: أنه قضى معى الليلة المنصرمة فأين يقضى هذه الليلة الآتية يا ترى. (٦) الدر: اللبن، ودر - من باب شد - درا ودرورا: كثر، ويقال فى الذم لا در لا دره أى لا كثر خيره، ويقال فى المدح: لله دره أى عمله ولله دره من رجل، ولله دره رجلا، وطريده: مطروده، وزينته أصل رزئته فخفف بالاسهام، والمعنى الدعاء على الفقر بأن يجف ضرع من تغذيه لبنها ليموت، وليس المقصود ذلك حقيقة ولكن المراد أن يقول: أن الفقر أمر يقصر الجاه ويضعف المروءة ويقلل من العزيمة ويفل شباتها لانه كان سببا فى رزئى بالاسكندرى فى حين لا احب غير لقائه والسير معه فحبذا لو لم يكن وأراد عيسى فقر نفسه أى أنه لو كان موسرا لتحمل نفقاته ولم يقبل فراقه . (٧) المعنى: أقسم يمينا لا أحنث فيه أننى لابد أن أسلط على الفقر من خلف شخصا يميت هذا الفقر بمنحه وعطاياه، وخلف هو الذى سيفعل ذلك ولكنه أراد التجريد نحو لقيت من زيد أسدا، لعل هذا البيت دليلا على أنه فقر نفسه .





حَـدَّثَنَا عيسَـى بْنُ هِشَـامٍ قَالَ : وليتُ بعضَ الولايات منْ بلادِ الشـامِ . ووردَهَا سـعـدُ بنُ بدرٍ أخُـو فـزارةَ . وقـدْ ولِّى الوزارةَ[1] .

(١) فزارة : إحدى قبائل العرب ، وأخوها : أحد رجالها الذين تتصل نسبتهم إليها ، والوزارة كانت فى عصر البديع تجمع بين السلاحين السيف والقلم وكان لا يتولالها إلا من يحوز الصفتين جميعا غير أن حال الوزير كانت تختلف من جهة اطلاق يده فى التصرفات كلها وغل يده عن البعض وقال ابن خلدون عن الوزارة : هى أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الإعانة فان الوزارة أما من المؤازرة وهى المعاونة أو من الوزير وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوازره وأثقاله وهو راجع إلى المعاونة المطلقة وأحوال لاتعدو أربعة أمور لأنها إما ان تكون فى أمور لحماية الكافة وأسبابها من النظر فى الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف فى الدولة القديمة بالمشرق ، ولهذا العهد بالمغرب ، وأما تكون فى أمور مخاطباته لمن بعد عنه فى المكان أو فى الزمان وتنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وأما أن تكون فى أمور جباية المال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق وأما يكون فى مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذى يحجبه فلا تعدو هذه الاربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك =

وأحمدُ بنُ الوليدِ. على عمَل البريدِ[1] .

= أو السلطان فإليها يرجع إلا أن ألارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف إذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل صنف من أحواله ملكه وأما ما كان خاصا ببعض الناس أو بعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص كحسبة الطعام ، ومازال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك إلى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه ، ثم أفاض في تطور الاحوال وانتقالها من عصر إلى عصر وتقسيم الوزارة وتنويعها وتحديد عملها ورسومها في كل زمان . (١) البريد : أصله أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فاذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها - قد تعب فرسه - ركب غيره فرسا مستريحا وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة ، وأما معناه اللغوى فالبريد هو اثنا عشر ميلا وأظن أن الغاية التى قدروها بين بريد وبريد هى هذا القدر ، وقال الصاحب علاء الدين عطا ملك في جهان كشاى ومن جملة الاشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الاموال وسرعة وصول الاخبار ومتجددات الاحوال ، وأول من وضعه معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه طلبا للسرعة في وصول الاخبار ، وعمل البريد من أكبر الاعمال في الدول الاسلامية فقد كان صاحبه يتولى تفقد أحوال الثغور والبلدان النائية ويحدث السلطان عنها ويشير عليه بما يراه أعدل لها ، وله عمال كثيرون يستخدمهم في النواحي والاطراف في فروع عمله ، وكانت له مكانة سامية عند السلاطين لانه الذى يتفقد الاحوال ويستكشف خبيئات الامور ويخبر الخليفة بما يحيط به علمه وكان كل ما يرد من ولاة الاقاليم وعمال البلدان يعطى لعامل البريد ليطلع عليه أولا ثم هو يذهب به إلى الخليفة ولذلك فانه كان مأذونا له بالدخول من غير ممانعة في بعض العصور.

وخلفَ بن سالمٍ . عَلَى عمل المظالم[1] .

وبعضُ بني ثوابةَ   وقدْ ولِّى الكتابةَ[2]

(١) قال ابن خلدون فى عمل المظالم أنه ولاية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وكأنه يمضى ما عجز القضاة وغيرهم على امضائه ويكون فى نظر صاحبه فى البينات والتقرير ، واعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود ، فهى أوسع من دائرة نظر القاضى ، وكان الخلفاء الراشدون يتولون هذا العمل بأنفسهم فى صدر الاسلام وكانوا ربما تركوها للقضاة ثم صارت ولاية مستقلة. (٢) ثوابة: قبيلة من قبائل العرب والكتابة ديوان الرسائل ولا بأس بأن نورد لك رأى ابن خلدون فيها مع شيء من الاجمال قال: هذه الوظيفة غير ضرورية فى الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما فى الدول العريقة فى البداوة التى لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع، وإنما أكد الحاجة اليها فى الدولة الاسلامية شأن اللسان العربى والبلاغة فى العبارة عن المقاصد، فصار الكاتب يؤدى الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية فى الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيلة كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة فى الشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسدا اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بنى العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب فى آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان (وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو اشارته يغمس فى طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الخاتم ويطبع به على طرفى السجل عند طيه والصاقه) ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولا وآخراً على حسب الاختيار فى محلها وفى لفظها ثم تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب فى الدولة واستبداد الوزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها إلى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التى للكاتب ملغى وصورة ثابتة اتباعا لما سلف من أمرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير =

وجعُل عملُ الزمامِ . إلىَ رجل مِنْ أهلِ الشامِ (١)

= له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان نفسه بوضع ذلك إذا كان مستبداً بأمره قائما على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته، ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدى السلطان فى مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه فاما أن تصدر كذلك وأما أن يحذو الكاتب على مثالها فى سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه ، وقد كان جعفر بن يحيى يوقع فى القصص بين يدى الرشيد ويرمى بالقصة لصاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء فى تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل أنها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول .

(١) لا ندرى ما الذى أراد بولاية الزمام لاننا لم نعرف ولاية بهذا الاسم فى ذلك العصر غير أن الذى يتبادر إلى الذهن أنه أراد منها ولاية الاعمال والجبايات وفيها يقول العلامة ابن خلدون : اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهى القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم فى أباناتها والرجوع فى ذلك إلى القوانين التى يرتبها قومه تلك الاعمال وقهارمة الدولة وهى كلها مسطورة فى كتاب شاهد بتفاصيل ذلك فى الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال أن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يوما إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كانهم يحادثون أحدا فقال (ديوانه) أى مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات ، وقيل أنه اسم للشياطين بالفارسية سمى الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم فى فهم الامور ووقوفهم على الجلى منها والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل مكان جلوسهم لتلك الاعمال بباب السلطان ، وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد فى سائر هذه الاعمال وقد يفرد كل منها بناظر كما يفرد فى بعض الدول النظر فى العساكر واقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها، واعلم أن هذه الوظيفة انما =

فصارتْ

= تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال لسبي أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه فسموا إلى إحصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال : رأيت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر ، وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقيل له : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم قال : من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأً من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش .
أما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الاسلام كما كان قبله (العراق بالفارسية والشام بالرومية) وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين . ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الامية إلى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة من الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن لعهده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم ، وأما ديوان العراق فأمر الحجاج صالح بن عبد الرحمن – وكان يكتب بالعربية والفارسية – أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ، ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة إلى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة .

تحفةُ الفضلاء[1] . ومحطَّ رحالهمْ . ولمْ يزلْ يردُ الواحدُ بعد الواحدِ حتى امتلأتِ العيونُ من الحاضرينَ[2] وثقلوا على القلوب، ووردَ فيمنْ وردَ أبو الندَى التميميُّ فلمْ تقفْ عليهِ العيونُ[3] .

ولا صفتْ لهُ القلوبُ . ودخلَ يومًا إليَّ فقدرتهُ حقَّ قدْره وأقعدتهُ من المجلسِ في صدرهِ . وقلتُ : كيفَ يُرجِّي الاستاذُ عمرهُ . وكيفَ يرى أمْرهُ[4]. فنظرَ ذاتَ اليمين وذاتَ اليسارِ[5] فقالَ: بين الخسرانِ والخسارِ[6]. والذلِّ والصغارِ[7] . وقومُ كرْوثِ الحمارِ.

(١) التحفة : النفيس الذى يتقدم به الفضلاء بعضهم إلى بعض ، والمعنى : أن هذه الولاية التى وليها سعد بن بدر قد جمعت الأفاضل ووجوه الكتاب وخيرتهم فهى بذلك قد أصبحت زاهرة حتى أنه ليتهاداها كرام الناس . (٢) ثقلوا على القلوب : لكثرة تواردهم وكثرة ما يكلفون أهل المجلس من التوقير لهم واحترامهم لانهم من أهل الفضل وأرباب الحجا الذين تجب كرامتهم وبذل الغاية فى احترامهم وذلك من أثقل التكاليف على النفس . (٣) يقال : وقفت العيون فى وجه فلان إذا حدقت إليه وأثبتت النظر فيه وتتابع ذلك منها وهذا كناية عن احترامه وأخذه بلبك وهو يقول : أن العيون لم تتجه اليه فهو يريد التكنية عن أنهم احتقروه ولم يحفلوا به . (٤) المعنى : أى شىء تؤمل فى حياتك وما الذى ترجوه من دهرك وما رغباتك فى هذا الوجود ولما كان الامل يسوق العمل وجه إليه السؤال عن الامل فى حين أنه يزيد أعماله وأحواله . (٥) إنما التفت يمينا وشمالا ليرى هل يحس به أحد وهل هناك من يسمع كلامه فيتحاشى أن يذكر عيبا أو يخبر بقبيح . (٦) الخسران : الخيبة والحرمان وضياع الرجاء وفقدان الأمال، والخسار : اللؤم ودناءة الطبع وسقالة الاصل والمعنى أنه يقضى أوقاته كلها بين أمل ضائع ورجاء مسلوب وأخوان سفلة وعشراء لئام . (٧) الصغار : الحطة وضعف الشأن .

يشـمـهمُ الإقبـالُ وهـمْ منتنونَ [١] . ويحـسنُ إليـهـم فـلا يحـسنونَ . أما والله لقد وردتُ منهمْ على قوْمٍ ما يشبـههمْ من الناسِ . غيرُ الرأسِ واللباسِ [٢] . وجعل يقولُ :

فدى لكِ يا سجسْتانُ البلادُ ... وللملكِ الكـريمِ بكَ العبـادُ [٣]
هبِ الأيامَ تسـعدُنى وهبْنــى ... تبلغــنيــــه راحــلةٌ وزادُ
فمن لى بالذى قدْ مـات منهُ ... وبالعـمرِ الذى لا يسـتـعادُ [٤]

---

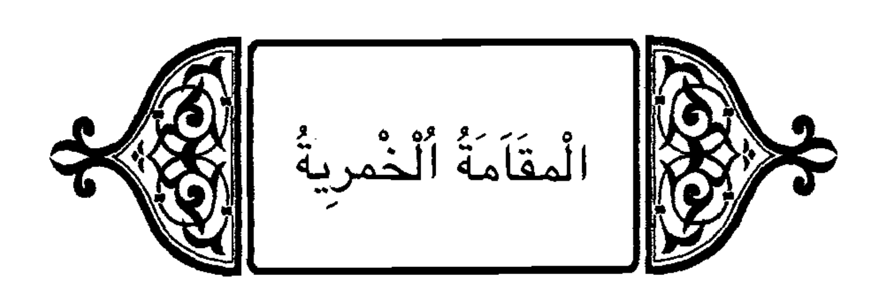
(١) الاقبـال : السعـادة ، والحظ ، ويمن الطـالع ، والمعنى : أن السـعداء يأتيـهم واليمن ينزل بسـاحتـهم والثراء والجاه يلزمانهم فى حين أنهم لا يسـتحقون من ذلك كله شيئا .

(٢) المعنى : أننى اضطررت للفرار من هؤلاء الذين حدثتهم عنهم فلقيت جماعة لا يصلـهم الناس ولا يماثلـهم بهم غير لباسـهم وهيئـة رؤوسـهم فـأمـا أفـعـالهم وخلقهم فهى بعيدة جداً عن أفعال الإنسان وأخلاقه .

(٣) سجستان مدينة من مدن فارس الشرقية ، والمعنى : أن هذه البلده هى خير البلاد وأطيب الاماكن وأن الملك الذى يحل بها هو أكرم من فوق التراب ولذلك فإنى اتمنى أن تكون بلاد الدنيا كلها فداء لسجستان وجميع العباد فداء لذلك الملك الكريم المقيم بها .

(٤) المعنى : أفرض أنه أمكن لى أن أسعد بالذهاب إلى حضرته وأتمتع بالمثول بين يديه والتشـرف بلقـائه وافـرض أن فى مـقـدور الرواحل أن تصل بى إلى سـاحته فـهل ينفعنى ذلك اللقـاء فى رد الايام الماضيـة والعمر المنصرم والحيـاة القائمة التى عبرت على دون تمتع به ولا بشرف بالوردود إليه .





حَـــدَّثَنَا عـيِـسَـــى بْنْ هشَـــامٍ قَـالَ : اتفـــقَ لى فـــى عنفوانِ الشـبيبـةِ خلقُ سجيحٌ[١]. ورأىُ صـحيح. فـعدلتُ ميزانَ عـقلى[٢] . وعـدلَـتُ بين جـــدِّى وهـــزلى[٣] واتخـذتُ إخـوانًا . للمقةِ[٤] . وآخرينَ للنفقـــةِ[٥]. وجعلتُ النهارَ للنـــاسِ . والليـــلَ

(١) عنفوان الشبيبة : أول الشباب ، وميعته ، وحين طراءة العمر وغضارته ، وخلق سجيح : سهل لين هادئ ، والمعنى : أنى لم أنشأ على الطيش والرعونة والحمق والجنون مثل عادة الشباب بل فطرنى الله على الهدوء والثبات والسكينة فتخلقت بكامل الاخلاق وتحليت بفضائل الاعمال ونشأت على عظيم الافعال منذ عهدى الاول فى الحياة . (٢) عدلت ميزان عقلي : جعلت كفتيه متقابلتين لا ترجح إحداهما الاخرى فلا أنا تركت كفه الشهوة - وهى فى الشباب متوفرة متهيجه تتغلب على كفة الفضيلة - ولا أنا تركتها مرة واحدة. (٣) عدلت : سويت وماثلت ، والمعنى : أننى لم أجعل لأحد الامرين رجحانا على الآخر فيغلبه فتميل كفته بل أردت الموازنة بينهما والمساواة فيهما ، وهذا مثل قول الشاعر :

ولله عندى جانب لا أضيعه ... وللهو عندى والخلاعة جانب

(٤) المقة : المحبة وقد ومقه يمقه - بكسر الميم فيهما - : أحبه فهو وامق ، وأخوان المقة هم أصدقاء المحبة والوداد وآلاف الاخلاص الذين يستنصر بهم ويستصرخهم فى الشدة ويدعوهم اذا حزبه أمر ونزلت به كارثة . (٥) المعنى : أنه جعل أخلاءه نوعين : نوع تجمعه بهم المحبة الاكيدة والوداد المحض وادخره للنوازل والخطوب ، ونوع تدعوه إليهم ساعات الانس وأوقات المسرة من أهل الظرف والمروءة ووداعة الاخلاق ليتشاركوا فى المأكل والمشرب ونحوهما من دواعى الطرب وبواعث الارتياح .

للكـــــاس[1] . (قـالَ) واجـتـمـــعَ إلى فــــى بعـــضِ ليـــالى إخـــوانُ الخـــلوةِ . ذوُو المعـــانى الحلـــوة[2] . فـمــازلنا نتـعـاطى . نجُـومَ الاقـــداح [3] حـتَّى نفـدَ مـا مــعنا منَ

(١) المعنى : أن قسمة وقته وتسويته بين جده وهزله كانت هكذا فيقضى نهاره بين الناس متحشما ووقوراً قائما بجليل الاعمال مؤديا منها ما لا قبل لغيره عليه، وليله مع ندمائه يستقون العقار ويجيلون القداح .

(٢) يريد بهم جماعة الندامى الذين يشاركونه النفقة والانس .

(٣) نجوم الاقداح : أى الخمر التى تشبه النجم فى الضياء والبريق ، ومن نعوتهم لها الرقة مع الصفاء ، والوميض مع اللألاء ، وفى الاول يقول :

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الام
فكأنما خمــر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

ويقول أبو نواس :

تخيــرت والنجوم وقـف ... لم يتمكن بها المدار
فلم تــزل تأكل الليالى ... جثمانها ما بها انتصار
حتى اذا جرمها تلاشى ... وخلص السر والنجار
آلـت إلى جوهـر لطيف ... عيان موجوده ضمار
لا ينـزل الليل حتى حلت ... فدهر شرابها نهار

ويقول صريع الغوانى مسلم بن الوليد :

كأنها وحبـاب الماء يقرعها ... در تحدر من سلك من الذهب
تكاد أن تتلاشى كلما مزجت ... فى الكأس لولا بقايا الريح والحبب

ويقول البحترى وقد ضمن بيتا لابى تمام :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخـدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الـ ... ـشوق الذى قد ضل فى الاحياء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها ... فى الكف قائمة بغير إناء

وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

جفت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة وجفا عن شكلها الماء

وفى الثانى يقول :

فلو مزجت نورا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء =

الـــــرَّاح [1]. قـــالَ واجـتــمعَ رأىُ النـــدْمـان . على فـصـدِ الدنان[2] فـأسـلْنا نفسَـــها [3] وبقـــيتُ كـالصـدفِ بـــلا درٍ [4] أو المصرِ بلا حرٍ [5] . (قالَ) : ولما مسَّتنا حالُنا تلك دعتْنا دَواعى الشطارَة [6] . إلى حـان الخـمـارةِ [7] . والليلُ أخـضـرَ

= ويقول:

جاءت كشمس ضحى يوم أسعدها — من برج لهو إلى آفاق سراء
كأنهـا ولســان المـــاء يقرعها — نــار تأجج فى آجام قصباء

ويقول :

كأنهـا فى زجاجها قبس — يذكـو لا ســورة ولا لهـب
فهى بغير المزاج من شرر — وهى اذا صفقت من الذهب

(١) نفد : فنى وذهب ، والراح : من أسماء الخمر ، والمعنى اننا ظللنا نتحسى حتى لم يبق مما كان معنا شيء . (٢) الفصد فى الاصل قطع العرق ليسيل منه الدم ، والدنان : جمع دن وهو راقود الخمر وخابيته العظيمة ومعنى فصدها فتحها لأخذ ما فيها من الخمر ، والمعنى أنهم بعد أن أنفدوا ما معهم طلبت نفوسهم مقداراً اخر منها فاتفقوا على فض الدنان لينالوا بغيتهم ويصلوا إلى ما أرادوا . (٣) النفس : الدم والخمر تشبه الدم فى اللون ونحوه . (٤) الصدف : جمع صدفة وهى غشاء الدرة ، والمعنى أنهم بعد أن فضوا ختم الرواقيد تركوها خالية لا قيمة لها كما تترك الصدفة بعد أخذ ما فيها من ثمين الجواهر ، وهذا كناية عن استيعابهم لجميع ما كان فيها ومن تشبيه الخمر .

كأن صغرى وكبرى من فواقعها — حصباء در على أرض من الذهب

(٥) اذا خلت المصر من الحر والجرىء المقدام فأى فرق بينها وبين الصحارى المجدبة والديار البلاقع ؟ فهو يقول : اننا تركنا الدنان ولا قيمة لها وهى لا تساوى شيئا . (٦) مستنا : ألجأتنا ، واضطرتنا ، والشطارة : الخبث الشديد والميل إلى الدعارة والفسق . (٧) الحان والحانة : حانوت الخمار ومنه سميت الخمر بنت الحان ، والخمارة : مكان ابتياع الخمر وتحسيها والاضافة من باب اضافة الشيء إلى نفسه كعقولهم مسجدالجامع ، والمعنى : أن حالتنا الاولى عندما فرغت الخمر التى كانت لدينا اضطرتنا إلى الذهاب للحان لمتابعة الشرب ومواصلته .

الديباجِ [١] . مغتلمُ الامواج [٢] . فلمَّا أخذنا فى السبخِ[٣]. ثوبَ منادِى الصبِّحِ[٤]. فخنسَ شيطانُ الصبوَةِ[٥] وتبادرنا إلى

(١) الديباج فى الاصل : الثوب اذا كان سداه ولحمته من حرير ، واللون الاخضر اذا اشتد كان أدكن مظلما والمراد وصف الليل بشدة سواده .
(٢) اغتلام الامواج : ثورتها ، وهياجها ، وكثرة اضطرابها ، وذلك تأكيد لسابقه فى نعت اسوداد الليل وظلامه ، ولأبى العلاء المعرى فى وصف ليل أنس ما يقرب من ذلك :

رب ليل كأنه الصبح فى الحسـ	ـن وأن كان أسود الطليسان
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما	وقف النجم وقفة الحيران
ليلتى هذه عروس من الـز	ـنج عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفونى فيها	هرب الأمن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوى الثريا	فهما للوداع مفترقان
وسهيل كوجنة الحب فى اللو	ن وقلب المحب فى الخفقان
مستبداً كأنه الفارس المعلـ	ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسـ	ـرع فى اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادى	فبكت رحمه له الشعريان
قدماه وراءه وهو فى العجـ	ـز كساع ليست له قدمان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ	ـر فغطى المشيب بالزعفران
ونضا فجره على نسره الوا	قع سيفا فهم بالطيران

(٣) السبح فى الاصل : السير فى الماء ، ولما كان قد شبه الليل بالبحر ذى الامواج المتكاثفة المتواثبة فقد سمى سيرهم إلى الخمارة سبحا . (٤) منادى الصبح : المؤذن الذى يدعو الناس إلى الصلاة ، وأصل التثويب فى اللغة الاجتماع والمجىء ، وهو فى عرف الشرع أن يقول المؤذن لصلاة الصبح : الصلاة خير من النوم مرتين ولعل أصل التسمية الشرعية من ذلك لأن هذا الكلام معناه الدعوة لاجتماع الناس ومجيئهم ، وربما صح أن تكون لأنه يشبه التبشير بالثواب لمن حضر . (٥) خنس : انخذل وانقبض وفى التنزيل : (من شر الوسواس الخناس) أى الذى يلقى بالوسوسة ثم يفر هاربا .

الدعوةِ[١]. وقمنا وراءَ الإمام . قيامَ البررةِ الكرامِ بوقارٍ وسكينةٍ وحركاتٍ موزونة[٢] .

فلكلِّ بضاعةٍ وقتٌ [٣] . ولكلِّ صناعةٍ سمتٌ [٤] . وإمامُنا يجدُّ في خفضِه ورفعِه [٥] ويدعونا بإطالتِه إلى صفعه [٦] . حتى إذا راجعَ بصيرتَهُ[٧] ورفعَ بالسلامِ عقيرتَهُ[٨]. تربَّع في رُكن محرابه[٩].

---

(١) تبادرنا إلى الدعوة : سرنا لتلبيتها مبادرين مسرعين ، والدعوة هي الاذان والمعنى أنا لم نكد نعتزم السير إلى الحان حتى نفذنا ذلك العزم وأخذنا فى طريقها فما سرنا قليلا حتى سمعنا المؤذن ينادى لدعوة العباد إلى الصلاة ولم يقرع اسماعنا صوته حتى ذهب عنا الشيطان وغادرتنا دواعى التصابى ونزق الشباب فذهبنا نحو المسجد مسرعين لتأدية فريضة الصلاة . (٢) المعنى : اننا حين قامت الصلاة دخلنا صفوفها فوقفنا وقوف العباد مع الخضوع لجبروت الله سبحانه والوقار والادب وكأن الذى كنا فيه لم يكن . (٣) أى : أن كل سلعة لها وقت تعرض فيه لا يناسبه غيرها ولا يناسبها غيره ، والبضاعة هنا هى الوقار والسكينة وتوازن الحركات والخشوع ووقتها هو آن الصلاة التى تؤدى فيه . (٤) السمت : الجهة ، والمراد هنا الهيئة والحال ، والمعنى : أن كل حرفة وصناعة لها هيئة خاصة لا تليق فيها غيرها . (٥) الخفض والرفع المراد هما هنا الركوع والسجود ومعنى جد الامام فيها اجتهاده وتشديده فى تأديتهما . (٦) الصفع : الضرب على القفا خاصة ومعنى دعوته اياهم إلى ذلك أنه يطيل أطالة تجعلهم يملون الصلاة ويسأمونها فلا يجدون لانفسهم مخرجا غير صفعه واستنهاضه للسرعة والانجاز . (٧) البصيرة : الفطنة ، والحزم ، والعقل ، والتدبير ، ومراجعته لها طلبه منها الرجوع إليه وكأنما كان قد افتقدها بسبب أطالته فلما اعتزم على الانتهاء كأنه قد أعادها إلى نفسه ورجعها . (٨) عقيرته: صوته ، والصلاة ختامها التسليم فكأنه قال : ولما ختم الصلاة وانتهى من أعمالها . (٩) المحراب : مقام الامام من المسجد ، وتربع جلس .

وأقبل بوجهه على أصحابه . وجعلَ يطيلُ إطراقهُ . ويديمُ استنشاقهُ[1] . ثمَّ قالَ :

أيُّها الناسُ من خلطَ فى سيرته[2] وابتلَى بقاذُورَته[3] فليسعهُ ديماسهُ[4] دونَ أن تنجّسنَا أنفاسهُ . إنى لأجدُ منذُ اليوم . ريح أم الكبائر من بعض القوم[5] فما جزاءُ منْ باتَ صريع

(١) الاطراق السكوت مع ارخاء العينين نحو الارض ، والاستنشاق : اشتمام الريح وأدمانه الاكثار منه وكأنه كان قد شم رائحة الخمر فأراد أن يتثبت منها ليقدم إلى الجماعة نصيحته التى سيذكرها بعد وقال الاستاذ الامام أن معنى استنشاقه شمه النشوق وذلك معنى يأباه الذوق الادبى ويمجه الطبع . (٢) خلط فى سيرته : أتى بمنكر الاعمال وشنيعها وارتكب فظائع الامور وخبيثها مع كونه يؤدى بعض أعمال الصلاح والتقوى وفى التنزيل (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) . (٣) القاذورة فى الاصل : ما تتقذر منه النفس ، وتشمئز ، وتنفر ، والمراد هنا السيئة سماها بذلك كما سميت فى الحديث : (من ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله) لأن مرتكبها يتلطخ كما يتلطخ من تعلوه الادناس والاقذار ، ولان النفوس تبتعد عنه ، وتنفر منه كما تنفرْ من القذر النتن .

(٤) الديماس : المنزل ، والبيت ، والمعنى من كان منكم قد ابتلاه الله تعالى بشىء من المعاصى فعليه أن يقبع فى داره ويلزم بيته فإن التستر على النفس مندوب إليه ، والعقاب على الجرم مع المجاهرة أشد من العقاب عليه مع الاستتار. (٥) أم الكبائر : هى الخمر وبذلك سميت فى الحديث ، وهى تبعث إلى الشر وتذكى لهيب الفساد ، وتؤجج نيران المعصية ، فمن شربها هان عليه بعدها أن يفعل كل شىء لانه حينئذ يكون مسلوب العقل ، فاقد الرشد ، ضائع التمييز فيرتكب الكبيرة ، ويتدنس بالمخازى ، والآثام ، ومن هذا أطلق عليها ذلك الاسم.

الطاغوتَ[1] . ثم ابتكرَ إلى هذه البيوتِ [2] . التى أذنَ اللهُ أن ترفعُ [3] . وبدابرِ هؤلاءِ أنْ يقطعَ [4] . وأشارَ إلِيْنا .

فتألبت الجماعةُ عليْنا[5]. حتى مزقتِ الارديةُ [6] . ودميتِ الأقفيةُ[7]. وحتى أقسمنَا لهم لا عدْنا . وأفلتنا منْ بينهمْ وما

---

(١) الطاغوت : الشيطان وصريعه : المقهور له ، المغلوب بوسواسه .

(٢) ابتكر : جاء مبكرًا والمراد بالبيوت المساجد .

(٣) أذن الله أن ترفع أعلم عباده بوجوب العمل على رفعتها والمغالاة فى احترامها .

(٤) دابر القوم : آخر من بقى منهم وأصله الدبر بالتخفيف والتثقيل معًا – وهو الظهر ، كناية عن استئصال شأفتهم والقضاء على جميعهم وفى التنزيل : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ، والمعنى : أى عقوبة تقدرونها على هؤلاء الجماعة التى تقطع ليلها كله متلبسة بالمآثم والخطايا مستنيمة للشيطان يلقى إليها وينفخ فيها من روحه الفاسدة الشريرة ثم تجيئنا فى هذه المساجد التى لم تجعل للفسد والمرتكبين وإنما أقيمت للعباد والصالحين؟ وكأنه يريد بهذا الاستفهام انكار أمر الشاربين وتفظيعه فى نظر جماعته .

(٥) تألبت : اجتمعت وتناصرت فى ضربهم والتنكيل بهم واهانتهم .

(٦) الاردية : جمع رداء وهو الثوب .

(٧) دميت : سال دمها ، والمعنى : أن الضرب الذى أنزلوه بنا كان شديدا جدا حتى لقد اسال دماء أقفيتنا (وهذا هو أثر الصفع) ومزق ثيابنا.

كدْنا . وكلنا مغتفرٌ للسلامةِ . مثل هذه الآفة[1] . وسألنا مَنْ مرَّ بِنا منَ الصبيةِ [2] . عن إمامِ تلك القريةِ. فقالوا: الرجلُ التقىُّ. أبو الفتح الاسكندرىُّ . فقُلْنا: سبحانَ الله . ربما أبصرَ عميت[3]. وآمنَ عفريتٌ[4] . والحمدُ لله لقدْ أسرعَ فى أوْبته[5] ولا حرمنا اللهُ مثل توبته[6]. وجعلنا بقية يومنا نعجب من نُسكه[7] مع ما كنَّا نعلمُ من فسقهِ[8] . (قالَ) : ولما حشرج النهارُ

---

(١) المعنى : أننا ما كنا نظن أننا سنخرج من تحت أيديهم وفى واحد منا رمق الحياة فلما أذن الله بالسلامة واختارها لنا عفونا عن كل ما نالنا . (٢) الصبية: الصبيان ، جمع صبى . (٣) عميت - بوزن سكيت - : السكران ، والجاهل الضعيف ، ومن لا يهتدى إلى جهة ، والمعنى أننا عهدناه على زيغ عن الحق ، وميل إلى الفجور ، وانحراف عن الجادة ، فلعله استهدى بنور اليقين فوضح له الطريق البين ، وظهر لعينه فجر الصواب . (٤) العفريت: الشيطان، والناس تنسب كل غريب، نادر الوقوع، شاق على الفاعل، إلى الشياطين ويقولون: فلان عفريت أو الشيطان على التشبيه يريدون أنه يأتى بالافعال التى تكون كذلك والمعنى: أنا نعرف أبا الفتح سادرا فى اللهو، آتيا بشنيع الاعمال، فاعلا لفظيعها، فلعل جذوة الايمان قد اتقدت بقلبه فاحرقت شعاب الباطل، ولعل برد الطاعة قد أثلج صدره فأطفأ نار العصيان . (٥) الاوبة: الرجوع، والمراد رجوعه إلى الله تعالى والعمل بأوامره. (٦) المعنى: أنا نحمد الله جلت قدرته الذى وفقه إلى الهداية، ونشكره سبحانه وتعالى أن يعجل لنا ما جعله له . (٧) النسك : العبادة، وقد نسك ينسك - بالضم - نسكا - بوزن رشد - : أى تعبد، ونسك - من باب ظرف - صار ناسكا .(٨) الفسق: الفجور، والخروج عن طاعة الله، وقد فسق الرجل يفسق بالضم- فسقا ، وفيه لغة أخرى من باب جلس : ومعناه خرج، وفى التنزيل (ففسق عن أمر ربه) أى خرج والمعنى: أنا ظللنا عامة يومنا والعجب يأخذنا من عبادة أبى الفتح، وورعه، وزهده فى اللذائذ والشهوات لاننا عرفناه وهو لا يعمل على طاعة الله، ولا يرضخ لعبادته .

أو كادَ[1]. نظرنا فإذا براياتِ أمثالُ النجوم. فى الليل. البهيم[2].
فتهادينا بها السراء [3] . وتباشرنا بليلةٍ غراءَ [4] ووصلْنا إلى
أفخَمها بابًا[5]. وأضخمها كلابًا . وقد جعلنا الدينارَ إمامًا[6].
والاستهتار لزامًا[7] . فدفعنا إلى ذات شكْل ودلٍّ[8]. ووشاح

---

(١) يقال : حشرج الرجل حشرجة إذا غرغر عند الموت، وحينذاك تكون حياته موشكة أن تنتهى، وعليه حشرجة النهار هنا أى انتهاؤه أو قرب ذلك . (٢) رايات الحانات: أعلامها، والليل البهيم: الذى اشتد حلوكته وظلامه، والمعنى أنه حينما أوشك النهار أن ينصرم أو انصرم فعلا نظرنا فاذا بنا نرى الاعلام قد نشرت فوق الحانات وهى أماكن الخمر فبدت لاعيننا كانها النجوم تسطع فى الدجى فتنير ظلامه وتزيل غياهبه . (٣) تهادينا: أهدى بعضنا إلى بعض، والسراء : المسرة والحبور . (٤) تباشرنا : بشر بعضنا بعضاً، وليلة غراء : ذات بهجة وجمال والمعنى أننا حين نظرنا هذه الرايات صار كل واحد منا يهدى إلى الثانى السرور يبشره بسعادة ليلتنا وجمالها وما سنلقاه فيها من لذة وأنس . (٥) أراد من أفخمها بابا الكناية عن أن الحانة التى وصلوا إليها أكثر الحانات وأكثرها جمعا لاسباب المسرة ودواعى الانشراح . (٦) الدينار: المراد منه جنسه أى النقد، والامام المراد منه هنا القيم الذى يقوم بالشؤون ويدبر الامور والمعنى أن الدينار هو الذى ينيلهم ما يريدون، ويأتيهم بكل ما يحبون، ويوفيهم لذتهم ويوفر لهم سعادتهم. (٧) الاستهتار: اتباع الشهوات والسير مع الأهواء من غير مبالاة ولا اكتراث، ولزاما: أى ملازما لا يفارقنا ولا يرحل عنا، والمعنى: أننا جعلنا السير وفق أغراضنا وطوع شهواتنا وديدنا لنا، وصفة ملازمة لا تفارقنا ولا نحيد عنها قط . (٨) دفعنا : أى أدانا سيرنا، وذات شكل: أى ربة حسن وغزل والدال : هو مزج الرضا بالغضب ، والقرن بين البذل والتمنع .

مُنحلّ[١]. إذا قتلتَ ألحاظُها . أحيتْ ألفاظها[٢]. فأحسنتْ تلقينا.

(١) الوشاح: شبه علاقة السيف يتخذ من أديم عريض ويرصع باللؤلؤ والجواهر ثم تجعله المرأة بين عاتقها وكشحها، ومنحل : أى لا يكاد يمسك بخصرها لاتساعه، ونحافة الخصر، والمعنى: أننا سرنا للحانة فلما وصلناها دفعنا الباب، وأدانا هذا إلى فتاة تأخذ بالالباب، وتفتك بالعقول، وتأسر النهى، وتسلب الحجا، لما هى عليه من صباحة الوجه، ولطافة المحيا، ولين الاعطاف، ونحولة الخصر. (٢) يشبهون الالفاظ بالسحر، والالحاظ بالسيوف المصلتة، وبالقسى المعطفات، وبالنصال، وينسبون إليها القتل، وتجد ذلك فى كلامهم كثيراً فمنه قول جرير :

أن العيــون التى فى طرفها حور قتلننــا ثم لم يحيـين قتلانــا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقول الآخر :

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـــ ـــل على أننا نذيب الحديـــدا

وقول البحترى :

أين التى كانت لواحظ طرفها يصبو إليها القلب وهى سهام

وقول ابن الرومى :

ليــت شـعـرى أسحر عينيك داء الـ ـقلب أم نار خدك الوهــاج ؟؟
أيهـــا النــــاس ويحكم هل مغيث لشج يستغيث من ظلم شــاج ؟
من مجيرى من أضعف الناس ركنا ولعينيــه سطـوة الحجــاج ؟!!

وبديع قول أبى تمام :

يا جفـونا سواهرا أعدمتها لذة النــوم والرقــاد جفـــون
بلى الحسم لكن الشوق حى ليس يبلى وليس تبلى الشجون
إن لله فى العبــاد منايــا سلطتهــا على القلـوب العيون

وللتهامى :

فتوق أعين عامر وسيوفها كل وجدك صارم بتا

وما ابدع قول أبى نواس :

لو نظرت عيناه إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

ومعنى ما فى المقامة أن لهذه الفتاة عيونا قاتلات وجفونا ساحرات ولكنها تقتل بعيونها ثم تحيى موتاها بعذوبة الفاظها ومثل هذا تقريبا قول ابن الرومى :

حور سحـــرن وما نفثن برقية فبلغن مالا يبلـغ النفـاث
لحظاتهن اذا رنون إلى الفتى بلوى ولكن ريقهـن غياث
ما فى الحبائــل كيدهن رثاثة لكن حبال وصالهن رثاث

وأسرعتْ تقبلُ رؤسنا . وأيدينا[1]. وأسرعَ منْ معها من العلوج :
إلى حطِّ الرحالِ والسروجِ[2] . وسألناها عن خمرها فقالت :

خمـرُ كـريقـي فـي العـنُو ... بـةَ واللـذاذةِ والحـلاوهْ[3]
تـذرُ الحـليـم ومـا عليـه ... لحلمـهِ أدنـى طـلاوهْ[4]

---

(١) تلقينا : مقابلتنا ولقيانا ، والمعنى أنها لقيتنا لقاء حسنا ، ورفعت منزلتنا ، وزادت في احترامنا .

(٢) العلوج : جمع علج وهو الرجل الضخم من كفار العجم أو هو كافر من غير العرب مطلقا ، والرحال : جمع رحل وهو ما يستصحبه الرجل من الأثاث أو هو رحل البعير ولكنه بعيد هنا والسروج معروفة والمعنى أن من كان مع هذه الفتاة من الرجال حين رأى حفاوتها بنا تبادر إلى انزال ما على ركائبنا من المتاع اجلالا لنا وحفاوة بنا .

(٣) أى أن هذه الخمر التى عندى تشبه ريقى - والريق ماء الفم - من وجوه ثلاثة الاول عنوبتها والثانى لذة ما تجدون من تنوقها والثالث حلاوة مذاقها.

(٤) تنر : تدع وتترك ، والطلاوة - بتثليث الطاء - : البهجة ، والحسن والرواء ، والمنظر ، والمعنى : أن هذه الخمر من شربها الحليم تجعله يترك حلمه وينسى سكونه ، ويفارق وقاره ، فيصبح ولا بهجة للحلم عنده ، ولا رواء له لديه ، وقريب من هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

وبنـت مجـوسى أبوهـا حليلها ... اذا نسبت لم تعد نسبتها النهرا
قلـوب النـدامى فى يدهـا رهينة ... يصيدونهـا قهرا وتقتلهم قسرا
اذا ما تحساها الحليم أخو النهى ... أسـر بها كبرا وأبدى بها كبرا

كأنما اعتصرها من خدِّى [1] أجدادُ جدّى [2]وسربلوها من القار. بمثلِ هجرى وصدى[3]. وديعةُ الدهُور[4]. وخبيئةُ

---

(١) اعتصرها من جدى : كناية عن كونها حمراء اللون أو صفراء والصفرة من ألوان النساء المستحسنة أيضًا ، وفى كلامهم : وصفراء العشية - وهذا التشبيه نفسه أخذه الشاعر العصرى حافظ ابراهيم بك وزاد عليه فقال :

اسقنا يا غلام حتى ترانا ... لا نطيق الكلام إلا بهمس

خمرة قيل أنهم عصروها ... من خدود الملاح فى يوم عرس

(٢) أجداد جدى : كناية عن قدم العهد وطول احتباسها فى الدن وهم يمتدحون من الخمر ما كان كذلك : قال أبو نواس :

عتقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم

لاحتبت فى القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الامم

وقال :

ألا خذها كمصباح الظلام ... سليلة أسود جعد سخام

معتقة كما أوفى لنوح ... سوى خمسين عاما ألف عام

أقامت فى الدنان فلم يضرها ... ولكن زانها طول المقام

(٣) سربلوها : كسوها ، والقار ومثله القير ، شىء أبيض يطلى به السفن والابل وقيل هما الزفت ، والمراد أن لونها يضرب إلى السواد ، وهو لون محمود فى الخمر عندهم قال شيخ السكارى ومقدم حلبتهم أبو نواس :

اذا امتنحت ألوانها مال صغوها ... إلى الحو ألا أن أوبارها خضر

(٤) وديعة الدهر : أى أنها لم تزل من القرون الماضية كلما مضى قرن استودعها الذى يليه حتى وصلت إلينا فهذا زيادة فى تأكيد تعتيقها .

جـيـبِ السـرور[1] . ومـازالتْ تـتـوارثُـهـا الأخـيـارُ
ويـأخـذ منهـا الليـلُ والنهـارُ. حـتَّـى لـم يـبْـقَ
إلا أرَجٌ وشـعـاعٌ[2] ووهـجٌ لـذَّاعٌ[3]. ريحـانـةٌ.

---

(١) المعنى : أن السرور أخفاها لديه وأبى أن يطلع عليها سوى من هو لها أهل

والخمر قد يشربها معشر ليسوا اذا عدوا باكفائها

(٢) المعنى : أن الزمان قد لطفها وصفاها وبالغ فى ذلك، حتى لم يبق منها سوى أرجها (وهو الرائحة) والشعاع ، وقريب من هذا قوله :

فلم تـزل تأكـل الليـالى جثمانها ما بها انتصار
حتـى إذا جرمها تلاشى وخلص السـر والنجار
آلـت إلى جوهـر لطيف عيان موجـودة ضمار
لا ينزل الدهر حيث حلت فدهر شرابهـا نهـار

وقوله :

فجوزها عنى سلافا ترى لها إلى الافق الاعلى شعاعا مطنبا

وقول ابن الزيات :

وصهبـاء كرخيـة عتقت فطالت بها فى الدنان الطيل
فلم يبق منها سوى لونها ونكهـة ريـح لهـا لم تزل

(٣) الوهج : الحرارة ، واللذاع : المحرق ، وأراد أن هذه الجمرة حارة ولكن لا تظهر حرارتها فى اللسان – كما هو مدلول اللذاع – بل فى تنبيه الدم وتحريكه وفى هياج الروح وإثارتها وقريب من مثل هذا المعنى يقول الغزى .

وبدر قبـاء زار والفجـر غيـرة يرينا قميـص الليل وهو قبـاء
أبى يشتكـى هـز الشمال وأزها وما عندنا غير الشمول صـلاء
فقلنا أدرها فهى فى الكأس جمرة تلظـى ومن فـرط اللطافة ماء =

النفسِ[١]. وضرةُ الشمْسِ[٢]. فتاة البرقِ[٣]. عجوزُ الملق[٤] .

= وما أبدع قول ابن الرومي في نفس المعنى الذي ذكره البديع

وشمول أرقها الدهر حتى ... ما توارى فذاتها بلبوس

وردة اللون في خدود الندامى ... وهي صفراء في خدود الكؤوس

سهلة في الحلوق لا غول فيها ... وهي خشناء صعبة في الرءوس

وكأن الشعاع منها على الكـ ... ـف جساد على مداك عروس

تتلقى بالعيس وهي تحيي ... بنسيم فيه حياة النفوس

(١) الريحان : معروف ، والمعنى أن هذه الخمر للنفس كالريحان تنعشها وتظهر عليها المسرة ، ولابي نواس :

أعطتك ريحانها العقار ... وحان من ليلك انسفار

(٢) الضرة : الزوجة على زوجة أخرى ويكون بينهما الشقاق دائما والنزاع الذي لا يتناهى والحسد الباقي، وإنما ينشأ ذلك عن مزيد تفضيل بين واحدة، منهما والاخرى، والمعنى أن هذه الخمر تحسدها الشمس لأفضليتها عليها وتفوقها عنها . (٣) يقال برقت الفتاة برقًا : تزينت وتحسنت وظهرت على أتم ما يكون من البهجة والجمال، والمعنى : أن هذه الخمر تأخذ بألباب شاربيها، وعقولهم مثل ما تأخذ الفتاة اذا ظهرت في زينتها وتبرجت أمام عاشقيها .

(٤) دواعي الميل إلى العجوز غير موجودة ، وانصراف النفوس عنها إلى الخراد الناعسات اللدان ، وكل هذا يضطرها إلى التملق إلى الرجال واستعمال الحيلة لتسحرهم وتستميلهم نحوها فهو يقول أن هذه الخمر تستميل بالدهاء والخديعة والملق كما تستميل العجوز أفئدة الناس إليها .

كاللهب فى العــروق[1]. وكبردِ النســـيم فى الحلوقِ[2] مصباحُ الفكـــرِ[3]. وترياقُ ســمِّ الــدهـــرِ[4] بمثلهـا عـــزرَ المـــيتُ فـانتشـــرَ[5] . وداوى الأكمهُ فـأبصـرَ[6] . قلنا هذه الضـالةُ

---

(١) المعنى : أنها تعمل فى العروق عمل اللهب فتذكيها وتثير الدم غاليا ومثل هذا قول ابى نواس :

تلتهب الكف من تلهبها وتحسر العين ان تقصاها

كأن نارا بها محرشة نهابها تارة ونغشاها

(٢) المعنى : أنها لم تكن على حرارتها وتلهبها مما يلدغ فى الفم أو يشتد فعلها بل أنها تشبه النسيم بردا فى الحلق فهى سائغة منعشة .

(٣) أى أن شاربها يجد فى فكره نور ليستضىء به فى حل المشاكل ويترسمه كلما غمضت عليه المسائل .

(٤) الترياق : دواء السموم الذى يشفى منها ، وأراد منه الدواء مجردا بدليل إضافته إلى السم ، وسم الدهر نوازله وكروبه ، وأحزانه ، وشدائده، ومن عادة الخمر أنها تنسيك ما تكون فيه من هموم وأرزاء وتشغلك عما يحيط بك من ويل وعناء فهى بهذا ترياق لسموم الدهر.

(٥) عزر – بالبناء للمجهول – : أعين وأمد وانتشر : بعث بعد موته والمعنى : أن مثل تلك الخمر لو يمد به الميت لبعث من موته وعاد حيا .

ويقول ابن الفارض فى هذا المعنى :

ولو وضعوا فى فىء حائط كرمها عليلا – وقد أشفى – لفارقه السقم

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعـادت إليه الروح وانتعش الجسم

(٦) الاكمه : الذى ولد أعمى ، والمعنى أن الخمر التى عندى لو يداوى بها من =

وأبيك[١] فمـن المطربُ فى ناديكَ [٢] . ولعلها تشعشُ للشرب[٣].

= ولد أعمى ليعودن اليه البصر وهذا المعنى فى قول ابن الفارض :

ولو جليت سرا على أكمه غدا   بصيرا ومن راووقها تسمع الصم

ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها   وفى الركب ملسوع لماضره السم

ولو خضبت من كأسها كف لامس   لما ضل فى ليل وفى يده النجم

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى   وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو رسم الراقى حروف اسمها على   جبين مصاب جن أبرأه الرسم

(١) الضالة : الامر الذى فقدته وأنت تبحث عنه ، والمعنى : أن الخمر بهذه الأوصاف التى ذكرت هى بغيتنا وضالتنا التى ننشدها .

(٢) المطرب : المغنى ، وجماعة الشاربين لا يرون أن يشربوا على غير غناء .

قال أبو نواس :

قد أسحب الزق يأباني وأكرهه   حتى له فى أديم الارض أخدود

لا أرحل الراح الا أن يكون لها   حاد بمنتخل الاشعار غريد

فاستنطق العود قد طال السكوت به   لن ينطلق اللهو حتى ينطق العود

وقال من قطعة فى وصف مجلس من مجالس لهوه :

وأقبل محسود الجمال مقرطق   إلى كأسها لا عيب فيه أريب

يشم الندامى الورد من وجناته   وليس به غير الملاحة طيب

فمازال يسقينا بكأس مجدة   تولى وأخرى بعد ذاك تؤدب

وغنى لنا صوتا بحسن ترجع   "سرى البرق غريبا فحن غريب"

(٣) تشعشع : تخلط بالماء ، والشرب : جمع شارب كصحب وصاحب ، ومن عاداتهم أن يخلطوها بالماء وتسمى مشعشعة قال :

مشعشعة كأن الحص فيها   إذا ما الماء خالطها سخينا =

بريقك العذْب . قالتْ : إنَّ لى شيخًا ظريفَ الطبْع [١]. طريفَ المجونِ [٢] . مر بى يوم الاحد فى دير المربد[٣] فسارَّنى حتَّى سرَّنى [٤] . فوقعتِ الخلطةُ وتكررت الغبطةُ [٥]. وذكرَ لِى من وفور عرضهِ [٦] وشرف قوْمه فى أرضهِ . ما عطفَ به ودَّى [٧] .

= وقال ابن الوليد صريع الغوانى :

ولرب صاحب لذة نادمته	فى روضه أنف كريم المعطس
صفراء من حلب الكروم كسوتها	بيضاء من ثوب الغيوم البجس
مزجت ولا وذها الحباب فحاكها	فكأن حليتها جنى النرجس
وكأنها - والماء يطلب حلمها -	لهب تلاطمه الصبا فى مقبس
جهلت فدارى جهلها فتبسمت	عن مشرب لون الشهولة أعبس

وبعضهم يشربها خالصة غير مخلوطة ويسمونها صرفا قال سبط بن التعاويذى:

فاستجلها كرخية	بنت الشماس والاساقف
حمراء صرفا لا يطو	ف برحلها اللهم طائف
كدم الغزال اذا بكا	راووقها خلناه راعف

(١) ظريف الطبع : دمث الخلق ، طيب الافعال ، كريم الخصال ، مألوف الطباع، كيس السجايا .

(٢) ظريف المجون : المجون المزاح والهزل ، وطريفه : أى غريبه ملاحة ولطفا .

(٣) المربد : متنزه بالبصرة .

(٤) سارنى : ألقى إلى بسره وسرنى : شرح قلبى ، وأثلج صدرى ، ووقعت الخلطة : أى أنه أفضى إلى بما فى نفسه وأفضيت له بما عندى فراق فى نظرى وأعجب بى فتآلفنا وامتزج فؤادى بفؤاده .

(٥) وتكررت الغبطة : أى المسرة بتكرار اجتماعنا وكثرة تلاقينا فى عفة ونزاهة

(٦) وفور عرضه : احتماؤه من كل ما ينقصه أو يشينه

(٧) عطف ودى : حببنى فيه واستمالنى اليه : أنه أخبرنى بما له ولقومه من المنزلة السامية فى قلوب جيرانهم ومواطنيهم حتى ملت إليه وأحببته وأرادت أنه لم يعطفها عليه ولم يجذبها نحوه سوى ما ذكره لها من ذلك الشرف الرفيع والاخلاق الكريمة والسجايا الحميدة .

وحظىَ بهِ عندِى وسيكونُ لكمْ به أنْسُ وعليه حرصٌ[1] . (قال) ودعتْ بشيخها فإذا هو إسكندريُّنا أبو الفتْح . فقلتُ : يا أبا الفتحِ والله كأنما نظرَ إليكَ، ونطقَ عن لسانك الذى يقولُ :

كان لى فيما مضَى عَقْـلُ ودينٌ واستقامهْ[2]
ثُمَّ قدْ بعنا بحمدِ اللهِ فقهًا بحجامهْ[3]
ولئن عشنا قليلا نسأل الله السلامهْ[4]

(قال) : فنخرَ نخرةَ المعجبِ[5] . وصاحَ وزمهرَ [6]، وضحكَ

---

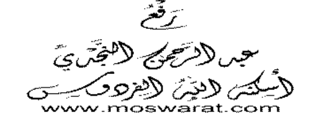
(١) المعنى : انكم ستطربون بالجلوس معه وتأنسون بمجلسه وتودون ألا يفاركم وأن يبقى معكم دائما لما اشتمل عليه من الوداعة والظرف وطيب الافعال .

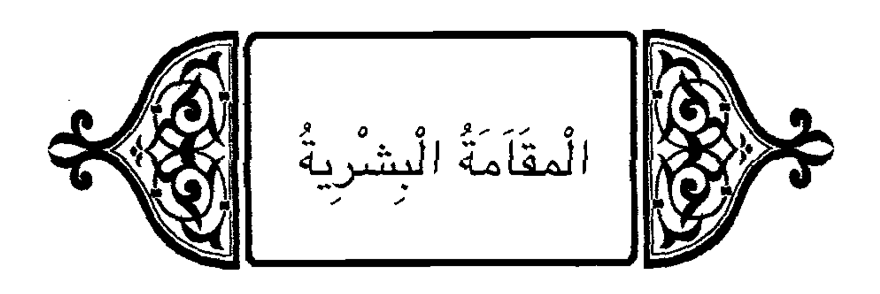
(٢) المعنى : أننى كنت فيما عبر الازمان ذا عقل راجح يميز بين طيب الافعال ورديئها وغث الطباع وسمينها ورفيع الاخلاق وسافلها ، ودين يردعنى عن ارتكاب المقابح واتيان المخازى وفعل المنكرات والاشتمال على السفاسف ، واستقامة تكفل لى الفوز من عقاب الله والنجاة من حسابه وتضمن لى المنزلة الرفيعة والمكانة السامية عند الناس . (٣) الفقه : معرفة الاحكام الشرعية ، والحجامة : المراد منها الحلاقة أو كل حرفة دنيئة خبيثة، والمعنى أننى تركت ما كنت عليه من الصفات الفاضلة واشتغلت بالمفاسد والشرور والآثام . (٤) نسأل الله السلامة : نتوب، ونضرع إلى الله تعالى أن يخلصنا مما نحن فيه، والمعنى: لئن طال بنا الزمن وامتد الأجل لنطلبن من الله تعالى الخلاص من ربقة المعصية وذل الفجور يريد أنه سيظل على هذا شطراً من العمر، وربما صح أن يقال : نسأل الله السلامة : أى سنزداد مما نحن فيه ونفترق أكثر مما ترانا عليه ونرتكب فوق هذا الذى تشاهده حتى أن حالنا ستكون مما يضرع إلى الله فيه وتسأل منه السلامة. (٥) يقال : نخر الرجل والفرس جميعا ، ينخر نخرا ونخيرا اذا مد صوته فى خياشيمه . (٦) صاح : رفع صوته عاليًا ، وزمهر : شدد النظر بعينه وحملق كثيراً حتى لكأنه يود أن يخرجها .

حـتَّى قـهـقـهَ [1] . ثمَّ قـالَ : ألمثلي يقـالُ . أوْ بمثلـي تضـرب الأمثالُ[2]؟؟

دعْ من اللوم ولكنْ أىّ دكـاكٍ تـرانـى[3]
أنا منْ يعرفهُ كـلٌّ تهـامٍ ويـمـانَـى[4]
أنا مـنْ كـلِّ غبـارٍ أنـا مـنْ كـلِّ مكـانِ[5]
سـاعةً ألـزمُ محْـراً با وَأُخرى بيتَ حانِ[6]

(١) ضحك حتى قهقه : أى استغرق فى الضحك والإعجاب جدا .
(٢) المعنى : هل ترانى من الذين تقال لهم النصائح والتعاريض ، وهل أنا ممن تضرب لهم الامثال فتقول أن مثلى مثل ذلك الذى أنشد هذا الشعر وكأنه يرى نفسه فوق ذلك كله . (٣) دع : اترك ، والدكاك أصله الهدام وأراد منه هنا المحتال لانه بحيلته يهدم كل بناء ترفع الامانة صرحه وتعلى الثقة ذراه ، والمعني: خلني من لومك واتركني من عتبك ولا تذكر لي تقريعك وتأنيبك وانظر لى فإني محتال أى محتال. (٤) التهامي: المنسوب الى تهامة، وهى عبارة عما امتد الى البحر من سفح جبال الحجاز، ويمان : منسوب إلى اليمن، والمعنى أننى لا أخفى على أحد ولا ينكرنى انسان فأنا مشهور وذائع الصيت مرفوع الذكر قد عرفنى الناس جميعا. (٥) الغبار : أصله التراب وأراد منه البقعة من الارض ، والمعنى أننى أنزل بكل أرض وأحط رحلي بكل مكان فلا أجد فى نفسى نفورا عنها ولا تأنيبا منها بل بالعكس توافقنى وتلائم مزاجى كأنما قد خلقت منها فتسهل على المعيشة في كل أرض وانقاذ حيلتى بأى مكان مهما اختلفت طبائع الناس وتباينت أحوالهم . (٦) المحراب : مكان الإمام من المسجد ، وبيت الحان : الخمارة ومكان معاقرة القهوة والمعنى أننى لا ألتزم حالة واحدة من النسك والعبادة أو المعافرة والمعصية .





الْمقَامَةُ الْبِشْرِيةُ

حَدَّثَنَا عيِسَى بْنْ هِشَامٍ قَالَ : كَانَ بشرُ بنُ عوانةَ البدىُّ صعلوكًا[1] .

---

(١) صعلوكا : أى لصا فاتكا وأصل الصعلوك : الفقير المعدم والذى تأباه النفس وتمجه ، ثم سموا ذؤبان العرب ولصوصها صعالكة " وصعاليك " لأن الفقر كثيرا ما يحمل على السرقة اذ هو الذى يدعو إليها ويكون سببا فيها غالبا وفى كلامهم (الخلة تدعو إلى السلة) .

وصعالكه العرب وفتاكها ونؤبانها كثير منهم المنتشر بن وهب الباهلى وأوفى بن المطر المزرنى . ومنهم الشنفرى ، وتأبط شرا ، وعمرو بن براق ، وكان من حديث هؤلاء الثلاثة فيما ذكر أبو عمر الشيبانى أنهم خرجوا فأغاروا على بجيله، فوجدوا لهم رصداً على الماء ، فلما مالوا له فى جوف الليل قال لهما تأبط شرا: أن بالماء رصدا ، وأنى لأسمع وجيب قلوب القوم ، فقالا ما تسمع شيئا وما هو إلا قلبك يجب ! فوضع ايديهما على قلبه وقال : والله ما يجب وما كان وجابا . قالوا : فلابدلنا من ورود الماء فخرج الشنفرى فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه حتى شرب من الماء ورجع إلى أصحابه فقال والله ما =

= بالماء أحد ولقد شربت من الحوض ، فقال تأبط شرا للشنفرى : بلى ولكن القوم لايريدونك وإنما يريدونني ، ثم ذهب ابن براق فشرب ورجع ولم يفرضوا له : فقال تأبط شرا للشنفرى : إذا أنا كرعت في الحوض فإن القوم سيشدون على فيأسرونني فاذهب كأنك تهرب ثم كن في أصل ذلك القرن فاذا سمعتني أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقني وقال لابن البراق : إني سآمرك أن تستأسر للقوم فلا تنأ عنهم ولا تمكنهم من نفسك ثم مر تأبط شرا حتى ورد الماء فحين كرع في الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتد وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانحاز ابن براق يرونه فقال تأبط شرا يا معشر بجيلة هل لكم في خير أن تياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا نعم فقال : ويلك يا ابن براق أما الشنفرى فقد طار وهو يصطلي نار بني فلان وقد علمت ما بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسرا وياسرنا في الفداء ؟ قال : لا والله حتى أروز نفسي شوطًا أو شوطين، فجعل يستن نحو الجبل ويرجع إذا رأوا أنه قد أعيا طمعوا فيه فاتبعوه، ونادى تأبط شرا : خذوا خذوا ، فخالف الشنفرى إلى تأبط شرا فقطع وثاقه، فلما رآه ابن براق وقد خرج من وثاقه مال إلى ناحيته، فناداهم تأبط شرا :

يا معشر بجيلة أعجبكم عدو ابن براق ؟ أما والله لأعدون لكم عدوا ينسيكم عدوه ، ثم أحضروا ثلاثتهم، فنجوا، وفي ذلك يقول تأبط شرا :

ليلة صاحوا بي وأغروا بي سراعهم ... بالعيبتين لدى معدى بن براق

كأنما حثحثوا بي حصا قوادمه ... أو أم خشف بذي شث وطباق

لا شيء أسرع مني غير ذي عذر ... أو ذي جناح بجنب الريد خفاق

ومنهم السليك بن السلكة التميمي، ومن حديثه فيما زعم أبو عبيدة أنه رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاءوا متجردين على تميم ، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه سحابة نهاره ثم قالا: اذا كان الليل أعيا فسقط فنأخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصده منها قدارتزت في الأرض فقالا: ماله قاتله الله ! ما أشد متنه! =

ركْبٍ فيهمِ امرأةٌ جميلةٌ .

= والله لاتبعناه، وانصرفا ، فتم السليك إلى قومه، فأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية، فقال :

يكذبنى العمــران عمــرو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذب أكـــذب
سعيت - لعمرى - سعى غير معجز ولا نـأنـأ لــو أننـــى لا أكـــذب
ثكلتكمــا أن لــم أكـن قـد رأيتهــا كراديس يهديها إلى الحى موكب
كراديس فيها الحـوفـزان وحولـه فواريس همام متى يـدع يركبـوا

وجاء الجيش فأغاروا ، والسلكة : أمـة ، وكانت سـوداء ، وإليها ينسب وأصل السلكة ولد الجمل .

وكان عروة بن الورد فى قوم إذا أصابتهم سنة شديدة تركوا فى دارهم المريض والكبير والضعيف فكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدة ويحضـر لهم الاسراب ويكنف عليـهم الكنف (وهى الحظائر من الشجر تحظر عليهم كما تخطر على الابل فتقيهم من الريح والبرد) ويكسيهم ، ومن قوى منهم - أما مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثوب إليه قوته - خرج به فأغار وجعل لاصحابه الباقين فى ذلك نصيبا ، حتى اذا خضب الناس ، وألبنوا، وذهبت السنة، ألحق كل إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمه، إن كانوا غنموها، فربما أتى الانسـان منهم أهله وقد استـغنى فلذلك سـمى "عروة الصعاليك "وهو الذى يقول وقد ضاقت حاله وأقصرت يده فى بعض السنين :

لعل ارتيادى فى البلاد وبغيتى وشدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يوماً إلى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخـل

ويقول بعد أن انكشفت غماؤهم ، وزال كربهم بسببه :

ألا أن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وأنـــى لمـدفــوع إلـى ولاؤهــم بماوان إذ نمشـى وأذ نتململ
وأنى وأياهم كذى الام إذ همت له ماء عينها تفـدى وتحمــل
فبـاتـت تحـد المرفقين كليهما توحـوح مما نـالها وتـولـول
تخير من أمـرين ليسـا بغبطـة هو التكل ألا أنها قد تجـمل=

فتزوَّج بها [1] وقالَ : ما رأيتُ كاليومِ [2] . فقالتْ :

أعْجبَ بشرًا حورٌ في عيني   وساعدٌ أبْيضُ كاللجينِ [3]

(١) أغار : سطا ، والاسم : الغارة ، والركب : جماعة الراكبين ، ويقال لاصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها ، والركبان الجماعة منهم ، والركاب الابل التى يسار عليها الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها .

(٢) ويروى : هل رأيت أحسن منك ، والمعنى : أن بشرا ذلك الفتاك قد سطا على جماعة آخذة فى طريقها فانتهب منهم امرأة فأخذها فبنى بها ولما تم له ذلك أخذه العجب من حسنها واستولى عليه جمالها وصباحة وجهها فشكر يومه وحمد ما ناله فيه .

(٣) الحور فى العين : اتساعها مثله فى أعين الظباء ، وقيل : هو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها ، وقيل : الحور أن تسود العين كلها كما فى البقر والظباء ، ولا يكون ذلك فى الناس ولكنه قد يقال للنساء حور العيون على التشبيه لهن بالظباء والمها ، واذا شبهوهن بالمهاة أو الظبية فهم يريدون ذلك ومما ينسب لابن دريد :

يا ظبية أشبه شىء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وقال الشريف الرضى :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله   ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

ومن محاسن العين : الدعج وهو أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة ، والبرج وهو شدة سوادها وشدة بياضها ، والنجل وهو سعتها ، والكحل وهو سواد جفونها من غير كحل ، والوطف وهو طول أشفارها وتمامها ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى أشفاره وطف ، والشهلة وهى حمرة فى سوادها ، وكل ذلك أصله من صفات الظباء والبقر ، يقولونه للنساء على التشبيه ، قال السرى الرفاء :

تصدت لنا والهوى أنة   فصدت وقد غادرته زفيرا

وكانت ظباء ترود اللوى   فأضحت شموسًا ترود الخدورا =

ودونَــهُ مسْــرحَ طــرفِ العــينِ خمصانةٌ ترفلُ فى حجلين[1]
أحسنُ منْ يمشى على رجلينِ[2] لوْ ضــمَّ بشرٌ بيْنها وبيْنــى

= فراق أصاب جوى ساكنا فكان له يوم سلع مثيرا
وساجى الجفون إذا ما سجا أغار المها دعجا أو فتورا
أغرر بالنفس فى حبه وآلف منه غزالا غريرا
وأعتد زورته فى الكرى نوالا لدى وإن كان زورا

وقال الشريف الرضى :

يا وقفة بوراء الليل أعهدها كانت نتيجة صبر عاقر الوطر
والوجد يغصبنى قلبا أضن به والدمع يمنع عينى لذة النظر
وفى الخباء الذى هام الفؤاد به نجلاء من أعين الغزلان والبقر
أبرزتها فتحاصرنا مباعدة عن الخيام نعفى الخطو بالازر
ثم انثنيت ولم أدنس سوى عبق على جنوبى لريا بردها العطر

والحور خيرها وأكثرها جمعا للمحاسن واشتمالا على جميل الصفات والساعد: معروف، واللجين : الفضة، والمعنى: أنه قد راق فى عين بشر ذلك الحور الذى يراه فى عينى وهذا البياض الذى يجده فى ساعدى .

(١) يقال: فلان تحت عينى فلان إذا كان قريبا منه دانيا إليه بحيث يراه وتقع عينه عليه ومنه قيل : القوم منك معان أى بحيث تراهم بعينك، وهذا الكشح، الخفيفة البطن ، وأصله الخمص وهو الجوع لان به يضمر البطن ويخف، يقال: خمص بطنه - بتثليث الميم - خمصا إذا خلا وهو خميص البطن وهى خميصة البطن وهو خمصان وهى خمصانة وهم خماص وهن خمائص .

والحجلان : تثنية حجل وهو الخلخال ، وترفل فيه تمشى متعاجبة به وتختال زهوا وكبرا ، والمعنى : أن بشرا ليس بمصيب فى هيامه وإعجابه فى حين أن خريدة جميلة وكاعبا وقورا وبضة لعوبا بالقرب منه وفى منطلق بصره .

(٢) المعنى : أنها أحسن النساء جميعا بل أحسن الناس كلهم ، فإن من يمشى على رجلين أعم من جميع بنى آدم .

ومما يتمدح فى النساء خمص البطون قال ابن الرومى :

كيف السبيل إلى اقتناص غرائر يدمى بأسهم لحظها القناص =

أدامَ هجرى وأطالَ بيْنى [1] ولوْ يقيسُ زينَها بزيْنة
لأسفرَ الصبحُ لذى عينينِ [2]

= بيض السوالف عذبة أفواهها ريا الروادف والبطون خماص
يجرحننا بنواظر ما أن لنا منهن عند جراحهن قصاص

وقال ابن المعتز :

سقى الله شمسا بالمخرم دارها يهون عليها منى العبث والهجر
جلتها علينا الريح بين كواعب وقد كتمتهن المقانع والازر
فأبدت لنا كشحا هضيما على نقا ورمان صدر ماليانعه هصر

وقال أبو الطيب المتنبى :

عمرك الله هل رأيت بدورا طلعت فى براقع وعقود
راميات باسهم : ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
كل خمصانة أرق من الخمـ ر بقلب أقسى من الجملود
تحمل المسك عن غدائرها الريـ ح وتفتر عن تشتيت برود
جمعت بين جسم أحمد والسقـ م وبين الجفون والتسهيد

وقال ابن نباتة السعدى :

قد غلبت حسنا على عقله جارية تفضح شمسى الضحى
ضعيفة الخصير لو استنشقت باللثم فى أنفاسه ما اشتفى
جملتها تشبه تفصيلها فكل جزء حسنه منتهى
يلومنى العاذل فى حبها لا برح العاذل أو يبتلى

وقال الشريف الراضى :

وظبية من ظباء الأنس عاطلة تستوقف العين بين الخمص والهضم
لو أنها بفناء البيب سانحة لصدتها وابتدعت الصيد فى الحرم

(١) الهجر : الإعراض، والبين : الفراق، والمعنى أنه لو جمع بشر بينى وبينها، ونظر إلى وإليها، وقارن بين محاسنى ومحاسنها، وأراد الموازنة بين ما أعجبه منى وما غفل عنه منها - لهجرنى هجرا طويلا، وفارقنى فراقا دائما . لانه يستقبح منظرى لدى منظرها . ويكره رؤيتى عند رؤيتها، ويمقت بقائى عنده، وإقامتى لديه حين يظهر له عظيم ما بيننا من الفرق .

(٢) الزين : المحاسن ، والمعنى : أنه لو قدر ما بين زينها ومحاسنى من الفرق =

قـالَ بشـرُ ويْحكِ منْ عنيْتِ[1] ؟ فـقـالتْ : بنْتَ عـمكَ فـاطمـةَ .

فقالَ :

أهـــيَ منَ الحـســـنِ بحـــيث وصـفتِ [2] ؟ قـالتْ : وأزيـدُ وأكثرُ [3] ! فأنشأ يقولُ :

ويحكَ يا ذاتَ الثنايا البيضِ ما خلْتنى منكِ بمستعيضِ [4]

= لظهر له كما يظهر الصبح لدى عينين سليمتين فكما لا يرتاب صاحب البصر الصحيح فى ضوء المصباح فكذلك لا يرتاب بشر فى الفرق بينى وبينها وأسفر الصبح لذى عينين : مثل جاءت به فى موضع جواب لو مبالغة فى الدلالة على تحقيقه .

(١) ويح : كلمة رحمة ، وويل : كلمة عذاب ، وقيل هما بمعنى واحد تقول : ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك أن تنصبهما بفعل مضمر تقديره ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك ، وكذا ويحك وويلك ، وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر ، وأما قولهم تعسا له وبعدا له ونحوهما فمنصوب أبدا لأنه لا تصح إضافته بغير لام فيقال تعسه وبعده ، ومن هاهنا افترقا ، وعنيت : قصدت ، والمعنى : أى امرأة تريدين بكلامك هذا

(٢) المعنى : هل تبلغ ابنة عمى فى الحسن تلك الدرجة التى وصفتها فى كلامك ؟

(٣) وأزيد وأكثر : خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهو (أى حسنها) أزيد وأكثر من حسنى ، أو وهى أزيد منى حسنا وأكثر جمالا ، والمعنى : أن حسن ابنة عمك، وجمالها بلغا درجة فوق الدرجة التى سمعتها منى .

(٤) الثنايا من الاسنان : الاربعة فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، وبياضها من متممات الجمال ، ومكملات الحسن ، وما خلتنى ألخ معناه : اننى ما كنت أظن أن أستبدلك أو اتخذ أمرأة عوضا عنك ، أو تميل نفسى إلى أن أخلف بعدك على أخرى لاننى ما كنت أتوهم أن فى النساء من تماثلك حسنا أو تدنو منك رونقا وبهاء فضلا عن أن أظن فيهن أجمل منك وأعتقد ذلك .

فالآن إذْ لوحتِ بالتعريضِ خلوتِ جواً فاصفرى وبيضى[١]
لا ضم جفناى على تغميضِ ما لم أشلْ عرضى من الحضيضِ[٢]

(١) لوحت : عرضت ، وهى قد عرضت بأنه يطلب النساء الاباعد وتتوق نفسه إلى مواصلة الغريبات فى حين أن بنت عمه فى مسرح عينه وقريب منه وهى به أولى وهو بها أحق وأجدر ، وخليق به ألا يترك الأبعدين يتطلبونها فربما تزوج بها ، من هو دونه بأسا وشجاعة وشدة وهذه من أقبح المثالب به وبأمثاله ، فهذا التعريض قد فعل فى نفسه فصمم على ترك هذه التى ظن أنها أجمل النساء وقال لها خلوت جوا أى خلا جوك من القرين وأصله من قول كليب وائل حين رأى قنبرة اتخذت عشا فى حماه - وكان يحمى ما يحل بحماه من طير ونحوه فلا يمكن ليد أن تتطاول لصيده - فدخل فيه يوما فطارت القنبرة بين يديه فقال :

يا لك من قنبرة بمعمر لا ترهبى خوفا ولا تستنكرى
قد ذهب الصياد عنك فابشرى ورفع الفخ فماذا تحذرى
خلالك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ما شئت أن تنقرى
فأنت جارى من صروف الحذر إلى بلوغ يومك المقدر

وخرج يوما الحمى فوجد بيض القنبرة قد وطئتها سراب (ناقة البوس التى مضى ذكرها) فعقرها وقال :

يا طيرة بين نبات أخضر جاءت عليها ناقة بمنكر
أنك فى حمى كليب الازهر حميته من مذحج وحمير
فكيف لا أمنعه من معشرى

(٢) لا ضم جفناى الخ : أى لاذقت النوم ، ولا استقر جنبى ، ولا هدأ مضجعى ولا استراح خاطرى ، والمراد : لأصحون ، ولأسهدن جفنى ، ولألتزمن هذه الحالة حتى يكون ما أردت ، وتقول : شلت بالجرة - بالضم - أشول بها شولا اذا رفعتها ولا تقل شلت بالكسر ، ويقال أيضاً أشلت الجرة فانشالت هى ، وشال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه، ومنه شال عرضه رفعه ، والحضيض : أصله القرار من الارض عند منقطع الجبل وأسفله وفى الحديث ، أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فلم يجد شيئا يضعه عليه فقال : (ضعه =

فقالتْ :

كما خاطبٍ فى أمْرها ألحَا وهْى إليك ابنة عمٍ لحَا[1]

ثمَّ أرْسل إلى عمهِ يخطبُ ابنتهُ . ومنعهُ العمُّ أمنيتهُ [2] . فآلى ألا يُرْعى على أحدٍ منهمْ إنْ لمْ يزوِّجه ابنتهُ [3] . ثمَّ كثرتْ

= بالحضيض فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد) يعنى ضعه بالارض ، والمراد هنا : الضعة والهون والذلة ، والمعنى أننى لا أنام ولا تغمض عينى فلا ينضم لى جفن على جفن حتى اطلب ابنة عمى وأتزوج بها فأدفع عن نفسى ذلك العار الذى لزمنى ، وأنقى هذه الوصمة التى لحقت بى .

(١) المعنى أن كثيرا من الخطاب وعددا وفيرا من الرجال ألحوا فى طلب زواجها ، وألحفوا فى سؤال أبيها أن يعقد لهم عليها ولابد أن يفضى الإلحاح بأحدهم إلى نيل طلبه ، وينتهى سؤال واحد منهم باجابته ، فتفلت من يدك ، وتضيع الفرصة ، وهى فى نسبتها إليك ابنة عم لاحقة النسب بك ، قريبة منك ، ويقال : هو ابن عم لحا إذا كان لاحقًا وأبوه أقرب الناس اتصالا بأبيه .

(٢) الامنية : واحدة الامانى ، يقال فى جمعها أمان وأمانى بالتخفيف والتشديد، وتقول منه : تمنى الشىء ومناه غيره ومنا به تمنية وفى الكتاب : (الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) والمعنى : أن بشرا ترك هذه المرأة وذهب إلى قومه معتزما أن يطلب من عمه ابنته لنفسه فلما وصل أرسل إليه فى ذلك فحرمه منها ولم يجبه إلى رغبته .

(٣) آلى : حلف ، وأقسم ، وتألى ، وائتلى مثله ، ومنه قوله تعالى : (ولا يأتل أولو الفضل منكم) والألية اليمين وجمعها ألايا ، قال الشاعر :
تألى ابن قيس حلفة ليردنى ، وقال المجنون :

على ألية إن كنت أدرى أينقص حب ليلى أم يزيد

ولا يرعى على أحد : معناه لا يبقى عليه بل يقتله حيث يجده ويفتك به أنى لقيه، والمعنى : أنه حلف أن يعمل فيهم سيفه ، ويفتك بهم حتى يردوا عمه عن عزمه ويكلفوه أن يزوج ابنته بشرا .

مضـــراتهُ فيـهم [١] واتصلتَ معـــراتهُ إليـهمْ [٢] فـاجتـمع رجــــالُ الحيِّ إلى عـــمـهِ وقـالوا : كَفَّ عنَّا مـجنونــكَ [٣] .
فقالَ : لا تلبســونى عـاراً [٤] وأمـهلــونى حَتى أهلكهُ ببعض الحيلِ [٥] . فقالوا : أنتَ وذاكَ . ثمَّ قالَ لهُ عمهُ :

إنى آليتُ أنْ لا أزوِّج ابنتى هذه إلا ممنْ يسـوقُ إليـهـا ألفَ

---

(١) يروى قبل هذه الفقرة : ثم دبت الايام ، ودرجت الليالى ، وتصرمت الشهور، وتجرمت السنون وبشر يفتك فى من لقيه منهم وكثرت مضراته فيهم الخ .

(٢) معراته : جمع معرة وهى الاذى والمساءة والشر ، والمعنى : أنه أنفذ إرادته وعمل بوعيده فلم يزل يوقع به الشرور ويأتيهم بالاذى ويرميهم بالمساءة، ويجر عليهم الويل والهوان . (٣) كفه عنا : أى اردعه عن أفعاله ، ويقال : كفه عن الشيء فكف - فهو يتعدى ويلزم - وبابه رد ، والمعنى : زوجه ابنتك واحمنا شره وادفع عنا كيده فقد نالنا منه ما هو خليق من أجله بمصانعته ويروى بدل هذا : أما أن تكفينا أمره وتنيله مراده ، والمعنى : أقتله أو تحيل لذلك فان لم تستطع فزوجه ابنتك ليسكت عنا . (٤) لو أنه رضخ لمشورتهم وأذعن لما رأوه فتكفل لهم بدفع شره لما استطاع إلى ذلك سبيلا لان بشرا أكثر منه جراءة وأشد إقداما وأوفر شجاعة ، ولو أنه زوجه ابنته لكان مقسورا على ذلك مرغما إليه مجبورا فيه ولكان مثل ذلك جديرا بأن يسمى رضى بالضيم وخنوعا إلى الذلة ، وفى كلا الامرين عار شديد ، وهما أمران أحلاهما مر . لهذا طلب منهم المهلة . (٥) امهلونى : اعطونى مهلة ، أمهله أنظره ومهله تمهيلا والاستهمال : الاستنظار ، وتمهل فى أمره : أتأد وتريث ، والمعنى أعطونى وقتًا أتمكن فيه من التؤدة والتروية ، والحيل : جمع واحده حيلة وهى الاسم من الاحتيال الذى هو الخداع والمخاتلة .

ناقةٍ مهراً[1] ولا أرضاها إلا من نُوقِ خزاعةَ[2] وغرضُ العمِّ كان أنْ يسلكُ بشرٌ الطريقَ بينهُ وبين خزاعةَ فيفترسهُ الأسدُ لأن العربَ قد كانت تحامتَ عن ذلك الطريق[3] وكان فيه أسد يسمى داذًا وحيَّة تدعى شجاعًا يقولُ فيهما قائلهم :

افتكُ من داذٍ ومن شجاعِ إنْ يكُ داذٌ سيِّد السباعِ

فإنها سيدة الأفاعى [4]

ثم إن بشـــراً ســلكَ ذلك الطريقَ فما نصفــهُ حتَّى لقى

(١) آليت : حلفت ، وقوله : الا ممن يسوق إليها ألف ناقة : أى لا أزوجها الا الذى يعطينى مهرها ألف ناقة فعبر بسوقها عن اعطائها ، والمهر : هو ما يجب على الرجل أن يدفع لمن يريد التزوج بها وكأنه فى نظير ما تبذل له من نفسها فى خدمته والقيام على بيته . (٢) خزاعة : إحدى قبائل العرب ، والمعنى : أننى جعلت من قسمى تحديد نوع الابل بكونها من النوق التى ترعها خزاعة .

(٣) تحامت العرب عنه : تباعدت عنه فى سيرها إلى أماكن منافعها ، وسلكت غيره ، ونهجت طريقا سواه حذرا من الحية والاسد ، والمعنى : أن الغرض لم يكن حقيقة الذهاب إلى موضع خزاعة وجلب النياق من هناك ولكنه كان يرمى بذلك إلى غرض بعيد ، وحيلة غريبة ، ذلك أن يسلك بشر الطريق إلى مكانها ، ويسير إليها - وليس لها غير مسلك واحد امتنعت العرب كافة عن السير فيه لمكان التهلكة منه - فيهلك دون الوصول إلى غرضه ويموت قبل أن يحصل على مشتهاه فيكفيهم أذاه ويدفع عنهم كيده ويرد شروره . (٤) أفتك : أفعل تفضيل من قولهم فتك فلان بفلان أى بطش به أو انتهز منه فرصة فقتله ، أو أخذه على غفلة فأزهق روحه ، وفى الفتك معنى التمزيق والقطع .

الأســـدَ [١] وقمصَ مـهرهُ [٢] . فنزلَ وعقرهُ [٣] ثم اخترطَ سيفهُ إلى الأسدِ واعترضهُ وقطّهُ[٤] ثمَّ كتب بدم الأسد على قميصهِ إلى ابنة عمه :

أفاطمُ لوْ شهدتِ ببطنِ خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشرًا[٥]

---

(١) نصفه : بلغ نصفه ، والمعنى : أنه يأخذ فى طريقه غير مبال بما علم أنه فيه من الشدائد فلم يكد يبلغ نصفه حتى كان قد جاء إلى مكان الاسد وطلع له الاسد من عرينه . (٢) قمص الفرس وغيره يقمص - من باب نصر وضرب - قمصا وقماصا ككتاب - وقماصا - كركام - : رفع يديه معا وطرحهما معا وعجن برجليه ، ولا يكون ذلك من الفرس المروض الا اذا عرض له ما يفزعه أشد الفزع ، وطرأ عليه ما يخافه أعظم الخوف . (٣) عقره : قطع قوائمه حصدا بالسيف عقابا له على خوره وجزاء لما كان منه من الذعر . (٤) اخترط سيفه إلى الاسد : سله ودلف به إليه ، وقطه : أى قطعه عرضا ويظهر من العبارة أنه لم يسل السيف إلا ليتقدم به إلى الاسد مع أنه لم يعقر المهر إلا به ولكنه أراد أنه بعد أن عقر المهر تقدم إلى الاسد مخترطا سيفه لا أنه جدد الاختراط أو ابتدأه بعد العقر ، وربما أراد من العقر التقييد والحبس وكثيرا ما يطلقونه عليهما لانهما أشبه بحصد القوائم فى أن كلا منهما يمنع من المشى .(٥) الهمزة حرف وضع لنداء القريب : الحاضر معك ، الدانى مكانه منك بحيث يسمعك ، وقد ينادى به البعيد تنزيلا لحضوره فى ذهنك ، وتمكنه من نفسك وعدم غيبته عن فكرك ، واستجماعك لخصائصه وأوصافه ، منزلة قرب المكان ودنو جسمه منك ، والخبت : المطمئن من الارض فيه رمل ، وبطن كل شىء جوفه وربما كان بطن خبت علما لمكان بعينه وليس ذلك موجودا فى أحد كتب المعاجم التى بأيدينا ولا فى كتب البلدان والاماكن ، وأما خبت - بدون بطن - فقد قال فى المشترك : أنه عالم لاربعة مواضع : خبت الجميش وهى صحراء بين مكة والمدينة ، وخبت البزواء لمكان قرب الجحفة بين مكة والمدينة أيضا ، وخبت : قرية من قرى زبيد =

إذًا لرأيتِ ليثًا زارَ ليْثًا   هزْبرًا أغلبًا لاقى هزبرًا(١)

= وهي بلدة باليمن ، وخبت : ماء معروف لكلب ، وهو هنا أحد الاولين ، والهزبر: الاسد .
وقد نسب بعض الرواة هذه الابيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدى - ولعله ارتكن في ذلك إلى أن خبتا احدى قرى زبيد ، وفهم أن نسبة عمرو اليها وهو خطأ فان نسبته إلى جماعة من العرب كان يطلق عليهم : بنو زبيد - كتب بها إلى أخته كبشة وكان له ابنة عم اسمها لميس ، ويقول فيها :

تظن لميس أن الليث مثلى   وأقوى همة وأشد صبرا
لقد خابت ظنون لميس فيه   وأضحى البر خالى منه قفرا

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة :

أكبشة لو شهدت ببطن خبت   وقد لاقى الهزبر آخاك عمرا

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان فوقع بينهما الاشتباه وخلطت إحداهما بالاخرى وقد حصل توارد الخاطر بين الشاعرين فى بعض الابيات فقط ، والمعنى : أنه لو تيسر لك أن تشهدى مصارعتى الاسد ، وتهيأ لعينك أن ترى ابن عمك وقد حمل عليه حملته الشعواء لوجدت مشهدا عظيما ونظرت إلى حادث خطير .

(١) الليث الاسد ومثله الهزبر، وللاسد فوق الثلاثمائة اسم أصل معظمها صفات منها : البيهس، والبهنس، والعربض ، والمزمل ، والشيظم ، والنجيد ، والبسور، والحيدر ، والحيدرة ، والمصحر، والغضنفر ، والمهتصر ، والجهم ، والغضوب والاغلب، والقرضاب، والقرشب ، ومن كناه : ابو العباس ، وأبو ضيغم وأبو الأبطال والمبالغة هنا فى تلقيب نفسه بالليث وليست، فى تلقيب الهزبر بالليث كما ظنه بعض من لا يعرف خواص الاساليب فظن أن الهزبر فى البيت حيوان غير الاسد واستدل بهذين البيتين توهما منه أن البيت الثانى يشبه الهزبر بالليث كما يشبه بشرا به وهزبرا فى الأصل وصف لا اسم وهو الغليظ الضخم والشديد الصلب ، والاغلب : من ألقاب الاسد ذكره وصفا كانه قال من =

تبهْنسَ إذ تقاعسَ عنهُ مهْرى   محاذرة فقلتُ : عقرتَ مهراً[1]

= شأنه أن يغلب أقرانه ، أو هو باق على اسميته وذكر للبدل أو للبيان ، ولاقى هزبرا : تابع للصفات المتقدمة ، وكلها صفات لليث الثاني فالليث الأول بشر زار الليث الذى اسمه داذ وداذ هزبر أغلب لاقى هزبرا مثله ، فالهزبر الاخير هو بشر أيضًا ويروى بدل زار : أم ليثا أى قصده وتوجه إليه ، ويروى : رام ليثا أيضًا أى طلبه ، والمعنى : أنك حين تقدر لك مشاهدة ذلك المنظر العجيب ستنظرين إلى ليثين قد أقبل كل منهما على الآخر وتوجه إليه يطلبه ويريد منازلته، وستشاهدين أسدين عظيمين متكافئين شجاعة وإقداما متماثلين جراءة وشدة قد زأر كل واحدة منهما ليخيف قريعه وينزل الرعب فى جوف صاحبه وقد يمم كلاهما الآخر وأراد به السوء ورغب فى إهلاكه ، وليس أعجب منظراً من هذا ولا أغرب منه بحيث يروقك منظره وتعجبك مشاهدته ، ولو فى البيت الاول للتمنى وكأنه كان يرجو لها أن تراه افتخارا بشهامته وتمدحا بقوته وإقدامه .

(١) تبهنس : تبختر ، واختال فى مشيته – صفة للاسد الذى لاقاه – وتقاعس : أحجم وتأخر ، ويروى : ثم أحجم عنه مهرى ، وإحجام المهر تقاعده عن لقائه حذرا منه وخوفا ولهذا قال : محاذرة أى من أجل الحذر ، وعقرت مهرا : أى قطعت قوائمك التى أخرتك وأخرتنى عن ملاقاة الاسد ، وكان قوله هذا مقرونا بالفعل فإنه عقره كما تقدم ، وقال ابن الرومى فى وصف الاسد :

ليأمن سقاطى فى الخطوب ونبوتى	جنان الذى يخشى على ويحذر
فما أسدجهم المحيا ، شتيمه	خبعثنه ورد السبال ، غضنفر
مسمى باسماء فمنهن ضيغم	ومنهن ضرغام ، ومنهن قسور
له جنة لا تستعار وشكة	هو الدهر فى هذا وهذا مكفر
أهاب كنجفاف الكمى حصانة	وعوج كأطراف الشباحين يفغر
وحجن كأنصاف الأهلة لاينى	بهن خضاب من دم الجوف أحمر
تظل له غلب الاسود خواضعا	ضوارب بالاذقان حين يزمجر
له ذمرات حين يوعد قرنه	تكاد له صم السلام تفطر =

أنلْ قدمَّى ظهرَ الأرض إنَّى رأيتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرًا[١]

وقلتُ لهُ وقدْ أبدى نصالاً محددةً ووجهًا مكفهرًّا[٢]

= يراه سراة الليل – والدر دونه – قريبا بأدنى مسمع حين يزأر

يدير إذا جن الظلام حجاجه شهاب لظى يعشى له المتنور

خبعثنة جأب البضيع كأنه مكسر أجواز العظام مجبر

له كلكل رحب اللبان وكاهل مظاهر ألباد الرحالة أوبر

شديد القوى ، عبل الشوى ، مؤجد القرا ملاحق أطباق الفقار ، مضبر

إذا ما علا متن الطريق ببركه حمى ظهره الركبان فالسفر أزور

أخو وحدة تغنيه عن كل منجد له نجدة منها ونصر مؤزر

مخوف الشذا يمشى الضراء لصيده ويبرز للقرن المناوى فيصحر

بأربى على الاقران منى صولة وقد أنذر التجريب من كان ينذر

(١) بعد أن قال لمهره : عقرت مهرا قال له اسكن حتى أنزل عنك فتصل قدماى إلى ظهر الارض فأترجل فإنى رأيت الارض أصلب ظهرا وأثبت منك وأنال قدمه ظهر الارض مكنها منه وأوصله إليها، وليس بخاف أن الشطر الثانى من البيت حقيقة بينة . (٢) أبدى : أظهر ، وأبان ، والنصال : جمع نصل وهو حديدة السيف ، والسهم، والرمح ، والسكين ، وأراد بها هنا أنياب الأسد ومخالبه على التشبيه وأبداؤها منه تكشيره عنها ، والوجه المكفهر : القليل اللحم ، الغليظ الجلدة ، العابس ، الكثير التقطيب من الغضب ، ومقول القول سيأتى بعد أبيات ولابن المعتز يصف أسدا :

وما ليث غاب يهزم الجيش خوفه بمشية وثاب على النهى والزجر

يجر إلى أشباله كل ليلة عقيرة وحش أو قتيلا من السفر

إذا ما رأوه طار جمعهم معا كما طير النفخ التراب عن الجمر

جرىء ، أبى يحسب الالف واحدا بعيد إذا ما كر يوما من الفر

يزعزع أحشاء البلاد زئيره ويذهل أبطال الرجال من الذعر =

يُكفكفُ غيلةً إحدى يديهِ ويبسطُ للوثوبِ على أخرى [1]

= إذا ضم قرنا بين كفيه خلته يعانى عروسا فى غلائلها الحمر
فحرم أرض الحائرين وماءها فهيهات من يعدو عليها ومن يسرى
بأجرأ منه حد بأس وعزمة إذا ما نزا قلب الجبان إلى النحر

(١) يكفكف : هو فى الاصل بمعنى يمنع ويكف ، لكنه هنا بمعنى يقبض ، وغيلة: أما بمعنى خدعة أو بمعنى اغتيالا فإن كان الاول فقد أراد أن الاسد قد استعظم شأنه وقوى عنده أمره واستفحل خطره فهو لا يجسر أن ينازله مجاهرة ولا يقوى على مصارعته ظاهراً لهذا فإنه يقبض إحدى يديه ليغره ويخدعه بايهامه انه لا يريد الوثوب عليه ثم يبسط يده الاخرى للانقضاض عليه ، وعلى الثانى يصف هيأة الاسد فى توثبه للقتال واستعداده للمنازلة وتأهبه للافتراس بأنه يقبض إحدى يديه ويبسط الأخرى شأن كل مواثب من الحيوان ، وقال أبو الطيب المتنبى يصف أسدا قتله بدر بن عمار :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا ورد الفرات رثيره التيلا
متخضب بدم الفوارس رابس فى غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه إلا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
فى وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ البرى مترفقا من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته إلي يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمى جواده مشكولا
ألقى فريسته وبربر دونها وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان فى أقدامه وتخالفا فى بذلك المأكولا
مازال يجمع نفسه فى زوره حتى حسبت العرض منه الطولا =

يــدلُّ بمخــلبٍ وبحــدِّ نــابٍ وباللحظاتِ تحسبهنَّ جمْرًا[١]
وفي يمْناي ماضي الحدّ أبقىَ بمضربِهِ قراعُ المـوتِ أثرا[٢]

= ويدق بالصدر الحجار كأنــه يبغى إلى ما فى الحضيض سبيلا
فكأنه غرتــه عين فــادنــى لا يبصــر الخطـب الجليـل جليـلا
ســبق التقاعكه بوثبه هــاجم لــو لــم تصــادمـه لجـازك ميــلا
قبضــت منيته يديــه وعنقـه فـكـأنمــا صــادفـــته مغلـــولا

(١) يدل : يتيـه ، ويظهـر تكبـره ، والمعنى : يريد أن يظهـر لنفسـه من القـوة، والبطش ، وشـدة الجراءة مـا تتضـاءل أمـامـه قوتـى ، ويتلاشـى عـزمـى ، وتفـتر همتى فأضعف عن ملاقاته وانهزم أمام صولته ، ويجترىء بكل ذلك على ، وما منشأ هذا سوى الادلال بمخلبه والاعجاب بحد نابه والصلف بعينيه التى تتوقد كأنها تلظى الجمر وتلتهب كأنما هى قطع النيران ، وللشريف الرضى فى وصف الاسد :

نهيتك عن شــعب عســير ولوجــه بذى الرمث قد أعيا على الناس صله
وبيت كالصب الارى لا تستطيعه صــــدور الطــوال الزاعبيــات نحلـه
فلا تقربن الغاب يحميــــه ليثــه ودع جـانبا وعـرا علــى مــن يحلـه
كان على الاطواد من جزع بيشة رصــيد طــريق ضــل من يســتدله
تلفع فى ثنــيى عــباء مشــبرق أصـــابيــغ ألـــوان الـدمــاء تبلــه
قضاقضــة ما بــات الا علــى دم تمضمــض منه عرســه ثم شـــبله
أخو قنص كفـاه : كفـــة صيــده إذا جاع يوما والـذراعــان حــبلـــه
يشقق على حب القلوب بمخصف أزل كما جـلى عـــن الرمـح نصــله
قليـــل ادخــار الـزاد يعلــم أنـــه متى ما يعايـن مطعما فـــهو أكلـــه

(٢) بعد أن بين آلة الاسد التى يتيه بها عليه ويظهر كبره له من أجلها أراد أن يبين آلة نفسه وهى السيف فوصفه بأنه ماضى الحد وأنه قد تعود الضرب وألف النزال وعرك المقارعة وراض نفسه على الكسر والحطم كما يظهر من الندوب = = والثلوم التى أبقاها فيه نزال الابطال وتركها به قراع الفوارس فى الحروب ،

والاثر – بالضم – : أثر الجرح بعد البرء استعاره هنا لما بقى فى السيف من الندوب وما تخلف فيه من الفلول استعارة رفيعة ، ومثل هذا المعنى فى قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ويروى بدل أبقى " أبغى ، وأنفى " وكلتا الروايتين لا معنى لها ولا يستقيم مغزاها ، والصواب هو ما ذكرنا ، ومما قيل فى وصف السيف قول البحترى :

ماض وإن لم تمضه يد فارس ... بطل، ومصقول وإن لم يصقل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة ... من حده ، والدرع ليس بمعقل
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضى ... لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متألق يفرى بأول ضربة ... ما أدركت ولو أنها فى يذبل
واذا أصاب فكل شىء مقتل ... واذا أصيب فماله من مقتل
وكأنما سود النمال وحمرها ... دبت بأيد فى قراه وأرجل
وكأن شاهره اذا استعصى به ... فى الروع يعصى بالسماك الاعزل
حملت حمائله القديمة بقلة ... من عهد عاد غضة لم تذبل

ولابن الرومى :

خير ما استعصمت به الكف عضب ... ذكر حده أنيث المهز
ما تأملته بعينيك إلا ... أرعدت صفحتاه من غير هز
مثله أفرغ الشجاع إلى الدر ... ع فعالى به على كل بز
ما يبالى أصممت شفرتاه ... فى محز أو جازتا عن محز

وله أيضا :

حسام لا يليق عليه جفن ... سريع فى ضريبته ذريع
ترى وقعاته أبدا خطايا ... إلى أن يسبطر له صريع
ويرعد متنه من غير هز ... كريعان السراب زهاه ريع
يقول القائلون إذا رأوه ... لأمرما : تغوليت الدروع!

وانظر إلى قول ابن المعتز :

ولى صارم فيه المنايا كوامن ... فما ينتضى إلا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه ... بقية غيم رق دون سماء

وللمتنبى

تحسب الماء خط فى لهب النا ... ر أدق الخطوط فى الاحراز
كلما رمت لونه منع النا ... ظر موج كأنه منك هاز

ألم يبلغْكَ ما فعلتَ ظباهُ بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عمرًا [1]

ودقيق قـدى الهبـــاء أنيـق متوال فى مسـتو هز هـــاز
ورد المـــاء فالجـوانب قـدرا شـربت والتى تليهـا جـواز
حملتـه حمائل الدهــر حتى هـى محتـاجـة الــى خـراز
وهو لا تلحق الدماء غراريـــه ولا عرض منتضيه المخـازى
سله الركض بعد وهن بنجـد فتصدى للغيث أهل الحجـاز

وللمعرى :

أن أراقـــمـــا نفـــــثت سـمـامـــا عليه فعـــاد مبيضـــا نحيـــلا
ومـــن تعـلـق به حـــمـــه الافـاعـــى يعش - إن فاته أجل - عليلا
تـــردد مــــاؤه عـلـــــوا وســـفــلا وهـم فما تمكـن أن يسـيلا
يكاد ســـــــناه يحـــرق مـــن فـــراه ويغـرق من نجـا منـه كلـولا
وله أيضا : يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسـالا.

(١) ألم يبلغك : هذا مقول القول السابق ، أى أنه قال للأسد وهو على تلك الهيئة التى وصفهـا ومــعـه سيفه : كيف تدل على ، وتظهر لى جراءتك وإقدامك ، وكيف تتيه بأنيابك ومخالبك ولحظـــاتك ، ألـــم يبلغـــك ما فعلت ظبى ســـيفى ، وهل غاب عنك خبر فتكه ومضائه فكنـت تخـفـض من تشامخك ، وتقلل من إدلالك ، وتتنهنه من جدتك ، والظبى : جمع ظبة وهى حد السـيف وانما جاء بصيغة الجمع مع أن السـيف له ظبـة واحـدة تفخيما لها وإفهاما للســامع أن حد سيفه وان كان واحدا الا أن له أفاعيل لا تصدر إلا عن الكثير ولا تقع من غير جمــاعة ، وكاظمة : اســم لموضعين المعروف منهما هو الذى على ساحل بحر فارس وبينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين ، ولعل هناك موضعا اسمه كاظمة بالقرب من المدينة يقول فيه الابوصيرى .

أمن تذكر جيران بذى ســلم مزجت دما جرى من مقــام بــدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق فى الظلماء من أضم؟

وغداه لقيت عمرا : يروى بدلا منه "غداة قتلت عمرا" كما انه يروى بدلا من قوله ما فعلت ظباه " ما فعلتـه كفى " وليس يخفى عليك أن الرواية التى بأيدينا أفضل .

وقلبْ مثلُ قلبكِ ليْسَ يخشى مُصاولةً فكيفَ يخافُ ذعْرًا[1]؟!
وأنْتَ ترومُ للاشــبالِ قـوتًـا وأطــلبُ لابنهِ الأعمـامِ مهرًا[2]

(١) المعنى : لا تظهر صلفك ، ولا تأخذك الكبرياء ، وأقلل من غلوائك فكما أن لى سلاحا مثل سلاحك أو أمضى فان لى قلبا مثل قلبك : كأنما قد من صخر ، لا يخشى المواثبة ، ولا يخاف النزال ، ولا يرهب المصارعة ، فكيف تأمل أن ينال منه الذعر ، والذعر - بفتح أوله - : الإخافة والترهيب ، ويقول إذا كان قلبى لا يهاب المصاولة ، ولا يزعجه القتال ، ولا تحركه المناوأة فكيف تظن أنه يخشى التخويف والتهويل وإن هما الا تهديد ووعد دون ايقاع ؟ !

(٢) تروم : تبغى وتطلب ، والاشبال : جمع شبل بكسر أوله - وهو ولد الاسد ويجمع على أشبل - بزنة أفلس - أيضا ، والمعنى : أنك قد خرجت الى وتعرضت فى طريقى مستهينا بى ومستخفا بشأنى غير مكترث بما ستلقاه منى لأنك تأمل أن تفترسنى فتأخذى طعمة لأولادك وتقدمنى لهم قوتا ، وأنا سائر الى غرض أسما من غرضك ومقصد خليق بأن يكلفنى عناء وجهدا فوق ما يكلفك مقصدك وهو الاتيان بمهر ابنه عمى . فإذا كنت قد فعلت كل ذلك فى سبيل مأربك فما أحرانى بأن أفوقك قوة وإقداما وبسالة ونجدة على مقدار ما أريد من المطالب فمن خطب الحسناء لم يغلها مهرا ولابد دون الشهد من أبر النحل ، ومن لم يصبر على الكيد ساعة تحمل ذل الدهر، وللشريف الرضى فى وصف الاسد :

أقول إذا سالت مع الليل رفقة تقاذفها حتى الصباح المخارم
دعى جنبات الواديين فدونهـا أشم طويل الساعدين ضبارم
اذا هم لم تقعد به عزماته وان ثار لا تعيا عليه المطاعم
كان على شدقيه ثغرا وراءه نوابل من أنيابه وصوارم
فما جذب الاقران منه فريسة ولا عاد يوما انفه وهو راغم =

ففيـــمَ تســـومُ مثلــى أن يُــولـــى ويجعلَ فى يديكَ النفْس قسْرًا(١)
نَصحـتكَ فالتمسْ يا ليثُ غيِرى طـعامًا إنَّ لحمى كـانَ مُرًّا(٢)

= له كل يوم غارة في عـــدوه تشاركه فيها النسور القشاعم
كل المنايا – أن توسد باعه تيقظ فى أنيابــه وهـــو نائـــم

(١) فيم : استفهام عن السبب مثل "لم" وتسوم : أما أن يكون من قولهم : سامه بعيره وساومه سواما – بالكسر – واستام عليه وتساوماه أى ذكر له قيمته وفاوضه في بيعه ، وأما أن يكون من قولهم : سامه الخسف أى أولاه اياه وأراده عليه، وعلى الاول يكون المعنى:اذا كان لى سلاح كسلاحك وقلب كقلبك وانا مستعد استعدادك للمنازلة والصراع ، وعلى أهبه كاملة للمناوأة والقراع ولى مطلب يحتم على قتلك والفتك بك فلأى الاسباب ترغبنى فى الفرار وتحبب الى الهرب بما تبديه من حركات الاغتيال وتظهره من مخائل الصلف ، وعلى الثانى كانه يقول له لا تطمع فى أن تكرهنى على النجاه بالفرار منك ولا تصدق أننى سأوليك ظهرى فتنقض على فتفترسنى ويروى : قهرا بدلا عن "قسرا" ومعناها واحد .

(٢) يروى بدلا عن "ياليث" ياويك ، وويك : كلمة دعاء مثل ويحك وويبك وويلك، والمنادى حينئذ محذوف تقديره ياهذا ويك كما حذف فى قول الشاعر :

الايا اسلمى يا دار مى على البلا ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ويروى البيت هكذا :

نصحتك نصح ذى شفق فحاذر مرامى لا تكن بالموت غرا

والشفق : الشفقة ، ومعنى لا تكن غرا بالموت لا تكن جاهلا بأسبابه غير عالم بعلله التـــى من بينهـا لقـاء مـثلى ، ومـعـــنى البـيت : أننى انصح لك بألا تتوهمنى فريستك التى تأكل منها اليوم وتغذى اشبالك فانك لو طمعت فى ذلك فستجوع ويجوع معك هؤلاء الاولاد – وكنى بمـــرارة اللحم عن عدم القدرة على الحصول عليه – فأولى لك ان تبحث عن غيرى لترد به عنك عادية الجوع .

فلمَّا ظـنَّ أنَّ الغـشَّ نُصـحي　　وخالفني كأنّي قلتُ هجْـرا [1]

مشى ومشيتُ منْ أسدينِ راما　　مرامًا كانَ إذْ طلبـاهُ وعْرًا [2]

هززتُ لهُ الحسامَ فخلتُ أنّي　　سللتُ به لدى الظلماءِ فجرا [3]

---

(١) الهجر - بالضم - : الهذيان والخرافة كما ، يكون من الأبله والنائم في نومه والمريض في بحران الحمى وحده مرضه ومن لا يعقل ولا يضبط ما يقول ، ويروى بدلا عن الشطر الثاني " وخال مقالتي زورا وهجرا " والمعنى : أنه لم يقتنع بما ألقيت إليه من الكلام ، ولم يصدق ما اسديت من النصيحة بل اعتمد على قوته وصلابه عوده وارتكن على ما فيه من بطش فتوهم أنني أهذي فلما ثبتت عنده هذه الظنه وقوى في نظره ذلك الوهم كان منه كيت وكيت .

(٢) لما نصحه ولم يسكن لنصيحته واستهداه فلم يقبل تقدم الاسد اليه اغترار منه بقوته وصار نحوه اختيالا بشجاعته وتقدم بشر إليه اعتمادا على شجاعته وركونا الى ما فيه من حميه وإباء فيا لهما من اسدين طلبا مطلبا كان وعرا صعب المنال بعيد التحقيق عسير الثبوت إذ أن كل واحد منهما كان يطلب من صاحبه مالا سبيل له إلى تحقيقه ولا قدرة عنده على إجازته ، وقوله : من أسدين واقع موقع البيان للضميرين في مشى ومشيت تفخيما لشأن كل منهما وتعظيما لما عاد إليه كل واحد منهما .

(٣) هز الحسام : حركه في يده كأنه يجربه ليتهيأ للضرب ، وقد تخيل بريقه ولمعانه كانه فجر سل في الظلماء ، ويروى بدلا عن «سللت» : شققت ، ويعبر عن طلوع الفجر بفلقه وفي التنزيل : (فالق الإصباح) والمعنى :أني حينما تأكدت من عدم ارعوائه ونفوره من قبول نصيحتي تقدمت إليه باسطا يدى بالحسام الذى يشبه الفجر في اشراقه ويماثله في ضوئه ولايفترق عنه في لمعانه ، ومثل هذا التشبيه قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وجدتُ لهُ بجائشـــةٍ أرتــهُ ... بــانْ كــذبتهُ ما منتهُ غدْرا[1]

وأطلقتُ المهندَ من يمينى ... فقدَّ لهُ من الاضلاَع عشرًا[2]

(١) الجائشة : النفس ، قال الشاعر :

أبت لى همتى وأبــى بلائــى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى

وبشر يتهكم على الاسد ويعلن الزراية به والتهوين من شأنه وتضعيف أمره، ويقول انى تكرمت عليه بنفس أعلمته وأظهرت له أنها قد غدرت به فيما منته وأطمعته فيها بثباتها بين يديه اذ كذبته تلك الامنية وضيعت عليه ذلك الرجاء وأفلت من يده أمله الضائع ففتكت به وقهرته وصرعته، وقد يراد من الجائشة هنا المعنى الوصفى أى بضربة هائجة مضطربة وقد كانت تلك الضربه منته خيبتها وأوهمته عدم إصابتها بهيجان ضاربها فظن عجزا وأخطأ التقدير اذ كان ذلك كله مخاتلة وتغريرا ، ويروى بدلا عن «أرته» : رآها، كما يروى بعد هذا البيت :

وجدت بضربة جاءته شفعا ... بساعد ماجد تركته وترا

فاذا أردنا من الجائشة المعنى الثانى كان ذلك البيت تفسيرا لسابقه ، وإن كان المعنى الاول كان لهذا البيت معنى مستقل وكأنه تفصيل لما أجمل فى قوله : أرته أن كذبته مامنته غدرا، وشفعا : حال من ضمير الاسد فى جاءته، وانما كان الاسد شفعا لانه حين هوت اليه الضربة كان مع أسد آخر وهو بشر، وإطلاق الشفع على كل من الاثنين جائز لان الشفع يتم بكل منهما والضمير فى تركته يعود على الماجد والمعنى أن الضربة لما قتلت الاسد تركت الماجد وهو بشدر أسد فردا وهو الوتر ، ويروى هذا البيت :

بضربة فيصل تركته شفعا ... لدى وقبلها قد كان وترا

أى انها شطرته نصفين فصار اثنين بعد ان كان واحدا وأضحى شفعا بعد ان كان وترا وهو ظاهر .

(٢) المهند : السيف الصارم ، والحسام النافذ فى ضربته ، وكانت مواضى =

فخرَّ مجدَّلا بدمٍ كأنّي   هدمتُ به بناءً مشمخرًّا[1]

= السيوف ترد الى العرب من الهند كما كانوا يجلبون رماحهم من الخط ، ولذلك نسبوا ما كان من السيوف بتارا ، قاطعاً ، الى الهند فقالوا: الهندية ، واشتقوا له من هذا اللفظ اسماء فقالوا : المهند . وربما كان هذا اللفظ (المهند) نسبة أيضا اذ أن صيغة فعل (بالتضعيف) تدل على النسبة مثل ماقالوه فى قول العجاج .

أزمان أبدت واضحا مفلجا   أغر براقا وطرفا أدعجا
وفاحما ومرسنا مسرجا ..

فانهم يقولون أن مسرجا (بضيغة اسم المفعول من المضعف كمهند) نسبة الى سريج وهو حداد كان يجيد صنع السيوف ، وقد : قطع ، والمعنى أنى بعثت اليه سيفى فأنفذته فى اضلاعه فقطع منها عشرا .

(١) خر : سقط، ومجدلا : مصروعا على الجدالة وهى الارض ، وأصل مأخذ الكلمة منها، ويروى مضرجا بدم، وهى أوضح معنى وأظهر، وذلك لان الرواية الاولى تحوجنا الى توضيح فى الكلام وتقدير فى نظمه فيقال :خر صريعا مصحوبا بدم أو ملطخا به ونحو ذلك، والبناء المشمخر : الشامخ، العالى الذرى، المرتفع ، والمعنى أننى أنفذت فيه سيفى، وقطعت أضلاعه فلم تبق فيه قوة يستطيع أن يتماسك بها، أو يتمالك نفسه من الصرعة والانطراح على الارض فخارت قواه وضعفت همته . وفترت شدته فهوى الى الأرض مالطخا بما سال من دمه مضرجا بالذى أخرجه منه حد سيفى وكأنه حين وقوعه وتهاوى جثته بيت عال قد تهدم فأنت تسمع له دويا وصوتا ، يريد بذلك أن يقول أن الاسد كان ضخم الجثه عبل الشوى صلب الأضلاع ليكون فخاره بقتله ذا مزية وفضل جديرين بالذكر والإشادة بهما ولعل فى هذا نوعا من استتباع ذكر صفة لصفة أخرى فان وصف الاسد بما ذكر يستتبع وصفه بالتناهى فى الشجاعة وبلوغ حد الإقدام .

وقلتُ لهُ : يعزُّ علىَّ أنِّى قتلتُ مُناسبى جلدًا وفخرًا[1]
ولكنْ رمتَ شيئًا لمْ يرمهُ سواكَ فلمْ أطقْ يا ليثُ صبرا[2]
تحاولُ أنْ تعلمنى فرارًا؟ لعمرُ أبيكَ قدْ حاولتُ نكرا[3]

(١) بعد أن قتله وأوقعه صريعا وتركه مضرجا بدمائه أخذ يعتذر له ويذكر الاسباب التى حملته على التنكيل به ويتنصل من تبعة ما وقع منه ويعاتبه على المبادرة له بالعدوان ، وكأنه يريد أن يفهمه انه لم يفعل به ذلك إلا اضطرارا ونزولا على حكم الدفاع عن النفس وسيرا مع الأنفة من الذل وإباء الضيم ، ولولا أن فى مصانعته له ، وعفوه عنه ، وتركه ، ضيما عليه ومذلة له واهانة لقدره لكان العفو أيسر ما يفعل معه ، ويعز على : يصعب ، ويشتد على نفسى، ومناسى : مشابهى ومشاكلى فى الجلد والثبات وشدة الصريمة وصعوبة المراس، وفخرا : أى ما يفخر به من أسباب الفخار ودواعيه كالشجاعة والقوة ونحوهما ، ويروى : قسرا بدلا عن «فخرا» والقسر هو القهر ويروى ايضاً : «قهراً » والمعنى : أنه لعزيز على نفسى وشديد ان احتمل ما لعله يقال من أننى قتلت أشبه العالمين بى وأنسبهم لى فى صفتى الجلد وقهر النفوس واغتيالها .

(٢) المعنى : أنك طلبت شيئا لم يستطع أحد فى الدنيا أن يطلبه وقصدت أمرا ما كان يدور بخلدى أن يجسر على قصده غيرك ، وابتغيت أن تفترسنى وهذا شئ لم يطلبه سواك منى ولهذا وحده كنت مسوقا بحكم الضرورة الى قتلك اذ أننى لم أستطع الصبر على هذا الطلب الجائر ، وكيف أصبر على مالم أتعوده .

وسيفى كان فى الهيجا طبيبا يداوى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

(٣) النكر- بضم أوله - : المنكر والذى لم تألفه النفس وفى التنزيل (لقد جئت شيئاً نكرا) ، والمعنى : أنك كنت تطلب وتجتهد فى طلبك هذا بكل وسائل التهديد أن تعلمنى التولية وتعودنى على الفرار وتجعلنى آلف الهزيمة ، وأنت فى كل =

فلا تجزعْ فقدْ لاقيتَ حُـرًّا   يحاذرُ أن يُعاب فمتَّ حُرًّا[1]

فإن تكُ قد قتلتَ فليسَ عارًا   فقدْ لاقيتْ ذا طرفين حرًّا[2]

فلمَّا بلغت الأبياتُ عمهُ ندمُ على ما منعهُ تزويجها[3] .

وخشى أنْ تغتالهُ الحيةُ فقامَ فى أثرهِ وبلغهُ وقد ملكتهُ سورةُ

= هذا الطلب ، وفى كل هذه المحاولة يستحيل أن تفلح ولا يمكن أن تنال رغبتك إذ أن هذا الطلب غير مألوف لى وليست لى به سابقة .

(١) الجزع : انخلاع القلب وتألم النفس من حادث فظيع أو أمر شنيع ينزل بالمرء فيفقده صوابه ويضيع عليه تجلده وصبره ، ويحاذر : يخشى ، ويعمل جهد طاقته وبمقدار وسعه لئلا يقع ، والمعنى : لا يؤلمك ، ولا تذهب نفسك حسرات ولا تحزن على ما نالك منى ، وأصابك من حد حسامى فان كنت قد هويت فان الذى فعل بك ذلك ، والذى اصطدمت به هو رجل حر كريم خيار يأبى الضيم ولا يقبل الضعة ويرهب الاستكانة فمت بيده حرا كما يموت الشريف الأبى النفس والمقدام الجرئ، ويروى بدلا عن «فلا تجزع» : «فلا تغضب» «فلا تبعد» .

(٢) كأنه يسليه عما أصابه ، ويهون عليه مالقيه منه فيقول له : إن كنت قد قتلت أو يكن المقدور قد ابتلاك بى فما ذلك بعار عليك ولا هو أمر تلحقك من أجله الضعة ، اذ ليس من الشين بك والحطة من قدرك أن تقتل بيدى أو تخر من ضربة كنت أنا الذى تقدم بها إليك فاننى – وأنا قاتلك – رجل ذو طرفين أى أبوين معروفين أصيلين فأنا عريق فى النسب ، شريف الحسب ، كريم النجر ، طيب الاصل ، حر ، وانما العار أن يؤخذ المرء بيد رجل دنىء وما دمنا متكافئين شجاعة وإقداما متماثلين شدة وجراءة فأى ضيم يلحقك وأى أذى ينالك ؟ والحر هنا : الصريح النسب الذى لم يدخل فى نسبه رق ولا شبهة .

(٣) مامصدرية أى على منعه تزويجها . وفى نسخة: من تزويجها .

الحيةِ [1] . فلمَّا أخذتهُ حميةُ الجاهليةِ فجعل يدهُ فى فمِ الحيةِ وحكمَ سيفهُ فيها[2] فقالَ :

بشرٌ إلى المجدِ بعيدٌ همهُ ... لمـا رآهُ بالعـراءِ عمـهُ[3]

قـدْ ثكلتـهُ نفسـهُ وأمـهُ ... جاشتْ به جائشةٌ تهمهُ[4]

قامَ إلى ابنْ للفلا يؤمُّـه ... فغابَ فيـهِ يـدهُ وكمـهُ[5]

ونفسه نفسِى وسمَّى سمهُ [6]

فلمَّا قتلَ الحيْة قالَ عمهُ : إنى عرضتكَ طمعًا فى أمْرٍ قد ثنى

---

(١) سورة الحية : سطوتها . (٢) يظهر من الأبيات الآتية انه لف يده فى كمه وادخلها فى فم الحية . ويروى بعد فم الحية : وقبض على لسانها وحكم سيفه فيها فقتلها . (٣) الهم هنا : الهمة ، يقال : فلان بعيد الهمة إذا كان طلابا لمعالى الامور . والعراء بالفتح الفضاء لا يستر فيه بشىء . (٤) هذا البيت يشتمل على حالين من ضمير رآه فالحال الاولى قد ثكلته نفسه وأمه أى رآه وقد شرف على الهلاك فكان قد ثكلته نفسه أى فقدته هى وامه والحال الثانية جاشت به الخ وجاشت اى هاجت . والجائشه وصف لمحذوف اى الحية الهائجة . وقولة تهمه اى تودع الهم والغم قلبه بما توقع به من الشر . (٥) قوله «قام الى ابن» هو جواب لما رآه عمه . وابن الفلا هو الحية والفلا جمع فلاة وهى الصحراء الواسعة أو المفازة لا ماء فيها ، والحيات العظيمة قلما توجد إلا فى الفلوات لهذا سماها ابناء الفلا ويؤمه يقصده . وقوله فغاب فيه اى فى فمه . (٦) ضمير المتكلم لبشر لانه المتكلم بالأبيات اى أنه حية مثله فنفسه شبيهة بنفس الحية وسمه شبيه بسمه . وسمه هنا سيفه الذى قتل الحية به فكما انه كان مع الاسد اسدا آخر كذلك هو مع الحية حية .

الله عنانى عنهُ [1] فارجعْ لازوجكَ ابنتى . فلما رجعَ جعلَ بشرُ يملأ فمه فخرا حتى طلع أمردُ كشقِ القمرِ [2] على فرسه مدججًا فى سلاحهِ فقالَ بشرُ : يا عمُّ إنى أسمعُ حسَّ صيدٍ . وخرجَ فإذا بغلامٍ على قيدٍ [3] فقالَ : ثكلتكَ أمكَ يا بشرُ : إن قتلتَ دودةً وبهيمةً تملأ ما ضغيكَ فخرًا [4] ؟ أنت فى أمانٍ إن سلمت عمك. فقالَ بشرُ : منْ أنتَ لا أمَّ لكَ : قالَ : اليومُ الاسودُ والموتُ الاحمرُ . فقال بشرُ : ثكلتكَ من سلحتكَ [5] . فقال : يا بشرُ ومن

(١) اى انى كنت عرضتك لخطر الهلاك حتى لا أزوجك بنتى وقد عطفنى الله عن ذلك كما يثنى عنان الجواد الى وجه غير الذى كان يسير اليه . (٢) اى كانه فى بهائه وجماله فلقة من القمر . وقوله : مدججا فى سلاحه أى انه لابس سلاحه وكانه مستتر به لاترى العين منه الا السلاح . (٣) اى انه خرج لطلب الصيد الذى سمع حسنه فإذا بذلك الغلام على قيد رمح منه اى مقدار طول الرمح يعنون بذلك القرب وحذف الرمح لان الكلمة مشهورة معروفة . ويروى : بدل (فخرج فإذا بغلام الخ) فقال الغلام مددت رجلك الى قيد، وهو جواب من الغلام لقول بشر انى اسمع حس صيد ، وهو اما دعاء عليه بالاسر والوقوع فى قوم يقيدونه او خبر اى ان ماظننته صيدا ليس بصيد بل هو صائد فانت بقولك هذا قد مددت رجلك الى القيد وقولة : ثكلتك أمك يروى : ثكلتك نفسك .

(٤) الماضغان: اصول اللحيين عند منبت الاسنان لأنهما يتحركان عند المضغ بل هما آلته ويملأ الماضغين أى ما بينهما وهو الفم . وقوله : إن قتلت – بفتح همزة ان –: متعلق بتملأ فمك فخرا لان قتلت دودة وهى الحيه وبهيمة وهى الاسد. وقوله : انت فى أمان إلخ : مطالبة له بما لا يمكن ان تسمح به حميته . كيف يسلم عمه بدون قتال ؟ (٥) سلحتك رمت بك من بطنها وقذفتك وهى امك فاجابه الغلام بشتم مثل شتمه . فقال : ومن سلحتك يابشر : اى وثكلتك من سلحتك ايضا .

سلحتكَ . وكرَّ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه . فلم يتمكن بشرُ منه وأمكن الغلام عشرونَ طعنةً في كلية بشرٍ كلما مسَّهُ شبا السنان حماهُ عن بدنه إبقاءً عليه [١] . ثمَّ قالَ : يا بشرُ كيفَ ترى ؟ أليس لو أردتُ لأطعمتكَ أنيابَ الرمحِ [٢] ثمَّ ألقى رمحهُ واستلَّ سيفهُ فضربَ بشراً عشرينَ . ضربةً بعرضِ السيفِ ولمْ يتمكن بشرُ من واحدة . ثمَّ قالَ : يا بشرُ سلم عمك واذهب فى أمانٍ . قالَ : نعم ولكن بشريطة أن تقولُ لى من أنتَ . فقالَ : أنا ابنكَ . فقالَ : يا سبحانَ الله ما قارنت عقيلةً قطُّ [٣] فأنى هذه المنحةُ ؟! فقالَ : أنا ابنُ المرأةِ التى دلتكَ على ابنةِ عمك . فقالَ بشرُ :

تلكَ العصا من هذهِ العصيةْ　　هل تلدُ الحيةُ إلا الحيهْ [٤]

---

(١) اى ان الغلام قد تمكن من قتل بشر بعشرين طعنه كلها تصيب كليته لكنه كان يمس بدنه بشبا السنان اى طرفه، يحميه اى يبعده عنه ويقيه منه ابقاء عليه اى رحمة له واستبقاء لحياته . (٢) أليس الحال والامر انى لو أردت اجعلك طعاما لأنياب الرمح لاطعمتك اياها؟وليس للرمح الا ناب واحد وهو السنان لكنه جمعها باعتبار تعدد الطعنات كأن لها فى كل طعنة نابا او أنه شبه الرمح بمفترس له انياب وطواه وأشار اليه بالانياب فهى تخييل محض .

(٣) ماقارنت عقيلة : ماتزوجت امرأه كريمة حتى تأتى بغلام كريم مثل هذا .

(٤) تلك العصا من هذه العصية : مثل من أمثال العرب أصله «أن العصا من العصية» قال الأصمعى : وأنا أحسبه «العصية من العصا» الا أن يراد أن الشئ الجليل يكون فى بدء أمره صغيرا كما قالوا «أن القرم من الأفيل» فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال : «العصا من العصية » قال المفضل : أول من =

= قال ذلك الأفعى الحرهمى ، وذلك أن نزارا حين حضرته الوفاة جميع بنيه : مضر. وأياذا ، وربيعة ، وإنمازا ، فقال : يابنى هذه القبة الحمراء – وكانت من أدم – لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الاسود لربيعة ، وهذه الخادم وكانت شمطاء – لأياد، وهذه البدرة والمجلس لانمار، يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتو الافعى الجرهمى، ومنزله بنجران ، فتشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا إلى الافعى الجرهمى، فبينما هم في مسيرهم إليه اذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال : أن البعير الذى رعى هذا لاعور ، قال ربيعة : أنه لأزور، قال أياد : أنه لابتر قال أنمار: أنه لشرود، فساروا قليلا فاذا هم برجل ينشد جمله، فسألهم عن البعير فقال مضر: أهو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم ، قال أياد : أهو أبتر؟ قال : نعم ، قال أنمار: أهو شرود ؟ قال : نعم، وهذه – صفة بعيرى فدلونى عليه، قالوا: والله ما رأيناه، قال: هذا – والله – الكذب، وتعلق بهم ، وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير: هؤلاء اخذوا جملي ووصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره، فاختصموا إلى الافعى – وهو حكم العرب – فقال الافعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ قال مضر : رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر الأخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لانه أفسده لشدة وطئه لازوراره، وقال أياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعره، ولو كان ذيالا لمصع به. وقال أنمار: عرفت أنه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت أنه شرود، فقال للرجل ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سالهم: من أنتم؟ فأخبروه، بما جاء بهم، فقال: أتحتاجون الى وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم، فذبح لهم شاة، وآتاهم بخمر، وجلس لهم بحيث لايرونه وهو يسمع كلامهم، فقال ربيعه: لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبه! فقال مضر: لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا أن حبلته نبتت على قبر! فقال أياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا أنه ليس لابيه الذى يدعى له! فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع فى حاجتنا من كلامنا وكان كلامهم بأذنه – فقال: ما هؤلاء إلا شياطين، ثم دعا القهرمان فقال: ما هذه الخمر، وما أمرها؟ قال هى من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها! وقال للراعى: ما أمر هذه الشاة؟ قال: هى عناق أرضعتها بلبن كلبة، وذلك أن أمها قد ماتت ولم يكن فى الغنم شاة ولدت غيرها، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال – وكان لايولد له – =

وحلفَ لا ركبَ حصانًا ولا تزوَّج حصانًا[1] . ثمَّ زوَّج ابنْةَ عمّه لابنِه .

= قالت : فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك ، فأمكنت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه ، فخرج الأفعى إليهم، فقص القوم عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم، فقال : ماأشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فذهب مضر بالدنانير والابل الحمر فسمى «مضر الحمراء» لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الاسود فله كل شئ أسود فصارت لربيعة الخيل الدهم فقيل له : «ربيعة الفرس» وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لاياد، فصار له الماشية البلق من الحباق والنقد فسمى «أياد الشمطاء» وقضى لانمار بالدراهم وبما فضل فسمى «أنمار الفضل» فصدروا من عنده على ذلك ، فقال الافعى : (أن العصا من العصية ، وإن خشينا من أخشن ، ومساعدة الخاطل تعد من الباطل) فأرسلهن مثلا ، وخشين وأخشن: جبلان أحدهما أصغر من الآخر ، والخاطل : الجاهل ، والخطل فى الكلام : اضطرابه ، والعصية : تصغير تكبير مثل : أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك ، والمراد أنهم يشبهون أباهم فى جودة الرأى، وأصالة الفكر، وسداده، وقيل: أن العصا اسم فرس كانت لجذيمة بن مالك بن نصر الذى يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح، والعصية اسم أمه يراد أنه يحاكى أمه فى كرم العرق وشرف العتق، وقوله فى المقامة: (هل تلد الحية إلا الحية) نص مثل آخر، والمعنى : أنه لا يلد مثل ذلك الغلام الجرىء والفتى الفاتك الشجاع إلا مثل بشر وأمه فليس ما رآه منه عجيبا ولا غريب الوقوع ومثل هذا قوله : ومن عضه ما ينبتن شكيرها، ومثل – أو قريب منه – قول زهير :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه   وتغرس إلا فى منابتها النخل

(١) الحصان – بوزن كتاب – : الفرس، والحصان – بزنة سحاب –المرأة العفيفة وإذا كان لا يريد أن يتزوج العفيفة فهو خليق بألا يتزوج غيرها والمعنى: أنه حلف أن يحرم نفسه لذة الدنيا ويمنعها من التمتع بطيب الحياة ليأخذ ابنه من ذلك بنصيب وفير .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذا آخر ماتيسر لنا من التعليق على مقامات أمير البلاغة ، وسلطان البيان أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى .

* * * *

وكان الفراغ من تبييضه (للطبع) فى ليلة الاثنين منتصف شهر
جمادى الثانية سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف من
الهجرة النبوية على صاحبها صلاة الله وسلامه
الأتمان الأكملان إلى يوم الدين

صحيفة الشكر

لست عظيما يشيد الناس بذكرى ، ولا أريد أن أضع نفسى فوق موضع أنزلنى الله به، ولا كنت لو أن بى طماعية إلى ذلك ، وهذا كتابى أقدمه للناطقين بالضاد وحسبى منهم أن يقدروا اخلاصى قدره فيعترفوا بما بذلت من جهد ، وما أفرغت من طاقة ، حين لم يكن لاحد سلطان على ولقد وردتنى كلمات فى التقريظ من شيوخ الأدب ورجال البيان فى مصر وكنت أظننى فى غنى عنها، لما تضم جوانحى من الرغبة فى البساطة ، والميل عن الألوان والتحاسين ، ولكنى أثبت هنا - مع جزيل الشكر - كلمات كان مصدرها العاطفة لا المجاملة ، ومنشؤها الاخلاص لا التكلف ، ويكفينى دليلا على ذلك أنها ممن اشتهروا عند أكثر القارئين بالاخلاص وصراحة الضمير ، والسلام ....

محمد محى الدين

جاءتنا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة زعيم العلماء، وعالم الزعماء ، الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد اللبان المفتش العام بإدارة المعاهد الدينية ، وعضو البرلمان المصرى ولنا مزيد الشرف والفخار باثباتها . قال حفظه الله .

حضرة ولدى العزيز الأستاذ الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد تحيتى اليك (وبعد) فقد اطلعت على كتابك (شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى) فألفيته جنة أدب يانعة نسقت بفكرة صائبة ، تدل على حسن ذوقك العربى ، وعلو كعبك فى سماء الأدب الصافية من غياهب التعقيد والإغراب ، المستنيرة ببدور أفكار الأذكياء ، فسرنى منك ما يسر الأب الشفيق من آثار الابن البار ، ودلتنى بدايتك على كمال نهايتك ، فأيقنت منك للغة بمستقبل رقى وتهذيب وانتشار وتقريب أكثر الله فى الأمة من أمثالك الفضلاء ، وجعلك تاج هامهم ، وواسطة عقدهم ، والسلام عليك ، من أخلص الناس إليك ،،،،،

عبد المجيد اللبان

وتلقينا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير ، رجل العلم والأدب ، الاستاذ الجليل الشيخ ابراهيم سليمان الشرقاوى فنذكرها ابتهاجا بثقة أديب له شرف الزعامة على أدباء هذا العصر . قال أبقاه الله .

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على أفصح ولد معد بن عدنان ، وأبلغ من كان .

(وبعد) فإني تصفحت ماعلقه ابن أخي الاستاذ الفاضل الشيخ محمد محي الدين على مقامات بديع الزمان فوجدته طرفة أديب ، ونبذة لبيب ، دل على ذوق سليم ، ونهج في اللغة مستقيم ، دل خطو مؤلفه فيه على شأوه ، وثمره على شجره ، حتى أيقنت أنه بالغ إن شاء الله ما أملته في مخايل بدايته ، من إشراق في نهايته ، ونبوغ في حرفته ، أسأله تعالى أن يرفعه إلى مستوى خلقه مستعداً له بنشأته ، وكرم نحيزته ، والسلام ،

ابراهيم سليمان الشرقاوى

عزيزى الاخ

باكورة غيثك تنبئ عن سعة اطلاعك ، وأول زرعك حصاد غيرك ، وكتابك هذا يشف عن مقدرتك ، ويسجل لك فى جبين الدهر غرة بيضاء ، وستكون لك به عند الادباء المنة العظمى ، لازال حد عزمك ماضيا ، وزناد أملك واريا والسلام ،،،،

المخلص

ابراهيم مرسى بدوى

عزيزى الفاضل :

لقـد سـبـحـت بفكرك الثـاقب فى بحـر الأدب فـجـبت عـبـابه، وخطبت عرائس البيـان فكانت طوع يمينك ، وهذا كتـابك يشـهد لك بالعبقرية ، فقد ضمنته جوهرا هو غايتك ودرا هو بغيتك .

فسر فى طريقك قدوة لأمثالك والسلام،

القاهرة   يناير سنة ١٩٢٤

ابراهيم السيد موافى

مدرس بمدرسة محمد على الخيرية

عزيزى الأخ

اطلعت على ما جادت به قريحتك الوقادة فى شرح مقامات البديع فألفيتها الدرر الغوالى فوق اللبات والنحور والجواهر الثمينة فى السبائك الذهبية ولعمرك أى شئ وراء ذلك وأنت لم تترك بلاغة لبليغ ولا فصاحة لفصيح وما الذى تتطاول إليه الأعناق بعد هذا وقد ضمنته الآلىء فجاء قلادة فى جيد الدهر ولئن حق لأليف أن يفخر بقرينه فأنا أشيد الناس فخارا بك والسلام ، ،،

على على هلالى

حضرة أخى الاديب الفاضل الشيخ محمد محى الدين سلام الله ورحمته عليك ، لازلت بحراً يغترف منه الواردون ، ومنهلا يشرب منه الرى والصدى ، وبعد فقد اطلعت على كتابك (شرح مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمدانى) فإذا هو - من غير مغالاة - فيه العبقرية الصادقة ، والدرة اليتيمة ، والروضة الغناء ، الدانية قطوفها وكيف لا وهى ثمار الأديب التى تجعل الفقير غنيا والغنى متسعاً ، هذا ولا غرو فقد عهدتك منذ الصغر تواقاً إلى الأدب ، شغوفاً باقتفاء أثر الأدباء والعمل على منهجهم القويم . ولازلت كذلك حتى جئت لنا اليوم بما شرح النفوس وأخذ بها الى مستوى يخلق بالمقدرين للعلم أن يطأطئوا الرؤوس إجلالا لذلك اليراع الفذ بين اخوانه ، وختاما نحض محبى العلم والأدب على اقتنائه فإن فيه شفاء الغلة والخزانة التى لاتفنى مادتها ، والسلام ،

ابن عمك

محمد الطاهر احمد

﴿ فهرس شرح مقامات البديع ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٣٨٨٢
I.S.B.N. 977 - 01 - 7983 - 3

